

تلخيص البيان
في مجازات القرآن

تصنيف
الشريف الرضي

محققه وقدم له وصنع فهرسه
محمد عبد الغني حسن

دار الأضواء
بيروت



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تلخیص النبیان
فی مجازات القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

جمہوری شہد
۲۰۲۲
شمارہ ۱۰۴

تلخیص النبیان

فی مجازات القرآن

کتابخانہ
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شمارہ ثبت: ۰۹۹۱۰۴
تاریخ ثبت:

تصنیف
الشرفی الرضی
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمہوری شہد
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حقوقہ و قدم له و منع فہارسہ
محمد عبدالغنی حسن

دارالافتاء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

دار النشر والتوزيع
الطبعة والنشر والتوزيع برفا، خبير، حسكر - ص.ب. ١٠٢/٢ بيروت - لبنان

كلمة الناشر

نبدأ بحمده وشكره عز وعلا على موفقيتنا لاعادة طبع الكتب التراثية الاسلامية النادرة فقد عثرنا على نسخة من كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي وقد وجدنا النسخة محققة ومفهرسة وقد بذل جهد على اخراجها وهي نادرة .

واضفنا اليها ترجمة المؤلف الذي كتبها الحجة الكبير الشيخ عبد الحسين الحلي قدس الله روحه فانها ترجمة تستحق التقدير والاكبار وقد صدرنا هذه الطبعة عن طبعة مصرية طبعت في سنة ١٩٥٥ ونالت اعجاب اهل العلم من حيث التصحيح والتحقيق والفهارس . راجين من الله الاستمرار في خدمة التراث .

ربيع الثاني ١٤٠٦

كانون الثاني ١٩٨٦

دار الأضواء



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ترجمة المؤلف

تمهيد

إني لأرى لنفسي شأنًا إذا لبيت دعوة (منتدى النشر) لأمر
ينصر العلم والامة العربية ، ويقوم الثقافة الدينية والأدبية . أرى
له المنه علي في تشجيعه وتثبيته اللذين تغلبا على ما خالط هواجسي بادي
بدء : من الهيبة والإحجام عن ترجمة هذا الامام السيد ذي المنقبين .
رهيب ومهيب لدرجة بعيدة هذا الموقف الذي يوقني فيه اولئك الأفاضل
الأفذاذ رجال المنتدى ، لكي أترجم أشهر رجال العراق في عصره باتقان العلوم
الدينية والأدبية وآداب اللغة العربية وبالشمم العربي الهاشمي .
ولو اقامني العلم لأترجم إماماً كالغزالي ، أو شاعراً كأبي تمام ،
أو خطيباً مصقلاً من فطاحلة الشرق والغرب ، لم آبه أن أخلق لتراجهم
ألفاظاً على قدر ، بلا أن أتكلف في تقييد شوارد المعاني مهما
بعدت أو استعصت ، ولكن خطورة موقفي أني قت اعرب عن المزايا
الفاضلة الجملة التي قلما تنفق اجتماعها في عظماء القرن الذي عاش فيه الشريف :
بتحليل نفسيته واستصفائها من الكدر الذي استقر في أعماق الكتب
القديمة . وكيف استطيع تحليل تلك النفسية الممتعة الفاتنة ، والافصاح
عن شيء من نوازعها الجميلة ، والأفكار تمثل لي كل آن ذلك الهيكل
الذي تقوم به قد جللته الكبرياء والعظمة وحاطه من شرف النفس

وكرم الاحساب سياجاً بمنعه من تسرب الافكار اليه ، والوقوف على برض من عدد من غرر الخصال التي تفرّد بها . وكيف لي مع هذا أن أقف على مساويه - لو كانت - التي أحرص على إبدائها ! ومن لي أن تنفتح أمامي الابواب التي ينطرق القدح منها إليه ! ولئن كنت لأعتمد إلا أن أفهم ويفهم القارئ من هو « الشريف الرضي » ، بلا أن أتعرض لمدحه أو ذمه ، لأن المدح والذم ليسا مما يتناولهما فن التاريخ ، فلست في سعة من تركهما ، إذا كان المترجم مستاثراً بعمل يستوجب الاطراء ، أو مستتباً بما يستدعي المآخذة ؛ وإذا استطعت أن استخلص أفكاره من مصائد عظمة الشريف ، فسوف أقرر حياته كما هي بلا إطراء ولا إزرار .

أترجم الشريف أو أ فهرس أدوار حياته بجميع مناحيها ، في صحيفة من صحائف أيامي الأخيرة ، وليس بين يدي من معين سوى ديوان شعره الضخم ، وعدة نزرّة من المصادر ، محاطة بذكريات لقدمها وتكررها لم تذهب ذهاب ما هو أهم منها وأنفس ، لأنني لا أريد أن أعتمد في غالب ما أتوخاه فيها على أقاصيص السيرة وأقاويل التاريخ الفارط التي هي روايات فقط ، وخالية عن كل فقه تاريخي ، والروايات أجدر أن ينطرق إليها الشك ، ولا يعتمد منها إلا على ما يشهد ذلك الديوان بصدقه ، وإلا ما يتفق منها وتنتج بظاهره أو قرآن أحوال تنصل به . إذا فهو أوفر المصادر نفعاً ، وأشدّها الى تحقيق الفقه التاريخي قرباً .

ولست بناسٍ مع هذا أن الشمر خيال لا ظل له ، ولا يجدي التعمق فيه في استدراط أي قضية مجهولة ؛ كما أنني لا أغفل عن أن فهم حياة أي

ترجمة المؤلف

فرد وجماعة فهماً منطقياً يتوقف كثيراً على الاستعانة بالمنطق ، وعلى الأخذ بالنصيب الأوفر في علم النفس للأفراد وللجماعات ، للاستظهار بهما على فهم روحه من شعره ، وعلى اتقان فهم ملكاته من آثاره . لكنني إذا اقتنعت من هذا باللطيف ، فإن في تكرار الأشياء وتأكيد كدها بالاشباه والنظائر وبقرائن الأحوال ، كفاية في تحليل القضايا المهمة ، واستيضاح الأحكام الغامضة . وعندما كمل ما توخيته كنبأ لا يستهان بمقداره ولا يستصغر حجمه ، انتقيت منه بمحض أفاضل رجال المنتدى الموقر هذه النبذة التي تتقدم أمام كتاب من أجل تصانيفه ، ومنه جل شأنه أمل المعونة والنوفيق .

نسه وتأنيره في نقيته

الشریف الأجل (الرضي) أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الطاهر ذي المنقبتين الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم المجاب بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين السبط الشهيد بن علي أمير المؤمنين . لا قعدد مثل أبيه في علو النسب وصراحته ورسوخ جذوره إلا الإمام المهدي الذي هو الخامس من ولد موسى بن جعفر . وفي نحو من هذه المرتبة ينتهي نسبه من قبل أمه (فاطمة بنت الناصر نقيب بغداد [١]) ، إلى الإمام السجاد ذي الثغفات ، في سلسلة نبيلة ، حلقتها الأولى عمر الأشرف بن علي بن الحسين ، والآخر

(١) له كتاب المسائل الناصرية في أبواب الفقه على مذهب الإمامية ،

ماثما مسألة وسبع مسائل .

ابو محمد الحسن الملقب بالناصر الأصغر .

ومهما حاز الشريف من رفعة الاحساب نصيباً ، فإن لهذا النسب
الساقى الكريم أثر بليغ في ترفعه وشحمه ومحاولاته ، وفي عواطفه
وميله . وإذا استعرضنا من فخرياته ما يُدلى فيه بذنبه ويتمجد
بآبائه ، نزداد بصيرة في أن ذلك هو السبب الوحيد لأن يرى نفسه
كفؤاً لتسليم عرش الخلافة وتبوؤ أرائكها ، ولقد أغرب حتى خاطر
بنفسه في ذلك الإدلال ، حينما يدعو الطامع العباسي أبر الخلفاء به وبآبيه ،
بالأرعن المتسامي ، ولا يمتزف له بأي مزية توجب التقدمة ، حيث يقول
في مادحة لآبيه :

ألا إنني غرّب الحسام الذي ترى وغارب هذا الأرعن المتسامي
كلانا له السبق الميراثي إلى السلاطيم وإن كان في نيل العلاء أمامي
وما بيننا يوم الجزاء تفاوت سوى أنه خاض الطريق أمامي
وبنهو هذا جابه القادر في أبيات مشهورة ، على ما بينهما من الحال القلقة .
إن الشموخ بذلك النسب الواضح قد أثر في خيال الشريف وشموره ،
فنفخ فيه روحاً فاخرة ، ولذلك لا نجده يتجبر بكله مرة إلى نظم شيء
من شعره ، إلا وتجتذبه تلك الروح القوية ، فتطبع شعره بطابع الفخر
الذي مازج شموره ، وهذا أحد الأسباب التي خولته البراعة في الشعر
الفخري الحماسي من بين فنون الشعر ، حتى احتكرت له سرير الامارة الممهد .
بأولى النظرات في ديوانه . نجد البندخ قد أخذ بأطرافه ، وأفعم
أجوافه ، حتى غص به . ويدلنا قول المطهر بن عبد الله وزير عضد

ترجمة المؤلف

الدولة ، لأبي أحمد - وهو يلقى القبض عليه ليعتقله في القلعة بفارس - :
« كم تُدِل علينا بالعظام النخرة » ، على صدق المثل السائر (الولد على سرّ أبيه) . وإن للشريد من الفخر بنفسه من أخلاق وملكات عالية يمتاز بها عن غيره ما يغنيه عن التمجيد بآبائه ، وكفى أن ثبت له في هذه النبذة ما ينبي عنه قوله :

ملكيت بحلي فرصة ما استرقها من الدهر مقتول الذراعين أغلبُ
فحسبي أني للأعادي مبغض وأنني إلى غرّ المعالي محب
وقور فلا الاخان تأسر عزمتي ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ولا انطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كزّ القوارص شيعتي كأن معبد الذم بالمسح مطب
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجى إذا قال مني العاضة المتوئب
ولست براضي أن تمس عزائي فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبابي بحفظها زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب
مولده . نشأته . أسرته لايه . أسرته لاهه :

ولد الشريف في مدينة السلام : مدينة الثقافة وعاصمة الشرق ،
سنة ٣٥٩ هـ ، ذلك الزمن الذي امتدت إليه حضارة عصر المأمون ،
وأخذ بنصيب وافر من أبهته وجلالة العمران فيه ؛ فاستهل في حجور
سامية ، ودرّت عليه فيها أخلاف العفاف الهاشمي ، ودرج من أحضان
الحصانة والامانة الى ظل وارف من الزعامة والمظمة ، فنشأ كما يقول :

فنى لم نوركه الإمام ولم تكن أعاريه مدخولة بالأعاجم
 وشب ، وقد استفاد ثقافته النفسية من ذلك المحيط المغمم بالنقباء
 والأمراء والعلماء والأدباء : هم أسرة أبيه بنى « موسى بن جعفر
 الصادق » امام الفقهاء ، وأسرة أمه بنى الناصر الكبير أبى محمد الحسن
 الأطروش صاحب الديلم شيخ الطالبين وعلمهم وزاهدهم وأديبهم ومالك
 الأمر في بلاد الجبل كله . ونحن لا نفعل عما للأسرة التي تحيط بالرجل ،
 وما للبيئة التي يعيش فيها ، من التأثير في تربيته في ناحية العلم والأدب
 وغيرها ، بل ليس هو إلا ثمرة من ثمار ذلك العصر الذي ولدته ، ونامية
 من ناميات تلك الأرض التي درج عليها ، ولنا نحتاج أن نذكر
 الدين ، فان تأثير التربية والبيئة فيه أظهر من أن نشير اليه . وما على
 اذا تركت المقال في غير الأسرة لغير هذه النبذة التي لا تناسبها الاطالة
 أما أسرة أمه ، فهم أسرة علم وأدب وقضاء وفروسية ونسك
 ورواية ، ومنهم من دوخ البلاد بحروبه طمعا في الخلافة والملك ، وتم
 لبعضهم ذلك في الطالقان وفي جبال الديلم [١] ، وإياهم يعني الشريف
 بقوله في مرثية أمه :

آباؤك الغر الذين تفجرت بهم ينابيع من النعماء
 من ناصر للحق أوداع الى سبل الهدى أو فارج الغناء

وما كان الشريف - وهو محاط بالمنافقين والحساد - ليقول في

(١) صاحب الطالقان هو محمد بن القاسم الصوفي الزاهد ، والذي

ملك الجبل هو الناصر الأكبر الأطروش .

ترجمة المؤلف

هؤلاء مالا يعرفهم لهم الناس او ما ينكرونه ، و لعل الكثير من الناس يومئذ رآهم وعرفهم . أما نحن إذا غمّ علينا امرهم من التأريخ الذي ينوء بأقدارهم ، فان الشريف نفسه يجلو لنا الحقيقة الناصمة بقوله من مرثية خاله وقد توفي سنة ٣٩١ :

من القوم حلوا في المكارم والاعلا
بملتف اعياص الفروع الاطايب
فما شئت من داع الى الله مسمع
ومن ناصر للحق ماضى الضرائب
هم استخدموا والاملاك عزاً وأرهفوا
بصارهم بعد الردى والمعاطب
وهم انزلوهم بعد ما أمتد غيهم
جهاحاً على حكم من الدين واجب

واما اسرة ابيه ، فلقد كانت تقرب كثيراً من اسرة الخلافة في الابهة والسلطان ، ويكفي من ذكرها - لمعرفة مقدار تأثيره بها في التربية والاخلاق - ان نذكر اياه (ابا احمد) ، الذي ارتبى في كنفه وفي ظل منعمه ، و إذا نحن قدشنا عن حالة اصدق المصادر نجدتها تثبت له نسكا مشهوراً وهيبة ووقاراً ، و ارادة قوية وعصبية شديدة ، وأصالة رأي وجد في الاعمال ، يستطيع بها ان يتلاعب بالدولة ، ويتجرأ على مقدراتها . ولهذه الصفات وهذه الملكات سفر ايام (معز الدولة) بينه وبين الاتراك ، الذين يحاولون ان يستردوا صولجان الحكم الذي كان بأيديهم في العاصمة . وتوسط الصلح بينه وبين ابي تغلب بن حمدان ، لما شغب في اطراف الجزيرة . وفي ايام (بهاء الدولة) سفر بينه وبين صمصام الدولة ، وهو بفارس . وفي هذه السفارة يقول ولده في إحدى روايته :

رموا به الغرض الأقصى فشافهم
مرّ القطامي جلي بعد ما لحا

من العراق الى اجبال خُرْمَة يا بسمه منبذاً عنا ومطرحاً
وأُسندت اليه النقابة مراراً [١] ، وتولي المظالم وإمارة الحج ،
ولقب بالطاهر ذي المناقب ، والطاهر الأوحى ، ولم يلقب بذلك
طالبي قبله .

و ليست هذه المناصب وتلك المناسبات هي التي تأخذ بضيق أبي أحمد
الى الطول وتولد له العظمة ، بل هو نفسه من رجال الطالبين الذين
اسهموا بالكرامة والجد بالأعمال الجليلة ، ومن الذين تتصل الملوك
بهم لتصرف سياستها كما تريد . و ناهيك بنسبة الخلفاء إياه لتسكين
الفتن التي لم تزل متتالية في العاصمة أيام ملوك الديلم كافة بين العسكرين
البغداديين والفراسيين . و بين الفريقين الشيعة والسنة ، فان ذلك لا يتولاه
ذو الجاه المستفاد من السلطان ، و الرهبة المجنبة من القوة فقط ، لأنه
يقع بالرغم على ذلك بكثرة ، بل الرجل الذي له مع السلطة والنفوذ أصالة
الجاه والرأي معاً ، لتحترمها الخاصة وتذعن لها العامة ، وإلى بعض
هذه الفتن يشير ولده الشريف بقوله :

و خطب على الزوراء التي رجرائه مديد النواحي مدلم الجوانب
سلت عليه الحزم حتى جلوته كما أنجباب غيم العارض المتراكب
لولاك عُلي بالجماجم سورها و خندق فيها بالدماء الذوائب

(١) في شرح النهج انه ولي نقابة الطالبين خمس مرات ، ومن وهو
متقلداً . وهذا وهم منه ، بل قد تولاهما ولده في حياته مراراً وبعد وفاته كما
يسمر عليك .

ولتأييد الأدلة على رفعة أبي احمد في نفسه ، علينا أن نلفت الى توليه إمارة الحج ، التي لا يكفي في استلامها ، وفي القيام بالواجب من شئونها ، أن يكون الأمير ذا جاه مستفاد وذا قوة مسلحة ومزودة بالمال والعناد ، فان هذا وحده لا يمكن الأمير من قطع البوادي المترامية التي ينقلص عند التوغل بها نفوذ السلطان ، ولا تنفع فيها القوة والمال مهما توفرا ، بل لا بد له مع ذلك ان يكون مهاباً في نفسه وشجاعاً ذائع الصيت ، وان يكون ذا كرامة شخصية وجاه واسع ، وذا صلات قوية بسراة العرب المتنفذين بأقوامهم ، في تلك البوادي وتلك المضائق والشعاب ، التي لا تجوزها قافلة تحمل الازواد والأمتعة إلا بخراج أو إتاوة ، أو برجل يجير على كافة أهلها .

اننا لا يعني تحديد كرامة ابي احمد الاجتماعية ، لولا العبور منها الى تربية ولده ، وقد أستدرك على نفسي الإطناب في استنتاجها من تلك المبادئ المرتبكة . ولكن لو حددنا كرامته بمفاخر الأسرة وآثر البسالة والفتوة ، وما ينضاف الى ذلك من الترفع عن منازع الأطماع والشموخ بغرر الأيادي ، فقط ، لسكان كافياً في الحكم على تربية ولده الشريف بالصحة من كل ناحية ؛ فكيف وقصيدته المستهلة بقوله : « وفوا بمواعيد الخليط واخلفوا » تُوسّع الدائرة في كرامة ابيه إلى أبعد من ذلك الحد : ففي القصيدة سفارته وتوسطاته للإصلاح ، وفيها حروبه وإماراته ، وفيها ما في غيرها من آثر الفتوة والبسالة وما ينضاف إليها ، ونحن إذا رأينا الشريف يمتن بأبيه كثيراً على شرف الدولة وبهاء الدولة ،

كما يمتن لنفسه ، او كما يتضرر بقوله للبهاء :
ما كان طوقك في جيدي مكان حليّ وإنما يستعار الحليّ للعطل
وقوله :

ولي حق عليك فذاك جدّي قد يمسّ في رضاك وذائئائي
ندعن لهما بكرامة ذاتية ومجد عصامي لم تجلبه الإمارة ولا النقابة .

أدوار حياته

[١] الدور المضى . وهو دور التوبة :

قضى الشريف اربعة عقود من عمره مع أبيه ، وكان يتصل بأعماله
أكثر من أخيه « الشريف المرتضى » لأن المرتضى رغب ان يتجرد للحياة
العلمية المحضة ، مهملًا كانت حياتهم الاجتماعية قلقه والسياسة مضطربة ،
ولو كان له اتجاه سياسي لم يعز عليه شيء من محاولات أبيه . أما الرضي
فيحدثنا جامع ديوانه أنه قال وهو ابن عشر سنين :

المجد يعلم أن المجد من أربى ولو تهاديت في غي وفي لعب
إذا هممت ففتش عن شبا هممي تجده في مهنجات الأنجم الشهب
إني لمن معشر إن جتمعوا لعلّا تفرقوا عن نبي او وصي نبي
إن شعر الشريف في صباه كما يفبؤنا أنه سيكون له مستقبل باهر وحظ
وافر في ناحية الاجادة والانتقان ، يمثل لنا منه عقلية كبيرة نافذة ،
وإحساساً نابضاً ، ونفساً أبية صعبة المراس ذات اتجاهات واسعة وعالية

في السياسة . وكانت الامراء وعامة رجال الدولة تقدمه على أخيه ، وترفعه عليه في الاعزاز والاحترام ورعاية الجانب ، لما تحسه فيه من الالباء والعزة والفتوة - او على ما يقوله صاحب العمدة : « لخله من نفوس العامة والخاصة » - وعدم قبول أيما صلة ؛ وقصته مع الوزير المهلب المشهورة تشهد بذلك [١] .

ولكنه بالرغم على تلك المخائل والاحساسات القوية ، لما فتح عينيه ينظر الى الحياة الحقيقية وجد عضد الدولة - عدو أبيه - هو المتصرف المطلق في مدينة المنصور ، وعمره يومئذ ثمانى سنين ، قضاها في ظل أبيه وحشمة معز الدولة ، حتى نم له ثمانى عشرة سنة هي آخر ملك صمصام الدولة التاسع لأبيه العضد في الولاء والعداء . هما خفت وطأنه . وهذا من اسوأ الأدوار التي مرت على الشريف وأشدّها بؤساً ، فان أباه وعمه (ابا عبد الله احمد) منفيان بفارس و معتقلان في قلعة منها ، وأملاكهما مصادرة ، واحباؤه واصحاب أبيه قد فنكت بهم تدابير عضد الدولة وعمل فيهم مكره ، فهم بين حبس وقنيل .

وقد ذكر عمه واباه وأطراهما عام الاعتقال بقصيدة « نصافي الأمانى والزمان معاند » فانه في اثناء إطرانه لأبيه يقول :

فأقبل والدنيا مشوق وشائق وأعرض والدنيا طريد وطارد
وساعده يوم استقل ركابه أخوه وقال البين : نعم المساعد

(١) ذكرها صاحب العمدة في كتاب النسب وشارح النهج عن محمد

ابن إدريس الحلي .

هما صبرا واخق يركب رأسه عشية زالت بالفروع القواعد
وبعد الإفراج عنهما مدحهما بالمستحقة بقوله : « من الظلم أن
تعاطى الخمارا » ، ومنها قوله :

إذا سالم الموت نفسيكما فلا حارب الدهر إلا اليسارا
أصابكما نكبة فأنجمت وعاودتما العز حتى الديارا
لئن جلتما في مكر الزمان فبوا كما من مداه العثارا
فما يقرع الجهل إلا الحليم ولا ينكت الخرق إلا الوقارا
تفرق ما لكما في العدا وشخصكما واحد لا يمارى
إن أبا احمد في دور المستكفي العباسي كان يقمى لمرتبة بعيدة استيلاء
(معز الدولة بن بويه) على عاصمة المنصور ، لما كانت تربطه به وبولده
(عز الدولة بنختيار) وشائج المصاهرة . ولكن هذه العلة بالمرتبة الثانية من
بنضه للحكم التركي الذي كان يدبر دفته (تورو) وأضرابه البعداء عن
أبي احمد وعن العرب ، ولذلك ما كان أبو احمد يلوم نفسه إذا سبر
لمعز الدولة وهو بفارس أبناء العاصمة واستنار همته لامتلاكها وسهل له
سبيل ذلك ، أو إذا عرفه وُهن الخلافة بمدينة السلام ، وإمكان
اصطلام الأتراك الذين استلوا صولجان الحكم فيها بدلا عن المستكفي الذي
هو صفيتهم وله الاسم فقط .

وهذا التدخل في شأن تلك المعز هو الذي كان يحقده عضد الدولة
على أبي احمد ، وكان العضد لا يحب أبداً أن يؤثر عليه أحد ولا يتقدم
عليه حتى المعز نفسه ، كما لا يحب أيضا أن تضم نوادي العاصمة

كل ذي سطوة و نفوذ ضده وكل مشايخ لمر الدولة ، الذي قتله واستلم
السلطان منه وفتك بكتابه ووزرائه ونصحائه وذوي رحمه ، ومنهم
الشریف ابو احمد ، فانه لكثرة الوشایات عليه او كما يقول ابن ابی الحديد
« لاستعظام امره وامتلاء صدره وعينه به حين قدم العراق » ، صادر
املاكه واعتقله بفارس .

لا تل عن هذا الشاب ، وهو في شرح الشباب متوقد الذكاء :
ماذا اثرت عليه قضية القلعة بفارس ! ولاي درجة كانت تقلقه ! وكيف
كان يصابر تلك المحنة التي لا يستطيع أن يشكو الحزن الذي لحقه لأجلها
خشية عضد الدولة ! . وإذا قرأت ما نظمه في تلك الفترة نجد الروعة
والرهبة ، وتجد الدروع الجارية تفرق بين كلماته ، وليس فيها من
أمر عضد الدولة إلا الـكنية والرمز ، حتى لقد كان يتقي أن يفصح
بمونه ، ولا يـسـبر لأبيه إلا بمثل قوله : « إن ذا الطود بعد بعدك
ساخا » . ولكن اندفاعاته الحماسية الملهبة ظهرت جليلة ناصعة فيما
نظمه عند الإفراج عن أبيه وفي استقباله وعند عودته الى بغداد ، ولعلها
كان أدنى توجع له في ذلك الشأن قوله في إحدى ما نظمه يومئذ :

لوشاب طرف شاب اسود ناظري من طول ما أنا في الحوادث ناظر
أو أن هذي الشمس تصبغ لمة صبغت شواني طول ما أنا حاسر
أو كانت يأنس بالانيس أو أبد يوماً كزم لي النعام النافر
قد اكادت الأرض الخصبه على الشريف ، وأظلمت بعينيه الطريتين
آفاقها المضيئة وضافت الأجواء الواسعة . ولكن من ذا بمونه ، وماذا

بموله واملاك أبيه مصادرة ويده مقبوضة ؟ ولا احسبه لترفعه وشحمه يقبل هبات أسرته الكبيرة العائلة الثروة ، وهو لا يدلنا ولا غيره على مرتزق له من نراه او مال مدخر ، سوى انه يشكو الوحشة لأبيه بمثل قوله :

أكدت علي الأرض من اطرافها وتدرعت بمدارع الأظلام
أشكو وأكتم بعض ما أنا واجد وأعاف أن أشكو من الإعدام
وإذا كان الشريف يستشعر الإعدام ولا يشكو لأحد ، فمن العبث محاولتنا معرفة ما يرفعه ، ثم ، ومن الشذوذ عن الخطأ التمرض لما لا يهم ، كأمر العائلة والأعاشة . والأرجح أن أمه (فاطمة بنت الناصر) هي التي كانت تقوم بشأنه وشأن أخيه المرتضى ، مما ادخرته لنفسها او من الاملاك التي ورثتها من آبائها ، وإذا كانت السيرة تنبؤنا بأنها كانت تدأب جداً في ارشادها لتحصيل العلوم الدينية ، وتتوسل الى رجال العلم والدين أن يعلوها وهما غلامان حداثان ، فهي جديرة أن تمنوهم في سبيل التربية والتهذيب كما هي - بلا تردد - تقص عليهما ما أثر أسرة نفسها و أسرة زوجها حبيس الأحقاد والوشايات ، وتمنيتها الأمانى التي تدل مخائلهما من جهة الذكاء وبعد الهمة على الحصول عليها . ولقد جزع الشريف لوفاتها سنة ٣٨٥ و رثاها بقصيدة تلي عن حزنه ولوعته وعما أومأنا إليه من بذل المال والسعي في سبيل تربيتهما ، وذلك حينما يقول :

ومن الممول لي إذا ضاقت يدي ومن الممل لي من الأدواء
ومن الذي إن ساورتني نكبة كان الموقى لي من الأسواء

لو كان مثلك كل أميرة غني البنون بها عن الآباء
 إن هذا الدور الأول بما فيه من نوائب جمة وقعت على ذلك الشاب
 الوديع فجأة ، هو الذي جعله يكثر في شعره - حتى في دور الهناء والصفاء -
 من ذم الزمان وكيد الأعداء والحساد ، ويتلف كثيراً لماض يتعنى
 رجوعه ، ويتوقع لحادث لم يسبق له مثيل في آله ، ويستطرد من ذلك الى
 ذكرى مصائب ومصارع آباءه الاقدمين ، وانتهاك حرمتهم واغتصاب
 حقوقهم . ولقد اثر هذا في خياله في النسيب الذي يستهل به قصائده ،
 فحورّه الى ما كان منضمناً للبكاء على الدمن والتوجع للفراق والاحتراق
 بلفظي النصابي ، وما الى ذلك من الانجاءات البعيدة عن ثقافته الحضارة ،
 وارتبي في مهاد الترف . و إذا قرنته بابن المعتز وبأبي فراس الحمداني ،
 نجد هذا قد أثر حب الحرب في خياله ، كما اثر اللهو والترف على طبع
 الأول ، اما الشريف فقد أثر الحزن على خياله في النسيب ، ولعلما كان
 ذلك أحد الأسباب في مجانبته الغزل .

[٢] دور الطامع وشرف الدولة :

يبتدىء هذا الدور بدخول شرف الدولة الى بغداد ، او بعد فتحه
 لفارس ، حينما هلك أبوه العضد ، ولا بد أن يكون هذا قد اتصل بأبي
 أحمد سجين القلعة بفارس ، وأن أبا أحمد استغل تلك الفرصة بالاساليب
 التي تقر به منه ؛ وفي الوقت ذاته كان شرف الدولة يحتاج الى مثل أبي أحمد الذي
 يعرف بغداد ويعرف السراة والزعماء والامراء ، ومن يوالى العضد وينأويه ؛
 ولا نفد أن شرف الدولة يعرف أن أبا أحمد هو رجل الجد والعمل ، وهو

الذي تتأثر العاصمة بأفكاره ، وترحب به اذا دخلها في الحملة العسكرية الفاتحة . واذا دخل شرف الدولة سنة ٣٧٥ فأنحأ مدينة السلام يصعبه أبو أحمد وقد انعقدت الصلات بينهما ، فماذا يصنع الشريف ، وماذا يقع منه في هذا الدور الجديد ، حينما يرى حبيبه الطائع خليفة وشرف الدولة هو الملك ؟

إن الشريف قد حسر عن ذراعيه ، ورفع أغشية قريحته ، مستبشراً لهذا العهد الذي يلحس فيه الهناء وصفو العيش وإقبال السعادة ، فأنشأ في مدح شرف الدولة سنة ٣٧٦ قصيدته « أحظى الملوك من الأيام والدول » يشكره فيها على إنزاله إياه وعمه من القلعة ، وله فيه غيرها ، ولكن هذه تمثل الظروف والأحوال التي أنشئت فيها ، وتقاس بين دوري الامتنان والامتناع ، وكأنه في ذلك الوقت الذي أنشأها فيه لا يستطيع ان يقتصر على الاطراء والمدح ، ولا الفخر ، ولا ذكر الحرب التي انتهت بالفتح لشرف الدولة ، بل يتغلت عن ذلك الى ذكرى الشقاء السالف ، ليستلذ منه السعادة المقبلة .

وقد وفي شرف الدولة لأبي أحمد ، فرد بقية أملاكه ، وقد كان الكثير مسترداً سنة ٣٧٤ ، وأقره على النقابة وادنى قربه ، وكأنه اراد أن يجدد له عهد صهرية مع الدولة وولده ، ذلك العهد الذي كان تنهابه فيه الوزراء ونخشاها الحجاب والسكناب ، أما الشريف نفسه ، فما كان له عنده من محاولة سياسية تذكر إلا تأهله بأكمل الاستعداد للقيام محل أبيه في كل ماله من جاء او سلطان ، وكفى بذلك مقاماً

مقنعاً له في محاولاته و منازعه يومئذ .

اما الطائع فما كان ليذسى - بعد استخلافه - ما لأبى احمد على أبيه المطيع : من الأيدي الكريمة ، وما كان بينهما من المودة . وعلى اساس التجربة المعروفة « ما في الآباء ترثه الابناء » ، وجب أن يكون ما بينه وبين الشريف ما كان بين ابويهما من الولاء والمصافاة . ولقد بدأ فبالغ في اكرام الشريف ابى أحمد واحترامه عند عودته من فارس صحبة شرف الدولة ، وردّ امر النقابة اليه ، واستعاد ذكرى المودة القديمة بينهما ، وربما كان استعان به على تحسين صلاته مع شرف الدولة ، ولهذا المناسبات مدحه الشريف بالقصيدة التي يقول فيها :

بالطائع الهادي الامام أطاعني أملي وسهل لي الزمان صرامي
هذا الحسين وقد أخذت بضيعه جذباً يجرّ قرائن الأرحام
أعطيته محض المودة والهوى وغرائب الاعزاز والاكرام
ولما شاخ أبو احمد لم يكن الطائع ليولي النقابة بطبيعة الحال
غير ولده الشريف (محمد) نيابة عنه ، ثم عهد بها اليه مستقلاً سنة ٣٨٠
مكافأة له على مدائحه المتوالية ، وخاصة على ما يخاطبه بها في العام المذكور
بقوله :

متى أنا قائم أعلى مقام ولاقي نور وجهك بالسلام
ومنصرف وقد أثقلت عطفي من النعماء والمنن الجسام
ولي أمل أطلت الصبر فيه لو أن الصبر ينقّع من أوامي
فان الطائع بعد انشاء هذه أمر ان تخلع عليه أبراد النقابة السود في

وضع من الدار قريب من مجلسه ، إعظماً له ، فعاد الى المجلس مسوّحاً [١]
وقد أدنى مجلسه من سرير الطائع ، وفي ذلك أنشأ قصيدته المستهيلة
بقوله : « الآن أعربت الظنون » يشكره فيها على هذه الصنيعة ،
وبالأخرى التي يقول فيها :

أفاض بلا من علي كرامة ونقص الأيادي أن يزيد امتنانها
خرجت أجر الذيل منها وقد نزت قلوب العدا مني وجن جناها
[٣] دور القادر وبهاء الدولة :

يبتدىء هذا الدور بخلع الطائع واستخلاف القادر بالله سنة ٣٨١ ،
وهو أطول الأدوار ، ولقد كان الشريف يقضي حياته في شطر من
هذا الدور في قلق ومجاهلة [٢] لأن صلاته بالقادر لم تتوثق من كافة مناحبها
ولم تكن له يد تستحق الرعاية التي كان يراها من الطائع ؛ ومن نعم
النظر في سيرته يعلم أنه لا يتفق والشريف على رأي ولا مبدأ ، وأنه يصعب
على الشريف جداً أن يملك ثقته أو يفوز برعايته ؛ وربما كان لا يخشى
أن تتوغل النبوة بينهما ، بعد ما توطدت له الأمور وصاهر بهاء الدولة
ولكن القادر أشد ملائمة لنفس الشريف من الطائع ، لزهده وانعزاله
عن مداحض السياسة على الإغلب ، ولأنه صاحب كلام وجيد
والطائع لا نصيب له في أي فن من فنون العلم سوى الأدب ؛ إلا أن
ملايفته للشريف وتقديره له نجعله بطبيعة الحال أكثر ولاء منه للقادر .

(١) قالوا : وهو أول طالبي لبس السواد .

(٢) ستجد ذلك محسوساً في فصل صلته بالقادر .

ولذلك نرى قصيدته في القادر يوم استقراره بدار الخلافة وهي المستهلة بقوله : « شرف الخلافة يا بني العباس » يظهر عليها التكلف على محازته من المثانة والرصانة والقوة الادبية .

يفتونا شعر الشريف انه في هذا الدور يقضي شطراً من حياته في اضطراب فكري ، وأن القلق يستولي عليه على نسبة يأسه من محاولاته ورجائه لها ، فإذا حصل على شيء منها هدأ وربما جامل بلا مواربة ، فذكر و شأج الرحم وأواصر القرابة ، كما نجده يقول في مرثية أبي القاسم علي بن الحسين الزينبي نقيب العباسيين المتوفى سنة ٣٨٤ :

ألسنا بني الأعمام دنياً تمارجت بأخلاقهم أخلاقنا والضرائب إذا عتموا بالمجد لائت بها منا عمامهم أعراقنا والمناسب نرى الشم من آفاقنا في وجوههم وأعناقنا طالت بهم المناصب وإذا عضته نكبة ما في حياته السياسية ، نار والتهب وحمل حملة شعواء على الدهر وعلى من يسميهم بالاعداء والحساد ، وفي هذه الحالة ينحس مفتخراً ويطري البسالة ، وينبذ شعور أولياء الأمور الى اهتضامه ويوعد كثيراً بالالتجاء الى من برعى حقه ويقوم بواجبه ، كما نجد ذلك في مقطوعته ،

ألبسُ الذلّ في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
تلك المقطوعة التي انتهت قصتها بصرف القادر إياه عن النقابة ، وتولية محمد بن عمر النهر سايسي إياها ، ولعله في ذلك يقول :
ولئن صرّفت فلست عن شرف العلا ومقاعد العظماء بالمصروف

وأن بقيت لكم فاني واحد أبداً أقوم منكم بالوف
أنا لا أحسب أن صرف القادر إياه عن النقابة في أيام بهاء الدولة له
نصيبه من الصحة ، ولعلما كان واقفاً في فترات وفرص لا نستطيع
تعيينها ، تمكنه من الإيقاع به ، لغيبة بهاء الدولة اولغيرها ، لأن
هذا من لا نشك أن الشريف بملك ولأه ، ونعتقد بلا تردد انه يقدر
شخصية الشريف تقديراً صحيحاً ، ولذلك نجد صلة به ليست كصلة شاعر
او زعيم ، بل صلة خليفة لملك . وسواء كان بهم البهاء او لا بهم به أن
تبقى الحال بين الشريف وبين صبره القادر قلقة ، فانه يعتقد أن انجهااته
للشريف تصد القادر نوعاً ما عن الإيقاع به ، ولقد كانت الشريف
بنلك الانجهاات ينال أقصى ما يتغيه بلا تعديل قصدي لحاله مع القادر .
ولئن تكن النقابة المصروفة من المراتب الجليلة ، التي لا يحظى بها إلا
الأكفاء من الطالبين ذوي الدرجات العالية في العلم والأدب المتميزين
على غيرهم ، فان الشريف كثيراً ما كان يستفي عنها ، إذ يرى أنها دون ما يجب
له ، وكثيراً ما يتذمر مما يتكلفه بها من المشاق ومكابدة الأعداء
ومنافسة الغرباء ، فيقول :

غمست يدي في أمر فمن لي وأين ينزع كفي وانكفاني !
كفاني اني حرب لقومي وذلك لي من الضراء كافٍ
ولواني أطمت الرشد يوماً لأبدلت التحمل بالتعجاني
وعسى أن يكون آخر ما أوما به الى بهاء الدولة في إعفائه عنها
قوله :

غوثك منها يا غياث الورى قد ثقل العبء على المغرم [١]
لا نحسبوا أني على جرأتى أحجمت لكن ضاق بي مقدي
عظيمة ناديت من ثقلها بالبازل الناهض بالمعظم
ومن يتعمق في بعض شعره يرى انه يراغم نفسه بعد الطائع على قبول
النقابة ، لأنه لا يريد ان يتحمل المنة فيها ، وقد لا تطاوعه نفسه الأبية
على قبول الانصياع لصنعة تأتي إليه من غيره ، ولذلك لما أُحيلت الى
غيره زمناً بيند المال قال متذمراً منها :

عهد طالما شحرت فيها فدوتك فاسحب الذيل الرِفْلَا
ونم مستودعاً صوناً وأمناً فقد أسلفتها جزعاً وذلاً
فان اتبعت هذا الأمر لهما فأنك أعزب الثقلين عقلاً
براه المستغفر علي تطوقاً فيمبطني به وأراه غُلاً
وما حظ الأعادي لي محلاً ولكن حطّ عني الدهر كلا

صلته بالملوك والخلفاء

نميد

إن نفس الشريف الطموح وروحه المتوثبة ، تقوده بلا شطن للاتصال
بالخلفاء والملوك ورجال الدولة ، نميداً للحصول على محاولاته ومنازعه النفسية
الجميلة ، و إني لا أرى له صلة تربطه بهؤلاء إلا شرف بيته ونباهة اسمه

(١) وفي ديوانه الطومر بيروت « الهرم » .

وانه الولد النباه لأبي احمد النقيب أجل رجال العاصمة ، وإلا شاعريته التي يخطبها كافة عظماء وقته إشاعة لكرامتهم وإشهاراً لعظمتهم . هذا غير ما تولد له أخيراً وتوطد من الجد بأعمال الادارة ، والقدرة على تصريف الرأي العام كما يشاء ، وكان نشأته وتربيته وأسرته تقربه الى قصور الملوك والامراء والى رجال الدولة فى دواوين الشورى والحكم . ولئن كانت الغاية المحمودة تبرر الوساطة ، فما من منقصة لو كال شعره لهم ليربح مودتهم ويسخرهم فى تنفيذ اغراضه ، مع الاحتفاظ بكرامته ، لأن تلك التهانى فى المواسم وتلك المراثي وتلك المدائح التي تعلوها الروعة والوقار ، ممتزجة بروح قوية من نفسه الصعبة المراس التي تأبى الملاق والتبصبص لأبعد غاية ، ولذلك نجده فى كثير من الأحيان يقع من شاعريته فى مشكلة دقيقة دقيقة المخرج : نزاهة واقفاً بين نفس مادحة صعبة الانقياد ، وبين اخرى ممدوحة جبارة لا تقبل اى عذري ترك المدح . ولنفس هذا الغرض كانت مدائح الفخمة لشرف الدولة وبهاء الدولة ومن بعدها متوالية ، وكأنها حاضرة عنده سوى انه يفتنر لها الفرص ويتحين لها المناسبات الزمنية ، كالأعياد والنواير ليكيلها لهم بغير صاع . وهاهو ذا يمتنر عن ذلك بقوله :

وما قولى الأشعار إلا ذريعة الى امل قدحان قود جنبيه
وانى اذا ما بلغ الله منيى ضمنت له هجر التريض وحبوبه
صلته بالطائع :

إن صلة الشريف بالطائع لم تكن للحصول على محاولاته من جاءه أو

سلطان فقط ، بل لأنه نفسه قد نشأ على موالات الطائع منذ صباه ، وفي أيام أبيه ، حتى في دور النكبة ، فلقد كان في أيام عضد الدولة المفضل عليه لا يألو جهداً في ملاينة الشريف و وعدده بحصول امانيه ، بالرغم على مراقبة حساده واعداء ابيه ،

وبعد ، فما كان الطائع - وهو داهية المجاملة - يهمل محاولات الشريف التي يعرفها والتي يتوسمها في جبينه ، وهو يرى إقبال شرف الدولة عليه وعلى أبيه ، ولا يهمل ما لأبي أحمد على أبيه المطيع في أيام المستنكفي وقبل دخول معز الدولة بغداد ثم بعده ، لأنه الوسطة الوحيدة لدى المعز في صرف الخلافة إليه ، الى ان تنازل عنها لولده الطائع .

إن هذا لا ينسأ الطائع بعد استخلافه ، ولا يجمله الشريف بعد استقلاله وتأهله للقيام بشئون النقاية وما يشبهها من المحاولات الشريفة ولتلك المودة الموروثة والولاء الصميمي الممتزج بالآمال الكثيرة ، كان الشريف يحرص على مودته ، ويفار عليه أن يتصل به بعض منائيه ، وقد يسترسل معه فيترك بعض واجبات الحشمة والمجاملة له ، كما نجده حينما استماله بعض أعداء الشريف بالمبال ليحوز النقاية دونه يقول مخاطباً له :
وُنمي إليّ من العجائب أنه لعبت بعقلك حيلة الخوان

فاحذر عواقب ماجنيت فر بما رمت الجناية عرض قلب الجاني
فهذه المعاتبة الجافية - أو سمها النصيحة الحادة - لا يقابل بها المهاب المحتشم بل المائل ، وفيها تدليل على ان المودة بينهما كانت مستحكمة لدرجة الخلطة أو ما فوقها ، ونحن نزداد بصيرة في هذا اذا رأينا الشريف مع

ترجمة المؤلف

ترفعه وشحمه لا ينحاشى عن مطالبته بحقوقه ، وعن تنجيز وعوده
لأبيه بقوله :

هذا الحسين الى علائك ينتمي شرفاً وينسب مجده في المحفل
أسلفته وعداً عليك تمامه وسيدرك المطلوب إن لم يمجل
ويقول وهو من السهل الممتنع المتضمن للاستعطاف المحتشم :
أنت ألبستني العلا فاطلها أحسن اللبس ما يجل عقي
أنني عائد بنعمك أن أـ نـ رَ قولي وأن أطول عتي
بي داء شفاؤه انت لو تدنو وأين الطبيب للمستطب
صلته بالقادر العباسي :

وأما صلته بالقادر فلم تزل قلقة ، ولا تزال حاله معه في الأغلب
ليست على ما يرام ، سيما بعد ما توطدت له الأشياء ، واستعداد وقار الخلافة
واسترجع قوتها في تحسين الصلات بينه وبين الملوك ، هذا بالرغم على ما التزمه
الشريف بادئ بدء من مجانبه ما يفضبه ، وعلى اليد البيضاء لأبيه
عليه في تقده المصاهرة بينه وبين بهاء الدولة على بنته ، وعلى مجاملته
وملاينته في استعطافه من أول يوم استخلافه حيث يخاطبه بقوله :

أورق أمين الله عودي إنما أغراس أصلك في العلا أغرامي
وأمك على من كان قبلك شأوه في فرط تقريبي وفي إيناسي
إني لأجتنب السؤال متاركا خلقاً يدرّ عليّ بالابساس
ولكن زهد القادر وانزاله عن مداحض السياسة يهون الأمر على
الشريف ، إذ أن ذلك بطبعه يوجب خفة وطأنه عليه وعلى رجال الدولة

كافة ، وإذا كان الشريف مالكا ولاء بهاء الدولة وممتعا بعنايته ، فلا يهيمه من أمر القادر إلا المحافظة على النقابة التي لا يأسف كثيرا على فواتها مهما عزت عليه ، ولذلك كان يوالي عليه مدائحهم ويستنزه فيها لرعاية شأنه وإسداء واجبه له ؛ ولكن له في خلال ذلك من المناقضات ما يدل على الحال المضطربة ، والصلات القلقة : فبينما هو يطريه ويحصر الخلافة في أسرته ويعرض بالعبيدين (ملوك مصر) في ادعائهم الخلافة ، وذلك حينما يقول :

أبغاة هذا المجد إن مرامه دحض يزل الصاعدين ويزلق
ودعوا مجاذبة الخلافة إنما أرج بغير ثيابهم لا يعبق
إذا هو نفسه يزاحم القادر في نفس القصيدة فيقول : « ما بيننا يوم
الفخار تفاوت » ؛ ثم لا يكتفي بذلك حتى يصرح باستحقاق العبيدين للخلافة ، ويعلق آماله بهم ، فيقول :

ألبس الذل في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي

صلاته بشرف الدولة وبهاء الدولة :

كما لا صلة بين الشريف والمعز لصغره يوم امتلاك المعز مدينة السلام فكذا لا صلة له ذات تأثير وشأن بشرف الدولة ، لأن هذا دخل بغداد فاتحا وعمر الشريف ستة عشر عاما ، وأبو هو الواحد هو المنتصب للمقامات العالية . وهو هو الذي امتلك قلب بهاء الدولة واستولى على شموه . ولنا مع هذا نحتاج الى التذليل على إطراء أبي أحمد لولده وثناؤه عليه لدى شرف الدولة ، وإبداء نفسياته له وملكانه التي تؤهله

للحصول على كل ما يحاوله بسهولة ورغبة . ولا ندس أن الشريف يومئذ قد نبغ أبعما نبوغ ، وخطبت شاعريته ، واشتهر اسمه ليس بأجادة نظم القرىض فقط ، بل بما يتضمنه قرينه من عزة النفس وبعدها الهمة والفتوة والعفة ، ومن كل ما يولد له العظمة في القلوب ويعلوها روعة وهيبة . وشرف الدولة هو ذلك الديلمي الفارسي الذي لا ينبرأ من الزهر والخيلاء ومحبة المدح والاطراء ، وملسكه ذلك الملك الذي لا يكمل له الراحة مالم يشتهر بسمعة حسنة وصيت ذائع يملن له القوة وحسن السيرة وفخامة الملك ، وأين يجد مديعاً مثل الشريف الرضي الذي يقول ،

أنا القائل المحسود قولي في الورى علوت وما يعلو عليّ مقال
و يقول متحدثاً أدباء عصره كافة وغيرهم :

من مبلغ الشعراء عني أن لي قول الفحول ونجدة الانجاد
قد كان هذا الشعر ينزع في الدنيا عنهم فكان عقاله ميلادي
وهذا مالا يزال يكرره فلا يرد عليه ، ومهما اعتذر عن الغلو فيه
فلا يعتذر عن تفوقه فيه .

وعلى كل ، فان الشريف وإن لم تكن له مأرب فعلية يوم حسر عن ذراعيه منجرداً لمدايح شرف الدولة مستبشراً بعهد الفض الجديد ، لكن شرف الدولة ما كان يرضى له أن يتأهل فقط للقيام بمقام أبيه ، بل غرس له في قلب بهاء الدولة (وارث ملكه) عظمة وولاء يتقدم بهما على جميع رجال الدولة حتى على أبيه لولا السن والأبوة ، ولذا لما ملك هذا - وكان يقيم زمناً بواسط وآخر بالأهواز وثالثاً بالبصرة -

ترجمة المؤلف

قلده وهو بواسط سنة ٣٨٨ الخلافة عنه بمدينة السلام ، ويدلنا هذا الاستخلاف على أن صلة الشريف به ليست صلة شخصية بارزة ذات مجد وكرامة فقط ، او صلة شاعر مادح او ذام ، بل هي نوع من صلة ذوي الرأي الصائب في السياسة وأصحاب الجد بالأعمال التي توطد الملك ، لأن النيابة في تولي شئون الادارة الملكية لا تُوكل الى ذي العظمة الجوفاء او المحدودة الاعمال ، وما كان الشريف لينولى تلك النيابة ، وهو محاط بالوزراء الفارسيين الذين يصطبغون للظروف بألوانها ويمكنهم فن السياسة من أن يقلبوا له ظهر المجن ، لو لم يعرف من نفسه الكفاءة وكمال القدرة . وفي هذا العام لقبه بهاء الدولة بـ (الشريف الاجل) وكان يدعى : (الشريف الجليل) .

مركز تحقيق التراث
القاهرة
مركز تحقيق التراث

إن وضع الالقاب ونفائها لا يختص ببني بويه ولا بخلفاء بني العباس ، بل ان كل حكومة مطلقة مهما اخلصت للامة ومهما تصلبت رجالها لهم ، لا يمكن أن تتخلص عن غرور وعن زهو وخيلاء ، كما لا تنفك هذه الصفات والاحوال في الاغلب عن اظهار الفخفة ومحبة الاطراء والمدح والامتيار على افراد الامة ، حتى في مقام التسمية وفي غير محل المخاطبة ، إذا فلا بد لهذه الحكومة المستبدة من تفخيم الالقاب ومعاقبة من يعدل عنها ، لانها اطراء زماني لصاحبها من ناحية ، كما هي مظهر السكبر والزهو من ناحية أخرى . وهذا ما حدا بالديلمة وكافة الفرس

قديمًا ألا يقتصروا على تلقيب اسرتهم باللقاب الفخمة ، بل تعدوا الى الرؤساء ورجال الدولة وعظماء المملكة ، حتى للعلماء البعيدين عن الزهو وحب الاطراء ؛ فلذلك ابتداءً بهاء الدولة بتلقيب الشريف سنة ٣٨٨ بالشريف الاجل ، وفي سنة ٣٩٢ صدر أمره من واسط بتلقيبه بـ (ذي المنقبتين) ، وفي سنة ٣٩٨ لقبه وهو بالبصرة بـ (رضي ذي الحسين) فمدحه يومئذ بقصيدة منها قوله :

رفعت اليوم من قدرتي وأوطأت المدا عقي

ووطأت لي الرحل على عرعر الصعب

وفي سنة ٤٠١ أمر ان تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان (الشريف الاجل) إضافة الى مخاطبته بالكناية ، وهو اول من خوطب بذلك من حضرة الملك

وقد اوردت هذا لأدعم به دعوى ان صلة الشريف بهاء الدولة ليست كصلة شاعر او زعيم اسرة شريفة ، بل كصلة وزير بأمير ، ولهذا الصلة ولنا كدها كان الشريف بوالى مدائحه له ، فلا يمر العام إلا وله فيه قصائد كثيرة ولقد كان يحنط ان تُمس كرامة ولأنه له بشئ يوجب تغتره عليه ، وعندما رُفع له أن الشريف لا ينشد شعر نفسه أمامه كما ينشده عند غيره تكبراً عليه ، أقلقه ذلك خشية أن تروج هذه الفرية عنده ، وفي هذا يمتدح له ويبين له الحقيقة بقوله :

جَنَانِي شَجَاعُ إِن مَدَحْتَ وَإِنَّمَا لِسَانِي إِذَا سَمِ الثَّشِيدَ جَبَانُ

أخلاقه ومطامره

الأنفة أو الفتوة :

لا أريد أن استقصي التنويه عن ملكات الشريف وأخلاقه ،
ولكن امعات الغرائز ذوات الشأن في المجتمع هي التي ألخص عنها شعره ؛
وبأدنى فحص وبلا حاجة الى التعمق ؛ نجد الهيبة والجلال والروعة تلوح
على كلامه و ناصع نظمه و نثره جليلة ظاهرة ، وإذا كانت هذه وهي في
كلام الألفاظ تتأثر بها النفس ، فلا ريب في انها مستمدة من ذات نفسه .
وبهذا الميزان تؤخذ له العفة والأنفة والفتوة . وهذه جماع الفضائل
إذا ساعدها الطول والقدرة .

حفا ظه على القربى :

والسيرة تحدثنا عن عظيم مراعاته للأهل والعشيرة ، ونحن إذا
رأينا في شعره تلك الثورات القسامة ، والاندفاعات النفسية الخفيفة ،
نعلم انه بطل جلال وجدال ناضل بهما عن المجد العلوي و تقم على المعتدين
عليه ، ثم هو ذا يبدي رعايته لأسرته القريبة بقوله في عتابية [١]
لأخيه علم الهدى :

لقد كنت أبغي رتبة بعد رتبة فأنف من أي أفوز بها وحدي
حفاظاً على القربى الربوم وغيره على الحساب الداني و بقاء على المجد
وتناكد ذلك اذا استعرضنا في ديوانه امثال قوله : « انا ابن ال...
من القوم ... قومي ... من معشر ... » مما لو أفرد بالتأليف لكان ديواناً

(١) تجدها في ديوان اخيه السيد المرتضى المخطوط ، ولم تثبت في ديوانه .

فحماً يعلأ القلوب ويحشو الأدمغة رهبة من قومه وعظمة لهم ، ويخلد لهم فيه أثيل المجد وتليد الشرف ، ويبرهن للعلا أنهم الأول والآخ في مجد الاسلام وتثبيت أركانه . وهذه المراعاة لبعدها العشرة لاتشبه مراعاة الأقربين منهم بالعطف والصلوات الموقته ، فان تلك دعاية زمنية مستمرة .

تقشفه ونسكه :

أما التقشف المنسوب له فلا يدلنا عليه مثل قوله : « ما أقل اعتبارنا بالزمان » ولا ألوف الأساطير التي تنحو نحوه ، لأن تكديس الشعراء للعظات والهير في صدور قصائد التأبين لا يكون في الاغلب ناشئاً من تأثر نفوسهم بها ، بل لا يزال ذلك الترهيب طريقة لهم معروفة ونهجاً مأثوراً يناسب التأبين المقصود لهم ، وفيه مع ذلك تخلص أقاويلهم الى الغاية المتوخاة بلا كلفة . أما الشريف الذي يستدر أخلاف الازمنة ويتودد للوزراء ورجال الحاشية ، فضلاً عن الملوك والخلفاء ، فهو بعيد للغاية عن التقشف ، بعيد عن الخشونة والانكماش . إذا فكيف ندعن بصدق قوله : « خطبتي الدنيا فقلت تراجعي » ، وقوله :

طلقتها ألفاً لاحسم داءها وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

إن الشريف قد لا يستطيع أن يستسلم لخشونة التقشف ، ونفسه تلك النفس الطموح التي تباين التقشف بالمعنى الذي نفهمه ، في جميع محاولاتها ومنازعاتها . بلى ! إن فيه مع تلك الروح القوية ، الشديدة الاحتفاظ بمبادئ الرئاسة ، ورعاً وعفة ونمكا بالدين والتزاماً

بقوانينه [١] . والأرجح أن هذا هو معنى النقشف الذي ينسب إليه .
 وإذا كانت الامارات ، والترف ، والحضارة ، والثراء ، لا
 تنفك في الأغلب عن اقتراف الجرائم ، وغمط الحقوق ، والتلاعب
 بالقوانين المدنية ، وهتك نوااميس الشرع الأقدس - فإن الشريف لم
 يؤثر عنه إلا العفة المطلقة والفتوة والمماشاة بوفق مع المروءة واحترام
 النوااميس كافة ، حتى في مجالسه الخاصة ؛ ونحن لتلك العزة وتلك
 الانفة والمروءة ندعن لآخر نظرة أنه لم يقترف مائماً ، وأن تلك الصفات
 والملكات تكفه وتردعه بسهولة وبلا مقاسرة ، عن المظالم التي تباعد
 بالمروءة الى المطرح السحيق .

وفوق ذلك انا نعتقد عندما ننظر في شعره الى امثال قوله :

شغلت بالمجد عما يستلذ به وقائم الليل لا يلوي على السمر
 أنه مع تمكنه من لذائذ الحياة بأكل وجه قد أصبح محروماً عن أكثرها،
 إشاراً للمروءة وصوناً لكرامة العرض ، ويزداد يقيناً في هذا اذا لاحظنا
 أنه لم يستعمل الموارد في شعره ، ولم يجالس الخلفاء والظرفاء الذين
 يستغفون بالنوااميس في أيام شببيته ، وأنه لذلك لم يصرف شيئاً من شعره
 في فنون المهازل والمجون ؛ فان هذا يدلنا على انه لم يعمل ما يعتذر عنه
 ولا يصانع احداً سراً على نفسه ، ولذا نجده وهو بمرصد من أعدائه
 لا يحفل أن يجاهر بمثل قوله :

عف السرائر لم تُلطَّ لريبة يوما علي مغالي وسجوفي

(١) ابن ابي الحديد في شرح النهج وغيره .

وقوله :

أنا المرء لا عرضي قريب من العدا ولا في اللباغي علي مقال
وهذا ، وإن كان فيه نوع من التمدح والافتخار بأنه لا مغمز فيه من
أي ناحية ، سوى أنه في موضع آخر فصل ذلك متمدحاً أيضاً وأبانه
بصورة غير مبهمة ودل عليه بالعفة المطلقة وذلك حيث يقول :

وإني لمأمر على كل خلوة أمين الهوى والقلب والعين والفم
وغيري إلى الفحشاء إن عرّضت له أشد من الذؤبان عدواً على الدم
وبهذا الميزان الذي يوزن به تقشف الشريف يجب أن يوزن النسك الذي
ينحل لوالده ، فإن الخطيب في تأريجه يحكي لنا عن صاحب بن عباد : أنه
يشتهي دخول بغداد ، يشبهه جداً ليرى نسك أبي أحمد ، ومن وقف على
سيرة أبي أحمد يعلم أنه بطل جلال ومسمار حروب ، وأنه لا يفترق في
حال عن الرؤساء العظام ذوي الخطر ، الفائزين بمآثر البسالة والفتوة [١]
ورجل مثله لا يشهر له النسك بالمعنى الذي نفهمه ما يتشوق لمراه البعيد
عنه ، وكنا نحسب أن لأبي أحمد خصالاً حميدة ليس النسك إلا
أخفاها وأضعفها ، وإذا هو أقواها وأظهرها . إذاً فهو ليس إلا الالتزام
بقوانين الدين وأحكامه ، حتى لا يقارف محرماً ولا يهتك حرمة ولا يحيف
على أحد ، لا يقارف المحرم ولا يحيف على أحد حتى في الحروب التي

(١) نقل عن أبي الحسن العمري النسابة أنه قال عن أبي أحمد : « هو أجل
من وضع على كتفيه الطيلسان وجرد خلفه رحماً » يريد أنه أجل من جمع بين
الرياستين في الحرب والسلام والبوادي والمواهم .

ترجمة المؤلف

كان يتولى قيادتها في بلاد العرب ، لانا نجد ولده يسم بعض تلك الحروب بأنها طاعة ورضا لله ، وذلك في قوله من قصيدة في بعض حروبه .

الى أن أظمت الله ثم ربيته فلم تغض إلا والرمي قليل

و ربما يؤخذ ذلك من قوله فيه :

أقر بحق المجد وهو مضيع وعظم قدر الدين وهو ضئيل

ومن قوله في خطابه للعباسيين :

أبي دونكم ذاك الذي ما تعلقت بأثوابه الدنيا ولا تبعاتها

ولكن الشهرة الطائرة من بغداد الى فارس تستدعي أن يكون

أبو أحمد فوق ذلك القدر المحدود من النفس ، وإنا لنرى ولده يقول

في إطرانه بمعاناة الحروب :

ما التذت لبس الصوف ... إلا من تعمم بالقتير

منخدد الخدين مغبر ... الذوائب و الضفور

و يخاطب شرف الدولة عند إكرامه له سنة ٣٧٦ بقوله :

نركته زاهداً في العيش منقطعاً عن القرائن منا والأصاحب

وكان بالحرب يلقى من ينافره فصار يلقى الأعادي بالمحارب

كما أن إخبار ولده عن نفسه بأنه طلق الدنيا ، وقول ميار في رثائه :

« أبكيك للدنيا التي طلقها » ، يجب أن يراد به معنى هو فوق ما

عرفناه منه .

وقد يؤخذ على الشريف في قشغه رثاؤه لمثل الصابي ، ومدحه صديقاً

له بالشعائين ، ووصفه الخرة و مجالس الغناء ، وذمه لبعض من له

ترجمة المؤلف

يسئ له ، كفنٍ ثقيل بارد الغناء . و لكننا اذا تحققنا أن الشريف لم يشرب ، ولم يسمع ، ولم يجالس أرباب اللهو والمهازل ، ولم يتخذ التدمان ، ولم يستعمل السلاح ، فانا نعذره في الاوصاف ، سيما ما يكون منها مقترحاً عليه ، لأنها تقع في زمنها لأسباب مجهولة لا يصح الحكم عليها بشئ ، والوصف بمجردة لا يقدر بصاحبه ، وإن أظهره بمظهر الحاضر المشاهد كما نجده يقول :

ولرب يوم هاج من طربي ولقد يضيق بغيره ذرعي
من منظر حسن ومن نغم ندعوه قيد العين والسمع
أما التهنئة بالشعائين فهي اسم لا مسمى له ، ولا شأن فيه لمن لاحظته . وأما رثاء الصابي ومدحه ، فما كنا لنحجرهما على الشريف إذا تجنب فيها القول بالباطل ، وما كنا لنكلمهم فم الشريف أن يعترف لذي فضل بفضله ، ولا نرى له أن يغمط حق ذي الحق ، ومن عرف صلات الشريف به لا يكون عاذراً له فقط ، بل حامداً له في الوفاء والاعتراف بالحق .

وقؤه

أخصّ الوفاء لأنه أنبل صفات الانسان ، لا سيما إذا كان الموقف فيه حرجاً ، كموقف السموءل ، وغير بدع أن ينطبع الشريف لذاته على مقدار من الوفاء ، فانه من شئون المروءة والفتوة بالمعنى المفهوم منها ، والفتوة هي : جماع صفات النبيل والفضل . ولست في هذا الفصل بالذي اريد أن أعدد الوقائع ، او أسرد الشواهد من شعر الشريف على

ترجمة المؤلف

وقائه ، فان الشاعر بعيد الخيال يصطبغ للظروف بألوانها في أغلب الاحايين ، ويصف نفسه بما هو بري منه .

ولكن نظرة واحدة فيما نظمه متوجعا لخلع الطائع سنة ٣٨١ ، وفي رثائه يوم توفي في الاعتقال بعد جوع افه و أذنيه سنة ٣٩٣ ، تدلنا على احتفاظه بالولاء وتمسكه بالمودة التالدة ، فان من يخلعه بهاء الدولة غضباً عليه ليستصفي امواله ، ثم يقضي منكلاً به مهاناً بعد بضعة عشر عاماً قضاها في الاعتقال ، تسهجن المجاهرات باطرائه وتأيينه ذلك التأبين الحاد ، وربما كانت المجاهرة بذلك مثيرة لغضب أصداده ، بل هي موقفة لصاحبها في معرض الخطر لا محالة .

ومع أن السيرة لم توقفنا على من مدح خلباً ، ولا من رثى من نكل به الملك ، بجاهرة ، غير الشريف ، فاننا نستغرب ذلك بادى بدء حتى من الشريف ، لأن المستخلف بعد هذا الخليع هو القادر الذي لم تزل حال الشريف معه قلقة ، وهو لا ينفك يزايلها لتصلح نوعاً ما ، فان صلحت فبهاء الدولة ، وهو هو الخالع للطائع وهو الممثل به ؛ ولكن نفس الشريف الحرة الجريئة التي يقول عنها [١] :

ولكنها نفس كما شئت حرة تصول ولوفي ماضغ الاسد الورد
ووغول غرائز الوفاء في تلك النفس الحرة القوية ، القوية الارادة - حملته
على أن يتعمد غضب أولياء الأمور عليه مهما كلفه ذلك من خسارة حكم
او سلطان . وعندي أن من جيد مراثية له معنى ما يطري به منته وأياديه

(١) من قصيدة موجودة في ديوان اخيه .

ترجمة المؤلف

عليه ، لما انه مظهر وفائه ، وهو قوله :
ليس ينسبها وإن طال المدى مرة أيام عليها وليال
فاتني منها انتصار بيميني فتلافيت انتصاراً بشمالي
ثم دعاؤه له بعد توجع طويل لفقده يصف فيه إقباره وهجرانه وارتخاص
الدمع عليه ، وذلك إذ يخاطبه بقوله :
أيها الظاعن لا جاز الحيا أبداً بعدك بالحي الحلال
كنت في الاحجال أرجوك ولا أرنجي اليوم عظيم في الحجال
ولم يزل في هذه العصماء ينهج بالمعاني والمباني والأساليب المتشعبة
نهجاً غريباً بديعاً حتى كان ختامها قوله :
ضمنت منهم قرارتهم نعم المجد وأركان المعالي
لا تقل تلك قبورهم إنما هم همي أصداف على غرّ لك
عزة نفسه :

إن عزة نفس الشريف الطامح بأقصى نظره للخلافة طموح ذي الحق
المهضوم لاستعادة حقه ، لا تحتاج الى نضد الأدلة وجشد الشواهد عليها
من ههنا وههنا . فان تلك العزة الملموسة هي الشاهد على ما انطبع عليه
من الفرائز المتفرعة عليها : كالعفة والاباء والأنفة ؛ وهي إحدى الاسباب
التي مكنته من الانصال بالملوك والخلفاء اتصالاً لم يبلغه بشاعريته ولا
نسبه ، لأنها هيأت له عندهم مقاماً سامياً لم يبلغه أيما شاعر وشريف ،
وهي التي اكسبت شعره - حتى ما يتودد فيه ويستعطف به - رونق
الحشمة والجلالة ؛ ولو أردنا أن نورد شاهداً من شعره على ذلك لاوردنا

غالبه ، ونسّقنا فيه كثيراً من شعره الغزلي الغرامي ، فان نفسه العزيرة وروحها المتوثبة قد اثرت فيه لدرجة أخرجت كثيراً منه عن مناهج الغرام الماثورة . وهذا مالا نتردد فيه ، لأنه أول شيء يظهر لنا من خصائصه الخلقية ؛ ولكن السيرة تنبؤنا عن بلوغه من العزة والانفة مرتبة قد تقف عندها موقف الشاك المتردد ، تنبؤنا متفقة أنه لم يقبل قط صلة حتى من أبيه وحتى من ملوك بني بويه ، وأنه كان يمتنع من هؤلاء بالاحترام وصيانة الجانب وإكرام الاتباع [١] . وتقول : إن أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد الطبري أنف له أن يقيم في دار أبيه بباب محول ولا تكون له دار تخصه منذ شبابه ، ومنذ كان يقرأ عليه القرآن ؛ ولكن كيف يقبل الشريف هبة استأذنه له داره (دار البركة) وهو لم يقبل قط صلة من أبيه [٢] .

ونحن إذا أردنا أن نبرهن على ذلك من غير ناحية شعره ، واستعرضنا تاريخ حياته الاجتماعية والأدبية ، لا نجد عيناً ولا انراً لمثل قول : « مدحه في عيد كذا فوصله بصلة سنية ... وهناه في وقعة كذا فأجازه ببدة ... » ، ونجد هذه القضايا المكافآت مثبتة في سيرة جميع من عداه من الشعراء البارزين وإن عظموا ، كما أننا لا نجد في شعره طلباً ولا استرفاداً حتى بالإشارة ، إلا أن يكون نزراً يخفى على الفحص البالغ ، وذلك كقوله لبهاء الدولة :

(١) العمدة وشرح النهج . (٢) ابن أبي الحديد في شرحه عن تاريخ ابن الفرج بن الجوزي .

يأبها البحر بنا غلة فهل لنا عندك من مكرع ؟
ولكن من يعلم مقدار تأثير الشريف بمظمة بهاء الدولة ، يعنوه
ان يجري على هواه اذا رأى منه رغبة في ان يستميعه ، ليجزل رفته
في تكربة او رتبة او غيرها ، ولعلها كان البيت السابق صدر من
هذا المورد .

ولكن من اين ثروته ؟ ومن اي وجه حصل على تلك الأملاك
التي كانت تمنونه وتقيم أوداه ، وتشيد بالانفاق الطائل مدرسته - دار العلم -
التي كانت يختص بالانفاق عليها ؟ ومن اين كانت تستدر نفقاته في
اسفاره وخاصة اسفار الحج حينما كان أمير الحجيج ، وتقول السيرة :
إنه و اخاه اعطيا لابن البراج [١] الطائي لما اعتقل الحجاج بنجد تسعة
آلاف دينار من مالهما فداء لهم [٢] ، وأبو احمد والدهما لم يزل في ذلك الوقت
حيًا لم يورث ، ولربما كانت والديهما في قيد الحياة ايضا ؟
يقول جامع ديوانه في عنوان قصيدة يمدح بها الطائع : إنه قالها يشكره
فيها على تكربة خصه بها وثياب و ورق و ذلك سنة ٣٧٦ . وقد يسجل
عليه ذلك اعترافه حيث يقول :

و كنت إذا منحتني الملو ... لك نزرًا من النائل الفامر

أبيت القليل ولكنني أرد الرذاذ على المساطر

في كل يوم قوام الدين ينضحني بماطر غير منزور ولا وشل

مدحت أمير المؤمنين وانه لأشرف مأمول وأعلى مؤمم

(١) وفي بعض الكتب : الجراح (٢) عن تاريخ اتحاف الوري بأخبار ام القرى .

فأوسعني قبل العطاء كرامة . ولا صرحباً بالمال إن لم أكرم
وهذا ربما يؤخذ منه أنه لا ينهالك على المال ، وأنه يؤثر عليه صيانته الغرض
والكرامة ، استمساكاً بالعزة والأنفة ، لا كمن يمدح الملوك للاسترفاد
وأخذ المال بأي وسيلة ممكنة . وهذا توسط بين طرفي الابتذال
والإباء ، لا يعاب سالكه ولا يهدم شرف الشريف انتهاجه ، ولزوماً
يُدعم بمثل قوله للهلمبي :

فهذا ثنائي لا أريد به الفنى أبى المجد أنى أجعل المدح مكسبي
كم عرّضوا لي بالدينار وزخرفها لمع الهلوك فلم أرفع لها راسا
أريد الكرامة لا المكرمات ونيل العسلا لا العطايا الجساما
وهذا التوسط هو الذي عبره مقلاً - فيها يزعم - على وفور ما عنده ،
وهو الذي جعله يلهج بالقناعة كثيراً ، ويكثر من التلطف على بلاغ
من العيش يناله بعزة ، نحو قوله :

من لى ببلغة عيش غير فاضلة تكفني عن قذى الدنيا وتكفيني
أخي ! من باع دنياه وزخرفها بصونه كان عندي غير مغبون
وعلى العلات ، فاني لا اعرف في عصر الشريف بل في أكثر
العصور شاعراً استكبر على السكسب بالشعر ، بل لا نكاد نعرف
للشعراء غرضاً من نظم الشعر في الأغلب إلا التماس الوفرة ، لكن الشريف
ينكبر على تلك العادة السيئة ويأنف من المدح ، إلا أن يكون فيه نوع
من الكرامة لا يحط من شرفه ولا يضع من مقداره ؛ ولذا نراه
يندد بمن لا يبالي إذا حصل له المال من أي طريق اجتنبه .

وإذا كان الشريف لا يستميج أحداً مالا ، فانا لا ينبغي لنا أن نجعل ان عظمته ومنزلته عند الملوك والخلفاء ورجال الدولة تستدعي بطبيعة الحال وساطته لدى هؤلاء في كثير من المهمات التي يتكلف بها ويتشفع ، وربما يكون كثير منها من مهمات نفسه التي لا تتضمن طلب المال ، وفي هذه الوساطات أعمال للجاء في محالّه ، ولا منافاة فيه للعرضة والأففة ، فان الشحّ بالجاء قبيح كالشحّ بالمال او اشنع ؛ ومن هذا ما نجده في كثير من شعره من تنجّز المواعيد والالحاح على الوفاء ، والحض على التكرم باتباع الأفعال للأقوال ، وامري إني لا أدري أي شيء طلب ممن يقول فيه :

أخطأت في طلبي وأخطأت في منعي وردّ يدي بغير يد
فلا تجعلن عقوبتي أبداً إلا أمد يداً الى أحد
فتكون أول زلة سبقت مني وآخرها الى الأبد

ومهما كان المطلوب ، فهذا الشموخ ، وهذه المعاتبة والمعاقبة ، تبرهن على اعتزازه وتمسكه بمبدئه الشريف .

شكره للصنائع :

قد يؤخذ على الشريف تنازله مع بهاء الدولة الى مقام الخاضع المتصاغر في قوله له : « أنا غرس غرسته » وقوله : « وارع لغرس انت انهضته » ونحوه . وهذا رأي فيه تحامل شائن ، لانا مهما طبعنا نفس الشريف بطابع العزة والاستعصاء على الذل والخضوع ، فانا لا ننسى أن

له من محارلات النقابة والإمرة وسعة الجاه ما يملكه بهاء الدولة واضرابه،
والقادر وامثاله ، بل وحتى رجال الحاشية ، وماذا يحصل لهؤلاء منه
بعد الحصول على اغراضه سوى الشكر - وشكر الصنيعة نوع من الفتوة -
وهو نفسه يقول : « ولا يشكر النعماء إلا المهذب » . وفي الشكر مع
ذلك استبقاء لما كان جدّ في الابتداء له ، ولو كان يترك الشكر على
الصنائع لكان الأجدر به ألا يهيب نفسه لتلقي الحقوق التي يلزمه الشكر
على نيلها ، وها هو ذا يستهل قصيدته في صديق له بقوله :

لأي صنایعه أشكر وفي أي أخلاقه أنظر

فكيف بهاء الدولة الذي هو حقاً كما يقول له :

أنا غرسكم والغصن لذن والصبا غرض والعيس القياد الأطوع
ويقول :

إذا كنت لي غيثاً فأنت غرسيتني ومورق عودي في الندى مثل غارسي
ويقول (ولا أحسب ذلك إلا فيه أوفي شرف الدولة وإن لم يذكر اسمه) :

ألبستني نعماً على نعم ورفعت لي علماً على علم

وعلوت بي حتى مشيت على بسط من الأعناق والقمم

فلا شكرن ندائك ما شكرت خضر الرياض صنایع الدیم

فالحمد يبقی ذکر كل قی و یبین قدر مواقع الکرم

والشکر مهر للصنیعة إن طلبت مهور عقائل النعم

إن هذا ومثله لا يستنكر ولا يستغرب من الشريف ابتداء ولا شكراً
للصنائع التي يحق أن تشكر ، لكن لم يكن المتوقع منه أن يؤدي شكر

بهاء الدولة بقوله :

أنا عبد أنعمك التي نشطت أمني وانهض عزمها مني
وبقوله :

وما انعمك الغمر بزوار على الغيب
سقا في كرع الجمل بلا واسطة القعب
وأرضاني على الأيا ... م بعد اللوم والعنب
وأعلى المدح ما يثني به العبد على الرب
وكما اغرق في شكره فقد بالغ في مدحه مبالغة ما كانت مأمولة الوقوع
منه كمثل قوله فيه :

ملك الملك ثم جلّ عن الملك ... فأمرى يستخدم الأملكا
عجبا كيف يرتضي صفحة النعل ... لرجل يطأ بها الأفعلاكا
ومن نظر الى مدحه له في المسهلة بقوله : « تمت رجال نيله اوهي
شامس » وراثته في المبتدأة بقوله : « أظن الليالي بعدكم ستريع »
يعلم مقدار تأثر الشريف بعظمة بهاء الدولة وتعليقه الفوز بآماله عليه ، إذ
يرى القصيدة وغيرهما من مدائحه لا تشبه مدائحه لمن سواه من خليفة
أو ملك ، في الروعة والجلال وفي التنويه والتكريم ، بل هي بمدائحه
لأبيه أشبه من كل ناحية .

دعاة اخلافة :

إن من تمكن و تنوغل في نفسه مثل عزّة الشريف ورفعته لا ينفك
في الأغلب عن كبرياء و غطرسة ، لسكن الشريف وهو بتلك العزة

والأفة ، لا نجد فيه زهواً ولا خيلاء ولا جبرية ، كما نجد ذلك كثيراً في مستعار العظمة او مستجد النعمة ، ولذا لا نراه يطعم في اطراء الشعراء له مع استحقاقه وتأمله لذلك ، كما نجد الصاحب بن عباد يتعامل على المتنبى بشدة لأنه لم يمدحه ، بل اتانلس منه لين الجانب ودمائة الخلق حينما نراه ينزل في معاتبة اصدقائه الى رتبة المماثل او دونها ، وتدلنا شوقيته لصديقه ابي الحسين أحمد بن علي البقي الكاتب انه على غاية بعيدة من لين الجانب والبعد عن الفطسة ، وذلك حيث يقول له :
اشاق إذا ذكرتك من بعيد وأطرب إن رأيتك من قريب
كانك قُدمة الامل المرجى علي وطلعة الفرج القريب
إذا بُشرت عنك بقرب دار نزا قلبي اليك من الوجيب
أكاد اريب فيك اذا التقينا من الانفاس والنظر المريب
فهذا ونحوه لا تسمح به الكبرياء - لو كانت - خطاباً من الشريف لمثل البقي إلا أن يكون قريناً له في المزاي او خليصاً له في النسب ؛ وفي هذا ونحوه تدليل على ان تلك الحماسات ، وتلك الاندفاعات التي امتلأ بها ديوان شعره لم تكن لتنشأ عن شراسة في الخلق وخشونة ، ولكل مقال مقامه الذي يليق به ولا يوضع في مقام غيره ، ومما يبرهن على ذلك ايضاً مدائح الجمة واستعطافاته ، فانها لا تتفق مع الشراسة ، ولذا لا نجد شاعراً مداحاً في الأغلب إلا سهل الأخلاق لين الجانب لأن الانعطاف نحو الممدوح واستماعة فواضله والسماحة باظهار فضائله يلين عريكته ويسهل جماعه ، وقد يتفق لسهل الأخلاق ان يستعمل الحزونة

مع بعض ، لأغراض تتفق له كما نجد الشريف يعترف بها حينما يقول
لبعض مناوئيه :

لئن شاءكم مني حزون خلاني فقد طالما لم انتفع بالدمائث
تشدده في عقاب الجاني :

لعلمنا كان من هذا الشذوذ الاخلاقي ما ينسب الى الشريف أيام
نقابه من الافراط في عقاب الجاني من آل أبي طالب ، أو أن هذا جار
على العادة بلا شذوذ عن الخصائص الخلقية الحسنة لأن الطالبين يومئذ
يراهم الملوك ويراهم الكافة طبقة ممتازة بالشرف وبالأباء وبالاتناء الى الرسول
الاعظم ، ولذلك سُنَّت فيهم « النقابة » التي تفرقهم ان يشتركوا
مع الجماهير في الانظمة والقوانين الدولية العامة ، ولهذا الامتياز ولذلك
التفوق كان الشريف يستكبر الصغير من اجرامهم ، ويماقبهم عليه
بنسبة مام عليه من العظمة اشتمسها كالأنفة والعزة ، ورفعاً لهم عن
مساواة سفاة الأخلاق من غيرهم ، وكما لهم لأبعد غاية عن اقتراء
أبما جريمة ، وبهذا الميزان يوزن ما نجد من حظه أباه على القسوة والشدة
على الباغي من اقربائه عقاباً على بغيه كقوله :

لا تنظر الباغي لقربي وأرمه بالذل واقطع ما عليه يعول
هذا الأمين أدال منه شقيقه ومضى عقيراً بابنه المتوكل
والعفو مكرومة فان أغرى بها متغافل قال الرجال : مغفل

وهذا يدلنا على أن من رأيه أن اعمال القسوة في محالها لا يكون
من حزونة الاخلاق . وقد لا يكون منافياً للحلم اذا كان الغرض منه

تأديب الشخص وكف النوع عن الاجترار على البغي ، ومن هذا الباب أيضاً أو هو مما يؤخذ على الشريف مخاطبته إيهاء الدولة بقوله :
 اذا أشر القريب عليك فاقطع بحد السيف قربي الاقرباء
 وكن إن عفك القرباء ممن يعيل على الاخوة للاخاء
 قرب أخ خديق بالنفالي ومغترب جدير بالصفاء
 والذي اراد أن هذه وامثالها تنشأ في وقتها لحوادث مجهولة لا يمكن
 استنتاج أيما حكم غامض منها ، واذا انضمت الاشياء الى نظائرها وامثالها من
 شعر الشريف دلت على رقة فائقة وانعطاف على الاهل والاقارب لا يشبه
 ما يبد منه فارطاً في بعض الوقائع الخاصة المجهولة . ومن يستقرى المعاتبات
 الواقعة بينه وبين اخيه الشريف المرتضى في ديوانيهما وانعطافهما على البعداء
 فضلاً عن الاقربين ، يعتقد ان الخلق فيهما هو ذلك ، وأن ما يشذ عنه
 لا يحكم عليه بشيء . وإن اصدق ما اعرفه عنه عندما أتعق للغاية في
 شعره لا عرف نفسه في ذلك ، هو الرقة التي يمثلها قوله - في عتابية اخيه - :

أفوق نبل القول بيني وبينه فيؤلمني من قبل نزعي بها عرضي
 وأرجع لم اولع لساني في دمي ولم أدم أعضائي بنهش ولا عض

طموحه للخلافة ودعائه لها :

في العلويين ثم في الهاشميين شموخ وإباء يمتازون بهما عن سائر
 بطون قريش العريفة في السكبرياء والالفة ، ثم هم يتفوقون
 بذلك النسب الكريم الباسق الذي له الاثر البليغ في الترفع والشم ،
 وزاد في الاثر مبالغة في العلويين خاصة أنهم كانوا - سيما في القرون

الأولى القريبة العهد - يمثل لأعينهم الحق الصريح في عرش الخلافة
الاسلامية ، ويشعرون بأنهم ورثاء الشرعيون ، فان ذلك ليس فقط
يزيد في عز نفوسهم بل يقفز بهم ويتوئب على عرش الخلافة من حين لآخر ،
ولذلك كانت مؤامراتهم وثوراتهم متتابعة وإن انتهت بالخيبة والفشل في
أكثر الأحيان بل كلها ؛ فما هو الظن بالشريف الذي نبت في الصميم
من شرف الأسرة العلوية ، وأدلى من طرفي أبويه بقرب الانتماء الى
الرسول الأعظم ، ونفسه تلك النفس الوثابة الطموح ، وله تلك
الفتوة والنجدة ، وتلك البسالة الموروثة ؛ ونحن اذا استعرضنا ديوانه
نجد الاماني والآمال ، ونجد البشائر بالنجاح ، ونجد التعزي عن الخيبة
بأنواع التعازي ، نجد كل ذلك قد أفعم ديوانه حتى غص بأمثال قوله :
ياقدمي ! دونك مسعاة العلاء قد ضمن الاقبال ألا تعثري
ليكثرن خطوك أو تفتعلي سربر ملك أو مراقي منبر
لا يرى مثلي إلا طالباً ذروة المنبر أو قعر الرجم
طامح الرأس على أعواده أو على عادية الرمح الأصم
لو كنت أقنع بالنقابة وحدها لنضضت حين بلغتها آمالي
لكن لي نفساً تنوق إلى التي ما بعدها أعلى مقام عال
وإذا نظرنا الى واحدة من فخرياته نجد أنه تستدرجه هذه الاحلام ،
وهاتيك الاماني الى الدهول عن مواضع محاولاته ، والغفلة عن
الخطر الذي يلحقه من ابداء ما استكن في قرارة نفسه فبينما هو يقول :
أنا ابن من ليس بمجد له من لم يكن بالمجاد الجائد

ترجمة المؤلف

ثم يستطرد اناياته الكثيرة التي لا خطر فيها ، إذا هو يتبعها بقوله :
ولا مشت بي الخيل إن لم أطأ سرير هذا الأغلب الماجد
وهكذا ظل الشريف مخدوعاً من قبل طموح نفسه وما يرى من تأهله
للخلافة بما حازه من المآثر والمفاخر والملكات العالية ، فتارة يقول :
ستعلمون ما يكون مني إن مدّ في ضبعي طول سن
و أخرى يعدّ نفسه بقوله :

وعن قرب سيفي زمانى برعي الرأس لا رعي القروم
حتى قرّ في آخر مضاجعه ، ولم يحظّ من ذلك بطائل ، لأن الحياة
السياسية في عصره لا تدوم إلا بخلافة ولو كانت مستفادة ، كما لا تكون
الخلافة يومئذ إلا للقادر ، ومن العبث محاولة غيره من العلويين لها إلا
بانتظار الصدف الشاذة ، فنحن نترك الشريف رأيته فيها طلبه ، غير أنا
لأنحسبه إلا كما قال عن نفسه في بعض أغراضه :

وما أنا إلا كالموارب نفسه بنى ولداً والعرس جدّاء عاقر
والذي أراه والذي استنتجته من مجموعة وقائع موقعة بتوقيع من شعر
الشريف أن السبب في طمعه بالخلافة أمور :

١ - ادلاله بالفخر والطول المتكون من علو النسب فحسب ، كما أن
ذلك وحده أومع المزايا الأخرى كان ينهض بيتي أبيه و بني عمه الثأرين في
وجوه الخلفاء من قبله ، لأخذ الخلافة المحتضمة على رأيهم ، وإن انتهت
نوراتهم بالخيبة والفشل إلا أنهم يستفيدون بنفس الثورة كثيراً من منازعهم
الجميلة ، وفي هذا المنحى من وجوه الطلاب ينهج الشريف بقوله :

كم أب لي جدّ في احرازها يحرق الباب عليها وابن عم
صبروا فيها على كل اذى ولقوا من دونها كل ألم

٢ - قبض البويهيين المخلصين والمقدّرين له على مخانق الخلافة،
وتلاعّبهم نصب عيذه بالخلافة لأسباب تافهة : فمن المدّة يتخلع المستكفي
ويسمل عيذه ، ولو شاء أن يتطع به الخلافة لفعل ، لكنه يستقدم
المطيع من منفاه فينصبه . وهذا لما جاء عضد الدولة قائماً نكّل به
وأجأه الى النزاع عن الخلافة لولده الطائع . وهذا الاخير - وهو داهية
الجملة - لم تحنه عبقريته في مراعاة موقفه مع بهاء الدولة ، ولكنه
ماذا يصنع والبهاء يريد امواله التي حرص على جمعها ؟ إلا أن يفقد خلافته
او ماله ، فخرهما جميعاً ونكّل به ، وهو معتقل ، ليجلس القادر مكانه ،
وهو منفيّة في البطيخة .

فهذا يعهد للشريف مقدمات الأمانى ، ويبنى له الصروح ، اذ يرى
نفسه ويراها ملوك بني بويه أهلاً للخلافة ، وربما كانوا يمتدّون أنه أحق
بها من غيره ، وله على ذلك اشباع من العطاء كالوزير ابن ابى الريان ،
والأمير ابى الهيجاء الحمدانى ، وابى حسان « المقلد بن المسيب » أمير
بني عقيل ، وابى الحسن بن الفضل المهلبى ، وهذا هو المعنى بقوله :
وإن رجائي أن تكون لهنى طريقاً تؤدّينى الى كل مطلب
وأرني الى أمر اظنك بابه ألا إن بعض الظن غير مكذب
وانا نرى الصاحب بن عباد يخطب مودة الشريف في أبيات كتب
بها اليه ، ولكن ماهو الجواب الذي يجيبه به حينما يقول :

أيا خاطباً ودي على النأي إنتى صديقك إن كنت الحسام المهندا
فأني رأيت السيف أنصر لانتى إذا قال قولاً ماضياً أو توعدا
انه يلحن له في هذا القول عن مؤازرته فيما يرومه ، وعن تقريره الى
الدعوة له ، بيد انه لا يصارحه في ذلك كما يصارح ابا اسحاق الصابى .
إن الصابى كان - خصوصاً بعدما أقعده عضد الدولة كرامته ومقامه
من كتابة ديوان الانشاء - يستميل الشريف بمثل قوله : « أبا حسن
لى في الرجال فراسة » ، و يمنيهِ الأمانى ويؤكد له المطامع والآمال ،
ليستعيد مقامه الأول ، وربما كان حماس الشريف نفسه وتطلعه
للخلافة يأخذ من الصابى مأخذه - وهو شاعر يستهويه الخيال فيتحول
الى حقيقة ماثلة - فيجد في ذلك ضوء لنيل آماله واستعادة كرامته ،
ولكن الشريف كيف يجيب عن تلك الفراسة ، وبالأحرى المماذقة
والمواربة ؟ انه يمدّه بالمكافأة التامة ، ومشاطرة النعمة إن حصلت أمانيه
وصدقت به الفراسة ، ولكنه بالآخرة يقول له غير متردد ولا شك :
فوالله لا كذبت ظنك إنه لعارٌ إذا ما عاد ظنك مخفقا
فان الذي ظن الظنون صوادقاً نظير الذي قوى الظنون رَحَقاً
وسواء كان الصابى - الذي حلب الدهر اشطره - صادق النية ومخلصاً
لشريف أو موارباً كما اظن ، او هو كما يقال [١] يزعم أن طالعه النجومى
يدل على نيله الخلافة ، فان الشريف هو المنبه لشعور الصابى وامثاله ، وهو
هو الذي قدمازج حب الخلافة نفسه منذ صباه ، ولقد كان يستوحش إذا

رأى السكون من ناحية الخلافة سائداً في العاصمة بلا اضطراب ، و بدون
 أمارات تنذر بالقلق ، كما كانت في أيام القادر ، وفي هذا الشأن كان يقول :
 أما تحرك للأقدار نابضة أما يُغيّر سلطان ولا ملك ؟
 قد هادن الدهر حتى لا قراع له وأطرق الخطب حتى ما به حرك
 أظلت السبعة العليا طرائقها أم أخطأت نهجها أم سُمّر الفلك ؟
 ٣ — إمارة الحج ، فهي التي نهبت هواجسه التي تنمو بنموه ، واذكت
 فيه ذلك الشعور الملتهب الذي يتحفز ولا يهدأ ولا يقنع بما دون الخلافة
 إلا سخطاً على القضاء ، وليس ذلك لما في تلك الإمارة من سلطة محدودة
 ومقصورة على البادية فان سلطة القبايلة الدائمة أقوى منها وأكمل ،
 بل لأنها قد أكدت الصلات بينه وبين سراة البادية وزعمائها في جزيرة
 العرب كلها ، وهم هم المتنفدون ، وهم الذين يتمكن الشريف ان يفسر
 بهم أحلامه ، ويحقق آمانيه التي يظهرها قوله :

منى أرى الزوراء مرئجة تمطر بالبيض الظبي أو تراح
 يصيح فيها الموت عن السن من العوالي والمواضي فصاح
 وهذا أقوى الأسباب فيما أرى لدى الشريف ، لأنه إن تم لا يقصر
 خلافته على العراق فقط أوحيث تمتد سلطة بني بويه بل يسير بها في جزيرة
 العرب كلها ، ويدلنا على أن الشريف بطمع في عموم الاستخلاف الذي
 ينحصر بهذا السبب قوله :

لست للزهراء إن لم ترها كوعول الخضب يجمعن اللحم
 يستجن البدر من فرسانها بين بغداد إلى أرض الحرم

وعليّ أن يطأ العراق وأهلها ، يوم أغر من الدماء محجل
يوم تزل به القلوب من الردى جزعاً وأولى أن تزل الأرجل
وما أرى مودة الشريف لصديقه العربى - ابن أبى ليلى - كانت في
بده الأمر إلا لكونه أحد سراة العرب المتنفذين في البادية ، و الذين
توثقت عرى الصلات معهم لاجتياز الحجيج لكنه استدرجه فيما بعد فأفضى
إليه بسره ، وأبدى له ما يحبش بنفسه ، فصادف جواً ملائماً للغاية التي
يتمناها الشريف ويتوخاها ، إما لبساطة في نفس ابنى العوام هذا ،
أو لغضبه على الخلفاء ، أو لأنه يطمح برفعة ينالها في خلافة الشريف
أو مال أو غيرها .

(ابن أبى ليلى) لا نعرفنا عنه كتب التاريخ والسير شيئاً ، ولا تنبؤنا عن
تحديد كرامته حتى ولا تذكر اسمه ، ولكن يؤخذ من ديوان الشريف
أنه من بنى عامر بن لوى وأن اسمه عمرو ، أو كعب . ويكنى بابى
العوام ، ويقال : انه كان دليلاً له في طريقه الى مكة سنة ٣٩٤ ،
وهو العام الذي حج فيه معه الوزير ابو علي الحسين بن محمد بن ابي الريان
وله في ذلك قصيدة يذكره فيها ، و يؤخذ من إطرأ الشريف لابن ابي
ليلى بهذا ترجمة رجل منفرد بما ترجليلة ومناقب حجة جميلة ، ولا ريب
أن في ذلك الاطرأ مبالغة وتخيلاً شعرياً ، ولكن واحد من مائة لم
يبالغ فيه يكفيننا لأن نعرف أنه من الشخصيات البارزة يومئذ ، وأن
بنى نعيم قتلته في سبيل دعوته للشريف لما لم ترق لديهم تلك الدعوة ، ولعلما
كان قتله وقتل المقلد العقيلي مما دبره الخلفاء بديل للاستراحة منهما ،

ترجمة المؤلف

وبالآخرة من خلافة الشريف . و من رثاء الشريف له بمدة قصائد نعرف
مكاته عنده و منزله من نفسه ، و قلما نجد الشريف تكرر تأييده لشخص
واحد مثله ، و أرى أن من أجود مرثيه له هي التي يقول فيها :

لعمري الطير يوم نوى ابن ليلى لقد عكفت على لحم كريم
واقسم أن ثوبك يا ابن ليلى للمجموع على عرض سليم
أجدك أن ترى بعد ابن ليلى طمأننا بين رامة والغيم
أأرجو للعواضن كابن ليلى ؟ أحلت إذا على بطن عقيم

عقيدته من شعره

أصول اعتقاده :

إن كتب التاريخ و كتب السيرة و الأدب متفقة من عصر الشريف
إلى القرن الحاضر ، على أنه شيعي إمامي من أسرة هم شيعة إمامية ، وهو
- بعد - مؤلف كتاب « نهج البلاغة » الذي ما جمعه إلا وهو معترف
بصحته ، و كفى أن شطره أو المقنع منه قد اتهم بوضعه ، ونحن إذا سبرنا
شعره لناخذ منه عقيدته حسبما اقترحناه نجده قد جمع أساسيات الاسلام
ثم التشيع بقوله :

أصبحت لا أرجو ولا ابتغي فضلا ولي فضل هو الفضل
جدي نبي ، إمامي أبي و رأيت التوحيد والعبد
وقد يجري مجرى ذلك قوله :
جدي النبي وأمي بنته وأبي وصيه و جوددي خيرة الأمم

لنا المقام وبيت الله حجريته في المجد ثابتة الاطناب والدعم
اما جدوده اولئك الذين يقول عنهم : خيرة الأمم ، فقد ذكرهم
عدداً مفصلاً في مقصوده المشهورة ، وفي المستهلة بقوله : « ايا الله بادرة
الطلاب » حتى انتهى الى اخيرهم ، وهو الذي يقول فيه :

بني أمية ما الأسياف نائمة عن ساهر في اقاصي الارض موتور
ومما يمتاز به الشريف في شعره ونثره ، حتى في مصنفاته ، أنه
لا يستعمل القذف والقذع الشائع في ذلك الزمن ، لمخالفيه في المذهب
والدين ، ترفعا عن هذا المقام الشائن ، وربما كانت - ايضا - الأحوال
الاجتماعية والسياسية يومئذ تصده عنه صداً كلياً ، وتسد ذلك الباب
دونه ، ولقد كنت منذ الزمن الاقدم اعجب منه مع كمال أدبه وشدة
نحرجه كيف استطاع أن يعلن قوله في آل حرب

بني لهم الماضون أساس هذه فعلوا على بنيان تلك القواعد
دمونا كما ترمى الظماء عن الروى يندودوننا عن إرث جد ووالد
وكيف أعلن بعد ابهام وإدماج قوله :

هم انتحلوا ارث النبي محمد و دبوا الى ابنائه بالفواقر
وما زالت الشحنة بين ظلوعهم نربي الأمانى في حجور الاعاصر
ولو أنت من آل النبي مقيمها لعاجوا عليه باليهود الفوادر
الى أن يقول في جده علي عليه السلام :

شهدتُ لقد آوى الخلافة سيفه الى جانب من عقوة الدين عامر [١]

(١) ويقول في مدحه لايه يوم القدير حين ردت عليه بقية املاكه سنة ٣٧٩ : —

ترجمة المؤلف

فروع شائكة وما يتصل بها :

إن من الآراء ما يتصل بالقيدة ، وإن لم يكن ممتزجاً بجوهرها ،
ولا ممزجاً لصاحبها عن غيره ، لكنه متكون من معدتها ، أو هو من
أحدى ثابتات أرضها ، كقوله :

إن الخلائف والأولى فخرُوا بهم علينا قبل أو بعدُ
شرُّفُوا بنا ولجَدْنَا خُلُقُوا وهم صنائعنا [١] إذا عدَّوا
وقوله :

أَلست من القوم الذين تسلفُوا ديون العاقل الأولى في الاظلة !
والاظلة : عالم المجردات ، وهو ما يسمى بعالم الذر ، سمي بذلك لأن
الأشياء فيه أشياء وليست بأشياء ، كالظل ، وقد جاء في أحاديث
الإمامية عنه وعن شأن الأئمة فيه مالا حاجة إلى ذكره .
ويجري هذا الجرى ما ذكره في أطراء مجده علي ، بذكر بعض
مناقبه وفضائله في قصيدته البائية التي يذكر فيها آياه الاثني عشر
وشوع مراقدهم ، كما تقدمت الإشارة لها ، قال :

قسم النار جدي يوم يُلقى به باب النجاة من العذاب
وساقى الخلق والمهجات حرى وفاتحة الصراط إلى الحساب
ومن سمحت بخاتمه يمين تضيء بكل عالية الكعاب

— غدر السرور بنا فكا ... ن وقؤوه يوم الغدير

يوم اطاف به الوصي وقد نقب بالامير

(١) مأخوذ هذا المعنى من كلمة قلها علي رويت في النهج : « انا صنيع ربنا

والناس بعد صنائع لنا »

ترجمة المؤلف

أما في باب خير معجزات تصدق أو مناجاة الحُباب [١]
أرادت كعبه والله يأنى فجاء النصر من قبل الغراب
أهذا البدر يكسف بالدياجي وهذي الشمس تطمس بالضباب ؟
وكذلك المستهله بقوله : « بهض الملام فقد غضضت جماحي »
وهي انقصيدة الفذة التي يذكر فيها وقائع جده امير المؤمنين علي بالبصرة
وصفين والنهروان ، ويذكر فيها ردد الشمس عليه .
رأيه ببني أمية و بني العباس :

إن الشريف كما يشنأ الأمويين كافة يشنأ العباسيين ايضاً ، لكن
الشائن الديني عنده لبني العباس بالمرتبة الثانية ، والذي لم يزل يلهمج به
هو العتب والمطاولة ، والمدافعة عن الحكم والسلطان ، والمصيبة
للآباء ، ولذلك نجد مدحه ، و ذمه لهم يتراوح على نسبة وفاء الحق ومطله .
وأرى أنه لو استطاع ألا يمدح سوى النبي وآله صلى الله عليه وآله
وسلم - كما يقول - لما مدح غيرهم سوى أسرته ، ولكنه لا يجد
بدأً من ذلك ، أما الذم والعتاب فقلما تعرض فيه لدماء مطلولة وحرمة
مهتوكة ، ومن ذلك القليل قوله :

ويا رب أدنى من أمية لحمة رمونا عن الشان رمي الجلامد
طبعنا لهم سيفاً فكنا لحده ضرائب عن ايمانهم والسواعد
يريدن ان نلقي اليهم اكفنا ومن دمننا ايديهم الدهر تنطف
فلا ما اقصى ضمار قومنا ! لقد تجاوزوا حد العقوق وأسرفوا
واما ما لا تعرض فيه لدم مهتوك أو غرض منهوك ، فانه شيء لا

ترجمة المؤلف

يحصّر ، وانا لا اريد أن أحصيه ولكن لأنبه على إقدامه وجرأته على
الخلفاء ، تلك الجرأة التي هي السبب في مغامراته وتعرض نفسه للخطر
كما يقول عن نفسه :

وأطمعني في العزائي مغامر جريء على الأعداء والقلب قلب
فمن ذلك قوله :

وقل لبني عمنا الواجدين : بني عمنا بعض هذا الغضب ا
سرحتم سناهتكم في العقو... ق ولم تحفلوا الحلم لما غرب
يناشدنا الله في حربكم عريق لكم في أيينا ضرب

أقلوا علينا لا أباً لأبيكم ولا ترشقونا بالنيا وبالي
تريدون أن نوطا وأنتم اعززة بأي كتاب أم بأية سنة !
أما بنوامية فانه لا يذكرهم إلا في مرثي آباءه ، لما لا قوا منهم ، ولذلك
نجد انه اذا ذكرهم يمزج الدمع بالدم وبالدم ، ويخاطب الاسا بالاسف ،
ولا يبالي أن ينتحي عليهم من وجهة الشائن الديني فيقول في رثاء جده
الحسين وآله وأسرنه قتلى الطف :

ادرك الكفر بهم غايته وأدبل الغي منهم فاشنق
يا قتيلا قوض الدهر به عمد الدين واركان الهدى
عقيدة الزيدية والاعتزال :

غريب ماسمته في هذه الآونة من رمي الشريف بالزيدية ، وبزرعة
الاعتزال ، وما كان هذا بالذي يدور بالخلد . وارى ان تلك النهضة
الزيدية - قد اصقت به من قبل آباءه لاهمه ، لأن بني الناصر الكبير ابي

ترجمة المؤلف

محمد « الحسن الاطروش » صاحب الديلم ، لكن هذا قد ثبت لدى علماء الرجال من الامامية ، وفي طليعتهم السيد الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه « شرح المسائل الناصرية » نزاهته ونزاهة جميع بنيه عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة اسلافهم (١) .

سوى ان اصطلاح الكتاب اخيراً جرى على تسمية الثائر في وجه الخلافة : زيدياً ، ولمن كان بريئاً من عقائد الزيدية ، يريدون انه زيديّ النزعة لا العقيدة ، وربما تطرفوا فجعلوا لفظ « زيدي » لقباً لكل من تمحس للثورة ، وطالب بحق زعم انه اهله ، وإن لم يجرّد سيفاً ، ولم يحدّد شعرة عن مذهب الامامية في الامامة ولا عن طريقة الجماعة ، ولقد كان ابو حنيفة في نقل ابي الفرج الاصبهاني زيدياً ، وكذا احمد وسفيان الثوري واضرابهم من معاصريهم ، ومصادمهم من زيديتهم أنهم يرون أن الخلافة الزمنية جائرة ، وأن الخارج آمراً بالمعروف أحق بالاتباع والبيعة .

(١) الذي يقال انه امام الزيدية هو الملقب بالداعي الى الحق ، وهو الحسن ابن زيد من بني زيد بن الحسن السبط توفي بطبرستان سنة ٢٥٠ هـ وقام مقامه الداعي الى الحق اخوه محمد بن زيد . واما الحسن بن علي الملقب بالناصر للحق الكبير وهو الاطر وشاحداجداد الشريف لامة ، والحسن او الحسين بن علي - او ابن احمد - الملقب بالناصر الاصغر وهو والدام الشريف فليسا من ائمة الزيدية ، ومن زعم ان الناصر امام الزيدية فقد اشقه عليه الداعي للحق بالناصر للحق ، ولا يمد دعوى ايه زيدي ، لكن بريء عن تبعة اعتقادهم . وقد توفي الناصر الكبير بطبرستان سنة ٣٠٤ هـ وهو من بني الحسين السبط ينتهي نسبه الى عمر الاشرف بن الامام السجاد علي بن الحسين كما تقدم .

أما النزعة الاعتزالية فقد ظهرت عليه في مسألة (الأرجاء والوعيد)
ومسألة (خلق الجنة والنار) ، ولكن موافقة المعتزلة في رأيين يتبعهم
فيهما كثير من الناس لا يقتضي الرمي بالاعتزال ، على أن الاعتزال منهج
لا عقيدة يسلكه الإمامي وغيره ، ولقد كان الشيخ أبو جعفر الطوسي
يقول بالوعيد ثم رجع عنه . وما من منقصة على إمامي إذا ذهب في
مسألة إلى رأي من يقول بالعدل وينتج أصله عليه . ومع ذلك فالشريف
ليس بالرجل الذي يوافق المعتزلة على سائر آرائهم . وإن شئت فقل :
هو إمامي واقف في حيلة اعتزال محدود لا يتجاوز آراء خاصة . وبعد
هذا فن يتعمق في مناحي كتابه هذا (حقائق التأويل) يعرف أنه
هو الرجل الذي إذا قاده البرهان إلى شيء لا يبالى أن يجاهر به ، ولا يحفل
أن يتفق أهل الملل كافة على خلافه .

إن الكتاب المذكور يتحدثنا عنه بأفصح بيان وأبلغه أنه لا يتطامن
للعقيدة تقليداً ، ولا يأخذها اتباعاً ، وأنه ربما مرّ عليه الزمن الأطول وهو
شاك متضارب لديه الحجج وتقناى عنده البراهين ، وأنه لا يزال كذلك
حتى يحصل له الاذعان بشيء بعينه ، فإذا حصل ربما عدل به عن امر
كان يراه صواباً و عن شيء كان معتقداً له ردّها من الزمن . ونجد مثالا
لذلك في ص ١٦ - ١٧ .

مناصب

نميد

لا أريد في هذه التنبئة أن احدد هذه الامارات وما يجب فيها ، وما يلزم الأمير والمأمور ، ولكن بمقدار ما تعلم به كرامة الشريف وحياته الاجتماعية من ناحية هذه المناصب الثلاثة التي عرفنا من مطاري الفصول السابقة أنها عهدت اليه ؛ لكن جاء في معاتبه القادر له على مملأته لمسلوك مصر زيادة على ذلك ، وهي « الخلافة على الحرمين والحجاز » ، إذ قال حاجبه لأبيه أبي احمد : « ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين ، وجعلناه امير الحجيج ؟ » . وهذا المنصب لا نجد له في فخرياته أثراً وعسى أن يكون عهد اليه في اخريات ايامه .

(١) النقابة :

مركز تحقيق كتاب مؤيد علوم اسلامی

كان اشتراع النقابة على الطالبين خاصة ، في ملاك وظائف الدولة ، سيما في القرن الذي عاش فيه الشريف وما بعده ، من أصوب التدابير التي اتخذها الملوك المستبدون بالحكم في اقطار الشعوب الاسلامية التي يكثر فيها الطالبيون ، لأن هؤلاء كانوا يتواثبون على الخلفاء وولاة الحكم بما يقلق الراحة ويخل بالآمن ، او يرزّل العرش موقناً ، كل ذلك اعادة للحق المهتضم - باعتقادهم - الذين يرون انهم وراثته الشرعيون ، لا غيرهم ؛ ومن جهة اخرى كان الناس بل الملوك يرونهم طبقة ممتازة بالشرف والاثناء الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وانه يجب من جهة التعظيم والتكريم اللازمين أن تشرع لهم انظمة خاصة ، ويرعاهم رجال منهم يكون كخليفة عليهم وهو

ترجمة المؤلف

« النقيب » وهذا يلزم بطبيعة الحال أن يكون علوياً له الشرف في البيت والتقدمة في العلم والعمل والآداب ، وفي العفة ونزاهة المولد وطيب المختل ، وقل - إن شئت - : له مميزات التفوق على كافة من سواه من الطالبين الأكفاء فضلاً عن غيرهم ، ويكون ذا سلطة واسعة وله تقدير خاص في التعظيم والاحترام من قبل الخلفاء والولاة . فهي إذاً « خلافة مصغرة » و « حكومة ضمن حكومة » .

و « النقيب » هو المسئول عن اتباعه امام الخلفاء والملوك ، وهو مديرهم ومديرهم باقامة العدل فيهم والنكال بمن شذ عن منهج الشرع الاقدس منهم ، كما انه هو المدافع عن كرامتهم عن أن تمس بما يشينها ؛ ومن جهة اخرى هو المكلف بالعطف عليهم وباحصاء نفوسهم ، وتنزيه انسابهم ، ومعاقبة مدعي الذممة اليهم ، وكف من استطال منهم بشرفه على غيره ، وردعهم عن كل ما يوجب الطعن على اسلافهم الطيبين من منافيات الأدب والمروءة ، ومباينات العزة والشرف . اذاً لا تكون النقابة إلا في بيت الشريف ابي احمد يومئذ .

ولي النقابة والد الشريف الرضي ، ولما اعترها سنة ٣٦٢ ولها جد الرضي لأمه ابو محمد الناصر : ثم اعيدت له الى ان اعتقل بالقلمة بفارس نحواً من عشر سنين ، وولده الشريف الرضي يومئذ شاب ، فوليها بعض اخوال امه [١] ، وعند عودة ابي احمد ردت اليه الى ان شاخ

(١) هو ابو الحسن علي بن احمد العلوي السري ، يراد بالعمري النسبة الى عمر

الاشرف الحد الاعلى للشريف من قبل امه .

ترجمة المؤلف

فوليتها ولد، الرضى نيابة عنه او مستقلاً بها ، ويشهد لذلك قوله :

ولي النقابة خال امي ... قبل ثم ابي وجدي

ووليتها طفلاً فهل مجد يمدد مثل مجدي

واظن نفسي سوف نح ... حلتي على الأمر الأشد

حتى أرى متملكاً شرق الملا والغرب وحدي

لكن ابن ابي الحديد يعتقد أن اياه توفي وهو متقلدها ، ونحن لا

نتردد في أن الرضى وليها . مستقلاً سنة ٣٨٠ ، وأنه لم يزل يتقلب فيها

الى آخر أيامه [١] ، لكن مع فترات قليلة يمتزجها فيها أو يعزل ثم تعاد

اليه من قبل الخلفاء ، وهم لا غيرهم اهل البيت فيها ، لأنها مستفادة من

خلافتهم فقط ، لكنها لا تكتسب صفتها الرسمية مالم تعضها ارادة

مملكية ، ولذلك صدرت الأوامر من بهاء الدولة ، وهو في البصرة ،

بتوليته النقابة وإمارة الحج سنة ٣٩٧ . ثم عهد اليه في ١٦ محرم سنة ٤٠٣

بولاية امور الطالبين في جميع البلاد ، فدعي « نقيب النقباء » ،

ويقال : إن تلك المرتبة لم يبلغها أحد من أهل هذا البيت ، إلا أن يكون

الامام علياً الرضا عليه السلام الذي كانت له ولاية عهد المأمون .

ثم وليها أخوه الشريف المرتضى الى ان مات ، فاسندت الى ابي احمد

الشريف « عدنان » بن الشريف الرضى الملقب بالطاهر ذي المناقب ، لقب

جده ابي احمد الطاهر ، وكان مهيباً وقوراً عظيم الشأن معظماً عند ملوك

(١) في البيعة : كان ابو احمد يتولى النقابة ثم ردت الى الرضى سنة ٣٨٠

ترجمة المؤلف

بني بويه . مدحه مهيار ، والحسين بن الحجاج وغيرهما من شعراء عصره . قال
النسابة ابن الصوفي في كتاب (انساب الطالبين) عن عدنان هذا :
« إنه كان عفيفاً متميزاً بصلاحه وصواب رأيه » ، ويقال [١] :
« إنه ولي النقابة بعد أبيه ولم يتولها عنه مادام حياً » .
(٢) ولاية ديوان المظالم :

كانت الخلفاء والملوك تعد يوماً أو أياماً خاصة في السنة تأذن فيها لأهل
الظلمات عامة برفع ظلاماتهم لهم ، فيتولون البت فيها مباشرة ، ثم
تطور الشأن ، فجعل لها ديوان يخصصها ، وجعلت وظيفة دائمة يتولاها الاكفاء
من ذوي الدرجات الرفيعة والوجدان الصحيح البعيد عن التهم ، وهي
أشبه برئاسة التمييز الأعلى المشرع في عصرنا في ملاك وزارة العدلية [٢]
لأن تلك الظلمات على الأغلب ليست مولدات وقتها ، بل هي منظورة
من قبل للقضاة وللحكام الإداريين الذين اليهم ترفع المظالم ابتداءً ،
وهم المحكمون في امر الخصومات ، ولذلك يلزم والى هذا الديوان ان
يكون متفوقاً في وفور العلم والفضل ، ممتازاً بالاحاطة الشاملة بفقته فرق
المسلمين كافة .

وإذا امتاز الشريف الرضي بالكفاءة للنقابة فهو لرعاية المظالم أولى
بالكفاءة ، لعفته وصحة وجدانه ، مع علمه وفضله ، وقد تولاهاسنة

(١) المجالس للقاضي نور الله الشهيد .

(٢) او مساوية لرتبة قاضي القضاة . وليست بها لان الشريف ابا احمد مع
ولايت المظالم اراد بهاء الدولة ان ينصبه لقضاء انقضاء فلم يتمكنه القادر .

٣٨٨ هي والنقابة و امارة الحج ، على نقل ابن خلكان ، والأرجح أنه ولها قبل ذلك بأمد بعيد ، ويظهر من الحديث الذي نقله ابن أبي الحديد عن أبي الحسين الصابي وابنه غرس النعمة محمد ، في تأريخهما ، أن الذي ولّاه المظالم هو القادر العباسي ، لكنه لم يذكر عام ولايته .
(٣) امارة الحج :

كان من مراسم الخلافة منذ العهد الاول غزو الصائفة وحضور الموسم بمكة ، فان لم يغز ولم يحج الخليفة ، تاب في ذلك عنه غيره : من وال او امير أوولى عهد . و كان اول من حج بالناس من الطالبين هو ابراهيم ابن موسى بن جعفر (الجد الاعلى للشريف الرضي) في أيام المأمون [١] وليس هذا من امارة الحج في شيء بل الأمير هو الحامي لقطار الحجاج في طريقه الى مكة ، من الاماكن الشاسعة عنها كالعراق و البصرة ومصر وخراسان ، وهو المصروف لمقدرات الدولة في الحجاج الذين ينضمون الى لوائه ، وله وجائب تذكر ، وسلطة يصدر بها من ديوان الحكم مرسوم خاص ينهيه الملك ويعضيه الخليفة أو أن الأمر بالعكس ...
إذا كانت امارة الحج من الضروريات في الدويل الاسلامية ما دامت تدأب في إقامة الشعائر الدينية الكبرى ، فمن الضروري ان يعهد بها الى الشريف او والده الطاهر ، لأن الحجاج لابد لهم من قطع البوادي المترامية الاطراف التي يتقلص عند التوغل بها نفوذ الحكم المدني ، ويكثر فيها السلب والنهب وهذا يتوقف على أن يكون ذا كرامة شخصية وسلطة

(١) المسعودي في تاريخه :

غير مستفادة من السلطان ، وذا صلات برؤساء الاعراب المتنفيين ،
ليعتصم الحجاج به منهم ومن سائر الغزاة وقطاع الطريق كما تقدمت
الإشارة الى ذلك . وقد احتكرت هذه الأمرة بيت أبي احمد ، لان
فيها إقداماً على المسكاره والمماطيل ، وتعرضاً للاخطار التي لا تحتملها
إلا بسالة أبي احمد ، وهي بعد موقوفة على ذلك الجاه وتلك الجلالة التي
ينفرد بها هو وبنوه .

تولى الشريف الرضي هذه الامارة منذ صباه في اكثر ايام حياته
وزيراً لآبيه ، ونائباً عنه ، ومستقلاً بها ، وقد اشرب قلبه فيها كأساً
مترعاً من المنازع الكبرى الجميلة ، والطموح الى المرتبة التي ما بعدها
غاية ، لأن تلك الامارة معها كانت محدودة هي مثال مصغر من تلك
المرتبة التي يتوق اليها منذ صباه ويرى أنه الأجدر بها من اولئك
المهتضمين المتطفلين .

عالم

شهرته العلمية :

شهرة الشريف بالشعر ليست فقط لاجادته فيه . بل لاكتناره
منه أيضاً . اما العلم فهو فيه مجيد للغاية ، مجيد فيه نحو اجادته في الشعر ،
سوى أنه ليس بمكثر من التأليف ولا من مجرد له ، ولذلك لم يشتهر به ؛
واخرى أن الشعر مازال عند نزاحم الفضائل غالباً على كل فضيلة بالسمعة
والشهرة لصاحبها ، ومهما نحس وأكثر من نحو قوله :

ترجمة المؤلف

ملاك ترضى ان تكون شاعراً بعداً لها في عدد الفضائل
فهو شاعر ، والشعر هو الذى طوى سمعته في العلوم الدينية بفنونها ،
وفي العلوم الأدبية على تشعبها ، وهذا الجزء الخامس من كتابه
﴿ حقائق التأويل ﴾ أكبر آية على اتقانه للفنون العلمية الدينية ومبادئها ،
ووقوفه على اسرارها ودقائقها ، وكفى بقول معاصريه فيه : انه « يتعذر
وجود مثله » .

تأثير أعماله وشمرة على التأليف :

نقدر الشريف مؤلفاً ومدرساً يلقى محاضراته يومياً في مدرسته (دار
العلم) في السابعة عشرة من سفيه ، وأن الثلاثين الباقية من عمره قد
ذهب الشطر منها بولاية امارة الحج التي لا تتفق مع التأليف ، وهلك
الشطر الآخر بالنظر في المظالم وفي مقتضيات النقابة ، ولا تنس ضياع
الوقت بنظم الشعر في الاعياد والمواسم السنوية ، وما يتفق في اثناء
المام الواحد من صراث وتهان ومعائب . إذاً تنتهي الثلاثون منه لما
دون العشرين ، وكم يحصل السكاد السكادح من العلوم في عشرين
عاماً اذا كان متعباً وكانت زيارته للعظماء لا تزال متبادلة وشفاعاته لذوي
الحاجات متواترة . اذاً فكيف تمت له تلك التأليف والتصانيف الجملة التي
تقصر عنها لازمنة فراغه .

اذا عرفنا أنه ابتداءً بنظم الجيد من الشعر لعشر سنين ، او بعد أن
جاوزها قليلاً [١] ، وانه تلقى علم النحو من ابن السبراني لدون عشر

(١) بقيمة الدهر .

فاتقن اصوله [١] ، وأنه زاول القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة [٢] - نعرف توقد ذكائه وجودة حفظه وسرعة انتقاله واستمرار حفظه لما وعاد ، ونقدر له العشرين بضعفها ، ونعلم ان نظمه للشعر لا يخلو من وقته الا قدر ما يكتبه او يمليه ، وأن تلك العوائق لم تكن انصده عن الاشتغال بالعلم مدرسا ولا مؤلفا .

وهذا يدنا على انه منذ قارب العشرين لم يحتاج ان يتلمذ على أحد ، وأنه قد يعتمد على نفسه في التحصيل أكثر مما يتلقاها من الاساتذة ، فيكتب كتابا واثق بنفسه غير مقلد لأحد ، وحسبنا في التذليل أن نحيل على كتابه هذا . وهذا ديوان شعره الفخم إذا سبرناه لا نجد قد اضطره التكلف في بيت واحد إلى خطأ في اللفظ والاعراب .
مدرسته دار العلم ومكتبتها ومجمعه الادبي .

ينبؤنا ابن خلكان أنه اتخذ لتلامذته عمارة سماها (دار العلم) وأرصد لها مخزناً فيه جميع حاجياتهم من ماله ، وأنه عندما أهدي لهم الوزير المهلب هدية - على كره وإباء من الشريف - لم يمد أحد منهم يداً إلى شيء منها ، وكيف يرمقها أحدهم ببصره ، وهو مكفي المشونة غني النفس صادق النية في طلب العلم . وإذا كانت العمارة للشريف والنفقة عليه والتلامذة منسوبون إليه ، فهو هو الذي يلقي عليهم إعاداته دروساً يومية متتابعة ، لأن إلقاء المحاضرات رغباً ، وإلقاء عهدها إلى غيره

(١) ابن خلكان . (٢) ابن خلكان عن ابن جني . ويقول صاحب العمدة :

انه حفظه على المكبر . وفي شرح النهج : حفظه بعد ان جاوز الثلاثين في مدة يسيرة .

تعملاً بزيارة زائر أو حرفة شاعر ، نقض لهم الطلاب الذين يقتدون في نشاطهم بالاستاذ . وإن من تتوفر عليه التلامذة زمن استاذ الكل في الكل الشيخ (المفيد) أعلم علماء الامامية وأبرعهم في الفقه والكلام والجدل وأعرفهم بالاخبار والاشعار ، وزمن (الشريف المرتضى) الفقيه المتكلم خليفة المفيد ، هو حقيق أن يكون موازياً وموازناً له في فنون العلم وسائر مميزات التفوق .

إن (دار العلم) ليست مدرسة فقط ، بل ومكتبة أيضاً ، وهي ثلاثة المكتبتين الشهيرتين ببغداد : فالمكتبة القديمة منها هي التي اسمها الرشيد وتدعى (بيت الحكمة) ، والحديثة هي التي انشأها وزير شرف الدولة البويهبي أبو نصر سابور بن أزدشير سنة ٣٨١ [١] ، وقبـد حدث عنها ياقوت واطراها . وكان الخازن لمكتبة (دار العلم) هو أبو احمد عبد السلام بن الحسين البصري صاحب الصيت المذائع في علم تقويم البلدان . وكانت لعبد السلام هذا مجمع علمي خاص ببغداد ويعتقد له يوم الجمعة كل اسبوع . وهناك مجامع عامة : احدها مجمع زعيمه الشريف الرضي يحضره الادباء على اختلافهم ، وآخر لأخيه (الشريف المرتضى) وهو من المجامع الفلسفية الكلامية العامة ، وثالث للوزير أبي نصر السالف ذكره ، ورابع لأبي حامد الاسفرائيني من فقهاء الشافعية يحضره نحو سبعمائة متفقه ، وخامس للشيخ المفيد يحضره من فقهاء الامامية أكثر من ذلك ، وكانت المحاضرات العامة تلقى على الناس في هذه المجامع من

(١) وهذا من عظماء الديلمة وعلمائهم ، وقد عمق في البيعة فصلاً لمدحه على حدة .

اولئك الأئمة في شتى العلوم و الفنون .

أساتذته

إن السيرة تنص على مكانة للشرىف فى العلم والفضل فبهمل تفصیل تلك المسكنة و درجتها ، كما تهمل ذكر المشائخ الذين اخذ العلم عنهم إلا الشاذ النادر ، ونحن إذا تحققنا حال أولئك الأساتذة فى تكثرهم و تفوقهم ، برهن ذلك لنا على مبادئ تحصيله ، وعلى الجدة والذكاء نعتمد فيما انتهى إليه تحصيله . وإذا كانت السيرة أغفلت ذكر أساتذته فإن كتبه الفذة تنبؤنا عن كثير منهم ، ينبؤنا كتابه « المجازات النبوية » أنه قرأ على قاضى القضاة أبى الحسن (عبد الجبار بن احمد) الشافعى المعتزلى كتابه المعروف بـ « شرح الأصول الخمسة » ، ولعله « المغنى » ، و كتابه الموسوم بـ « العمدة » فى أصول الفقه ؛ وعلى (أبى بكر محمد بن موسى الخوارزمى) أبوابا فى الفقه ؛ وعلى (أبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى) فى الحديث ؛ وعلى (أبى الحسن على بن عيسى الربعى) وعلى (أبى حفص عمر بن ابراهيم الكناني) صاحب ابن مجاهد القراءات السبع بروايات كثيرة .

و يصرح كتابه « حقائق التأويل » أنه قرأ على الخوارزمى الآنف مختصر الطحاوى ؛ وعلى (أبى محمد ، عبد الله بن محمد) الاسدي الاكفانى مختصر أبى الحسن الكرخي وعلى (أبى الحسن على بن عيسى الرمانى) كتاباً فى النحو ذكرها فيه ، وأنه قرأ عليه العروض لأبى إسحاق الزجاج و القوافى لأبى الحسن الأخفش . ولم يذكر ابن خلكان فى أساتذته غير

ابن جني . و زاد في (الدرجات الرفيعة) قراءته هو و اخوه المرتضى و هما صبيان على ابن نبانة صاحب الخطب ، و لعلهما قرءا عليه شيئا من علم البلاغة و آداب اللغة العربية . و إذا كان هؤلاء مشايخه من علماء الجماعة ، فكم كان مشايخه من غيرهم ، و من يعرف المفيد بما تعرفه الامامية يكتفي به عن مئات من المشايخ لو تلذذ عليهم ، و ما كنت في هذه النجدة بحريص على ذكرهم لولا تأكيد البرهان على علو كعب الشريف في فنون العلم .

وقد يستغرب بعض البسطاء إغراق الشريف في دراسة الفقه و أصوله و أصول الكلام على طريقة مخالفيه في الطريقة ، لأن هذا البعض لا يهجه إلا معرفة الأحكام الشخصية الخاصة به لصلته المذهبية بها محسب ، و لكن العلماء في القرون السالفة ما كان يقنعهم غير الاحاطة باحاديث الفريقين و فقههم معاً ، و بالاصول التي تبني عليها ، تكميلاً للنفس و تنميها للتهذيب و إعلاء لمنار الاحتجاج ، لما أن سوق المناظرة كانت رائجة و خطة الجدل في الامامة و الكلام متسعة . و لعلما كان الشريف يؤكد رغبته في ذلك زيادة على ما ذكرنا ، ابتلاؤه بالنظر في المظالم و ما يجري مجراها ، ليعرف الفقه على تلك الاساليب المتبعة كقانون للدولة لا بد من معرفته .

مؤلفاته :

لشريف الرضي مؤلفات و مصنفات جمة في فنون الادب و العلوم الدينية ، لم يفته إلينا إلا التزمت منها ، و لم نَرَ إلا اسماءها و إطراءها في كتب

السيرة ، وفي فهارس المصنفين ، وتقول هذه عن بعضها : إنه « يتعذر وجود مثله » ، لكن من يقف على أي كتاب للشريف يعتقد فيه أنه يتعذر وجود مثله ، لانه لا يجد فيه فراغاً للزيادة ولا قصوراً في الجمع ولا مورداً للنقد ولا مجالاً لتصنيف ما يغني عنه أو يسد مسده ، وهأنذا أعد ما اعرف منها سرداً منها على المحل الذي ذكرت فيه في الأغلب :

١ - ﴿ نهج البلاغة ﴾ : الكتاب الفذ الذي تغني شهرته عن

تعريفه ، وهو في حسن اختياره من كلام امير الكلام أكبر دليل على وغولته في علم البلاغة ، وبلوغه فيه مخلا ما بلغه المؤلفون في فن البلاغة ، وقد ذكره المؤلف في هذا الجزء من حقائق التأويل وفي المجازات النبوية مكرراً . وقد طبع التهجد مراراً بباران وبيروت ومصر طبعات عديدة ، وعلقت عليه تعليقات جمّة وشروح كثيرة أبسطها فيما أعلم شرح ابن أبي الحديد المعتزلي .

٢ - ﴿ خصائص الأئمة ﴾ : ذكره مؤلفه في صدر ﴿ نهج البلاغة ﴾

وأطراه ، وقال : إنه وقع موقع الإعجاب من جماعة من الاصدقاء ، وأنه بمناسبة ما ذكره في آخر فصوله من محاسن كلام امير المؤمنين (ع) سألوه أن يفرد مؤلفاً لكلامه لا يشذ عنه شيء من بليغه تبص اليه اليد وتبلغه القدرة . والكتاب يشتمل على محاسن أخبار الأئمة وجواهر كلامهم كما يقول هو عنه ، ذكره في (كشف الظنون) أئتماء كلامه عن نهج البلاغة ، ونقل منه السيد ابن طاوس الحسني الداودي في كتابه « الطرف » احاديث في فضل علي ، وكذا العلامة المجلسي في كتابه (بحار

(الانوار) فانه نقل عنه كثيراً بنحو يظهر منه انه وقف عليه وتوجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المخرج ، لكن لم تصح نسبتها .

٣ - ﴿ مجازات الآثار النبوية ﴾ : من كتبه الشهيرة طبع ببغداد سنة ١٣٢٨ وله نسخ في العراق قديمة الخط ، وهو كتاب فذ في بابه أسقط المطبوع منه كثرة ما فيه من أغلاط تفوق حد الحصر .

٤ - ﴿ تلخيص البيان عن مجازات القرآن ﴾ : ذكره ابن خلدكان ووصفه بأنه فادر في بابه ، وفي كشف الظنون سماه بـ (المجازات للسيد الرضي) ولم يزد على ذلك ، وكفى أن مؤلفه نفسه ذكره في كتابه المجازات النبوية في ص ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٤٥ وقال عنه وعن كتابه المجازات النبوية في ص ٣ : « إنهما عريتان لم اسبق الى قرع باهما » ، وذكره أيضاً في حاشيته على كتابه هذا المطبوع ص ١٥٣ .

٥ - ﴿ حقائق التأويل في متشابه التنزيل ﴾ : ذكره أكثر من ترجم الشريف وجميعهم مطبقون على تقر يرضه وتفخيم نعوته حتى قيل عنه : « يتعذر وجود مثله » كما مر في المقدمة بقلم ادارة (منتدى النشر) . وسماه في (عمدة الطالب) كتاب المتشابه ، والمراد به هذا الكتاب لانه مخصوص بالمتشابه ، ولذلك نجده في كتابه (المجازات النبوية) يحيل عليه في موضع فيسميه حقائق التأويل ويصفه بالكبير ، وفي موضع آخر يهمل التسمية ويعبر عنه بالكتاب الكبير في متشابه القرآن ، وهذه النعوت تنطبق على المسمى بحقائق التأويل ، لانه كبير ولانه في المتشابه خاصة .

وإذا كان هذا الكتاب - الذي لم يُعثر إلا على هذا الجزء الخامس منه - يتمم كله عشرة أجزاء كما قيل ، فإنه يكون بالقياس الى كتاب (التبيان) في تفسير القرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٤٠ أكبر حجماً وأغزر مادة وأتم فائدة وأعم نفعاً [١] .

٦ - (كتاب سيرة والده الطاهر) : مجموع يشتمل على مناقبه ومآثره وما تم على يده من إصلاح عام ، ألفه سنة ٣٧٩ ، وذلك قبل وفاة والده بأحدى وعشرين سنة ، وقد شاخ أبوه يومئذ ويقال : إنه كف بصره ، وقد ذكر الشريف هذه السيرة في قصيدة يمدح بها أباه في السنة المذكورة منها قوله :

لما نظرت الى علاك غريبة ومضجع راعي المناقب مهمل
أحرزتها متوغللاً غاياتها والمجد ملء يد الذي يتوغل
في سيرة غراء تستضوي بها ... الدنيا ويلبسها الزمان الاطول

٧ - (كتاب رسائله) : ثلاث مجلدات ، ذكر في الدرجات الرفيعة بعضها ، ونشرت مجلة العرفان شيئاً منها .

٨ - (كتاب ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل)
يعني بذلك الرسائل الشعرية الموجودة كثير منها في ديوانه ، لا رسائل النثر .

(١) نقل حكيم عن أبي الحسن العمري النساب أنه قال : « رأيت تفسيره للقرآن فرأيت أحسن التفاسير - لم يكن في حكم تفسير أبي جعفر الطوسي أو أكبر - ونقل الأكثر هذه العبارة : « شاهدت مجلدة من تفسير منسوب إليه (الرضي) مليح حسن يكون بالقياس في كبر تفسير الطبري » .

ويؤكد لنا جمعه في زمانه أن جامع ديوانه عنوان قصيدة له في مدح بهاء الدولة بأنها وجدت في مسوداته خارجة عن الديوان فاثبتت فيه ، وعنون غيرها بأنها من الزيادات ، ولم توجد في ديوانه منحولة له ، ومراده أنها متأخرة في النظم عن جمعه ، كما يقال ذلك في المسئلة بقوله : « كرىلا لا زلت كرىباً و بلا » لأنها آخر ما نظمته .

تذكر السيرة ويذكر ابن خلكان عن ديوان الشريف أنه عني بجمعه جماعة وأن أحسن وأجود ما جمع هو ما جمعه (أبو حكيم الخبيري) بالبهاء الموحدة بعد انقضاء المعجمة نسبة إلى خبيرة ناحية بشيراز ، وكان أبو حكيم هذا يعرف العربية ويكتب الخط الحسن ويضبط الضبط الصحيح ؛ وأما لا نعلم أن أبا حكيم هل رتبته على الأبواب أو على حروف الهجاء أو عليها معاً ، كما هي مرتبة عليه النسخة المطبوعة التي بأيدي الناس اليوم . يقول السبكي في (طبقاته) عن أبي الحكيم الخبيري أنه شرح الحماسة وعدة دواوين كالبحري والمنتبي والرضي الموسوي ، ولم يذكر له في (بغية الوعاة) غير شرح ديوان البحري والمنتبي ؛ ولا نعرف مرادها من الشرح ولعل المراد الجمع مع تفسير بعض الغريب ، كما لا نعرف من هو أبو الحكيم ومنى كان وما اسمه ؟

وقد طبع ديوانه مرتين أجودهما طبعة بيروت سنة ١٣٠٧ ، لأنها أقل غلطاً من الطبعة الأولى بمصر التي لا يكاد ينتفع بها . وقد علق على الطبعة الجيدة بشروح طفيفة وهي تقع في مجلدين يشتملان على ٩٨٦ صفحة ، أما الأخرى فهي في مجلد واحد يقع في ٥٤٧ صفحة .

أدب

«بزة شعره» :

يسجل الثعالبي في « اليتيمة » لأشرف أنه (أشعر الطالبين) من مضى منهم و من غبر على كثرة شعرائهم المفاقيين . و يروي الخطيب البغدادي عن أبي محفوظ شهادة جماعة من أهل العلم والأدب - وهو معهم - أنه (أشعر قریش) . وهذا مالا أريد أن احتفظ به لأعلقه وصاماً على صدر الشريف و امنحه رتبة (أمير الشعراء) وهو أمير الكلام ، لأن هذه المرتبة دون شاعرية شاعر رفته البال ذكي الخاطر واسع الخيال معتدل الذوق ، قد زاول القرىض منذ صباه مكباً عليه ، حتى كملت قدرته على الابداع فيه ما شاء ، فسهل عليه التصرف في فنونه ، و أخذت تلك الفنون على تشبهانصيباً وافرأ من جزالة اللفظ ونخامة المعنى وسلامة التركيب وبهذا فاز شعره ، وهو أقصى ما يمتاز به شاعر على آخر : و لكنني لا أريد أن أخص شعره به .

إن الذي أرمي إليه أن أئين أمراً هو خفي ظاهر في آن واحد ، أرمي لأعرب عن أن الذي ماز شعر الشريف . و به تسنم سرير الامارة الممهد ، هو أن شعره الذي قد يساويه فيه غيره من فحول الشعراء من جهة ما كأبي تمام والبحترى والمتنبي (شاعر العصور) ، عليه رونق من أبهة التاج وحشمة الملوك ، عليه روعة وهيبة وجلالة لا نبجدها في شعر خليفة ولا ملك فضلا عن غيرها ، لا نبجدها في شعر أبي فراس وابن المعتز ، وحتى

لا نجدها في شعر أخيه الشريف المرتضى شقيقه في النسب ، وقرينه في الحساسة الاجتماعية وفي الأحوال التي مرت عليها من شدة و رخاء وعزة وأهبة . وهذا هو الذي رفع شعره عن مستوى مماثليه فيه نوعاً ما الى ذروة بعيدة. المرتضى ، ولذلك مع مناسبات أخرى أعجب الصاحب ابن عباد - نيقذ الشعر - الذي يعيب شعر المتنبي وينقده نقداً صريحاً ، فأنفذ الى بغداد من ينسخ له ديوانه وكتب إليه بذلك سنة ٣٨٥ ، وعند ما سمح له به وأنقذه مدحه بقصيدة منها قوله :

بيني وبينك حرمتان تلاقنا نثري الذي بك يقتدي وقصيدي
ووصائل الأدب التي تصل الفتى لا باتصال قبائل وجدود
إن أهد أشعاري إليك فانها كالسرد أعرضه على داود
وتلك (تقية) بنت سيف الدولة بن حمدان ، ماذا راقها من شعر الشريف ، وهي امرأة ولديها ديوان المتنبي المليء بمدائح الأسرة الحمدانية وتمسانيتهم ومراثيتهم ، وهو هو ذلك الفحل المطرق الذي يقف صفاً واحداً والشعراء في صف واحد من ناحيتي بعد المعاني ومطابقة اللفظ لها ؟ انه راقها وراعها جميل ديباجته ورونق الحشمة والجلالة التي اصطبغ بها ، فأنفذت من مصر من ينسخه لها وهي لا ترى هدية انفس منه يوم حمل إليها ، ولعلها كانت هذه الصلة الادبية بينهما هي التي أثارت عواطفه فرأها وقد نوفيت بمصر سنة ٣٩٩ ومما قال في قصيدته بعد إطراء بني حمدان :

إذا ابتدرت نساؤهم المساعي فما ظني وظنك بالرجال
يقال في إطراء شعر أو تحديد مقداره : إنه رقيق الديباجة جزل

المعرض ناصع الأسلوب . وهذه ألفاظ غير محدودة المعنى ، بل يختلف معناها باختلاف الأذواق ؛ ولكن ليس من قبيل هذه الكلمات المهمة ما نظري به شعر الشريف بأبهة التاج وحشمة الملوك ، وبالروعة والجلالة ، لأن هذه الصفات محسوسة محدودة المعنى لا تتحكم بها الأذواق ، ولذا لا نجد فيما نحمد له بها خلافاً من أحد .هما كان ذوقه .هما لطف مزاجه .

مقارنته بالمتنبي :

إذا نحن أردنا أن نقارن بين شعري الشريف والمتنبي - ولا بد من المقارنة وهو ذلك الفحل الفوار على المعاني وشعره ذلك الشعر الفخم العالی - لا نجد شعر الشريف يفوقه فيما ذكرناه من الأبهة والجلالة فقط ، بل نجد كثيراً في شعر المتنبي غموض المعنى وغرابة اللفظ ووعورة المسلك ، ثم المبالغة والفلو بصوغ إلا كاذب تاجاً لكثير ممن لا يستحق إلا الجفوة ، ثم الفخر الكاذب والدفاع عنه ، وبعد ذلك نجد الكلمات القبيحة التي يستعملها الخلفاء ، أما القذف والقذف في الهجاء فحدث عنه ولا بأس عليك ، وإذا كان الغلو والكذب والهجاء من الأمور الشائعة التي قلما يخلو عنها شاعر ، وقد تدعو الظروف لها ، فان فيما عداها كفاية في سقوطه أمام شعر الشريف النزه .

إن عمدة ما يمتاز به شعر المتنبي هو بعد المعاني مع تقريبها إلى الحسن بالفاظ تطابقها ، غير نابية ولا مبدولة ، وهو الشطر الأوفر من شعره في جميع ضروبه حتى في الهجاء والمجون ، وهذا بعض ما حازه شعر الشريف إلا النادر منه ، بلا أن يلوح عليه ما يظهر على شعر المتنبي من

ترجمة المؤلف

تكلف ممقوت وتعمل مرذول وغموض في الغرض ، وألفاظ نفرت عن
حيطة التوسط الى درجة الحوشية ، وترا كيب متفككة نافرة ، وبعد هذا
فديوان الشريف بالقياس اربعة اضعافه ، وحقيق بهكذا ديوان ضخمة أن
تكثر سقطاته ، والحال أن ما يتفرد به من الابداع أكثر ، ونحن إذا
نقدناه وأحصينا سقطاته لا نجد بها تلك الكثرة ولا تراها إلا مندكة فيه
كل من الشاعر ين كثير الاستظهار لنفسه ، بصير بنقد الشعر ، بارع
في إتقان اللغة والاحاطة بناظرها ومألوفها ، فمن المعقول أن يتجنبنا الزلل
الذي يخفى على غيرها ، ولكننا نجد في كتب الشريف وشعره بعض
اشتقاقات غير مأثورة لا نجد للمعني مثلها ، وهكذا نجد شعر الشريف
المرتضى . وهذه صفحة لا نناقشه الحساب عليها ، لأنه عربي وراوي
لغة جاب جزيرة العرب وبادية الشام ، وسمع الأعراب وخالطهم ،
وفي اللسان بقية من الصيانة والانطباع على الصحيح والفصيح ، وبعد
فهو محترم الرأي له اجتهاده في جواز الاشتقاق الذي يستعمله وهو مذهب
كثير من معاصريه ومن جاء بعده . اما سقطاته المعدودة من حيث
التركيب والمعنى فانا سنورد الكثير منها عرضاً .

ومن غريب امر شعره تساويه في دوري النكبة والابتهاج ودوري الصبا
والكهولة ، ومع أن التقليد والمحاكاة تغلب على الصبي ، فانا لانجده مقلداً
في شيء مما نظم في صباه ، وازن بين فخر ياته السالفة وبين قوله وهو ابن
عشر : « المجد يعلم أن المجد من أربى » وقوله :

إذا هممت ففتش عن شبا همي نجده في مهجات الانجم الشهب

ترجمة المؤلف

فهل ترى من تفاوت ؟ ثم قارن بعد ذلك بين إحدى وصفياته في وصف

الريح والسنان وهو من أول نظمه ، إذ يقول :

كالكوكب انتثرت منه ذوائبه وموقد النار يذكيهم على أضف

أو كالشجاع تغطى بعد هجمته برخي لساناً كغرب اللهم الخدم

و بين قوله في صفة الجذب :

وخضخض السجل في قعر القلب فلم ينزح له غير مكتوم من الودم

وأصبح البرق يُخفي حرّاً صفحته عن المراجع أويبراً من الدم

وصوّح النبات حتى كاد من سغب فيهم يصوّح نبت أهام واللهم

أسلوبه الانشائي :

لم يحفظ لنا التاريخ من نثر الشريف شيئاً كافياً ، به يتعين مذهبه في

الانشاء ؛ ويعلم من عدد المترجمين له رسائله النثرية وأنها تقع في مجلدات ،

أن فن الانشاء شيء كان يمارسه وله به عناية ، ولكن الشعر الذي

امتلك حياته غلب عليه . وأرى أن أعلى مثل خالد من أسلوب نثره

كتابه (حقائق التأويل) ، فانه أقرب الى الأساليب التحليلية

الشائعة في القرون الاولى من الاسلوب المستثقل المتفكك ، الذي اخرجته

الصناعة في تكلف السجع الى التكلف الممقوت ؛ والشريف في كتابه

وإن كان يسجع قليلاً ويزاوج كثيراً ، لكن سجمه ليس بذلك المستثقل

المرذول ، ولا ازدواجه بذلك النابي المنقلقل ، وإن كنت أعترف بالفرق

بين الأسلوب العلمي الذي تغلب عليه السهولة والبساطة وبين أسلوب

إنشاء الرسائل الذي يغلب عليه العمل والتكلف لترصيف الألفاظ ،

ترجمة المؤلف

فقد يذشأ وعر المسلك متفكك النظم لإعمال الصنعة فيه ؛ ونحن نرى « الدرجات الرفيعة » و « مجلة العرفان » اوردا نبذاً من نثره لا يتفق وأسلوب كتابه ، لأن في هذا من الفخامة والبلاغة وعلو الدرجة والروعة ، ما ليس فيها ؛ لكنه يفتونا بقوله :

نظم ونثر قد طمعت اليهما صعداً ويعنو للأخير الأول
أن نثره أعلى درجة من نظمه في نظره .

مديحه ومجاؤه :

إن وصلات الشريف بالخلفاء و الملوك تبرر مدحه لهم وإطراءه إياهم ، والمدح مهما كان الغرض منه عادة جارية كسنة طبيعية ، ولكن زاد عصر الشريف تنافس ملوكه على بعد الصيت وحسن السمعة التي تولد لهم العظمة في النفوس ، فقام بنو بويه الذين لهم صولجان الملك في العراق بترويج الأدب وتنشيط الأدباء ، لزهوم وجهم لاذاعة العظمة وحسن السيرة ، فاقنضوم مدائحهم وأمدوم بالمطايا ليتهافتوا على مدحهم وإشهار محامدهم ، ولعل هؤلاء أغراض أخر لا تريد استقصاءها ؛ ولقد كان الشريف غنياً عن إطرائهم ومدحهم لولا تلك النزعات والضمف السياسي في الدولة كما يفتونا عن نفسه منذ بلغ ١٥ عاماً أنه لا يمدح الملوك وذلك حيث يقول :

« ورفعت عن مدح الملوك خواطري » ، ولكنه لما ابتلي بأولئك الملوك والخلفاء الذين يتهالون في طلب المدح إشهاراً لكرامتهم ، لم يجد بداً من مدحهم لئلا يدم ويسخرهم لأغراضه ، كما وجدناه يقول في مدح الطائع :

ترجمة المؤلف

غرضي بمدحك أن يطاوعني عوج بايامي ويعتدل
تم لا يتعدى بمدحه عن هؤلاء راغباً إلا لرحم أو صديق أو عظيم من
رجال الدولة ، اتباعاً لقوله في أبيه : « وغيرك لأطريه إلا تكلفاً » ،
وقوله عند إطرأ الطائع :

وإني إذا ما قلت في غير ماجد مديحاً كأنني لأتلك طعم علقم
ولا ننسى أن الشاعر كثيراً ما يصوغ الأكلاب ليتوج بها من
لا يستحق الثناء ، لكن لا نجد شاعرنا مطمئناً إلى هذه العادة السيئة التي
تستدعي شيئاً من الصفاقة تحول بينه وبين الحياء ، أما أولئك الذين
يقول فيهم :

أكثر أبناء هذا الزمان وأهزأ من نبلمهم بامتداحي
فهم نبلاء مستحقون لمدحه ، لأنهم الخلفاء والملوك ، إلا أنه لا يراهم
أهلاً لمدحه

وكما أن الشريف لا يجد بداً من مدح من يستحقه ، فهو مضطر
لا محالة إلى ذم أعدائه ومناوئيه ، لأنه محاط بهم ، والكثير منهم
مسلح بالمكر والخديعة والوشاية والتميمة ، وكما هو يدفع نكائهم بيده
لا بدله من الوقعة بهم بلسانه ، ولذلك كان يسمى قصائده في المدح
والذم (بورد الغليل) ويقول فيها :

بورد للغليل كأن قلبي يعب بهن في برد النطاف
أسر بهن أقواماً وأرعي أقواماً بشالته الأنافي
وبما أن تتبع أهاجيه يضطرننا إلى الاطالة تركنا التعرض لها بالرغم

ترجمة المؤلف

من أنها أحد فنون الشعر الذي تظهر فيه البراعة ، وفي ذكر ما عداها كفاية عن حكاية القنف وإن كان مستحقاً .

مبالاته :

الشريف يطري خلفاء زمانه ، ولا تنكر عليه ذلك ، إلا أن إغراقه فيه إغراقاً فاحشاً هو الذي ربما يؤاخذ به ، فانه لم يكتف بالمبالغة في مدح هؤلاء حتى يتجاوز الى ما فيه روح دينية قوية ، وينعدي الى الموضع الذي لا يعتقده لهم ، وذلك كقوله في الطائع :

إمام ترى سلك آباءه بُعِيدَ الرسول إماماً إماماً

بالطائع الهادي الامام أطاعني أبلي وسهل لي الزمان مرامي

لله ثم لك المحل الاعظم وإليك ينتسب العلاء الاقدم

ولك التراث من النبي محمد عليه السلام والبيت والحجر العظيم وزمزم

وسواء كان هؤلاء مستحقين للامامة أو أنهم بعيدون عنها فانه يغرر

بهم وبالكافة حينما يثبت لهم هذه الفضيلة الكاذبة بزعمه . وإني وإن

لم أقصد الدفاع عنه لكني أرى هذا ونحوه جارياً على ما يعتقده فيهم

الجاهل من استحقاق الامامة ، وبهذا يرتفع التغير بالمدح لانه لا

يعتقد نقصه ، وبالناس لانفاق عامتهم على استحقاقه ، ولذلك كان

الملوك يحرضون على نيل رضا الخليفة لترى العامة أن سلطانهم مشروعاً

مستمداً من خلافة مشروعة . وإذا سمينا هذا النوع كذباً فلا مشاحة ولا

انتقاد عليه ، لان النقد لا يتبع الاسم فقط ، إلا أن يقصد به التهويل

ولا يراد به النقد الحقيقي المشروع ، ولعل هذا النوع من الكذب

هو الذي يشير إليه بقوله :

أهذب في مدح الرجال خواطري فأصدق في حسن المعاني واكذب
وما المدح إلا في النبي وآله يرام وبعض القول ما يُتجنب
أما إغراقه في مدح مثل بهاء الدولة وشرف الدولة والتوجع في رئائهما
والتودد في استعطافهما والا نعطف عليهما حتى ولو انتهى الى مثل قوله :
لا عجباً أن نقيمك حذراً نحن جفون وأنتم مقل

فهو أمر قد أشرنا الى العذر عنه ، إذ ذكرنا أن المدح لهؤلاء شيء لا
يريد به الشاعر إلا اتقان الصنعة كما يفهمها ولا يتشدد فيه باتقاء الضرورات
كما هي متقاة في مدح الأصدقاء وتأبينهم ، ومع ذلك الاغراق في المدح
نراه يتحمس ويفخر في اثناؤه كثيراً ، كما نراه يتصلب في الغزل وفي
سائر موارد اللين والركة ، وتلك طريقة يتفرد بها ، وعلى نفس هذه
الطريقة جرى مع سلطان الدولة الذي خطب مدحه ، بعد أن طلق
الشعر حينما بلغ الأربعين ، وذلك اذ يقول :

رام مني قود القريض ونولا ... ه لقد جاذب الزمام الأ كفا
هب من رقدة الفتور إليه بعد ما غص ناظريه و أغنى
هو ظهر ينقاد طوعاً على اللين ويأبى القياد إن قيد عسفا
رناؤه :

من يستطرد شعر الشريف يمجّد نفسه مملوءة بالهموم والاحزان
والاسا والأسف ، ليس لتصر بحاته التي يؤذيها مثل قوله « لا ألوم
الهم إن لازمني » ، بل أمانيه بالخلافة ، ومداراة المتغلبين عليها ،

ترجمة المؤلف

ومجاملة الحساد ، والتفكير في إرضاء فريق و النكابة بآخر ، هي التي تملأ قلبه بالهم ، ولا نذس ما أثره بطبعه دور النكبة وقضية القلعة ، فقد رأينا أنه أثر حتى على خياله في الذسب ، وفوق ذلك كله ما عرفنا من حالة القلقة مع القادر العباسي . وهذه الهموم النفسية هي التي أعدته للنبوغ في الرثاء فأحسن فيه ما شاء .

حقاً إن الرثاء يكون للمجاملة كما يكون للعاطفة ، ولكن بماذا نفرق بين النوعين في شعره و المنانة فيهما على السواء ؟ لولما نحسه من ظهور العواطف في هذا وتكلف الحزن في ذاك ، ونجد رثاءه لأبيه في ناحية و لبهاء الدولة في أخرى و لمثل ابن جني وابن السيرافي في موضع ثالث ، وكل وفاء حقه بلا موارد ولا ممالأة . ولعلنا مع التعمق والروية نجد كافة مرائيه تتمثل فيها الأحزان النفسية بلا تكلف وتعمل ، وفي هذا تدليل على بعده عن الموارد في رثائه ، وليس لنا ان ننكر عليه تفاوت مرائيه في الاطراء وحسن الوصف ، ما دام الرجال متفاوتين بالفضيلة والمزايا الحميدة ، وبال حقوق على المؤبن ، وإذا كان بهاء الدولة هو ذلك الملك العظيم المفضل عليه ، فلا غرو اذا بالغ في الحزن عليه بقوله :

لقد جل قدر الرزء أن يبلغ البكا مداه ولو أن القلوب دموع
ولو أن قلبي بعد يومك صخرة لبان بها وجداً عليك صدوع

وهذا بالطبع تتحل في العاطفة أكثر مما هي متجلية في غيره ممن ليس هو كبهاء الدولة وشريف الدولة بالعظمة والسلطان ، ومن بديع مارئي به بض الهاشميين من أسرته قوله :

ترجمة المؤلف

لواعج أفصحت عنها الدموع وقد كانت تجمعها الأحشاء والضلع
نزفت دمعي حتى ما تركت له غرباً يمين على دراء اذ يقع
ثم اضطرت الى صبري فمدت به فأغرب الصبر لما أحجم الجزع
ومما ينخرط في هذا السلك و ينتظم بهذا العقد ما بدع به من غرائب
التخييلات الشعرية في تعزية بهاء الدولة عن ولده وهو قوله :
إذا السنان الطرير دام لنا فدعه يستبدل الاناييا
والبدر ماضره تفرده ولا خبا نوره ولا عيبا
وما افتراق الشبول عن اسد بما نع أن يكون مرهوبا
والعنبر الورد إن عبثت به مثلاً زاد عرفه طيبا
يطيح مستصغر الشرار من الزند ويبقى الضرام مشبوبا
محصت النار كل شائبة وزاد لون النضار تهديا
حاته :

ليس بنا حاجة الى ان نثب أن الشريف كان فخوراً حماسياً ، لأننا
رأينا أنه اختص بمزايا لا يطاوله فيها حتى الملوك والخلفاء ، وإذا رجعنا
الى تحديد كرامته اعتقدنا انه مها صغر كبيراً من غيره فانه لم يكبر لنفسه
صغيراً البتة . وإذا كان النخور غالباً يستعمل الكذب فيدافع عنه بصفاقة
خشية الافتضاح ، فان الشريف لا نعرفه الا حقيقياً بالفخر بنفسه وآبائه ،
وما كان ليقول عن نفسه مالا يعرفه الناس وهو متمسك بمبدأ الحياء المتوفر
فيه ، وهو محاط بحساد ومناوئين مسلحين بكل ما فيه نكايته والوقية به ،
وفي بعض ما يقوله نحيه لهم وتمريض بهم ، وهاهو ذا يقول في عصامية نفسه :

ترجمة المؤلف

لئن نلت الكواكب في ذراها لقد أبقيت فضلا من منالى
ولست بياسط كفى لآتي أرى الأملاك تقصر عن منالى
ومن الغريب تطاوله على أبيه الذي لم يزل يستطيل به وينمدح برعايته له فيقول :
ولولا مراعاة الأبوة جزته ولكن لغير المعجز ما اتوقف
أما تمجده بآبائه وإغراقه فيه فحدث عنه ولا حرج ، ومن المعجب
ما ابتدعه فأبدع فيه من وصل فخر بمثله ، وجلاء شرف النسب بفضل
حسب يوازنه ، اذ يقول معرضاً ببعض حساده :

هيهات لا احمد ذا قدرة ولو حوى عاقر أغناد
ولو حسدت الفضل في اهله حسدت آبائي وأجدادي
أما اندفاعاته الحماسية وثوراته المتهبة في التمدح بالبطولة والفتوة والانفة
والبسالة وما الى ذلك فهو أكثر من اطرائه لآبائه بها وبغيرها مما حصل
وحصلوا عليه ، والعامل الوحيد فيها هو تلك الامانى العالية والملكات
المحمودة المنطبع عليها ، ولسنا بحاجة الى التدليل على ذلك لأن حياته تفتحه
انتاجاً منطقياً . واذا استعرضنا الصفحة الواحدة من ديوانه نجد روحه
الحماسية ممتزجة بسطورها ماثلة امام العين كعنوان لتلك الصحيفة ، لكنها
نزهة عن كل عبث ومجون ، وقد يستدرجه الحماس حتى في مدائحه للملوك
فيرضه للخطر . وقد تشاهده في بعض الأحيان بطلاً في معمرة يخوض
الغمرات ويلقي نفسه في لهواتها ، ولو اردنا أن نتحدث عن ذلك الموقف لروعنا
كل من وقف عليه من هوله وفزعه وليس من حتمنا أن نزوعه . ومن هذا
نعتقد ان الشريف كما هو شاعر الالباء والعفة ، شاعر الحرب ، شاعر النخوة ،

ترجمة المؤلف

شاعر الحديد .

وربما يؤكد ذلك في نفسه زيادة على ما انطبع عليه امتلاء سامعه
وجميع حواسه بالحروب التي وقعت في ايامه ببغداد وخارجها .
النسيب والغزل :

يندر الغزل في ديوانه بالقياس الى غيره ، وليس ذلك ترفعاً عن
نظمه لأنه يخل بمقامه و هادم لشرفه ، كيف وله فيه الشيء الكثير وإن
قل بالنسبة الى غيره ، لكننا وجدناه يقول وشواهد الحال تصدقه :
شغلت بالمجد عما يستلذ به وقائم الليل لا يلوي على السمر
من يمشق العز لا يعنوا لغانيه في رونق العز ما يغني عن الكمر
والذي نقرؤه من مجموعتي أخلاقه وشعره ترفعه عن نوع من الغزل
يستعمله الخلفاء او ما يشبه العيش والمجون ، وهذا النوع قد لا تطاوعه
شاعريته عليه لو أراد ، وهو الذي يخل بمقامه وشرفه ، لا غيره من
الأنواع الجميلة المشهورة ، ولربما يستعصي عليه هذا الضرب الجميل
ايضاً لأنه لا يمتزج بهواجس نفسه وأخلاقه المنطبع عليها . وهذا هو
سبب الندرة ، وسبب الانصراف غالباً عن الغزل الناشف الى النسيب
الذي تجلوه الرقة وتلوه العفة ، وأي عفة هي التي تلو قوله :

خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع
سلوا مضجعي عني وعنهما قاتنا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع
وأي رقة وعاطفة هي التي تجلو قوله :

ولما تداني البين قال لي الهوى رويداً وقال القلب اين تريد

ترجمة المؤلف

اتطمع أن تسالو على البعد والنوى وأنت على قرب الديار عميد
ولو قال لي العادون ما أنت مشته غداة جزعنا الرمل قلت أعود
أأعبر والوعساء بيني وبينكم وأعلام خبت ؟ إنني جليل
وإذا نحن علمنا إجادته في الرثاء بامتلاء نفسه بالهموم ، وفي الفخر بما
حوى من عزة ومآثر ، وفي المدح برغبة الملوك فيه ورغبته في حصول أمانه
فما أجدرنا أن نعلل إجادته في هذا النوع من الغزل بما نعتقده أنه لم
ينظم ذلك إلا للفن خالصاً ، ونحن نعلم بأنه لم يرقص قلبه يوماً لموعد وصل
ولم تنكده نفسه لوشك رحيل ، ولم ينادم غانية ، ولم يكن حتى في إبان
شبيبته يسامر الظرفاء الذين يغازلون ويتغزلون ، وهاهو ذا يقول :
أضعت الهوى حفظاً لعزبي وإنما يصان الهوى في قلب من ضاع عزوه
أسوم الهوى نفساً عزوقاً عن الهوى وقلبا يضم الحب غير حول
ابن الغواني من طلابي وما أطلب إلا الرائح الفادي
الشعر الوصفي :

ليس وصف المناظر الطبيعية والأشياء المحسوسة مما يضطر إليه الشاعر ،
إلا ما جاء عفواً بتأثيرها على عواطفه وشعوره ، أو لاقتراح مقترح ، على أنه
مظهر لقوة شاعريته وسعة خياله ، فتجد الشاعر الوصاف واسع الخيال قوي
الادراك ، والعكس بالعكس ، فهنا إذاً من الأسباب للشعر الوصفي قد
يدعو الشاعر إليه ، وإذا تمدى هذه الأسباب فلا يكون إلا غرضاً
خاصاً لا يحكم به ولا عليه في شيء .
ولا نخلو غالباً أي قصيدة لأي شاعر من أوصاف وتشابيه مختلفة ،

ترجمة المؤلف

وليس هذا ما نقصد من الشعر الوصفي ، وإنما هو المقاطيع والقصائد المنظومة
جماء في وصف شيء ما ، وهذا كثير في شعر الشريف ، وربما كان أكثر
من غزله ونسيبه : فهو يصف الأسد ، والذئب ، والحية ، والسماء ، والليل ،
والطيف ، والفجر ، والسحاب ، والبرق ، والثلج ، والبرد ، والقلم ، والسكين ،
والجذب ، والخمر ، والورد ، والشيب ، ويكثر من وصف بعض هذه وكثيراً
ما يصف مجلساً ، وجماعة ، وركباً ، ويوماً خاصاً كيوم طعن ، وليلة سرى أو أنس ،
ويصف حمامة وأفراخاً ، ويصف أسوداً ينزل به ويصف ... ويصف
مما لا أحصيه ، ولا أريد أن أذكر منه في هذه التبعة سوى التمر الذي
لا ينبغي أن تخلو عنه ترجمته ، ولا أخالي ذا كراً إلا بعض ما استجيده :
فن ذلك قوله في صفة سحابة :

من كل سارية كأن رشاشها
نثرت فرائدها فنظمت الربا
و قوله في وصف نيلوفر :

ونيلوفر صاغت الرياح وعانقه الماء صفواً ورنقا
تخيل أطرافه في الغدير ... السنة النار حمراً وزرقا
و قوله في وصف القلم من قصيدة :

يلجلج من فوق الطروس لسانه وليس يؤدي ما تقول مسامحه
وينطق بالأسرار حتى تظنه حواها وصفر من ضمير اضالعه
إذا أسود خطب دونه وهو أبيض يسود وأبيضت عليه مطالعه
و قوله في وصف جماعة :

ترجمة المؤلف

ومرجلين من الجمال غرائق مثل الغصون ثيابها الورق الندى
متعلمين من الشباب كأنهم أقمار غاشية الظلام الأربد
صقلت نصول خدودهم بيد الصبا مرد العوارض في زمان أمرد
تستببط الالحاظ ماء وجوههم فيكاد ينقع في غضارتها الصدى
أما وصفته للذئب العينية فهي في غاية القوة والاجادة ، أتى فيها
على كل ما في الذئب من خلق وخلق ؛ ولولا طولها لأوردتها بجملتها ،
وكذا التي يصف فيها السنان والمحل ويستطرد فيها أوصافاً شتى ؛ وقد
مر ذكرها في شعره أيام صباه .
الحكم والأمثال :

للحكم والأمثال الشاردة من شعره حظ موفور ، كما للاخلاق والآداب
والقصص وما إلى ذلك ، وقلمنا نمر على المقطوعة لا تتجاوز العشرة
ونجدها خالية من تلك . وهذه أمور تندفع بطبعها على لسان الشاعر وقلمه
وحياً من هواجسه وعواطفه الحية ، وكثيراً ما يأتي بها شاهداً على شيء أو
نصيحة ملقاة للامامة كجوهرة في الطريق : نحو قوله : « إن السياط لها
من مثلها نمر » و « والفجر يرب عما أعجم السدف » و « ولولا الجنى ما
رجب الفرع غارس » و « والعجز أن يجعل الموتور منتصحا » وألوف نحو هذه
وليس الشريف بالمتفرد بنظم هذه الحكم والآداب والأمثال ، ولكنه
متفوق ومكثر ، ولو أردنا أن نجمع ذلك لكان ديواناً حافلاً يربوا على شعر
المتنبي في هذا الباب وأمثاله فمن ذلك قوله :

لا تطلب الغاية القصوى فتحرمها فإن بعض طلاب الربح خسران

ترجمة المؤلف

والعزم في غير وقت العزم معجزة و الازدیاد بغير العقل نقصان
 اذا العضو لم يؤلك الا قطعته على مضض لم تبق لحماً ولا دماً
 فاعزم فليس عليك إلا عزيمة والمعجز عنوان لمن يتوكل
 او تحمل اللوم القضاء فانه عود لا ثقال الملام مذلل
 فلا تفتقد خلاً يسوءك بعضه وإن غاب يوماً عنك ساءك كله
 إذا شئت أن تبلاوا مرءاً كيف طبعه فدعه وسائل قباها كيف أضله
 تجاف عن الاعداء بقاءً فربما كُنيت فلم تعقر بناب ولا ظفر
 ولا تبر منهم كن عود تخافه فان الاعادي ينبئون مع الدهر
 وكم سعي ساعٍ جرّ حنقاً لنفسه ولولا الخطا ماشاك ذا الرجل شائك
 ألا ربما حياك رزقك طايماً ورحلك محطوط ونضوك بارك
 إذا أنت أفنيت المرانين والذرا رمتك الالبالي عن يد الخامل الغمر
 وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى فن ليد ترميك من حيث لا تدري
 وما صعبك الأدنون إلا أباعد إذا قل مال أو نبت بك حال
 ومن لي بخل أرتضيه وليت لي يميناً تعاطيها الوفاء شمال

وفاته ومدفنه

توفي بکور يوم الاحد ٦ محرم سنة ٤٠٦ . ويقال سنة ٤٠٤ ، وأظنه
 من خطأ النساخ ، لأن أكثر العلماء والاثبات الذين ذكروه [١] على

(١) منهم النجاشي وصاحب المعتمد وجامع ديوان مهار وجامع ديوانه لانه
 ذكر رثاءه للقي ٤٠٥ وقل من بعده بشهور توفي الشريف الرضي .

ترجمة المؤلف

الست بعد الاربعائة ، فيكون عمره ٤٧ عاماً ، وعند وفاته حضر الى داره الوزير ابو غالب فخر الملك ، وصائر الوزراء والاعيان والاشراف والقضاة حفاة مشاة ، وصلى عليه فخر الملك ، ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ بخط مسجد الانباريين ، ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصل عليه ، وكان هو الاولى بذلك ، لولا ما كان يحمله من المودة الاخائية الخالصة ، والهلع الشديد ، فلم يستطع دون أن قصد تربة جده موسى بن جعفر راجلاً ، وركب اليه بعد ذلك فخر الملك فردّه الى بغداد آخر النهار .

وقد ذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه الى كربلا بعد دفنه في داره فدفن عند ابيه الحسين بن موسى وهذا قريب الى الاعتبار عندي ، لان بني ابراهيم المحجب قطنوا حائر الحسين عليه السلام مجاورين لجدهم الأعلى (الحسين السبط) ، فدفن فيه ابراهيم المذكور في موضع قريب من قبر الحسين مما يلي رأسه ، واتخذوا ثرى بته مدفناً لهم ، فدفن فيه من مات من بنيهم وأبنائهم ، وأما من شذ منهم فقطن ببغداد او البصرة كبني موسى البرش ، فانه ينقل بعد موته الى تربة جده ، وقد صح أن والد الشريف نقل جثمانه الى الحائر عند ما توفي سنة ٤٠٠ ولم يدفن ببغداد ، ويشهد لذلك استهلال الاستاذ ابي سعيد علي بن محمد السكاتب مرثية له بقوله :

يا برق حامٍ على حياك وغائر أن تستهل بغير أرض الحائر
وصح أيضاً نقل جثمان الشريف المرتضى الى الحائر بعد دفنه في داره ، بالرغم على قول النجاشي « توليت غسله ودفن في داره » ولا بدع لو نقل الشريف الرضي وابناؤه اليه على عادتهم وطريقتهم هذه .

ترجمة المؤلف

وقد رثاه جماعة الادباء في عصره ، وكان بعضهم رثاه بما ظاهره
المأساة وباطنه الشماتة ، ولذلك لم يؤثر مما رثى به إلا القليل كـرثية
سليمان بن فهد ومرتثي مهيار الديلمي [١] ، ورثاه اخوه المرتضى بقوله :
يا للرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهبت علي براسي
مازلت احذر وقعها حتى اتت فحسوتها في بعض ما انا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمي عبرة فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عرك من قصير طاهر ولرب عمر طال بالادناس
وليكن هذا آخر ما أوردناه من ترجمة السيد الشريف ، وإذا كنت مخلصاً
وصادقاً فيها ومعترفاً بالقصور عن القيام بواجبها ، فسوف ألقى من
القراء العذر عن التشويش والاضطراب ، لأن الوقت يضيق عن التهذيب
وإعادة النظر ، ومن الله ارجو التوفيق ما

عبد الحسين الحلبي

(١) من مرتثي ابن فهد قوله :

عذيري من حادث قد طرقت أمات الهدو واحي القلق
واما مرتثنا مهيار الغالية والبيمة فهما مثبتتان في ديوانه .



مقدمة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجازات في القرآن

لعل أول كتاب وأقدمه في « مجازات القرآن » هو الكتاب الذي صنفه أبو عبيدة بهذا العنوان . فإن هذا الراوية من أسبق الرواة إلى التصنيف والتدوين ، لأنه جاء بعد قتادة بن دعامة السدوسي (المتوفى سنة ١١٧ هـ) . وأبي عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) وهما لم يخلفا لنا أثرا مكتوبا ، وإنما كانت الأخبار تنقل عنهما مشافهة . أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) فقد ترك بعده طائفة من الكتب زادت على المائة ، كما عدها صاحب « الفهرست » . ومن حسن الحظ أن يطبع كتابه « مجاز القرآن » طبعة محققة لأول مرة في المكتبة العربية ^(١) .

وليس كتاب أبي عبيدة في مجازات القرآن بالمعنى الاصطلاحي الذي تناوله الشريف الرضي في كتاب « تلخيص البيان » ، في مجازات القرآن « وهو ذلك المعنى الذي يوضع اصطلاحا في مقابل « الحقيقة » كما فعل البيانون في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز . لا! ليس كتاب أبي عبيدة في مجازات القرآن بهذا المعنى . ولكن لفظة « المجاز » عنده تساوى طريق الجواز إلى فهم اللفظة القرآنية ، فهو أقرب إلى تفسير غريب القرآن منه إلى الكشف عن وجوه البيان فيه بالمعنى الذي يريده البيانون ^(٢) . فالجواز القرآني - عند أبي عبيدة - لا يعدو أن يكون

(١) حققه السيد فؤاد سزجین الأديب التركي بجامعة أستانبول بمعاونة المستشرق رينر ، ونشره السيد سائى الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٢) تؤكد هنا أن « مجازات القرآن » لأبي عبيدة لا يدخل في علوم البيان . وقد وهم مؤلفا « الوسيط في الأدب العربي » حين ذكروا ذلك في ص ٢٢٩ وعدها مجازات أبي عبيدة أول كتاب دون في علوم البلاغة والبيان . والحق أنه تفسير لألفاظ القرآن على طريقة اللغويين لا البيانين ...

تفسيراً لألفاظ القرآن ومعجماً لمعانيه . وإذا شئنا أن نأخذ أبا عبيدة بنص كلامه فإننا لنجد
أصرح من مقدمته في الدلالة على ما ذهبنا إليه . فإنه يقول : (فلم يحتج السلف ولا الذين
أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه ، لأنهم كانوا عرب الألسن ،
فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه ، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص .
وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ، ومن الغريب ، والمعاني)^(١) .

ومالنا ومقدمة أبي عبيدة لنستدل منها على أن المجاز عنده هو تفسير المعنى من غير نظر
إلى الاصطلاح البياني الذي لم يظهر في القرن الثاني الهجري ، وإنما ظهر على شكل لمع متناثرة
قليلة فيما كتبه الجاحظ أولاً ، وفيما كتبه ابن قتيبة بعده في كتابه « تأويل مشكل القرآن »
وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ؟ نقول : مالنا ومقدمة أبي عبيدة مع
أن كتابه كله بين أيدينا فنرى فيه أنه يعني بالمجاز تفسير المعنى للألفاظ القرآنية ؟

ويتناول القرآن كله من فاتحة الكتاب فالبقرة فآل عمران سورة سورة ، فيعرض مافي
كل سورة من الألفاظ يشرحها شرحاً لغوياً ويفسر غريبها ويقوم إعرابها ، ذا كرا من الشعر
العربي القصيح ما يؤيد المعنى الذي ذهب إليه ، كقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
[أى مُوجع من الألم ، وهو في موضع مُفعل . قال ذو الرمة :

ويرفع في صدور شمر دلاتٍ يصكُّ وجوهها وهَجْ أَلِيمُ
الشردلة : الطويلة من كل شيء]^(٢) .

وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ : [أى بغيهم وكفرهم ، يقال :
رجلٌ عَمِهَ ، وعامِهَ ، أى جائر عن الحق . قال رؤبة :

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجاهلين العمه]^(٣)

(١) صفحة ٨ من « مجازات القرآن » لأبي عبيدة . (٢) مجازات أبي عبيدة ص ٣٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٢ .

وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ : [سُقُوهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِمْ ، مجازه مجاز المختصر ؛ أشربوا في قلوبهم العجل : حب العجل : ^(١)] وأين هذا من كلام الشريف الرضي في هذه الآية : [.. وهذه استعارة ، والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل ، فكأنها تشربت حبه ، فمزجها بمازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء المملوؤ . وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على الحقيقة] .

وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ تَجِيئُوا لِي ﴾ : [أَيْ يَجِيبُونِي ، قَالَ كَعْبُ الْغَنَوِيِّ :
وداع دعا يامن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
أى : فلم يجبه عند ذاك مجيب ^(٢)] .

وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ : [وَهِيَ مَصْدَرُ عَالٍ فَلَانَ : أَيْ
افْتَقَرَ ، فَهُوَ يَعِيلُ . وَقَالَ :

وما يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ ^(٣)
وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ : [مجازها : أَنْ كُلَّ شَيْءٍ غَيْبٌ عَنْكَ
شَيْئًا فَهُوَ غِيَابَةٌ . قَالَ الْمَنْخَلُ بْنُ سَبِيحٍ الْعَنْبَرِيُّ :

فَإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتُ غِيَابَتِي فَسِيرُوا مَسِيرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ
وَالْجُبِّ : الرُّكْبَةُ الَّتِي لَمْ تَطُورْ ، قَالَ الْأَعَشِيُّ :
لَنْ كُنْتُ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِيتْ أَسْبَابُ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ ^(٤)

وكقوله في مجاز قوله تعالى : ﴿ لَأَحْتَفِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : [مجازه : لَأَسْتَمِيلَهُمْ

(١) المصدر نفسه ص ٤٧ . (٢) المصدر نفسه ص ٦٧ .

(٣) مجازات القرآن لأبي عبيدة ص ٢٥٥ . (٤) المصدر نفسه ص ٣٠٢ .

ولأستأصلهم ، يقال : احتنك فلان ماعند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره ،
أخذه كله واستقصاه [(١)] .

وأين هذا من قول الشريف الرضى فى هذه الآية : [وهذه استعارة على بعض التأويلات
فى هذه الآية ، وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعالا من الحنك . أى لأقودهم إلى المعاصى
كما تقاد الدابة بحنكها غير ممتنعة على قائدها ، وهى عبارة عن الاستيلاء عليهم ، والملكة
لتصرفهم كما يملك الفارس تصرف فرسه ، بثنى العنان تارة ، وبكبح اللجام مرة . وقال
يعقوب فى « إصلاح المنطق » : حنك الدابة يحنكها حنكا ، إذا شد فى حنكها الأسفل
حبلا يقودها به ، وقد احتنك الدابة ، مثل حنكها ، إذا فعل بها ذلك . وقال بعضهم :
لأحتنك ذريته ، أى لألقين فى أحناكهم حلاوة المعاصى حتى يستلذوها ويرغبوا فيها
ويطلبوها ، والقول الأول أحب إلى . وقال بعضهم : لأستأصلن ذريته بالإغواء ،
ولأستقصين إهلاكهم بالإضلال ، لأن اتباعهم غيه ، وطاعتهم أمره يؤولان بهم إلى موارد
الهلاك ، وعواقب البوار . وقال الشاعر :
نشكو إليك سنة قد أجهفت واحتنكت أموالنا وجلقت

أى أهلكت أموالنا ، ويقال : احتنكه ، إذا استأصله وأهلكه . ومن ذلك قولهم :
احتنك الجراد الأرض : إذا أتى على نباتها . وقيل أيضا : المراد بذلك لأضيقت عليهم مجارى
الأنفاس من أحناكهم ، بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم . ويقال : احتنك
فلان فلانا : إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه ، فكان كالشبا فى مقلته ، والشبا فى
مسعله [(٢)] .

يتضح من هذه الأمثلة التى نقلناها هنا من « مجازات القرآن » لأبى عبيدة مقررناه من

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٤ .

(٢) انظر ذلك فى كتاب « تلخيص البيان » فى مجاز هذه الآية من موضعها فى سورة بنى اسرائيل .

انه استعمل « المجاز » بمعنى التفسير ، وأن المجاز البياني المقابل للحقيقة لم يكن في حسبانته وهو يصنف في مجازات القرآن ، وأن عنوان كتابه قد يوم القارى بأنه أول من ألف في المجاز البياني للقرآن ، مع أن منهجه في الكتاب بعيد عن ذلك بعدا عظيما .

وإذا صح ما ذكره صاحب « الفهرست » من أن لأبي عبيدة كتابا اسمه « غريب القرآن » فليت شعري أين يكون موضوع هذا الكتاب من كتابه في مجازات القرآن ؟ أليس كتاب المجازات هو في الحق كتابا في غريب القرآن أو في تفسير ألفاظه ؟ فهل يكون الكتابان اسمين على مسمى واحد؟ أو قد يكون ابن النديم وهم فحسب أن « غريب القرآن » لأبي عبيدة هو كتاب آخر غير المجازات له ؟

على أن مما يزيد المشكلة تعقيدا أن صاحب « الفهرست » لم يذكر كتاب « مجازات القرآن » لأبي عبيدة وهو يسرد أسماء الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه^(١) ، ولكنه ذكر كتاب « معاني القرآن » لأبي عبيدة . فهل يكون هذا الكتاب هو « مجازات القرآن » الذي تم طبعه أخيرا ، أم يكون كتابا آخر غيره لا يزال مستورا في ضمير الغيب . ؟

(١) الفهرست لابن النديم . طبع القاهرة ص ٥١

الجاحظ ومجازات القرآن

لعل الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ هو أول من استعمل المجاز في القرآن بالمعنى المقابل للحقيقة ، وهو ذلك المعنى القريب جد القرب مما استعمله البيانيون المتأخرون ، وبهذا كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هو أول مصنف عربي استعمل لفظي المجاز والاستعارة على نحو يقرب مما قصد بهما عند البلاغيين . فهو لا يريد بكلمة المجاز ذلك المعنى الذي قصده أبو عبيدة بالتفسير ، ولكنه يريد ذلك الشيء المقابل للحقيقة . ونراه في مواطن متفرقة من كتابيه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يشير إلى المجاز والاستعارة إشارات تعد أول ماسجل منهما بالمعنى البياني في المؤلفات العربية . حتى ليعد الجاحظ بذلك أول رائد للبلاغة العربية بمعناها الاصطلاحية الذي أخذ يتطور على الزمن حتى بلغ قمته على يد السكاكي ، والقزويني وغيرهما من أعلام البلاغة الفنية .

ولعل من أوائل المعانيات عند الجاحظ قوله في « الحيوان » : [باب آخر في المجاز والتشبيه بالأكل ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ وقوله تعالى عز اسمه : ﴿ أَكَّاكُلُونَ لِّلسُّحْتِ ﴾ وقد يقال لهم ذلك ، وإن شربوا بتلك الأموال الأنثى ، ولبسوا الخلل ، وركبوا الدواب ، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وهذا مجاز آخر ^(١) .

ولا يكتفى الجاحظ بهذه اللمعة البيانية الواضحة بل يضيف إليها بابا آخر في مجاز الذوق : [وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذق ! وكيف ذقته ؟ ! وكيف وجدت طعمه ؟ ! وقال عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ وقال يزيد بن الصعق :

(١) الحيوان . بتحقيق عبد السلام هارون . ج ٥ ص ٢٥

وإن الله ذاق حلوم قيس فلما ذاق خفتها قلاها
 رآها لا تطيع لها أميرا فخلاها تردد في خلاها
 فزعم أن الله عز وجل يذوق وللعرب إقدام على الكلام ، ثقة بفهم أصحابهم
 عنهم ، وهذه أيضاً فضيلة أخرى .
 وكما جوزوا لقولهم أكل وإنما عض ، وأكل وإنما أفنى ، وأكل وإنما أحاله ،
 وأكل وإنما أبطل عينه - جوزوا أيضاً أن يقولوا : ذقت ما ليس بطعم ، ثم قالوا : طعمت
 لغير الطعام . وقال العرجي :

وإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
 وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ
 يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ يريد : لم يذق طعمه ^(١)

فالمجاز عند الجاحظ هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، على سبيل التوسع من أهل
 اللغة ، ثقة من القائل بفهم السامع .

وقد حلت هذه النظرة الجاحظية البيانية كثيراً من المشكلات التي قامت بسبب
 التعبيرات القديمة . فقد أنكر المنكرون وعلى رأسهم الحسن قول القائل : طلع سهيل ، أو
 برد الليل ، وقالوا في إنكارهم : إن سهيلاً لم يأت بحر ولا بيرد . وكره مالك بن أنس أن يقول
 الرجل عن الغيم والسحاب : ما أخلقها للمطر ! ولكن الجاحظ يرى أن إخراج الكلام
 على وجه المجاز يحل المشكلة وقيم الكلام على وجه سليم ، فهو يقول عن التعبير الأول :
 ولهذا الكلام مجاز ومذهب . وهو يقول عن التعبير الثاني : وهذا كلام مجازه قائم ،
 ويقول عن مثال آخر مما ينكره المنكرون : وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل .

والحق أن الجاحظ قاس هذه العبارات على نظائرها في كلام العرب فوجد لها دعامة من

(١) المصدر نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .

الصحة وسندا من القياس السماعي الصحيح ، فإن العرب من قديم تقول : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . والشاعر العربي يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ولكن المنكرين أنكروا لمعنى ديني قائم في نفوسهم ، وهو إسناد الأفعال جميعها إلى الله تعالى ، تنزيها له عن أن يشركه غيره في فعل ، أو يشاركه في خلق ، فاحتج لهم الجاحظ بشواهد من اللغة تجيز ما ذهبوا إليه من الاستعمال . أما لفظة «استعارة» التي يكررها الشريف الرضي في كل آية فيها مجاز ، فقد كان الجاحظ - فيما نعلم - أول من استعملها بمعنى تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه . فكان بذلك - أيضا - ممهدا للبيانين ، ورائدا في البلاغة العربية . فإن هذه اللفظات البيانية الوحيدة كانت الأساس الذي بنى عليه صرح البيان العربي ، وأخذ الأعاجم فجعلوا منه موضوعا عتيذا لصناعة البيان والبلاغة .

وتصادفنا في بعض كتب الجاحظ أمثال هذه الإشارات البيانية الاستعارية ، كقوله : [وقال عز وجل : ﴿ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلا . ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعم لغيرهم سمي باسمه ... وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ وليس في الجنة بكرة ولا عشي ، ولكن على مقدار البكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ والخزنة الحفظة ، وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به ^(١) .

وكقوله وهو يشرح أرجوزة يقول فيها صاحبها :

وظفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣ . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

[وطفقت : یعنی ظلت . تبکی علی عراضها عیناها . عیناها ههنا للسحاب . وجعل المطربکاء من السحاب علی طریق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه]^(۱) .
هذه اللمع البیانية عند الجاحظ لا نراها من الکثرة بحيث تكون مذهباً بیانياً قائماً بذاته ، وإنما كانت معالم طریق لمن جاءوا بعده ، فقد أفاد منها تلميذه ابن قتیبة المتوفی سنة ۲۷۶ هـ وخاصة وهو يتحدث عن ألفاظ القرآن فی کتابه « تأویل مشکل القرآن » .



(۱) المصدر السابق ص ۱۵۳ .

ابن قتيبة ومجازات القرآن

جاء بعد الجاحظ تلميذه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦) ، ويشير ابن قتيبة إلى هذا التلمذ على الجاحظ بقوله في « عيون الأخبار » مثلاً في أكثر من موضع : [وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه ، قال]^(١) .

وقد توسع التلميذ في نظريته إلى الاستعارة والمجاز أكثر من أستاذه قليلاً ، وخطا بالعمق البيانية عند أستاذه الجاحظ خطوة وسعت دلالات كثير من الألفاظ والاصطلاحات التي أخذت تظهر بعد ذلك بالتدرج في علوم البلاغة ، فنراه يقول في كتابه « تأويل مشكل القرآن » : [وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول وماأخذه . ففيها الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، ولفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز ، إن شاء الله تعالى]^(٢) .

ثم نراه يعتقد بعد ذلك بآيين أولهما في « المجاز » وثانيهما في « الاستعارة » فيتحدث عن المجاز في القرآن ، ويكثر من الأمثلة القرآنية يخرجها تخرجاً مجازياً يبعدها عن الاصطدام بالحقبة ، ولا يكتفى بالقرآن وحده ، وإنما يذهب إلى الإنجيل فينكر من يرون من النصارى أبوة الولادة في قول المسيح عليه السلام : (أدعوا أبى ، وأذهب إلى أبى)^(٣) ، ويفسر هذا القول

(١) عيون الأخبار ج ٣ ص ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ .

(٢) تأويل مشكل القرآن . طبع عيسى الحلبي ص ١٥ ، ١٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٦ .

تفسيرا مجازيا فيقول: [ولو كان المسيح قال هذا في نفسه خاصة دون غيره ، مجاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل في الله - تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقوله في كثير من المواضع لغيره ؟ كقوله حين فتح فاه بالوحى : « إذا تصدقت فلا تعلم شمالك بما فعلت يميناك ، فإن أباك الذي يرى الخفيات يحزبك به علانية ، وإذا صليت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك الذي في السماء ! ليتقدس اسمك ، وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أباك » . وقد قرأوا في الزبور أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام : « سيولد لك غلام يسمى لى ابنا ، وأسمى له أبا » وفي التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام : « أنت بكرى . وتأويل هذا أنه في رحمته وبره وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده »^(١) .

والحق أن الاشتغال بفهم القرآن الكريم ومدارسته وتفسيره كان سببا قويا لظهور هذه المجادلات المجازية الاستعارية ظهورا متميزا في عصر ابن قتيبة ، وهو عصر بدأ علم الكلام فيه يتميز بظهور طائفة من المتكلمين من أمثال ابن الهذيل العلاف (المتوفى سنة ٢٣٥) وأبي على محمد بن عبد الوهاب الجبائي (المتوفى سنة ٣٠٣) . فقد كان علماء الكلام شديدي الجدل أقوياء العارضة ، وكانت لهم في الله وصفاته وأفعاله وذاته وفي العدل والجبر والاختيار آراء لا بد لها من الفهم البياني القوي ليؤيدوا بها وجهات نظرهم . فحين يلتقي المفسرون يقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ فمنهم من يقول بالكلام على وجه الحقيقة لا على سبيل المجاز ، بدليل توكيد الفعل بالمصدر تكلما ، ومنهم من يقول بالكلام على وجه المجاز . ويقول ابن قتيبة في إرادة الكلام هنا على حقيقته : [إن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار . فتقول : أراد الحائط أن يسقط ، ولا تقول : أراد الحائط أن يسقط بإرادة شديدة . وقالت الشجرة فمالت ولا تقول : قالت الشجرة فمالت قولاً شديداً . والله تعالى يقول :

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٧٦

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ فوكد بالمصدر معنى الكلام ، ونفى عنه المجاز ^(١) .
ويدافع ابن قتيبة عن المجاز في القرآن دفاعا قويا فيقول : [وأما الطاعنون على القرآن
بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب ، لأن الجدار لا يريد ^(٢) ، والقرية لا تسأل ^(٣) . وهذا من
أشنع جهالاتهم . وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم ، ولو كان المجاز كذبا ، وكل فعل ينسب
إلى غير الحيوان باطلا ، كان أكثر كلاما فاسدا . لأننا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ،
وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر . ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت
كذا وكذا ، والفعل لم يكن وإنما كُوِّن . ونقول : كان الله . وكان بمعنى حدث ، والله جل
وعز قبل كل شيء بلا غاية ، لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن .

والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ وإنما يُعَزَم عليه .

ويقول تعالى : ﴿ فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ وإنما یرح فيها .

ويقول : ﴿ وَجَاهُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وإنما كُذِّب به ^(٤) :

وبصل ابن قتيبة في دفاعه عن المجازات في القرآن إلى قمة الدفاع حين يقول : [ولو
قلنا للمكر لقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ : كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيت
على شفا أنهيار : رأيت جدارا ماذا ؟ لم يجد بدا من أن يقول : جدارا يهْمُ أَنْ يَنْقُضَ ، أو
يكاد أن ينقض ، أو يقارب أن ينقض . وأيا ما فقد جعله فاعلا . ولا أحسبه يصل إلى هذا
المعنى في شيء من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

(١) المصدر نفسه ص ٩٢ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف : « فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف : « وأسأل القرية التي كنا فيها » .

(٤) تأويل مفصل القرآن ص ٩٩ .

وأنشدني السجستاني عن أبي عبيدة في مثل قول الله : (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) :

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

وأنشد القراء :

إن دهرًا يلف شملًا يُجَمِّلُ لَزَمَانَ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

والعرب تقول : بأرض فلان شجر قد صاح ، أى طال . لما تبين الشجر للناظر بطوله ودل على نفسه ، جعله كأنه صاح ، لأن الصائح يدل على نفسه بصوته ^(١) .

فهذا السبيل الذي سلكه ابن قتيبة في مجازات القرآن هو السبيل الذي أفضى إلى تطور الدراسات البلاغية البيانية عند ابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦ هـ) وعند الشريف الرضى في كتابه هذا الذي تقدم له ، وعند الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١ هـ) وهو مؤلف « أسرار البلاغة » ، في علم البيان ، و « دلائل الإعجاز » في علم المعاني ، وعند السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) حين ألف كتابه المشهور : « مفتاح العلوم » ، وعند ابن الأثير ^(٢) (المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) حين ألف كتابيه المشهورين : « المثل السائر » ، و « البرهان في علم البيان » .

أما الباب الذي عقده ابن قتيبة للاستعارة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » فهو لا يقل إمتاعاً ولا فائدة عن باب المجاز ، وتكاد ألفاظه تكون هي الألفاظ التي استعملها البيانيون بعد هذا . اسمعه مثلاً وهو يقول : [فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورها أو مشاكلاً . فيقولون للنبات : نوء . لأنه يكون عن النوء عندهم ... ويقولون للمطر : سماء . لأنه من السماء ينزل ، فيقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

(١) المصدر نفسه ص ١٠٠ . (٢) هو ضياء الدين بن الأثير .

ويقولون : ضحكت الأرض . إذا أنبت ، لأنها تبدى عن حسن النبات ، وتنفق
عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر ، ولذلك قيل لطلع النخل إذا انفق عنه كافوره :
الضحك ، لأنه يبدو منه للناظر كيباض الثغر . ويقال : ضحكت الطلعة . ويقال : النور
يضاحك الشمس لأنه يدور معها .^(١)

ثم يمضى ابن قتيبة في الكشف عن بعض الاستعارات في القرآن الكريم ،
كالاستعارة في قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) وقوله : (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)
وقوله : (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) وقوله : (وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءًا)
وقوله : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) أى كان كافراً فهديناه ، وقوله : (وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ رِيبَاسًا) وغير ذلك من عشرات الآيات التي كشف ابن قتيبة عما بها من
استعارة ، على نحو ما صنع الشريف الرضى هنا في كتابه هذا ، وقد استغرق هذا الباب
أكثر من أربعين صفحة من كتاب ابن قتيبة .

وتمضى السنون بعد وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ ويمضى القرن الثالث بما فيه من موجات
أدبية لغوية نحوية كلامية ، وبمن فيه من أمثال أبي عثمان المازني ، وثلعب ، والزجاج ،
وابن الأنباري ، والسجستاني ، والمبرد ، وغيرهم ، ويحى القرن الرابع بمن فيه من أمثال
ابن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) ، وأبي بكر الزبيدي (المتوفى سنة ٣٧٩ هـ) ، وابن جني (المتوفى
سنة ٣٩٢ هـ) ، والسيوطي (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ) ، وأبي علي الفارسي (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ) ، وأبي
حسن الرماني (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) وغيرهم فلا نجد كتاباً ألف في « مجازات القرآن » من
هؤلاء الأعلام المشتغلين باللغة والنحو . ونرى الشاعر العلوي الأبي الشريف الرضى
ينصب همته ، ويلقى عزمه بين عينيهِ ، فيصنف كتاباً في « مجازات القرآن » هو الذي
نقدم له بهذه المقدمة الطويلة وعنوانه :

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢ .

« تلخيص البيان في مجازات القرآن »

ظل هذا الكتاب الثمين سرا مطويا في ضمير الغيب إلى أن وقع السيد محمد المشكاة على نسخة خطية لكتاب يبحث في آيات القرآن الكريم بعنوان الاستعارة . وقد محّا الزمان عنوان المخطوط ، ^(١) كما عانت أيدي البلي في بضع صفحات منه انتزعتها من المخطوط ، فظن السيد للمشكاة - أول الأمر - أنه لمؤلف قديم من الشيعة ، ولكن لم يخطر على باله أن ذلك المؤلف الشيعي المعتدل الرأي ، الكثير النصفة ، العف اللسان هو الشريف الرضى . فلما مضى في قراءة المخطوط ، لاحظ أن المؤلف يحيل على كتاب له اسمه « حقائق التأويل » ، وهنا قطع الشك باليقين ، واستظهر عن ثقة أن هذا المخطوط الباحث عن الاستعارات في آي القرآن الكريم هو كتاب الشريف الرضى الذي ظل قرابة عشرة قرون مفقودا ، والذي يشار إليه في مراجع كثيرة بأنه من كتب الشريف الرضى التي خلفها تراثا غاليا فيما خلفه للفكر العربي من تراث قيم .

ولم تكن الإحالة على كتاب « حقائق التأويل » في هذه المخطوطة هي وحدها المفتاح الذي كشف عن حقيقة صاحبها وشخصية مؤلفها الشاعر العلوي الفحل ، فهناك بعض المواطن يشير فيها المؤلف إلى كتابه « مجازات الآثار النبوية » ، ولا شك أن المجازات النبوية هي للشريف الرضى وقد طبعت من زمن في بغداد مرة ، وطبعت في مصر طبعة محققة ومعلّقا عليها بقلم المرحوم الأستاذ محمود مصطفى الذي اشتغل بتدريس الأدب العربي في كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية . فلم يعد بعد ذلك مجال للشك في حقيقة صاحب الكتاب .

(١) تفضل صديق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني الأستاذ بجامعة القاهرة فأهدى إلى - فيما حمله من أطراف إيران بمناسبة اشتراكه في مهرجان ابن سينا - مخطوطة مصورة من كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » هي التي ننشرها اليوم نشرًا عاليا ، ونقدم لها بهذه المقدمة التحليلية التي تقوم بذاتها كتابا مستقلا جعلنا عنوانه « الشريف الرضى بين مجازات القرآن والحديث » . فله أجزل الشكر بما أتاح لنا من نشر كتاب الشريف الرضى ، الكاشف عن وجوه البيان ، وأسرار البلاغة في كتاب الله الكريم .

على أن هاتين الإحالتين ليستا وحدهما الدليل القاطع على صحة انتساب هذا المخطوط لمؤلفه الشريف الرضى ، وقد يكونان وحدهما قاطعين فى الدلالة ، إلا أننا نسوق من الأدلة الحاسمة والبراهين الجازمة ما يقطع بأن هذا الأثر العلمى النفيس هو للشريف الرضى لا لغيره ، وأنه - رحمه الله - ترك فى طى الكتاب من قواطع الأدلة ما يشير بصراحة إليه ، ويدل بقوة عليه .

فهو يقول فى كلامه عن مجازات سورة الرحمن : [وقد كان والدى الطاهر الأوحى ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى رضى الله عنه وأرضاه سألنى عن هذه الآية ^(١) فى عرض كلام جر ذكرها ، فأجبتة فى الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها] .

وما من شك فى أن أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى هو والد الشاعر العلوى الشريف الرضى . وقد لقب بالطاهر الأوحى - كما يذكروا ولده للمصنف - وكان هذا اللقب مما لقبه به أبو نصر بهاء الدولة ^(٢) بن عضد الدولة بن بويه الذى كان سلطاناً على العراق فى سنة ٣٧٩ هـ بعد وفاة أخيه أبى الفوارس شريف الدولة بن عضد الدولة بن بويه .

وأكثر من هذا فإننا نجد المصنف يقول فى موطن آخر من المخطوط وهو يتحدث عن الاستعارة فى سورة ص : [وقال لى الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى - أدام الله توفيقه - عند بلوغى عليه فى القراءة من مختصر أبى جعفر الطحاوى إلى هذه المسألة ^(٣) والمعروف أن الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمى كان أستاذاً للشريف الرضى ، وكان شيخه فى الحديث كما أشار هو إلى ذلك أيضاً فى كتابه « المجازات النبوية » ^(٤) .

وفوق هذا فإننا نرى المصنف يقول فى معرض الحديث عن مجازات سورة النحل :

(١) هى آية « سنفرغ لكم أيها الثقلان » من سورة الرحمن .

(٢) هو بهاء الدولة لابىء الدين كما ذكر خطأ فى بعض المراجع الحديثة .

(٣) هى مسألة مسح الرأس كله أو بعضه . وقد عرضت هذه المسألة فى خلال الحديث عن قوله تعالى

فى سورة ص « فطقق مسحا بالسوق والأعناق » . (٤) المجازات النبوية . طبع القاهرة ص ١١٥ .

[وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله يقول ...] ويقول في مجازات سورة طه :
[وهو مما سمعته من شيخنا أبي الفتح النحوى عفا الله عنه] . ومن المقطوع به أن أبا الفتح
عثمان بن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) والذي كان إماما في النحو والعربية - كان شيخا للشرىف
الرضى ، وقد أكره الشرىف النقل عنه في كتابه « المجازات النبوية » . وقد عدّه الشيخ
عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى - مؤلف موسوعة الفدير - أستاذا له وجعل ترتيبه الخامس
في قائمة أساتذته ومشايخه ^(١) .

بقى من أدلة الاستشهاد بالشيوخ والأساندة دليل أستاذه قاضى القضاة أبي الحسن ^(٢)
عبد الجبار بن أحمد ، فإن المصنف يذكر في معرض الحديث عن استعارات سورة الكهف هذا
الشيخ المعتزلى الأصولى قائلا : [وفيما علقتة عن قاضى القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد
- أدام الله توفيقه - عند قراءتى عليه كتابه الموسوم بتقريب الأصول] ونرى الشرىف الرضى
في « المجازات النبوية » يشير إليه إشارة التلميذ إلى شيخه ، مما يقطع بأن مصنف هذا
المخطوط هو بعينه مؤلف المجازات النبوية ، وهو الشرىف الرضى رضى الله عنه .

هذه هي الأدلة المادية القاطعة بأن هذا المخطوط الذى نطبعه اليوم هو للشرىف الرضى .
بقيت بعض القرائن التى نضيفها إلى الدلائل القطعية لا لتعزيزها وتوكيدها - فهى بغير حاجة
إلى تأكيد - بل لنستكمل بها سبيل التحقيق العلمى فى مخطوط لم تترك لنا عاديات الأيام اسمه ،
ولم تبق على اسم مؤلفه . فإننا نلاحظ فى كتابنا هذا « تلخيص البيان فى مجازات القرآن »
أسلوبا أدبيا عاليا يمشى مع الأسلوب العلمى فى درب واحد . وقد اجتمع هذا فى الشرىف
الرضى بما لم يجتمع لغيره من المؤلفين ، فإن العبارة هنا أدبية متأنقة واضحة الحجة ، بينة المعالم
لا تشوبها عجمة ، ولا يعيبها غموض ، ولا يشينها إبهام . اسمع قوله فى قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ

(١) الفدير ، للشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى ج ٤ ص ١٦٢ طبعة النجف .

(٢) كذا فى الأصل . وهو فى الأعلام للزركلى : أبو الحسين . وكذلك جاء فى « الفدير » ج ٤

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٤﴾ : [وهذه استعارة ، والمراد بها - والله أعلم - أن الشعراء يذهبون في أقوالهم المذاهب المختلفة ، ويسلكون الطرق المتشعبة ، وذلك كما يقول الرجل لصاحبه إذا كان مخالفاً له في رأى ، أو مباعداً له في كلام : أنا في واد وأنت في واد . أى أنت ذاهب في طريق ، وأنا ذاهب في طريق . ومثل ذلك قولهم : فلان يهبُّ مع كل ريح ، ويطير بكل جناح ، إذا كان تابعاً لكل قائد ، ومجيباً لكل ناعق . وقيل إن معنى ذلك تصرّف الشاعر في وجوه الكلام من مدح ، وذم ، واستزادة ، وعتب ، وغزل ، ونسيب ، ورثاء ، وتشبيب . فشبهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة ، والسبل المختلفة .

ووصفُ الشعراء بالهيام فيه فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها ، والإبعاد في غاياتها . لأن قوله سبحانه : يَهِيمُونَ ، أبلغ في هذا المعنى من قوله : يَسْعَوْنَ أو يسرون . ومع ذلك فالهيام صفة من صفات من لا مسكة له ، ولا رجاحة معه . وهي مخالفة لصفات ذى الحلم الرزين ، والعقل الرصين [] .

فالعبرة هنا أنيقة ، وفيها ضرب من المزاجية التي يعرفها كل من قرأ للشريف كتابه في المجازات النبوية ، أو قرأ له بعض ما نشر من رسائله .

على أن قارىء المجازات النبوية ، وقارىء مجازات القرآن هنا يجد أن القلم الذى جرى هنا هو بعينه الذى جرى هناك ، وأنهما جميعاً ينبعان من معين واحد ، هو ذلك الفيض البليغ الذى كان يقطر به قلم الشريف شعراً أو نثراً . فإن في أسلوبه من العلوم ما يناسب علو نسبه ، لأن من خصه الله بهذا النسب النبوى الكريم يأبى أن يميل عن مستوى العلوم فيما يأخذ بسبيله من قول أو فعل .

على أن النفس في مجازات القرآن والمجازات النبوية يكاد من لطفه وروحه ووحدة متنفسه يدل على أن الكتاين لكتاب واحد . فلا تجد في أى من الكتاين ضرباً من

المعازلة أو التفهيق أو التعقيد أو ما إليها مما يعيب القول وقائله ... ولكنك واجد فيهما من الأدب وحسن الذوق ولطف النقد وسلامة المنهج ، ونصوع البيان وكثرة الاستشهاد وتطبيقه الحزماً ما يدل على مقام المؤلف ومنزلته من البلاغة ، وموضعه من الفصاحة . ولو كنت لا تعرف أن الشريف الرضى شاعر من الفحول العباقرة لجزمت بأن مؤلف هذين الكتابين لا بد أن يكون شاعراً ... فإن الرقة في معالجة موضوع المجازات النبوية والقرآنية لا تصدر إلا عن شاعر رقيق . إلا أنها رقة مازجها العلم الغزير ، وصاحبها المعرفة الأدبية ، وناصرها الفقه الإسلامي ، وظاهرها النحو واللغة ، فاجتمع من ذلك كله قوام معتدل سليم لكتابين سيظلان على مدى الدهور مفتاحاً لبلاغة القرآن والحديث النبوي ، من حيث اشتغالهما على أبدع الاستعارات وأعجب المجازات .

والآن وقد فرغنا من صحة انتساب هذا المخطوط إلى الشريف الرضى ، فقد يقول قائل : وما أدراكم أن هذا المخطوط هو كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » ؟ فقد يكون كتاباً آخر للشريف الرضى غير التلخيص . ونحن نقول للمعتز : على رسلك ! فإن كتب الشريف الرضى معروفة ، ما طبع منها وما لم يطبع ، وقد ذكرناه في كتب الدراسات القرآنية كتاب « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » وكتاب « معاني القرآن » وكتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » . وقد طبع « حقائق التأويل » في النجف ، وكتب الشيخ عبد الحسين الحلبي النجفي^(١) ترجمة للشريف الرضى صدر بها الجزء الخامس من هذا التفسير المطبوع . أما « معاني القرآن » فلم يطبع ، ويجوز أن يكون هو بعينه كتاب « حقائق التأويل » فاختلط أمره على مترجميه وكتاب سيرته . فلم يبق إلا كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » وهو هذا الكتاب الذي بين يديك ، وفيه من الحديث عن استعارات القرآن الكريم ما يقطع بكونه كتاب الشريف الرضى في مجازات القرآن .

(١) وهو غير الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي العالم المعاصر الذي ألف موسوعة « القدير » ، وقد ظهر منها إلى الآن تسعة أجزاء في طبعة العراق ، ومنها من طبعة إيران .

هذه الطبعة من تلخيص البيان

إذا قلنا : إن هذه الطبعة التي بين يديك - أيها القارئ الكريم - هي أول طبعة لكتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » فإننا لا نعدو الحق في قليل أو كثير ، فقد ظهر الكتاب قبل ذلك بطريقة « الفوتوتيب » ، أي أن المخطوطة الوحيدة نفسها صورت وظهرت كلها مصورة كأصلها ، مع مقدمتين لناشر الكتاب السيد محمد المشكاة ، والأستاذ حسين علي محفوظ ، ومع الفهارس للآيات والمطالب والأعلام والأمثال والأمكنة والألفاظ والأشعار . وقد طبعت المقدمتان والفهارس بطريقة الحروف المطبعية ، أما متن الكتاب نفسه فقد طبع مصوراً كما هو بأصله على النسخة الوحيدة في العالم التي كان يملكها السيد محمد المشكاة .

لهذا لم نكن مجافين للحقيقة حين قلنا إن هذه الطبعة التي تقدمها لك هي أول طبعة لهذا الكتاب ، فإن طبعة إيران المصورة عن المخطوطة لا تعدو أن تكون ثناً وتكثيراً للمخطوط نفسه ، بحروف النسخ نفسه ، وبخطه ، وبأوهامه في النسخ ، وبترميجه للكتابة ، وبغير ذلك من العقبات التي لا تيسر الاستعانة بالكتاب ، ولا تحقق المنفعة منه على وجه صحيح سليم .

على أننا هنا نعيذ أنفسنا أن ننقص ذرة من قيمة الجهد العلمي العظيم الذي بذله السيد محمد المشكاة في إخراج المخطوط على الصورة التي خرج بها ، والهيئة التي ظهر عليها . فإن تلك الفهارس التي صنعها ونسقها وافتن فيها وبذل لها من الجهد ما يقدره المنصفون - تدل على روح عامية أصيلة في نفس السيد المشكاة ، كما تدل أكبر الدلالة على أكيد رغبته في تيسير النفع بهذا الكتاب بأدنى جهد وأيسر مشقة . إلا أن عيب هذه الطريقة التصويرية في نشر المخطوطات أنها تعرض أمام عيني القارئ أصلاً محرفاً ، ونصاً غير مقوم ولا مصحح . فقد لاحظت أن أغلب ما في المخطوطة المصورة من الشعر محرف مشوه في الصفحات المصورة ،

ولعل الزمن أعجل السيد محمد المشكاة فلم يتسع له الوقت لتصحيح هذه الكثرة الكاثرة من الأخطاء والتعريفات وهو يفهرس لأبيات الشعر التي استشهد بها المؤلف في كتابه ...
ففي مجازات سورة « الطارق » استشهد الشريف الرضى بيت من الشعر شطره الأول هكذا :

* وجاءت سِلْمَ لَارْجَع فِيهَا *

فأعاده السيد المشكاة في فهرس الأشعار كما هو ، مع أن تصويبه :

* وجاءت سِلْمَ لَارْجَع فِيهَا *

والسِّلْمَ بكسر التاء المثناة الفوقية هي الداهية أو السنة الصعبة .

وفي مجازات سورة « الزمر » جاء هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي :

ولا شَبوب من الثيران أفرده عن كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإِغْرَاءِ وَالطَّرْدِ

فأعاده الناشر هكذا :

ولا شَبوب من الثيران أفرده عن كَوْرِهِ كَثْرَةُ الأَغْرَادِ وَالطَّرْدِ

والبيت - كما صحناه في المتن - هكذا :

ولا شَبوب من الثيران أفرده عن كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإِغْرَاءِ وَالطَّرْدِ

والشَّبوب من الثيران هو المَسْنُونُ منها ، والكَوْرُ : هو القطيع من الحيوان ، فهي الثيران

جمع ثور ، لا الثيران جمع نَار كما أثبتته المحقق .

على أن كثيرا من الآيات القرآنية وردت محرفة من الناسخ في المصورة المطبوعة ، وقد

فات المحقق الفاضل أن يصحح خطأها ويقيم عوجها ... ولعله أحسن الظن بناسخ المخطوطة

فوثق به في مقام لا يحمد فيه الوثوق ، وخاصة حين يحقق المرء نصا قرآنيا كريما لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

ولسنا هنا بسبيل تعداد الآيات المحرفة في المخطوطة المصورة ، والتي فات المحقق الفاضل أن

يردها إلى صواب موضعها وصحة أصلها، ولكننا نذكر هنا بعض هذه التحريفات، دفعا لهمة
التجنى على رجل لا تحملنا أسباب التقدير لعمله إلا إلى الثناء عليه والإشادة بجهده، وسبحان
من تنزه عن السهو وتعالى عن الخطأ !

الآية محرفة

الآية صحيحة

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

وَاسْتَبَقُوا الْخَيْراتِ

وَاسْتَبَقُوا الْخَيْراتِ

وَإِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَنَاحِمَهُ

وَلَنْ أَذُقْنَا الْإِنْسَانَ مَنَّاً رَحِمَةً

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْحَـ

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ الْحَـ

وَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ

فَافْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ فَتْحًا

فَافْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ فَتْحًا

وَجَعَلْنَا الْجِبَالَ أُوتَادًا

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أُوتَادًا

إن هذه الكثرة من الآيات القرآنية الكريمة المحرفة تؤكّد ما ندعو إليه ويدعو

إليه التحقيق العلمي من شدة الخذر في الاطمئنان إلى نص المخطوط وخاصة فيما يتصل

بالقرآن الكريم والحديث الشريف والآثار والأشعار ، فإن المرء قد يكون جيد الحفظ

لكتاب الله تعالى ، ومع هذا فقد يلتبس عليه الأمر ، فيخلط آية بآية ، أو يبدل حرفاً

بجرف ، مما يوسوس به الوهم أو يوحى به الظن ، وأسلم الطرق في ذلك هي الرجوع إلى

كتاب الله نفسه ، أو إلى طبعة موثقة من الحديث نفسه ، حتى تطمئن النفس إلى عملها .

ولقد لقي صديقنا المحقق المدقق الأستاذ عبدالسلام محمدهارون^(١) - جزاه الله عن العلم خيراً -

(١) انظر كتاب « تحقيق النصوص ونشرها » للأستاذ عبدالسلام هارون ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .
وهو كتاب ثمين في هذا الموضوع .

كثيراً من التحريفات لآيات من القرآن وهو يحقق طبعته الثمينة من كتاب « الحيوان »
 للجاحظ، وهي تحريفات تؤكد لنا أن الاعتماد على الحافظة في رواية القرآن الكريم قد يفضي
 غالباً إلى الوقوع في الخطأ، وهو مما لا يجوز للمسلم ارتكابه مع توفر حسن النية لديه، فلا بد
 دائماً من الرجوع إلى المصحف، ولا بد من أن يطمئن الناقل شيئاً من القرآن إلى أنه نقل عن
 المصحف نفسه، لا عن حافظ أو راوٍ مهما كان حفظه، فإن أمور الذاكرة عجيبة في هذا الباب.
 ومن أعجب تحريفات الجاحظ القرآنية في كتابه « الحيوان » :

خطأ الآية

صوابها

« فلما أتوا على وادى النمل »	« حتى إذا أتوا على وادى النمل »
« إني مبتليكم بنهر »	« إن الله مبتليكم بنهر »
« ثم اسلكي سبل ربك ذللاً »	« فاسلكي سبل ربك ذللاً »
« فلما جاء أمرنا وفار التنور »	« حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور »
« هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً »	« الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً »
« وأنهار من ماء غير آسن »	« فيها أنهار من ماء غير آسن »
« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى »	« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى »
مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا	مدبرا ولم يعقب ، يا موسى لا تحف إني لا
تحف إنك من الأمنين »	يخاف لدى المرسلون »

لقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لمهج البلاغة^(١) أن الشريف الرضى - رضى الله عنه -
 حفظ القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة . فهل نقول إن هذا الحفظ المتأخر للقرآن قد جرّ
 إلى هذه التحريفات في « تلخيص البيان » ، أم إنها تحريفات من الناسخ الذي قد يكون
 اعتمد في نسخ الآيات على حافظته فحاشته الحافظة ؟؟ .

(١) انظر « شرح ديوان الشريف الرضى » طبع عيسى الحلبي وشركاه، ص ٩٤

والحق أن السيد محمد المشكاة قد بالغ في حسن الظن بناسخ المخطوطة مبالغاً أفضت به إلى أن يترك تحقيق النص جانبا ، وأن يهتم بالفهارس البديعة أكثر من اهتمامه بإصلاح الهفوات وتصحيح التحريفات ! وهي فهارس نرى من حشو الكلام أن نزيد في قدرها ، وأن نشيد بها ، وأن نكرر الثناء على صاحبها .

وقد بلغ من حسن ظن السيد المشكاة بهذه النسخة الخطية الوحيدة أنه قال فيها : [إنها نسخة مهذبة ... إلا أنها مع ذلك لا تخلو من أغلاط قليلة لا يسلم منها أى ناسخ] ، وتلك شهادة الرجل الكريم حين يحسن الظن بالناس وبالأشياء ! فالحق أنها نسخة مملوءة بأغلاط كثيرة ستظهر من الهوامش الكثيرة التي سيلقاها القارئ هنا في هذه الطبعة المصرية .

والحق أننا كدنا نحسن الظن بالنسخة ونأسخها حينما وقعت العين لأول وهلة على خطها الواضح المقروء في سهولة ويسر ، ولكننا آثرنا جانب الحذر والحيطه على جانب الإحسان بالظن ، حين يكون حسن الظن مفضيا إلى مشايعة المخطيء ، ومتابعة المحرف ، ومجانبة المصيب !

والحق أن تصحيح الآيات القرآنية لم يتعبنا قدر ما تعبنا تقويم النص وإصلاح الشعر ، ورد أكثره إلى قائله الذين أغفلهم الشريف الرضى رحمه الله ، ثقة منه بعرفان الناس في زمانه لهذه الشواهد ولأصحابها . ولكن بعضا من هذه الشواهد الشعرية قد خفي قائلوه حتى على السابقين من المفسرين والأدباء ومؤلفي كتب الشواهد ، وصاحب « لسان العرب » نفسه ! مع أنه أكثر مصادرها ومراجعنا في آيات الاستشهاد . ومع ما بذلت من جهد في سبيل تحقيق نسبة الشعر المستشهد به إلى قائله ، فقد بقيت بضعة آيات لم أقف لها على أثر في كتب المراجع التي يجدها القارئ في فهرس خاص في آخر الكتاب ، ولعل الله يتيح لها من القراء الكرام من يزيج عنها نقاب الخفاء ، فيسهم في التحقيق بما توجيهه وشأن العلم وروابط الفكر ، وهي شأنج مجابة الدعاء ، وحقوقها واجبة الأداء .

القيمة العلمية والأدبية لهذا الكتاب

أشار الشريف الرضى فى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » إلى كتابه هذا : « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » إشارة تحمل رأى المصنف فى تصنيفه قال فيها : (فإنى عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيثة التى أطلعتها ، والدفينة التى أترتها ، من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن ، وأنى سلكت من ذلك محجة لم تسلك ، وطرقت بابا لم يطرقت ، ومارغبت إلى فيه من سلوكك مثل تلك الطريقة فى عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ...^(١)) .

وظاهر هذه العبارة أن هذا ليس رأى الشريف الرضى فى كتابه « تلخيص البيان » ، ولكنه رأى الذى يخاطبه فى مقدمة المجازات النبوية ...! وأياً ما كان الأمر فإن الحق أن الشريف الرضى سلك فى « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » محجة لم تسلك ، وطرق بابا لم يطرقت . فإن كتاباً قائماً بذاته مستقلاً بنفسه لم يظهر فى مجازات القرآن كما ظهر كتاب الشريف الرضى فى أخريات القرن الرابع الهجرى . وقد ذكرنا قبلاً أن « مجازات القرآن » لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩هـ ، لا يدخل فى باب المجاز بمعناه البيانى ومدلوله البلاغى المقابل للحقيقة عند علماء البيان ، ولكنه يستعمل المجاز بمعنى التفسير والتأويل لمعانى القرآن ، سواء أكانت واردة على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز البيانى .

أما إشارات الجاحظ وتلميذه ابن قتيبة إلى المجازات والاستعارات القرآنية بالمعنى الاصطلاحي عند البيانين فلم تكن إلا لمعا بيانية منشورة فى « البيان والتبيين » ، « والحيوان » ، « وتأويل مشكل القرآن » ، ولم تأخذ ذلك المنهج القائم الكامل الذى سلكه الشريف الرضى فى « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » .

(١) المجازات النبوية . طبع مصر . س ١٩

ومن هنا كان « تلخيص البيان » أول كتاب كامل ألف لغرض واحد ، وهو متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله كله سورة سورة وآية آية . ومن هنا كانت القيمة العلمية لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في هذا الغرض . فهو يقوم في التراث العربي الإسلامي وحده شاهدا على أن الشريف الرضى خطأ أول خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفا مستقلا بذاته ، ولم يأت عرضا في خلال كتاب ، أو بابا من أبواب مصنف . ويظهر أن الله شاء أن يظل كتاب مجازات القرآن للشريف الرضى وحده ، وأن يتفرد بهذه المزية فلا يشركه كتاب عربي آخر في مجازات القرآن . فقد ذكر صاحب « كشف الظنون » أن لعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء المصري الشافعي الدمشقي (المتوفى سنة ٦٦٠ هـ) كتابا اسمه « مجاز القرآن » ، وأن جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) قد اختصره وسماه : « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » . ف أين كتاب العز بن عبد السلام ؟ وأين مختصر السيوطي له ؟ وهل هو في مجاز القرآن بالمعنى الذي قصده أبو عبيدة ؟ أم بالمعنى البياني الاستعاري الذي انفرد الشريف الرضى بالتصنيف فيه ؟ الحق أن مصادرنا تسكت سكوتا مطبقا عن كتاب « مجاز القرآن » للعز بن عبد السلام . ولعله ضاع فيما ضاع من تراث الإسلام .

والحق أن السيوطي المؤرخ - رحمه الله - وهو يترجم لنفسه بنفسه في كتابه « حسن المحاضرة » ج ١ ص ١٨٨ ذكر ثبوتا شاملا بأسماء كتبه ورسائله ، فلم يذكر فيه اسم كتاب « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » الذي ذكر صاحب « كشف الظنون » أنه اختصره من كتاب « مجاز القرآن » لعز الدين بن عبد السلام . فكيف يفوت السيوطي نفسه أن يسجل لنفسه كتابا اختصره لسلطان العلماء قبله ؟ مع ما نعرفه من مبلغ حرص السيوطي على أن لا يفوته في هذا الثبوت الجامع كتاب واحد من كتبه ؟

إن السيوطي نفسه - في كتاب آخر من كتبه - يساعدنا على حل هذا اللغز . ففي كتابه

« الإتيان في علوم القرآن »^(١) وفي الفصل الذي عقده للحديث عن حقيقة القرآن ومجازه يقول هذه العبارة عن المجاز القرآني : (وقد أفردته بالتصنيف الإمام عز الدين بن عبد السلام ، ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته مجاز الفرسان ، إلى مجاز القرآن) .

فكيف نعال إغفال السيوطي لذكر كتابه هذا عن مجاز القرآن في ثبت مؤلفاته الذي ذكره في ترجمة حياته في كتابه « حسن المحاضرة » ؟ يبدو أن العلة من اليسر والوضوح بحيث لا تثير شكاً ولا خلافاً ولا إلغازاً ؟ فقد كتب السيوطي كتابه « حسن المحاضرة » قبل أن يؤلف « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » ، الذي يبدو أنه صنفه بأخرة من عمره ، ومن هنا لم يدرجه في ثبت مؤلفاته لأنه كان لا يزال مستكناً في طوايا المجهول المغيب .

على أن ابن شاكر الكتبي لم يذكر في « الوافي بالوفيات »^(٢) - وهو يترجم لعز الدين ابن عبد السلام - أن له كتاباً في « مجاز القرآن » مع أنه ذكر له « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » و « مقاصد الرعاية » و « مختصر نهاية المطلب » وغيرها ، فلماذا أغفل ابن شاكر الكتبي كتاب مجاز القرآن لعز الدين بن عبد السلام ؟ مع أن موضوع المجازات القرآنية نادر في التأليف الإسلامي العربي ؟ .

الحق أن هذا الإغفال قد أوقعنا على عشوة من الأمر ، وحيرة من الرأي . وليست هذه بأول حيرة وقعنا فيها ونحن نتقب عن مجازات القرآن في المصادر والمراجع ، فقد أوقعنا حاجي خليفة - صاحب كشف الظنون - في حيرة أخرى وهو يذكر لنا في حرف التاء من حروف المعجم كتاباً باسم « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » للشيخ رضى الدين العزى ! ! فما هو هذا الكتاب الذي يتفق اسمه واسم كتاب الشريف الرضى الذي تقدمه اليوم إلى القراء الكرام محققاً مصححاً مفهرساً ؟ ومن هو الشيخ رضى الدين

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٣٦ (٢) الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٨ .

العرّبيّ هذا الذى يقول صاحب « كشف الظنون » إنه مؤلف كتاب « تلخيص البيان عن مجازات القرآن »؟؟ .

الحق أننا فى داجية من الأمر مظلمة ! فإن ملاجى - أوحاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » - لم يذكّر لنا « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » للشرىف الرضى الذى يعرف المسلمون جميعا بأنه للشرىف الرضى ، والذى صرح الشرىف نفسه فى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » بأنه صنع هذا على غرار ما صنع فى كتابه « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » .

والذى نعرفه عن صاحب « كشف الظنون » أنه بجائة عن الكتب من طراز نادر فى تاريخ التراث الفكرى العربى ، فكيف فاته أن يذكّر للشرىف الرضى كتابه « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » الذى ذكره الشرىف وأشار إليه فى كتابه « المجازات النبوية » ؟

إن حاجى خليفة لا يذكّر للشرىف الرضى إلا كتابا واحدا يسميه « المجاز » ، وهو بهذه التسمية المفردة يوقعنا فى حيرة أخرى ؛ فأى المجازات يعنى ؟ أهو مجاز الحديث النبوى ؟ أم هو مجازات القرآن ، الذى صرح الشرىف الرضى نفسه بأن عنوانه هو « تلخيص البيان عن مجاز القرآن »؟؟

إن قراء « المجازات النبوية » فى الأمم الإسلامية كلها كانوا يعلمون حق العلم أن للشرىف الرضى كتابا هو « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » ، ولكنهم لم يروه ولم يطلعوا عليه ، إلا حين يجوز الاطلاع على الغيب ! حتى جاء السيد الجليل محمد المشكاة ، فوقه الله إلى العثور على نسخة خطية لهذا الكتاب الذى ينطق بالأدلة القاطعة التى

لا تثير شكاً ولا تقبل نقضاً بأنه للشريف الرضى، كما أشرنا إلى ذلك قبلاً بما لا يتسرب
الوهم إلى خلافه

فكيف سكت صاحب كشف الظنون عن ذكر « تلخيص البيان في مجازات
القرآن » ، للشريف الرضى ؟ وكيف نسب كتاباً بهذا الاسم نفسه إلى الشيخ رضى الدين
العزى ؟ فمن هو هذا الشيخ رضى الدين العزى ياترى ؟

لقد أضلاني البحث في كل مظنة وغير مظنة من كتب التاريخ والتراجم والطبقات ،
فلم أجد للشيخ رضى الدين العزى ذكراً ولا أثراً . وهنا لم أجد غير الظن بأن صاحب
كشف الظنون يكون قد وهم في الاسم فخره هذا التحريف ، أو يكون الاسم محرفاً تحريفاً
مطبعياً حين طبع كشف الظنون في استنبول سنة ١٣١١ هـ

بقى بعد هذا الكلام الطويل أن ثبت القيمة العلمية والأدبية لكتاب « تلخيص
البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضى بعد أن حققنا صحة الكتاب وصحة نسبته
للشريف الرضى ، وتفرّدّه في التراث الفكرى الإسلامى بمكان التحدث عن مجازات
القرآن الكريم ، كما تفرّد كتاب « المجازات النبوية » للشريف أيضاً بحديثه عن مجازات
السنة النبوية .

* * *

إن إعجاز القرآن في ألفاظه وأساليبه ومعانيه من الحقائق الخالدة التى أطبق المسلمون
عليها ، وقد سلك في التعبير سبلا هي مما ألفه العرب ، ولكن فصحاءهم وبلغاءهم أعجز
من أن يأتوا بمثله ولو ظاهر بعضهم بعضاً . فهذه المسالك اللطيفة والدروب الدقيقة ،
والغرائب العجيبة في التعبير ، والنكت البلاغية الخفية والظاهرة ، من يرفع الستر عنها ،
ويكشف النقاب عما حوته من روعة الجمال ، وقدسية الجلال ؟ وهذه الأسرار البلاغية في

كتاب الله ، مَنْ يُطْلِعُ دِفَائِنَهَا وَيُخْرِجُ خَزَائِنَهَا وَيَعْرِضُهَا عَرْضَ الصِّيرِ فِي الْخَبِيرِ وَالنَّاقِدِ الْبَصِيرِ ؟
وهذه الاستعمالات القرآنية العجيبة مَنْ يَجِدُ لَهَا فِي لَفْظَةِ الْعَرَبِ مَا جَرَى الْقُرْآنُ عَلَى
مُسْنُونِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ بَدْعًا مِمَّا اعْتَادَتْهُ الْعَرَبُ مِنْ وَجْهِهِ
الْكَلَامِ ؟.

وهذه المجازات القرآنية مَنْ يَمِيطُ اللَّثَامَ عَنْ حَقِيقَتِهَا ، وَيُزِيحُ الشُّبُهَةَ النَّاجِمَةَ مِنْ سُوءِ
فَهْمِهَا ؟ أَلَمْ يَفْهَمْ قَوْمٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ مَعْنَى التَّنَاسُخِ . مَعَ أَنَّ
اللَّهَ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَأْوِيلِ مَشْكِלِ الْقُرْآنِ - لَمْ يَرِدْ فِي هَذَا الْخُطَابِ إِنْسَانًا بَعِينَهُ ،
وَإِنَّمَا خَاطَبَ جَمِيعَ النَّاسِ كَمَا قَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ كَمَا
يَقُولُ الْقَائِلُ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ! وَكَلَّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ . فَأَرَادَ أَنَّهُ صَوَّرَهُمْ وَعَدَّلَهُمْ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ
رَكَّبَهُمْ مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ ، وَبَيَاضٍ وَسَوَادٍ ، وَأَدَمَةٍ وَحُمْرَةٍ .

وهذه الاستعارات القرآنية مَنْ يَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَيُبَيِّنُ أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ لَمْ يَقْصِدْ ،
وَإِنَّمَا قَصَدَ غَيْرَهُ لِعِلَاقَةٍ ؟ فَنَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ لَمْ يَقْصِدْ ظَاهِرَ
الْكَلَامِ مِنَ الْكَشْفِ عَنِ السُّوقِ حَقِيقَةً ، [وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّهُ يَكْشِفُ عَنْ شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ
- كَمَا قَالَ قَتَادَةُ - أَوْ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ . وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَقَعَ فِي
أَمْرٍ عَظِيمٍ يَحْتَاجُ إِلَى مَعَانَاتِهِ وَالْجِدِّ فِيهِ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ . فَاسْتَعِيرَتِ السَّاقُ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ] ^(١)

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ مَنْ الَّذِي يَبَيِّنُ لَنَا أَنَّهُ الْمَقْصُودُ لَيْسَ تَطْهِيرُ الثِّيَابِ
حَقِيقَةً وَإِنَّمَا الْقَصْدُ تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنَ الذُّنُوبِ ، فَكُنِيَ عَنِ الْجِسْمِ بِالثِّيَابِ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ؟ ^(٢)
ثُمَّ قَدْ تَكُونُ الثِّيَابُ هُنَا بِمَعْنَى الْأَزْوَاجِ ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى عَنِ الْأَزْوَاجِ : ﴿ هُنَّ
لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ وَاللِّبَاسُ وَالثِّيَابُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرَ النَّبِيِّ

(١) تَأْوِيلُ مَشْكِلِ الْقُرْآنِ . لابْنِ قَتَيْبَةَ ص ١٠٣ . (٢) الْمَعْدَرُ السَّابِقُ ص ١٠٧ .

عليه السلام أن يستطهر النساء، أى يختارهن طاهرات من دنس الكفر، ودرن العيب، لأنهن
مضان الاستيلاد، ومضام الأولاد^(١)

وهذه الأساليب القرآنية والمقاصد البيانية اللطاف، مَنْ يفسرها بما يزيح لثامها ويوضح
أعلامها، فيبين لنا مثلاً أن القصد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أى لا تعيبوا
إخوانكم من المسلمين، لأنهم كأَنْفُسِكُمْ، أو أن القصد من قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى
الْخُرْطُومِ﴾ أن الله عز وجل بسم وجهه يوم القيامة بالسواد جرياً على مذاهب العرب حين
يقولون: وسم فلانا بميسم سوء. أى سبه سبةً قبيحة وثنا عليه فاحشة، يريدون: ألصق
به عارا لا يفارقه، كما أن السمة لا تمحى ولا يعمفو أثرها كما قال جرير

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعتُ أنف الأخطل
أى أنه وسم الفرزدق وجدع أنف الأخطل بالهجاء، أى أبقي عليه عارا باقيا مثل الجدع والوسم؟؟
لقد تناول المفسرون والمؤولون السابقون أمثال هذه الأساليب والتعابير بالشرح
والتفسير، ملتصقين لها فى لغة العرب أمثالا وأشباها. ولكن هذه التأويلات والشروح لم تنتظم
القرآن كله سورةً سورةً من أوله إلى آخره، ولكنها كانت تأتى متفرقة متناثرة فى أقوال
المفسرين من الصحابة والتابعين. وهؤلاء كانوا يفسرون اجتهادا منهم أو سماعا من رسول
الله، الذى لم يكن يفسر شيئا من القرآن إلا آيات تعد، علمهن إياه جبريل^(٢)

فهذا على بن أبى طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - تفسيرا للقرآن
الكريم، حتى روى معمر عن وهب بن عبد الله بن أبى الطفيل قال: «شهدت عليا رضى
الله عنه يخطب ويقول: سلونى! فوالله لا تسألونى عن شيء إلا أخبرتكم. وسلونى عن
كتاب الله. فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أفى سهل أم فى جبل^(٣)

(١) تلخيص البيان، فى تفسير مجازات سورة «الدثر». (٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٩

(٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن: للزرقانى ج ١ ص ٤٨٣.

وهذا ابن عباس رضى الله عنه يسأل عن معنى آية أو لفظة من القرآن الكريم فيجيب عن علم غزير تحقيقاً لقول النبي فيه : « نعم ترجمان القرآن أنت » . فقد روى أن رجلاً جاء ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ فقال : اذهب إلى ابن عباس ، ثم تعالى أخبرني ! فذهب فسأله فقال ، : « كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات » فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره بحواب ابن عباس . فقال : « قد كنت أقول : ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتي علماً » ^(١)

فتأويل مجازات القرآن وتوضيح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه ، وتحليل استعاراته هو عمل بدأه الشريف الرضى ، متاولاً القرآن كله وفق ترتيب السور في المصحف الذى بين أيدينا ، ومتاولاً كل آية فيها مجاز وفق ترتيبها من السورة التى هى فيها . ومن هنا حق لنا أن نقول : إن الشريف الرضى فعل فى مجازات القرآن ما فعله الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ فى تفسير القرآن ، من حيث وضع التفسير لكل آية من كتاب الله أو جزء من آية مرتبة حسب ترتيب المصحف ^(٢)

على أننا ننتهز هنا هذه الفرصة لنقول إن « مجازات القرآن » لأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ قد أصبح - بعد طبعه الآن - أقدم التفاسير المطبوعة لكتاب الله ، وأنه أسبق من تفسير الطبرى بعشرات من السنين

ولسنا نعد « تلخيص البيان » للشريف الرضى تفسيراً للقرآن بالمعنى الكامل الصحيح لكلمة التفسير ، لأنه لم يتناول القرآن الكريم كلمة كلمة كما فعل الطبرى

(١) المصدر السابق ص ٤٨٤ .

(٢) قد يقال إن القراء المتوفى سنة ٢٠٧ هو أول من فسر كتاب الله آية آية حسب ترتيب المصحف كما يفهم ذلك من نص ساقه ابن النديم فى الفهرست ص ٦٦ ، ولكن ذلك ليس قاطعاً فى القضية .

والنسفي والقرطبي والبيضاوي وابن كثير وغيرهم ، ولكنه كان يعرض القرآن كله سورة سورة ، فيستخرج من كل سورة الآيات التي فيها مجاز بياني ، ويكشف عما فيها من وجوه المجاز والاستعارة والبيان . وقد تكون السورة مثلاً مائتين أو أكثر من الآيات ، فلا يخلص منها على المجاز إلا بضع عشرات من الآيات ، أما بقية الآيات التي ليس فيها مجاز فلم يتعرض الشريف الرضي لها ، ولكنه يسقطها من سمط السورة . وقد يحدث أن تكون سورة قرآنية قد خلت من المجاز جملة ، فيشير المصنف إلى ذلك قائلاً : « وليس في هذه السورة شيء من غرض كتابنا هذا » أو « ولم نجد في هذه السورة شيئاً من المعنى الذي قصدنا إليه » أو غير ذلك من العبارات الدالة على خلو السورة من المجاز ، كما فعل في سورة « عبس » و « الانفطار » وغيرها .

على أننا إذا أعرضنا جانباً عن ذكر المجازات البيانية في « تلخيص البيان » فإننا نجده بجانب ذلك قد خدم اللغة خدمة لا ينتظر صدورها إلا من مثل الشريف الرضي في علو كعبه وثبوت قدمه في لغة العرب . فهذا الفيض الغزير من العبارات الفصاح والألفاظ اللغوية ، والتراكيب التي جرت من العربية في الصميم ، والاستعمالات التي صح ورودها عن العرب الفصحاء البلغاء - هذا الفيض الفياض من الذخيرة اللغوية الحية في الأمثال والتراكيب ، قد فاض به « تلخيص البيان » فيضاً كانت مظنته في كتب اللغة لا في مجازات القرآن ، ولكن الشريف الرضي بحر صادق في القرآن الكريم محيطاً لا تنفد مادته ولا ينضب معين القول فيه ، فلا كتابه باستعمالات عربية فصيحة ساقها دعماً لقضيته وسندا لمسائله ، فاجتمع من ذلك هذا السيل اللغوي الذي لا تغب فواضله ...

وأيّن لنا بمثل الشريف الرضي ليزخر كتابه بأمثال هذه الاستعمالات :
أخذت المرأة قناعها : أي لبسته . وأخذت هذا الأمر باليد : أي بالسلطان . وأعطيته

رجلا بريشه : أى بكسوته . وأكلت الضيعُ القومَ : أى نهكتهم سنة الجذب .
وأنا بعين الله : أى بمكان من حفظه . وبكينا فلانا بأطراف الرماح : أى طلبنا دمه
وأدركنا ثأره . والقوم بيوتهم رياء : أى متقابلة . ودورُ بنى فلان تتراعى : أى تتقارب .
وعلى وجه فلان قبول : أى كل ناظر إليه يقبله قلبه وتسربه نفسه . وفلان عندى بالميزان
الراجح : إذا كان كريما عليك أو حبيبا إليك . وفلان يمشى على وجهه : إذا كان
لا ينتفع بمواقع بصره . وهما حلم الرجل : إذا احتد عند الغضب . ونفح الفرس فلانا
بحافره : إذا أصابه إصابة خفيفة ولم يبلغ فى إيلايه الغاية . وهذه المرأة فى حبال فلان :
أى فى ملكه وأسره . وهو عربى قلبا : أى عربى صريح النسب . وفلان على الواضحة
من أمره : إذا كان علما بما يورده ويصدره ؟

مركز تحقيق كامبوتير علوم إسلامي

أين لنا بمن يدون مثات من الاستعمالات الفصاح فى كتاب يتحدث عن مجازات
القرآن ؟ لقد دل الشريف هنا على أنه واسع الاطلاع فى العربية ، عليم بأسرارها ، خبير
بدقائقها ، ملم باستعمالاتها ، وأنه تنقف ثقافة لغوية بعيدة الأصول ، عميقة الجذور . وحسبه
أن يكون من بيت الرسول العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو مدينة العلم^(١) .
وأن يكون جده على بن أبى طالب باب مدينة العلم ، وأن يكون من أساتذته السيرافى
المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، وأبو على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧هـ ، وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة

(١) قال صلى الله عليه وسلم . « أنا مدينة العلم وعلى بابها ، ولن تدخل المدينة إلا من بابها » المجازات
النبوية طبع مصر ١٥٨ .

٣٩٢ هـ ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرعي المتوفى سنة ٤٢٠^(١) هـ ، وعبد الرحيم بن نباتة الخطيب العربي المعروف المتوفى سنة ٣٩٤ هـ وغيرهم .

ثم هذه الشواهد الشعرية الكثيرة المبثوثة في تضاعيف كتاب « تلخيص البيان » والتي ترتد بنسبها إلى أبي ذؤيب الهذلي ، وأبي كبير الهذلي ، والأفوه الأودي ، ، وامرئ القيس ، والنايفة الذبياني ، وعبد بن الطيب ، وعنترة العبسي ، والمتنخل ، وملاعب الأسنة ، وبقيلة الأكر الأشجعي ، وأبي الهندي ، والعديل بن الفرخ ، وطرفة ، والخطام ، وذو الرمة ، وعمر بن أبي ربيعة ، وجريز وغيرهم من أساطين الشعر العربي الذين يحتاج بهم ويستشهد بأقوالهم - ألا تدل هذه الكثرة الكثيرة من أبيات الاستشهاد على أن الشريف الرضي ضارب في أعراق الأدب العربي بأوفر السهام ، وأنه ينزع إلى صميم العربية بأعراق وأعراق . فما استشهد بشاعر واحد من المولدين - على كثرتهم - في عصره وقبل عصره . ولكنه وقف بغاية الاحتجاج عند العصر الأموي ، فلم يجاوزه إلى العصر العباسي ، الذي انقطع فيه الاستشهاد بالشعر العربي بما بدأ يدخل فيه أو يطأ عليه من العوامل التي نَحَتْه عن مكان الاستشهاد ، ومقام الاحتجاج .

أما الأحاديث النبوية التي استشهد بها الشريف الرضي في مقامات الاستشهاد فلم تبلغ من الكثرة ما يجعلها ظاهرة واضحة المعالم في الكتاب ، إنها ستة أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهن صحيح الإسناد . فحديث : (اللهم اشد وطأتك على مضر) أي أغلظ عليهم عقابك ، وضاعف عليهم عذابك ، حديث صحيح السند ذكره ابن حنبل في « المسند » عن سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة ، وقد رواه ابن سعد

(١) في المجازات النبوية طبع القاهرة ص ٢٨٣ أن الرعي توفي سنة ٤٣٥ : وهذا خطأ صوابه ما ذكره القفطي في « إنباء الرواة » بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم من أنه توفي سنة ٤٢٠ . ج ٢ ص ٢٩٧ . وهذا موافق لما ذكره جورجى زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ٢ ص ٣٠٤ ، وما ذكره العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني في القدير ج ٤ ص ١٦٢ .

في « الطبقات » عن الفضل بن دكين عن سفیان بن عینة عن بقية الإسناد السابق ، ورواه مسلم في صحيحه عن طريق يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، ورواه البخاري من أوجه كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقد أورد الشريف الرضي من هذا الحديث ما يحتاج به لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ ﴾ أما نص الحديث كاملا فهو - كما جاء في مسند ابن حنبل : (لما رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الأخيرة من صلاة الصبح قال : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسامة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين بمكة . اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف)^(١)

أما حديث : (أنا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تراءى ناراهما) فهو من صحيح أبي داود ، وقد رواه هشيم ، ومعمّر ، وخالد الواسطي . وقد أورد الشريف غير تام ، كعاداته في إيراد ما يحتاج به . ونص الحديث كاملا كما في سنن أبي داود : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل . قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين . قالوا : يا رسول الله ! ولم ؟ قال : لا تراءى ناراهما)^(٢) وقد أورد الشريف الرضي هذا الحديث في كتابه « المجازات النبوية » ليكشف هناك عما فيه من استعارة^(٣) .

أما قوله عليه الصلاة والسلام « وهل ترك عقيل لنا من دار » الذي ساقه الشريف

(١) المسند لابن حنبل ، بتحقيق المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، ونشر دار المعارف

بمصر ج ١٢ ص ٢٥٠ - الحديث رقم ٧٢٥٩ . وانظره في « صحيح البخاري » ج ٢ ص ٢٩

(٢) سنن أبي داود ج ١ ص ٢٦١ .

(٣) المجازات النبوية ص ١٩٨ .

الرضى فى معرض الحديث عن قوله تعالى فى سورة « ق » : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ فهو من الأخبار النبوية التى أضنانا العنور عليها فى مغلان كثيرة ، حتى كاد اليأس يصرفنا عن مواصلة البحث . إلى أن هداانا الله للوقوف عليه فى كتاب « إمتاع الأسماع » للمقرئى . وقد قاله النبى عليه السلام يوم فتح مكة حين مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما ، وقيل : يا رسول الله ! ألا تنزل منزلك من الشعب ؟ فقال : وهل ترك عقيل لنا منزلاً ؟ وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل إخوته^(١) .

وهذا خبر لم تأت به كتب التاريخ والسيرة والمغازى التى بين أيدينا - على قدر اطلاعنا - فكان للعنور عليه « فى إمتاع الأسماع » للمقرئى فرحة بعد طول المراجعة ، وكثرة التنقير . وقد أفادنا السيد محمد المشكاة لمحقق المخطوطة المصورة فائدة جليلة حين ذكر هذا الخبر النبوى نقلاً عن « تفسير البيان » للشيخ الطوسى (طبع طهران ج ٢ ص ٦١٤) .

وبمثل هذا الخبر النبوى نستطيع أن نقول إن « تلخيص البيان » قد ذكر من أنباء فتح مكة - على الإيجاز - ما لم تذكره أكثر المراجع التاريخية وأكبرها وأقدمها تدويناً لحوادث الرسول . وكذلك كان شأنه حين ذكر قوله عليه الصلاة والسلام : (إنكم تموتون كما تنامون ، وتبعثون كما تستيقظون) فهذا الحديث النبوى البليغ هو من خطبة

(١) إمتاع الأسماع ج ١ - ص ٣٨١ .

النبي عليه السلام ، وهي أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام . والخطبة كاملة في كتاب « جهرة خطب العرب » ج ١ ص ٥١ ، وقد نقلها صاحب الجهرة عن « السيرة الحلبية » ج ١ ص ٢٧٢ ، وعن « الكامل » لابن الأثير ج ٢ ص ٢٧

أما حديث (نعوذ بالله من الخور بعد الكور) الذي ساقه الشريف الرضى في خلال الحديث عن مجازات سورة الزمر ، فهو من الأحاديث التي أوردها المصنف في كتابه الآخر « المجازات النبوية » وهو الحديث رقم ١٠٧ من الطبعة المصرية . وقد ساقه الشريف الرضى في « تلخيص البيان » غير تام ، وتمام الحديث - كما في المجازات النبوية - : (اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والخور بعد الكور ، وسوء النظر في الأهل والمال) .

ويقتضينا التحقيق في سبيل الحق هنا أن نقول إن « الخور » هي بالخاء المهملة المفتوحة والواو الساكنة ، وهو النقصان ، و « الكور » بفتح الكاف هو الزيادة . فنقط الخور بالجيم المعجمة في نسخة إيران المصورة^(١) هو وهم لا محل له ، وخاصة بعد وجود الحديث صحيحاً في المجازات النبوية وفي معاجم اللغة^(٢) .

القراءات في تلخيص البيان

يلاحظ المتأمل عند أدنى نظر إلى هذا الكتاب أن الشريف الرضى يورد كثيراً من الآيات على قراءات غير القراءة في المصحف الذي بين أيدينا . وهي قراءات صحيحة غير شاذة ، لأنها للأئمة السبعة المروية قراءاتهم بالتواتر ، وهم ابن عامر المتوفى بدمشق سنة ١١٨ هـ ،

(١) انظر صفحة ٩٠ من فهرس « تلخيص البيان » المطبوعة تصويراً في إيران .

(٢) انظر « أساس البلاغة » للزغشري مادة (خور) .

وابن كثير المتوفى بمكة سنة ١٢٠ هـ ، وعاصم بن أبي النجود المتوفى بالكوفة - أو بالسماوة -
سنة ١٢٧ هـ ، وأبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ ، وحمزة بن حبيب الزيات (المتوفى
بخلوان سنة ١٥٦ هـ ، ونافع بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٦٩ هـ ، والكسائي
المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

ففي سورة البقرة نجد هذه الآية : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ ﴾ وقراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر : ﴿ وما يَخْدَعُونَ ﴾ .
وفي سورة النساء نجد هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ ﴾ بفعل المفاعلة
وهي قراءة .

وفي سورة الأنعام نجد هذه الآية : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ أى أن
جاعل بصيغة فاعل ، وهي قراءة رويس عن يعقوب ، وبها يقرأ أهل المدينة ، أما قراءة
حمزة والكسائي والحسن وعيسى بن عمر فهي ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾
وهي القراءة التي نقرأها نحن .

وفي سورة الأعراف ذكر الشريف الرضى قراءة « ورياشا » مع قراءة « وريشاً »
في قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا
وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

وفي سورة يونس نجد قراءة « فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ » من الجمع ، بدلاً من « فَاجْمَعُوا
أَمْرَكُمْ » من الإجماع . والأولى هي قراءة عاصم الجحدري ، وهو غير عاصم بن أبي النجود ،
وقد روى عنه عيسى الثقفي من أصحاب القراءات الشاذة .

وفي سورة هود يروى الشريف الرضى قوله تعالى : ﴿ يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ

مِنَ اللَّائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١﴾ بكسر الواو المشددة ، ومسوِّمين بفتحها ، والكسر هو قراءة أبي عمرو وعاصم وابن كثير، والفتح هو قراءة بقية السبعة

وفي سورة التحريم ذكر المصنف رضى الله عنه قراءة «نُصوحا» مع قراءة «نَصوحا» بضم النون في القراءة الأولى وفتحها في الثانية في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ والضم هو قراءة أبي بكر بن عياش قرأها عن عاصم بن أبي النجود .

وقس على ذلك كثيرا من الآيات التي أوردها الشريف الرضى على بعض القراءات السبعة الصحيحة . وقل أن نراه يلجأ إلى قراءة شاذة كما صنع في قراءة « فاجمعوا أمركم » التي أشرنا إليها سابقا .

ولا شك أن هذه القراءات التي روى بها الشريف الرضى في كتابه هذا تجعل منه مرجعا لمن يطلبون معرفة القراءات ، وتضيف إلى قيمة الكتاب قيمة جديدة يهتم بها طلاب القراءات .

افاضة الشريف الرضى في البيان

لقد كان يقال عند مؤرخى الأدب في الخمسين الماضية : إن « مجازات أبي عبيدة » هو أول كتاب في علم البيان تناول كتاب الله من الناحية البيانية فيه . ولقد تابع مؤرخو الأدب أستاذنا الشيخ أحمد الإسكندرى - رحمه الله - زمانا طويلا ونقلوا عنه كلامه هذا الذى ذكره في كتابه « الوسيط » . فلما طبع كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة في عامنا هذا بتحقيق الأديب التركى فؤاد سركين بجامعة استنبول وبمعاونة المستشرق ه. ريتز . تبين أن « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ليس إلا تفسيرا وجيزا لألفاظ القرآن الكريم ، وليس فيه من المعانى البيانية

فى كتاب الله ما يُفرى به عنوانه ، وما يوم بأنه « أول كتاب دون فى علم البيان » كما ذكر ذلك فى « الوسيط » للأستاذين أحمد الإسكندرى ، ومصطفى عنانى .

وعذر القائلين بهذا ومن تابعهم على هذا الرأى أنهم لم يطلعوا على « مجازات القرآن » لأبى عبيدة ، وقد كان مطويا فى ضائر الغيب ، ولم يأخذوا إلا بظاهر عنوان الكتاب ، وبما صنعه ابن النديم من عدّه كتاب أبى عبيدة فى كتب مجازات القرآن .

على أن الله قد أذن لمجازات أبى عبيدة أن يرى النور فى هذه الطبعة الوثيقة المحققة التى نشرها السيد سامى الخانجى ، فخدم بها الحقيقة خدمة لا تقل عن خدمته لكتاب الله تعالى بنشر هذا الأثر القديم ، الذى أصبح الآن أول وأقدم كتاب فى تفسير معانى القرآن الكريم ، بعد أن كان تفسير الطبرى له مكان الأقدمية فى هذا

ولكن أبى عبيدة - رحمه الله - لم يكن فى تفسيره هذا - أو فى مجازاته - طويل النفس ، ممدود الأمرار . فهو يوجز فى تأويل اللفظة القرآنية إيجازا قد يبلغ فى أكثر الأحيان إلى حد وضع اللفظة المفسّرة مكان اللفظة المفسّرة . كقوله فى تفسير سورة آل عمران .

﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الحسرة : الندامة .

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ أى إذا أجمعت .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلَى ﴾ : أن يمتحان .

﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾ : أى لو نعرف قتالا .

﴿ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ : أى ادفعوا عن أنفسكم .

﴿يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ﴾ : يختار .

﴿سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا﴾ : سيحفظ .

ولا يزيد أبو عبيدة على هذا التفسير اللفظي كلمة واحدة توضح المعنى ، أو تؤيده من شواهد العرب ، أو توثقه برأى بعض المفسرين السابقين عليه . ويمضى في الكتاب كله على هذا الضرب من الإيجاز كأنه يفصل التفسير على القد ، لا يزيد على الكلمة المفسرة حرفا . . . وإن كان في كثير من الألفاظ يزيد الشرح ويسوق الشاهد من شعر صحيح فصيح يحتاج به ، ويُعرب اللفظة على الوجه الذي يستقيم به المعنى المراد ، ويذكر اللغة أو اللغات في اللفظة القرآنية (١)

فإذا انتقلنا إلى ابن قتيبة - في القرن الثالث - في « تأويله لمشكل القرآن » وجدناه يطيل الشرح ويتوسع في التفسير ويزيد في بيان المعنى بما يتضح به المراد . وإذا كان الكلام لا يبين إلا بالمثل ، فإن مثلا واحدا هنا هو أبلغ في الدلالة على ما نقول ، فإن أبا عبيدة في « مجاز القرآن » يفسر قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ بقوله : [الفتيل الذي في شق النواة] (٢) ولا يزيد على هذا حرفا واحدا يبين مرامي هذه الآية ، على حين أن ابن قتيبة في « تأويل مشكل القرآن » يقول في هذه الآية : [والفتيل ما يكون في شق النواة ، والنقير النقرة التي في ظهرها ، ولم يُرد أنهم لا يُظلمون ذلك بعينه ، وإنما أراد أنهم إذا حوسبوا لم يُظلموا في الحساب شيئا ، ولا مقدار هذين التافهين الحقيرين] (٣)

(١) انظر الصفحات ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩

٣٩٦ من « مجاز القرآن » لأبي عبيدة . (٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٢٩ . (٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٤ .

فإذا انتقلنا إلى الشريف الرضى - في القرن الرابع الهجرى - وجدناه يفيض في الشرح ، ويتوسع في التأويل بما لا يكشف عنه إلا الموازنة بين هؤلاء الثلاثة في مواضع متحدة ، وآيات بعضها من كتاب الله .

فأبو عبيدة يقول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ من سورة الإسراء : [مجازة في موضع قولهم : لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق ، وهو مثل وتشبيه] على حين أن الشريف الرضى يقول في مجاز هذه الآية : [وهذه استعارة . وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة ، وإنما الكلام الأول كناية عن التقدير ، والكلام الآخر كناية عن التبذير . وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حده ، ولا يجري إلا إلى أمده ، وقد فسر هذا قوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾] .

وأبو عبيدة يقول في تأويل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ : [الخيط الأبيض هو الصبح المصدق ، والخيط الأسود هو الليل ، والخيط هو اللون]^(١) ثم لا يزيد على هذا كلمة واحدة في تفسير هذه الآية ، على حين أن الشريف الرضى يقول في بيان مجازها : [وهذه استعارة مجيبة . والمراد بها على أحد التأويلات : حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل ، والخيطان ههنا مجاز ، وإنما شبهها بذلك لأن خيط الصبح يكون في أول طلوعه مستدقاً خافياً ، ويكون سواد الليل منقضياً مولياً ، فهما جميعاً ضعيفان ، إلا أن هذا يزداد انتشاراً ، وهذا يزداد استساراً] فهل ترك الشريف الرضى - رضى الله عنه - بهذا الشرح اللطيف ، والبيان الدقيق ، والبلاغة

(١) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ص ٦٨ .

الواضحة مجالا لسائل ، أو محلا لمستوضح عن التعبير هنا بالخيط ؟ اللهم إنيك واهب البيان ،
ومعطى البلاغة بقدر لكل لسان ! .

ومثال آخر حتى تجرى الموازنة إلى مداها ... وهو قول أبي عبيدة في تفسير قوله تعالى :
﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ من سورة آل عمران : [تنقص من الليل فزيد في النهار ،
وكذلك النهار من الليل]^(١) . فاسمع هنا قول الشريف الرضى في مجاز هذه الآية الكريمة :
[وهذه استعارة ، وهى عبارة عجيبة جداً عن إدخال هذا على هذا ، وهذا على هذا .
والمعنى : أن ما ينقصه من النهار يزيده في الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده في النهار .
ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ . لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر ، بلطف المازجة ،
وشديد الملايسة] فنقص هذا من ذاك هو المعنى المشترك المردّد بين أبي عبيدة والشريف
الرضى . أما النكتة البلاغية الدقيقة في التعبير بلفظ الإيلاج بدلا من لفظ الإدخال ، فهو
مراد بعيد جاء متأخراً عن عصر أبي عبيدة ، ولكنه لم يجد أحسن من الشريف الرضى
في التعبير عن لطف مسلكه ، ودقة سبيله .

وخذ أى آية شئت - أيها القارىء الكريم - من كتاب الله العزيز ، وتتبعها عند
أبي عبيدة في مجازه ، وعند ابن قتيبة في مشكله ، وعند الشريف الرضى في تلخيص
بيانه ، فإنك مؤمن معنا في النهاية بأن سليل البيت النبوى الكريم كان أغزر الثلاثة
بيانا ، وأفصحهم لسانا ، وأبلغهم في التعبير عن مرامى القرآن بعبارة أدبية مشرقة ناصعة ،
يتضح فيها ذوق الأديب ، ورقة الشاعر ، وحسّ البليغ ، أكثر مما يتضح فيها فقه اللغوى ،
وعلم النحوى ...

(١) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ص ٩٠ .

خذ قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ واسمع ما يقوله فيها أبو عبيدة : [أى لم يلتفتوا إليه . يقال : نبذت حاجتي خلف ظهرك ، إذا لم تلتفت إليها . قال أبو الأسود الدؤلى :

نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلًا أخلقت من نعالكا]
ثم اسمع ما قاله الشريف الرضى فى كتابنا هذا : [وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم غفلوا عن ذكره ، وتشاغلوا عن فهمه ، يعنى الكتاب المنزل عليهم ، فكان كالشئ الملقى خلف ظهر الإنسان ، لا يراه فيذكره ، ولا يلتفت إليه فينظره] .

الحق أن أبا عبيدة لغوى ، على حين أن الشريف الرضى أديب شاعر مطبوع ! .
وخذ قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ فَالْقُلُوبُ الْأَصْبَاحُ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ واسمع ما يقول أبو عبيدة هنا : [منصوبتين ؛ لأنه فرق بينهما وبين الليل المضاف إلى جاعل قوله : سَكَنًا . فأعملوا فيهما الفعل الذى عمل فى قوله : سَكَنًا ، فنصبوهما كما أخرجوهما من الإضافة]^(١) ثم اسمع واقرأ هنا ما كتبه الشريف الرضى : [وهذه استعارة ، والمعنى شاقُّ الصبح ومستخرجه من غسق الليل . وقوله سبحانه : فالقُّ الإصباح ، أبلغ من قوله : شاقُّ الإصباح ، إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق ، ألا تراهم يقولون : انشق الظفر ، وانفلق الحجر . وقوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ استعارة أخرى ، ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشئ المحبوب الذى تسكن إليه النفوس وتحبه القلوب . يقال : فلانٌ سَكَنُ فلانٍ ، على هذا المعنى . والتأويل الأخير يُخرج الكلام عن معنى الاستعارة ، وهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الليل مظنة لانقطاع الأعمال ، والسكون بعد الحركات] .

(١) مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ص ٢٠١ .

ألا ترى أن أبا عبيدة في مجاز هذه الآية الكريمة أوفى تأويلها - لم يكن أكثر من نحوى إمام في النحو ، يبين لنا كيف انتصب الشمس والقمر باسم الفاعل « وجاعل » . وأن اسم الفاعل لما أضيف إلى مفعوله الأول وهو كلمة الليل جرت بالإضافة ، على أن المعطوف على هذا المفعول الأول نصب لأن محله النصب .

أما الشريف الرضى فقد خرج في هذه الآية من زمرة النحو والنحاة لأنه أديب شاعر بليغ يلتبس مواطن البلاغة والإعجاز في الكلام ، فيبين لنا الفرق الدقيق بين فلق الصباح وشقه ، ولم قال الله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ ولم يقل شاق الإصباح ؟ وما وجه الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ ؟ وكيف يفتنى المجاز عن هذا التعبير إذا فسرنا السكّن بمعناه الحقيقي وهو السكون بعد الحركة ؟

وقد يقول قائل : إن الموازنة بين الشريف الرضى وأبي عبيدة في مجازيهما للقرآن الكريم جائزة السبيل لأن سبيلهما في المجاز غير واحدة ، فأبو عبيدة مفسر (وجائز) إلى معاني القرآن من أخصر طريق ، والشريف الرضى موضح لوجوه البلاغة والبيان في القرآن . وفي هذا الكلام كثير من الحق الذى لا نعتقد معه موازنة بين اثنين مختلفي السبيل . ولكن ما ظن القارىء فيما عقده ابن قتيبة من مجاز بياني واستعارة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » وما تناوله الشريف الرضى من مجازات القرآن في كتابه « تلخيص البيان » الذى تقدمه اليوم ؟

إن ابن قتيبة لم يفهم « المجاز » على أنه التأويل والتفسير والجواز إلى المعنى كما فهمه أبو عبيدة من قبل ، ولكنه فهمه على أنه المجاز المقابل للحقيقة أو الذى تقوم العلاقة فيه على التشبيه ، وهو ما سماه ابن قتيبة نفسه بالاستعارة ، وعقد له بابا مستقلا في كتابه « تأويل مشكل القرآن » .

فلننظر كيف يوضح ابن قتيبة مجاز آية من القرآن ، وكيف يتناول الشريف الرضى هذه الآية بعينها وكيف يكشف عن المجاز فيها .

يقول ابن قتيبة في مجاز قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ وهي من سورة الرحمن : [والله تبارك وتعالى لا يشغله شأن عن شأن . ومجازُهُ : سنقصد لكم بعد طول الترك والإمهال . وقال قتادة : قد دنا من الله فراغ خلقه ، يريد أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها]^(١) .

ويقول الشريف الرضى في مجاز هذه الآية : [وهذه استعارة . وقد كان والدي الطاهر الأوحى ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي - رضى الله عنه وأرضاه - سألني عن هذه الآية في عرض كلام جرّ ذكرها ، فأجبت في الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها ، وهو أن يكون المراد بذلك : سنعمد لعقابكم ، ونأخذ في جزائكم على مساوي أعمالكم ، وأنشدته بيت جرير كاشفاً عن حقيقة هذا المعنى ، وهو قوله : *يوم ربي*

أَلآنَ وَقَدْ فَرِغْتَ إِلَى نَمِيرٍ فهِذَا حِينَ صَرْتَ لَهَا عَذَابًا ؟

فقال : فرغت إلى نمير ، كما يقول : عمدت إليها ، فأعلمنا أن معنى فرغت ههنا معنى عمدت ، وقصدت . ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال : فرغت لها ولم يقل فرغت إليها . وقال بعضهم : إنما قال سبحانه : سنفرغ لكم ، ولم يقل : سنعمد . لأنه أراد : أي سنفعل فعل من يفرغ للعمل من غير تمجيع^(٢) فيه ، ولا اشتغال بغيره عنه ، ولأنه لما كان الذي يعتمد إلى الشيء ربما قصر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له - في الغالب - هو المتوفر

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٧٧ .

(٢) التمجيع في العمل : هو عدم أخذه مأخذ الجد .

عليه دون غيره ، دُلِّلنا بذلك على المبالغة في الوعيد من الجهة التي هي أعرف عندنا ، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ ، وأدلل الكلام على معنى الإيعاد . وقال بعضهم : أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ، ومستعار له ، فالمستعار منه أصل ، وهو أقوى : والمستعار له فرع ، وهو أضعف ، وهذا مطرد في سائر الاستعارات . فإذا تقرر ذلك كان قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ من هذا القبيل . فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل وهو أفعال العباد ، والمستعار له ما لا يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال الله تعالى ، والمعنى الجامع لهما الوعيد ، إلا أن الوعيد بقول القائل : سأنفِرج لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك ، مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ كَأَنَّمَا قَالَ : سأتجرد لمعاقبتك ، كأنه يريد استفراغ قوته في العقوبة له ، ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب ، لأن معناه أسبق إلى النفس وأظهر للعقل . والمراد به تغليظ الوعيد ، والمبالغة في التحذير .]

ولا يقف الشريف الرضي عند هذا المدى من بيان الاستعارة في هذه الآية . . . ولكنه يمضي في البيان نصف صفحة أخرى حتى يوفي البيان حقه ، ويبلغ البحث أجله . فإين هذه الإفاضة في توضيح مغازي الكلام ومرامى القول في هذه الآية من قول ابن قتيبة في مجازها وهو لا يعدو ثلاثة أسطر ؟ .

على أن موازنة واحدة قد يكون فيها من الجور في الحكم ما لا نرضى لأنفسنا به ، ونحن هنا لا نوازن قصْدَ التعصب لرجل على رجل ، ولكن لنبين عن مدى التطور في النظرة إلى تأويل القرآن الكريم والكشف عن مجازه ، ووجوه إيجازه . فأبو عبيدة في القرن الثاني الهجري يوجز في التأويل والتفسير إيجازاً كان من طبيعة العصر الذي عاش فيه ، وابن قتيبة في القرن الثالث يمد في حبل البيان بما يوائم زمانه وما اقتضته سنة التدرج

في نشأة البيان . والشريف الرضى في القرن الرابع الهجرى يرخى الطول لحبل البيان ، ويمزج في ذلك بين التطور البلاغى الذى صار إليه الأمر في عصره ، وبين ذوقه الأدبى الخاص الذى انحدر إليه من ميراث آبائه الكرام ، والذى صار إليه من طبيعته الأدبية الشعرية الخاصة . فإذا بلغنا القرن الخامس رأينا الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ والذى جمع في البلاغة بين العلم والعمل ، فكان بجانب نظرياته وقوانينه البلاغية التى وضعها ، أدبياً عملياً بليغاً يختلف عن المتأخرين بعده من البلاغيين الذى سلكوا بالبيان العربى مسلك العلوم النظرية الجافة ، فأحالوا البلاغة العربية إلى ألبان وأحاج ومعميات ، بعد أن كانت عند رجل - كالشريف الرضى - تطبيقاً عملياً رائعاً للبيان العربى الناصع المشرق الملامح ، الواضح القسَمات .

ولن ننسى هنا موازنة ثانية بين ابن قتيبة والشريف الرضى في بيان المجاز في قوله تعالى في سورة ق : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأَتْ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ قال ابن قتيبة : [وليس يومئذ قول منه لجَهَنَّمَ ، ولا قول من جهنم . وإنما هي عبارة عن سعتها ^(١)] ولم يزد ابن قتيبة على هذا كلمة واحدة ، مع أنه ساق هذه الآية في باب المجاز المغاير للحقيقة . أما الشريف الرضى فإنه قال في هذه الآية : [وهذه استعارة . لأن الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان . وإنما المراد - والله أعلم - أنها فيما ظهر من امتلائها ، وبأن من اغتصاصها بأهلها ، بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ، ولا سعة عندها ، وذلك كقول الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطنى مهلا رويدا ! قد ملأت بطنى !

(١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص ٧٩ .

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ، ولكن المعنى : أن مظهر من امتلائه في تلك الحال جارٍ مجرى القول منه ، فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين ، مقام القول المسموع بالأذن . وقيل المعنى : إنا نقول لخزنة جهنم هذا القول ، ويكون الجواب منهم على حد الخطاب . ويكون ذلك من قبيل : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ في إسقاط المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وذلك كقولهم : يا خيل الله اركبي . والمراد : يا رجال الله اركبي . وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقرير لاستخراج الجواب بظاهر الحال ، لا على طريق الاستفهام والاستعلام ، إذ كان الله سبحانه قد علم امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها . وإنما قال سبحانه هذا الكلام ليعلم الخلائق صحة وعده ، إذ يقول تعالى : ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ والوجه في قوله تعالى في الحكاية عن جهنم : ﴿ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ بمعنى لا من مزيد في . وليس ذلك على طريق طلب الزيادة ، وهذا معروف في الكلام ، ومثله قوله عليه السلام : « وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ لَنَا مِنْ دَارٍ ؟ » أى ماترك لنا داراً . [

وليس بعد كلام الشريف الرضى في هذه الآية بيان ولا مزيد لمزيد ... فقد أفاض - كعادته - في الكشف عن وجوه الاستعارة في الآية الشريفة ، وأبان أن اختصاص جهنم بأهلها كان بمنزلة النطق منها بأنها لا زيادة فيها ، ولا سعة عندها ، كما أيد ذلك المجاز بقول الراجز : امتلأ الحوض وقال قطنى ، أى حسبي . فإن الحوض لا يتكلم ، وكذلك جهنم لا تتكلم ، ولكن ما يظهر من امتلاء الاثنين جَرَى مجرى النطق منهما . ثم أبان بعد ذلك أنه يجوز أن يكون المراد بالقول لجهنم هو القول لأهلها ، فكان الله تعالى قال : يوم نقول لأهل جهنم ، وهذا المجاز جائز لغة وهو الذى سماه البيانون الاصطلاحيون بعد

ذلك بالمجاز الذي علاقته المحلية ، لأن جهنم محل لأهلها ، فسكاته ذكر المحل وأراد الحال .

لعلنا قد بلغنا ما نريد من الحديث عن إفاضة الشريف الرضى في كشفه لوجوه البيان في القرآن ، وهى إفاضة سيرها القارىء الكريم واضحة في كل صفحة من الكتاب ، وفي كل موطن من موطن بيانه .

القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز

لم يكن قبول فكرة (المجاز) في القرآن الكريم أمرا سهلا عند المسلمين جميعا ، فهم مجمعون - على اختلاف مللهم ونحلهم - على وقوع الحقيقة فيه ، ولا يفترق في ذلك بعض أصحاب المذاهب عن بعض . والحقيقة عندهم هى كل لفظ بقى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير . وأكثر القرآن من الحقائق . أما المجاز - المقابل للحقيقة - فالجمهور على أنه واقع في القرآن ، وإن كان أنكره الظاهرية ، وابن القاص من الشافعية ، وابن خويزمنداد من المالكية . وشبهتهم أن المجاز غير الحقيقة ، فهو كذب ، والقرآن منزّه عن الكذب ، كما أن المتكلم لا ينصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة أو عجز عن التعبير بها فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى القادر المنزه عن العجز . فالمنكرون لوقوع المجاز اللغوى والعقلى في القرآن يحتجون لذلك بحجتين : أولاها أن المجاز كذب والكذب محال على الله ، وثانيتها أن الالتجاء إلى المجاز هو عجز عن التعبير بالحقيقة ، والعجز محال على الله .

وقد رد على هذه الشبه جماعة من المسلمين ، وكان من أسبقهم إلى ذلك ابن قتيبة الذي يقول في حرارة : (ولو كان المجاز كذبا . . . كان أكثر كلامنا فاسدا ، لأننا نقول : نبت البقل وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ، ونقول كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا ، والفعل لم يكن وإنما كَوَّن) .

ومن الذين ردوا على هذه الشبه أيضا الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ حيث يقول : (وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها)^(١)

ولعل للظاهرية - وهم أتباع الإمام داود بن علي الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠ هـ - عذرهم في إنكار المجاز في القرآن ، لأنهم يتمسكون بظاهر الكتاب والسنة - كما يدل على ذلك اسمهم - ولهذا لا يأخذون بالمجاز إلا إذا كان مشهورا وكانت القرينة واضحة معلنة عنه ، كاشفة له^(٢) . فإذا غمض المجاز أو خفيت القرينة فإنهم لا يأخذون به .

وقد جرى ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ مجرى داود الظاهري في الأخذ بالمجاز المشهور الواضح وعدم التأويل فيه مادام يجري على سنن الفصيحة في اللغة ، وذلك الظاهر هو الذي كان يفهمه العربي عند قراءة القرآن ، وكان يفهمه الصحابة والتابعون كما يدل عليه ظاهره ، سواء كان مجازا أم حقيقة ، فإن المجاز لا يخرج الكلام عن الدلالة الظاهرة الواضحة المبينة ، مادامت له قرينة واضحة^(٣) .

(١) الإنشائي في علوم القرآن ، للسيوطي مطبعة محمود توفيق ، سنة ١٣٥٢ القاهرة . ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) ابن حزم - حياته وعصره . للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٢٦ ، ٢٩٥ (٣) المصدر السابق ص ٢٢٦

وقد أودع الإمام السيوطي في « الإِتقان » كثيرا من المجازات والاستعارات القرآنية ،
وردها إلى أنواع المجاز اللغوي - وهو المجاز في المفرد لا في التركيب - وبلغت هذه الأنواع
عنده عشرين نوعا ، ثم انقسم النوع العشرون - وهو إقامة صيغة مقام أخرى - إلى
أنواع آخر تزيد على العشرين .

على أن هذه الأقسام والأنواع للمجاز والاستعارة لم يتعرض لها الشريف الرضي وهو
يكشف عن مجازات القرآن كشفا تطبيقيا بلاغيا ، فإن تلك المسميات والمصطلحات لم تكن
قد وضعت أو عرفت بعد في عصر الشريف ، الذي يقول مثلاً في مجاز قوله تعالى في سورة يوسف
عليه السلام : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات ،
والمراد : واسأل أهل القرية التي كنا فيها] . أما السيوطي فيتكلم عن هذه الآية بطريقة
اصطلاحية في علم البيان فيقول في خلال حديثه عن أنواع المجازات القرآنية : [الرابع عشر :
إطلاق اسم المحل على الحال نحو : ﴿ فَأَيَّدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أي أهل ناديه أي مجلسه ، ومنه التعبير
باليد عن القدرة نحو : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ . . . وبالقرية عن ساكنيها نحو : ﴿ وَاسْأَلِ
الْقَرْيَةَ ﴾] ^(١) .

وقد اشتدت حاجة مفسري القرآن الكريم إلى طائفة من العلوم كان على رأسها ما عرف
في القرن الخامس وما بعده بعلوم البيان والمعاني ، فقد وضعوا لمفسر القرآن شروطاً ، وأوجبوا
عليه أن يعرف علم اللغة ليعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، وأن
يعرف علم النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، وأن يعرف علم الصرف ،
فإن الجهل بالصرف قد يفضي إلى الخطأ في التفسير ، وللاإمام الزمخشري هنا كلمة نفيسة فقد قال :

(١) الإِتقان في علوم القرآن . ج ٢ ص ٣٧ .

[مِنْ بَدْءِ التَّفَاسِيرِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ « الإِمَامَ » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾ جَمْعُ أَمٍّ ، وَأَنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَمْهَاتِهِمْ دُونَ آبَائِهِمْ . قَالَ : وَهَذَا غَلَطٌ أَوْجِبُهُ جِهْلُهُ بِالتَّصْرِيفِ ، فَإِنَّ أَمًّا لَا تَجْمَعُ عَلَى إِمَامٍ] .

كما أوجبوا على المفسر أن يعرف طائفة أخرى من العلوم يبلغ مجموعها خمسة عشر علما . ولم يفهم أن يضعوا البيان والمعاني بين هذه العلوم لمعرفة خواص ترا كيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وخواصها من حيث اختلافها بحسب خفاء الدلالة ووضوحها .

وقد عد السيوطي علوم البلاغة من أعظم أركان المفسر ، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك هذا بهذه العلوم ^(١) .

مطهر « تلخيص البيان » بين كتب التفسير

ليس « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي تفسيرا للقرآن الكريم بالمعنى العام الذي تدل عليه كلمة التفسير . فهو هنا لم يفسر القرآن كله آية آية ، وإنما تناول من كل سورة ما فيها من الآيات المشتملة على مجاز . ولذا كان من الدقة أن نقول إن « تلخيص البيان » هو التفسير للآيات المجازية في كتاب الله .

على أن للشريف الرضي كتابه الكبير في تفسير القرآن ، وهو « حقائق التأويل »

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٨١ .

الذى يشير إليه في « المجازات النبوية » وفي « تلخيص البيان » ، فيسميه تارة حقائق التأويل^(١) ، ويسميه تارة بالكتاب الكبير في مواضع غير قليلة .

ولسنا الآن بصدد الحديث عن « حقائق التأويل » ، فليس هنا موضعه ، ولكننا نشير إشارة عابرة إلى قول النسابة العمري في المجدى : (شاهدت له - أى للشريف - جزءاً من مجلد من تفسير منسوب إليه في القرآن ، مليح ، حسن ، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر^(٢)) كما نشير إلى قول المؤرخ ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وهو يقول : (وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله . دل على توسعه في علم النحو واللغة)^(٣) وأعل كتابه هذا في معاني القرآن الذى يشير إليه ابن خلكان هو كتاب حقائق التأويل أو الكتاب الكبير الذى يشير إليه الشريف نفسه^(٤) .

ولقد اختلفت طرائق المفسرين لكتاب الله بحسب الروايات التى نظروا منها إليه ، وبحسب النواحي التى تخصصوا فيها ، ووقفوا دراساتهم عليها . فالنحوى لا همَّ له فى تفسير القرآن إلا الإعراب وتكثير الأوجه المختلفة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وأصوله وفروعه وخلافاته ، فهو لا ينظر فى تفسيره إلا فى هذه الناحية النحوية التى غابت عليه كما فعل الزجاج والواحدى فى « البسيط » ، وكما فعل أبو حيان فى تفسيره الكبير المسمى « البحر » ، وكما فعل فى « النهر » أيضاً . واللغوى لا ينظر فى تفسيره إلا إلى ناحية لغات

(١) انظر « المجازات النبوية » طبع مصر س ٢٥ ، وانظر « تلخيص البيان » فى مجازات سورة السائدة والتوبة والرعد والزخرف والتكوير . (٢) القدير للعلاء عبد الحسين أحمد ، ج ٤ ص ١٧٥ ، طبع النجف . (٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٣ . (٤) القدير ج ٤ ص ١٧٥ .

القرآن . والأخبارى لا هم له فى تفسير القرآن إلا العناية بالقصص وأخبار الأمم البائدة ، وما جرى للرسول مع أقوامهم ، وما أرسل الله عليهم من ألوان العذاب وأنواع الهلاك ، سواء أكانت هذه الأخبار صحيحة أم باطلة . ومن فسر القرآن على هذا النحو « الثعلبى » أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، وقد كان الثعلبى بفطرته ميالا إلى الأخبار وقصص الأمم الماضية والقرون الخالية ، وله غير التفسير كتاب « عرائس المجالس » فى قصص الأنبياء ، وهو مشهور معروف وقد طبع غير مرة . أما الفقيه فإنه - إذا فسر القرآن - يكاد يسرد فيه أبواب الفقه كلها من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد ، لا يكاد يخرج من ذلك بابا واحدا ، وربما استطرد إلى إقامة الدلائل على فروع المسائل التى لا علاقة لها بالآية التى يفسرها ، بل ربما ذهب إلى أبعد من ذلك فأورد أدلة الواقفين والمخالفين . ومن صنع ذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ فى تفسيره الكبير « الجامع لأحكام القرآن » الذى أصدرته دار الكتب المصرية فى عشرين جزءا .

أما صاحب العلوم العقلية فإنه يميلُ لتفسيره للقرآن بأقوال الحكماء والفلاسفة وأصحاب الملل والنحل والمذاهب ، وآرائهم فى العالم والكون والفساد ، والبعث والمعاد ، والعلل والغايات ، والثواب والعقاب ، كما فعل الإمام فخر الدين الرازى^(١) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى تفسيره الكبير ، فخرج عن الآيات التى يفسرها ، واستطرد وأطال الاستطراد بما يجعل من التفسير كتاباً للفلسفة ومعرضاً للمباحث العقلية ، حتى لقد قال فيه أبو حيان فى تفسيره

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين ، كان أواخر زمانه فى علوم المقول والمنقول ، وهو قرشى النسب وكان يحسن الفارسية .

المعروف بالبحر : (جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة ، لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شئ إلا التفسير) .

ومن هناصح لنا أن نقول إن « تلخيص البيان » للشيخ الرضى هو تفسير لمجازات القرآن واستعاراته ، وكشف لطيف دقيق لوجوه البيان في كتاب الله الكريم ، ولذا قلنا أن تجد فيه اهتماماً بالقصص والأخبار ، أو التفاتاً إلى أحكام الفقه ، إلا ما جاء عارضاً في مسح الرأس ، أو اشتغالا بمبحث عقلى فلسفى ، لأنه قصد منه أن يكون كتابه تفسيراً للإعجاز البيانى فى القرآن لا غير .

والكشف عن بيان القرآن يتطلب أن يكون الكاشف عنه ذا بيان قوى . حتى تكون الوسيلة شريفة شرف غايتها ، فلا يعقل أن يكشف عن بلاغة القرآن قاصر الباع فى البلاغة ، ضيق الذراع فى الفصاحة ، ولذا كان الشيخ الرضى أولى من يكشف عن بيان القرآن ، فقد رزقه الله من سحر البيان ، ودلاقة اللسان ، ووضوح الحجة ، وإشراق الديباجة ما ينهض بالعبء الذى قام به فأحسن القيام .

لقد كان الإمام القرطبى فقيهاً فغلب عليه الفقه فى تفسيره ، وكان الثعلبى إخبارياً فغلبت عليه فطرته فى القصص ، وكان الفخر الرازى حكيماً فيلسوفاً فغلبت عليه الفلسفة وهو يفسر كتاب الله . وكذلك كان الشيخ الرضى ، فإنه فرع دوحة البلاغة ، وغصن شجرة الفصاحة ، وسليل البيت الذى خصه الله بالبيان ، فغلب ذلك على تفسيره الصغير المسمى « تلخيص البيان » ، وقد وصفناه بالصغير على طريق المقابلة ، حين وصف هو نفسه تفسيره الآخر بالكتاب الكبير . .

أيهما أسبق

مجازات القرآن أم مجازات النبوة ؟

للشريف الرضى غير هذا الكتاب فى مجازات القرآن كتاب آخر فى « المجازات النبوية » ، وقد تناول فيه أكثر من ثلثمائة وستين حديثاً من أحاديث الرسول عليه السلام ، اشتملت على مجازات ولطائف استعارات ودقائق كنيات . وقد كنا قبل نشر المجازات النبوية نعد من مجازات الحديث وكنياته قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، كقوله عليه السلام : (الآن حمى الوطيس) و (هذنة على دخن) ، و (إياكم وخضراء الدمن) وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء .

فلما طبع « المجازات النبوية » لأول مرة فى العراق منذ أربعين عاماً تنبه الناس إلى حفول الحديث النبوى بكثرة رائعة من الحجاز ، ولما أعيدت طبعته فى مصر سنة ١٣٥٦ هـ سنة ١٩٣٧ م ازداد عدد الذين وقفوا على هذه الكثرة من مجازات الرسول ، وتابعوا ذلك الشرح البيانى البليغ الذى جرى به قلم الشريف الرضى ، ورأوا فيه لوناً من الأدب العلوى الرفيع ، والذوق البلاغى الدال على حس مرهف .

ولم يتناول الشريف الرضى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية شرح غريبه كما صنع أبو عبيدة فى كتابه « غريب الحديث » وكما صنع ، الأصمعى وابن الأعرابى ، وابن قتيبة ، وابن الأنبارى ، وابن دريد ، والحضرمى ، والسلمى ، وابن درستويه ، وابن رستم وغيرهم من عشرات المصنفين فى غريب الحديث النبوى .

لا ! لم يفعل الشريف الرضى ذلك ، لأن البيان هنا غلب عليه ، كما غلب عليه

فى تفسيره لمجاز القرآن ، فألف « المجازات النبوية » : (إذ كان فى الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله كثير من الاستعارات البديعة ، ولمع البيان الغربية ، وأسرار اللغة اللطيفة^(١)) وأشار من ذلك إلى مواضع النكت ، ومواقع الغرض ، بالاعتبارات الوجيزة ، والإيماءات الخفيفة .

ولقد وجد الشريف نفسه أمام نصين أو مصدرين من مصادر البلاغة العربية ، أولهما معجز وهو القرآن الكريم الذى أنزل على النبي محمد ، وثانيهما فيه من معجزات البلاغة والفصاحة وجوامع الكلم ما جعله تاليا لكلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين^(٢) . فنصب الشريف الرضى مسنون عزمه لخدمة هذين المصدرين المقدسين عند المسلمين والعرب ، وتتبعهما تتبع دارسهما ، مفتون بهما ، ليكشف عما فى كل منهما من جمال التعبير ، وروعة البيان ، وسحر البلاغة ، ولطف المسلك ، ووضوح الحجة ، وإشراق الديباجة ، مما لم يعد أن يكون جاريا على سنن العرب ، ولكنهم لا يرقون إلى مثله مهما انقادت لهم أعنة الكلام ، وذلت لهم أزمة البيان .

فأى المصدرين البلاغيين بدأ الشريف الرضى فى الكشف عن وجوه المجاز والإعجاز؟ إنه يقول فى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » : (فأنى عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيثة التى أطاعتها ، والدفنية التى أترتها ، من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن) ثم يقول فى موضع آخر من المجازات النبوية : (وقد استقصينا الكلام على ذلك

(١) المجازات النبوية طبع القاهرة ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) لباب الآداب ، للأثير أسامة بن منقذ . . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر

في كتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن (وهاتان الإشارتان فيهما دليل على أن كتاب تلخيص البيان كان سابقاً في تأليفه على المجازات النبوية ، وإلا لم يصنع المجازات النبوية على غرارها ، ويسلك مثل تلك الطريقة^(١) التي سلكها في التلخيص .

ولكننا نجد في « تلخيص البيان » إشارة إلى كتاب المجازات النبوية ، فترى الشريف الرضى - في مجازات سورة الشعراء - يقول : (وقد استقصينا الكلام على معنى هذا الخبر في كتاب مجازات الآثار النبوية) ، وهذا نص يفهم منه أن « المجازات النبوية » كانت سابقة في التأليف على « تلخيص البيان » .

ويبدو من ظاهر الإشارتين في التلخيص والمجازات النبوية أنهما متعارضتان ، حيث يحيل في التلخيص على المجازات النبوية ، ثم يحيل في هذه على التلخيص ، ولكن المشكلة أهون حالاً من أن يظن فيها تعارض ، أو يتوهم فيها تناقض ، فالذي يبدو أن الشريف الرضى - رحمه الله - كان يشتغل في تصنيف الكتابين في وقت واحد ، فهو يكتب هنا ويحيل على الكتاب الثاني ماداماً في حوزته ، وهو يجمع مادة المجازات النبوية في الوقت الذي كان يصنف فيه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » ، فلما ظهر هذا الأخير واستحسن عند الخاصة والعامة ، ولقى من مشافهة الاستحسان ما اطمأنت به نفس الشريف - أخرج كتابه الآخر في المجازات النبوية ، بعد أن كان بالفعل قد أعد مادته ، ومضى فيه لطيته .

(١) مقدمة المجازات النبوية ص ١٩

عصر الشريف الرضى

عاش الشريف الرضى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وأدرك ست سنوات من القرن الخامس . وولد سنة ٣٥٩ هـ ، وتوفى سنة ٤٠٦ هـ . فكانه بذلك أدرك ثلاثة من خلفاء العباسيين ، وهم المطيع ، والطائع ، والقادر .

وكان الخلفاء فى ذلك العهد لا يملكون من الأمر شيئاً ، فليس الأمر بيدهم ، ولا تصارىف الحكم لهم ، وإنما كانت الدولة والكلمة والسلطان كله لبنى بويه الذين تغلبوا على بنى العباس ، ونزعوا من أيديهم كل سلطان ، وبدأوا ذلك فى عام سنة ٣٣٤ هـ أى ربع قرن قبل مولد الشريف .

على أن سلطان الخلفاء العباسيين كان قبل ذلك ضعيفاً - أى قبل أن يمسك بنو بويه بزمام السلطان - فقد كان الخليفة المقتدر العباسى ، وهو أول خلفاء القرن الرابع الهجرى صبيهاً ضعيفاً ليس له من الأمر شىء ، وقد روى فى انتخابه للخلافة بعد المكتفى أن يكون حدثاً صغيراً غراً ، وكان ابن القرات الوزير مسئولاً عن هذه الفضيحة الخلافية حين رشحه للخلافة قائلاً : (إنه صبي لا يدري أين هو ، وعامة سروره أن يُصرف من المكتب !) وكانت سنه حين اختيار للخلافة ثلاثة عشر عاماً .

ولقد كانت قوة بنى بويه على حساب الخلفاء العباسيين ، وكان معز الدولة بن بويه صاحب الأمر والنهى فى العراق ، على حين كان الخليفة مجرداً حتى من وزير يزرله ، وإنما كان له كاتب يدبر له إقطاعاته . وصار معز الدولة يستوزر لنفسه من شاء . ولقد بلغ من كراهة بنى بويه للعباسيين أن معز الدولة فكر فى أن يزيل اسم الخلافة أيضاً عن بنى العباس ، ويجعلها للعلويين ، لأنه كان شيعياً ، وكان يعتقد أن العباسيين اغتصبوا الخلافة من

مستحقيها وأولى الناس بها وهم العلويون . ولكن بعض خواص معز الدولة أشار عليه أن لا يفعل ذلك ، وقال له : (إنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلسست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا) فأعرض ابن بويه عما كان عزم عليه ، وأبقى للعباسيين اسم الخلافة ، وانفرد هو بالسلطان .

وما الظن بخليفة كالمستكفي ، لا يجلس في كرسي الخلافة منذ استيلاء معز الدولة ابن بويه إلا أربعين يوماً ، ثم يخلع لأن معز الدولة اتهمه بالتدبير عليه ! وهو أضعف من أن يدبر . وقد كان يخلعه مأساة مضحكة مبكية ، فقد دخل عليه اثنان من نقباء الديلم يصيحان وتناولوا يده ، فظن أنهما يريدان تقبيلها ، فمدها إليهما ، فجذباه عن سريره ، وجعلتا عمامته في حلقه ، ونهض معز الدولة ، واضطرب الناس ، ونهبت الأموال ، وساق الرجلان الخليفة المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة بن بويه فاعتقل بها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء .

ولقد كان الشريف الرضي في مستكن الغيب حين وقعت هذه المأساة ، ولكن ما من شك في أنها رويت له وهو طفل بعد مولده سنة ٣٥٩ هـ ، وما من شك في أنه حين سمعها تعجب غاية العجب من مآسى الخلفاء .

ولقد ولد الشريف في الخامس الأخيرة من خلافة المطيع العباسي ، ثم كان في الخامسة من عمره حين تولى الطائع الخلافة العباسية سنة ٣٦٣ هـ ، ثم كان في الثانية والعشرين من عمره حين تولى القادر الخلافة سنة ٣٨١ هـ ، وتوفي في السنة الخامسة والعشرين من عهد هذا الخليفة .

وشهد الشريف الرضى من عهود بني بويه عهد عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، ولكنه كان في ذلك الحين صبيّاً لم يزد على الثامنة من عمره ، وعهد عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى سنة ٣٧٢ هـ ، وعهد صمصام الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٣٧٦ هـ ، وعهد شرف الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٣٧٩ هـ ، وعصر بهاء الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٤٠٣ هـ ، وأدرك من عصر سلطان الدولة بن بهاء الدولة ثلاث سنوات ، إلى أن توفي سنة ٤٠٦ هـ كما سبق القول .

وقد شهد البيت البويهى صراعاً بين رجاله الذين شاركوا في بنائه ، وغلبت المطامع عليهم ، فطمع بعضهم في بعض ، حتى لقد بلغ من عضد الدولة أن طمع في ملك العراق وكان من نصيب ابن عمه بختيار ، فتربص به الدوائر ، وما زال به بين تهديد وإغراء حتى سَلَّم له بختيار بملك العراق ، فدخل عضد الدولة بغداد ظافراً ، وأمر بآبن بقية وزير بختيار أن يلقى بين قوائم الفيلة لتقتله ، ووصلب الوزير على رأس الجسر ، وهو الوزير الذى رثاه الشاعر الأنبارى بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

علو في الحياة وفي المات لحق أنت إحدى المعجزات

ولم يكن صمصام الدولة بأسعد حظاً من بختيار ، فقد اضطرب عليه أمر العراق حين خرج عليه أخوه شرف الدولة وناصبه العدا و قطع الخطبة باسمه ، وهزم الجيش الذى سيره إليه . و انتهى الخلاف بين الأخوين بأن أصبح شرف الدولة سلطاناً على العراق ، فدخل بغداد سنة ٣٧٦ هـ ، ولما توفي سنة ٣٧٩ هـ تولى العراق بعده أخوه بهاء الدولة . ولم يهدأ له الأمر ، فقد خرج عليه أقاربه وأهل بيته من بني بويه ، وحاولوا نزع السلطان منه ، ولكنه انتصر عليهم .

وبهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى هذا هو سلطان العراق الذى اتصل به الشريف الرضى ، ومدحه مدائح جياذا ، وأطال القصائد فى مدحه . وطال الأمد بهاء الدولة وهو ملك على العراق من سنة ٣٧٩هـ إلى سنة ٤٠٣هـ - أى ما يقرب من أربعة وعشرين عاما ، والشريف الرضى دائم الصلة به ، مجوّد المدائح فيه ، مطيل الثناء عليه ، محسن الدعاية معه . . . فى خاطبه تارة بالشعر الوحشى ، وأخرى بالقصائد الإنسانية ، ويرق فى المديح فيقول مهنثاً إياه بعيد المهرجان سنة ٤٠٠هـ :

انج من روعات أيا م وغارات خطوب
 باقيا ما اختلف النور رُ على الغصن الرطيب
 هزّه الريح سلبا من وُصوم وعبوب
 لائقك الخطب إلا راميا غير مصيب
 كلما أفنيت عقيباً جادى دهرٌ بعقيب
 مهرجان عاد إلما م محب بحبيب
 وافدا جاء من الإقبال فى زور غريب
 إن ريب الدهر أمسى لك مأمون المنيب^(١)

ويقول من قصيدة أخرى مادحا إياه وشاكراله على تلقيبه « بالرضى ذى الحسين »
 وذلك سنة ٣٩٨هـ :

رفعت اليوم من قدرى وأوطأت العدا عقيبى

(١) شرح ديوان الشريف الرضى ، طبع عيسى الحلبي ج ١ ص ١٠١ .

ووسَّعتَ لى الضَّيقَ إلى المضطرب الرُّحْبِ
 وزاوجت لى الطَّوْلَ زواج الماء للعُشْبِ
 فكم من نعمة منك كعرف المنديل الرطب
 أتنتى سمحة القود ذلولا سَهْلَةَ الرَّكْبِ
 مَهْنَةً كما ساغ زلال البارد العذب
 وما إنعامك الفمرُ بزوارٍ على الغبِّ

ويظل الشريف الرضى على ولائه ووده وإخلاصه لبهاء الدولة البويهى حتى يموت

سنة ٤٠٣ هـ ، فيرثيه بقصيدة يقول منها :

رزيئة لم تدع شمسا ولا قمرًا ولا غماما ولا نجما ولا فلًا
 لو كان يُقبل من مفقودها عوض لأنفق الجدُّ فيها كل ماملكا
 لا يُبعد الله أقواما رزيتهم لو نالوا من جنوب الطود لانتبهكا
 فقدتهم مثل فقد العين ناظرها يبكي عليها بها ، ياطول ذلك بُكا !
 لا تبصر الدهر بعد اليوم مبتسما إن الليالى أنست بعده الضحكا ..

هذا هو الوضع السياسى للعراق فى العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى ، وهو وضع يبين لنا ضعف الخلافة العباسية من ناحية ، ونفوذ بنى بويه وسلطانهم ونزعهم السلطة من أيدي الخلفاء من ناحية ثانية ، كما يصور لنا مطامع بنى بويه ومناقسات بعضهم لبعض على السلطان ، واتهام الأخ حتى على أخيه من ناحية ثالثة .

ولقد أثرت هذه الاضطرابات السياسية ، والمؤامرات والفتن والدسائس بين أبناء بويه من ناحية ، وبينهم وبين العباسيين والأتراك من ناحية أخرى ، كما أثرت الخلافات والمنازعات

بين السنيين والشيعة من ناحية ثالثة - أقول أثر ذلك كله في الاستقرار السياسي والاجتماعي في العراق جملة ، وفي بغداد على جهة الخصوص . فنقد شهدت طفولة الشريف الرضى - وهو في الثانية من عمره - الفتنة الكبرى التي حدثت بالكرخ سنة ٣٦١ هـ ، فأرسل أبو الفضل الشيرازي - وزير معز الدولة البويهى - من طرح النار على دور أهل الكرخ ، فاحترقت أموال عظيمة واحترق جماعة من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات . وكان جملة ما احترق - كما يروى المؤرخ ابن الجوزى - سبعة عشر ألف إنسان ، وثلاثمائة دكان ، وثلاثمائة وعشرين دارا ، ودخل في جملة الإحصاء ثلاثة وثلاثون مسجدا^(١)

وما من شك في أن هذا التفكك في جسم الخلافة العباسية كان سببا في اجتراء الأجانب عليها ، وطمع الأعاجم فيها ، ومهاجمتهم لها . ألم يشهد مولد الشريف الرضى سنة ٣٥٩ هـ دخول الروم أنطاكية الإسلامية ، فملكوا البلاد ، وأخرجوا الشيوخ والعجائز والأطفال على وجهم حيث شاءوا ، وأخذوا الشباب من النساء والغلمان والصبيان فخلوهم على وجه السبي ، فكان عددهم أكثر من عشرين ألفا^(٢) ؟

لقد فزع المسلمون لسقوط أنطاكية في يد الروم على هذا النحو الفظيع ، ويروى المؤرخ يحيى بن سعيد أن الناس كان يخيل إليهم أنها لن تغلب .

ولم يكن سقوط أنطاكية أول صدع في بناء الخلافة العباسية ، أو المملكة الإسلامية

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . لابن الجوزى . طبع حيدر آباد الدكن . ج ٧ ص ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥١ .

على جهة العموم - ففي سنة ٣٦٤ هـ فتحت بعلبك و بيروت . واضطر أهل دمشق المسلمون أن يفتدوا أنفسهم من الروم بدفع ستين ألف دينار ، يحملونها للروم كل عام .
في هذا العصر القلق المائج بأحداث كبار ، المرزوء بفتن ومؤامرات لاحدها ، المنكوب بخلفاء للإسلام بلغوا من الوهن حدا لازيادة بعده لمستزيد ، المملوء بأمرء يقتلون أنفسهم وإخوتهم وأبناء عموماتهم وأهل بيته في سبيل مطامعهم الذاتية - في هذا العصر عاش الشريف الرضى وعاش من قبله أبوه أبوأحمد الحسين ، فنكب الأب الجليل نكبة بلغت من نفس ابنه الشريف مبلغا عظيما ، فأنطقته بالشعر البليغ ، والشكوى المريرة ، ولم تصده عن أن يمضى في العلم والبحث والدرس والتفقه إلى أجله ، فأمتع الأدب العربي بالروائع الخالدات .



الحياة الأدبية في عصر الشريف كميون علوم ردي

كان النصف الثاني من القرن الرابع الهجري - وهو الزمن الذي عاش فيه الشريف الرضى - ميدانا للأدب استبق فيه الفحول ، وقد كان انقسام الدولة العباسية إلى دويلات وإمارات عاملا من عوامل النهضة التي أخذت تتميز في هذا العصر ، فقد كان الأمرء ينافس بعضهم بعضا في تشجيع العلم والأدب . وانتقلت مراكز التشجيع من قصور الخلفاء إلى دور الأمرء والسلاطين والوزراء والعمال في الأقاليم المختلفة ، فهؤلاء البويهيون أسهموا في النهضة العلمية الأدبية في القرن الرابع بما لا يليق بنصف إغفاله ، فقد كانوا لا يستكتبون ولا يستوزرون إلا العلماء والشعراء والأدباء . وابن العميد والصاحب ابن عباد من الوزراء الأدباء المؤيدين لهذه القضية . وقد كان ملوك بني بويه أنفسهم

مشهورين بميلهم إلى الأدب والعلم والمساهمة فيهما . وهذا عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ شارك في عدة فنون من الأدب ، وقرب إليه الأدباء والعلماء وحشهم على التأليف . فآلف له أبو إسحاق الصابى كتاب « الناجى » فى أخبار آل بويه ، وآلف له أبو على الفارسى النحوى المشهور كتاب « الإيضاح » و « التكملة » فى علم النحو ، وقصده فحول الشعراء فى عصره كالمتنبى والاسلامى وغيرهما ، وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن - كما ذكر الثعالبي صاحب يتيمة الدهر - كما كان عز الدولة وتاج الدولة بن عضد الدولة من شعراء بنى بويه .

ومن الوزراء الأدباء الذين ظهرُوا فى عصر بنى بويه « ابن العميد » الذى وزر لركن الدولة بن بويه ، « وسابور بن أردشير » الذى وزر ليهاء الدولة البويهى ، وكان شاعرا أديبا ، وهو الذى أنشأ فى الكرخ خزانة كتب عظيمة وقفها على إفادة الناس ، ينهلون من منابعها ، ويستخرجون أثمن ما فى بطونها ، وليس يحفل فى هذا المقام أن تغفل « الصاحب ابن عباد » وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة البويهى ووزير أخيه فخر الدولة ، وكان من المعالم الأدبية الواضحة فى الأدب العربى .

واقد بلغت الكتابة فى هذا العصر مباحا يدل على ماوصلت إليه البلاغة العربية تطبيقا لا نظريا ، واشتهرت الرسائل فى هذا العصر بالجمال وبلوغها قمة الفن الأدبى ، ووصوها بالبيان العربى المشرق إلى الغاية التى عدت آية فى التعبير الجميل . وكانت البلاغة وحدها سبيل السكتاب إلى أكبر المناصب مهما اختلفت ديانتهم ، فالصابى الكاتب المترسل البليغ قد ديوان الرسائل ببغداد ، مع أنه كان على دين الصابئة ولم يدخل فى الإسلام ، ولما مات هذا الكاتب العبرى على دينه الخالف للإسلام لم يمنع

ذلك الشريف الرضى - وهو نقيب العلويين - أن يرثيه رثاء بليغا متفجعا ، فقال فيه :

ثكلتك أرض لم تلد لك ثانيا أنى ومثلك معوز الميلاد ؟

مَنْ للبلاغة والفصاحة إن همى ذاك الغمام وعبَّ ذاك الوادى ؟

مَنْ للملوك يحز في أعدائها بظبا من القول البليغ حداد ؟

ولقد أحس الصابى نفسه قدر نفسه ومنزلته في البلاغة فقال مفتخرا :

وقد علم السلطان أنى أمينه وكتبه الكافى السديد الموفق

فيمنأى يمناه ، ولفظى لفظه وعينى له عين بها الدهر يرمق

ولى رَقَرَتْ تضحى الملوك فقيرة إليها لدى أحداثها حين تطرق^(١)

على أن الشريف الرضى نفسه قد أسهم في أدب الرسائل ، فقد دارت بينه وبين

بعض الأعلام من عصره رسائل أدبية أثبت السيد على خان المذنى المتوفى سنة ١١١٨ هـ

بعضها في كتابه (الدرجات الرفيعة) ونشر بعضها في الأجزاء الأولى من مجلة العرفان

التي يصدرها في صيدا ، إلى اليوم ، الشيخ أحمد عارف الزين .

وقد أشار ابن النديم في « الفهرست » إلى كتاب « مراسلات الشريف

الرضى » وهو مما جمعه أبو إسحاق الصابى الذى كان معاصرا للشريف والذى رثاه

شاعرنا بالدالية التى ذكرنا منها الثلاثة الأبيات السابقة^(٢) . ولكن كتاب الصابى هذا

لا يزال سرا في ضمير الغيب .

(١) رسائل الصابى ، طبع لبنان ص ٨ .

(٢) الفهرست ، طبع مصر ص ١٩٤ .

فالشريف الرضى لا يقف بالشعر وحده في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، وإنما كان منشئاً مترسلاً بليغاً لا يقل عن كبار المترسلين في عصره ، من أمثال أبي الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، وأبي بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ، وأبي إسحاق الصابى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، والصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، و بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، وأبي الفتح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ، وأبي الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ .

ولقد ازدهر عصر الشريف الرضى بجماعة من الأدباء والنقاد ، فوق كتاب الرسائل البلقاء الذين سبق القول عنهم ، كأبي علي التنوخى صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » و « المستجاد من أفعال الأجواد » و « نشوار المحاضرة » وقد توفى سنة ٣٨٤ هـ ، وأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، وهو صاحب كتاب « الصنائع » و « ديوان المعاني » وغيرها ، وكالشريف المرتضى - أخى الشريف الرضى - وقد توفى سنة ٤٣٦ هـ ، وهو صاحب كتاب « الدرر والفرر » الذى طبع باسم أمالى السيد المرتضى ، وكالأمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ ، وهو صاحب كتاب « الموازنة بين أبي تمام والبحترى » وغيرهم .

* * *

أما النحاة واللغويون في عصر الشريف الرضى ، فكان على رأسهم ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . وابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ وقد قرأ عليه أبو علي الفارسي والشريف الرضى - كما سبق القول . وأبو سعيد السيرافى المتوفى سنة ٣٦٨ هـ وقد تتلمذ عليه الشريف الرضى - كما أسلفنا - وأبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ . والرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ .

والربيعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان من شيوخ الشريف في النحو ، وأبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ^(١) ، وهو صاحب « المجمل » و « مقاييس اللغة » . والأزهري صاحب « التهذيب » المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . والجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، وهو صاحب كتاب « الصحاح » المشهور في اللغة الذي تلخصه محمد بن أبي بكر الرازي - من علماء القرن الثامن - وسماه « مختار الصحاح » .

هذا هو مجمل الخطوط الأدبية في عصر الشريف الرضي . على أننا قد تركنا حركة الشعر والشعراء في هذا العصر ، إشاراً للحديث عنها حديثاً خاصاً يتناسب مع مكانة الشريف الشعرية ، ومع مكانته شاعراً أكثر من مكانته كاتباً مترسلاً مصنفاً . . .

الشعر والشعراء في عصر الشريف

ذهب النصف الأول من القرن الرابع الهجري بجماعة من الشعراء منهم أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام المتوفى سنة ٣٠٢ هـ ، والخيز أدرزي المتوفى سنة ٣١٧ هـ ، وأبو بكر بن العلاف المتوفى سنة ٣١٨ هـ ، وهو صاحب القصيدة في رثاء الهر التي يقول فيها : « يا هُرُّ فارقتنا ولم تُعَدِ » . وأبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . وأبو فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، وأبو الفتح كشاجم المتوفى سنة ٣٦٠ هـ . والسري الرفاء المتوفى سنة ٣٦٢ هـ . وابن هانيء الأندلسي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ وهو الذي أسف المعز

(١) اختلف في تاريخ وفاته ، فابن خلكان يقول إنه توفي سنة ٣٩٠ هـ والغضائري في ٥ إنباه الرواة ، يقول إنها سنة ٣٩٥ هـ ، ونقل ياقوت الرومي عن الحميدي أنه توفي سنة ٣٦٠ هـ ثم عقب على ذلك بأنه قول لا اعتبار به .

لدين الله الفاطمي لوفاته وقال : هذا رجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق .

واقعد ترك بعض هؤلاء الشعراء دويًا في آذان الزمان كالمتنبى وابن هانيء ،
كما ترك من قبلهما - في القرن الثالث الهجري - أبو تمام والبحتري جالجلة في سمع
الدنيا .

وجاء النصف الثاني من القرن الرابع فظهر فيه حفنة من الشعراء ، منهم أبو الفرج محمد
ابن أحمد الواواء المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ، وأبو الحسن محمد عبد الله السلامي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ،
وأبو الفرج البيهقي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، وأبو العباس أحمد بن محمد النامي المتوفى سنة ٣٩٩ هـ
وابن نباتة السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . - وهو غير ابن نباتة المصري من شعراء القرن
الثامن ، وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب الذي تتلمذ له الشريف الرضي - وصريع
الدلاء المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، ومهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ . وأبو العلاء المعري
المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

وقد تأخر الأجل بالثلاثة الأخيرين فعاشوا بعد وفاة الشريف الرضي ، بل امتد
العمر بالمعري إلى نصف القرن الخامس تقريبًا . ولكنهم على كل حال تعاصروا مع الشريف
واتصلوا به ، واتصل بهم .

ولما مات الشريف رثاه مهيار الديلمي بقصيدتين يقول في أولهما :

بكت السماء له وودت أنها فقدت غزالها ولما يفقد
والأرض وابن الحاج سدت سبله والمجد ضيم فما له من مُنجد
وبكائك يومك إذ جرت أخباره ترحا وسمي بالعبوس الأنسكد

صبغت وفاتك فيه أبيض فجره يا للعيون من الصباح الأسود !

ويقول في الثانية :

فضَّ الحمام إليك حلقة هيبة ما خاتُ حادثة تفض ختامها
واستعجلتكَ يد المنون بحمَّها قبل السنين وما اطلعت تمامها
أبكىكَ للدنيا التي طلقَتْها وقد اصطفنكَ شبابها وعُرامها
ورميت غاربها بفضلة معرض زهداً وقد أَلقت إليك زمامها

فبرغم أننى أن أبشك لوعتي والأرضُ قد بئت عليك رغامها
وأبى الوفاء - إذا الرجال تخرجت حنث اليمين فخلَّت أقسامها -
لأسهرنَّ الليل بعدك حيرة إن ليلةً عابت حزيناً نامها
ولأبدلن الصبر عنك بفرحة في الصدر لا يجد الدواء لحامها
أبكى لأطفئها وأعلمُ أننى بالدمع محتطب أشبُّ ضرامها^(١)

ومن الشعراء الذين عاصروا الشريف الرضى شاعران أخرجهما الهزل وروح المعاشة
عن أن يذكرَا في مواطن الجد ، ولكنهما لا يتخلف ذكرهما في معرض التاريخ للشعر
العربي في النصف الثاني من القرن الرابع ، وهما ابن سكرة الهاشمي ، وابن حجاج

(١) ذكر في الطبعة الأولى من « الغدير » أن المعري رثى الشريف الرضى . وهو وهم استدركه
العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد خذفه من الطبعة الثانية في طهران . والحق أن المعري رثى والده
الشريف .

الذان شغلا الناس في عصرهما بقصائد خليعة ماجنة تحدث الناس بها ، وأخذوها
سمرًا لهم .

على أن أعجب ما في حكاية هذا الشعر الماخن أن الشريف الرضى أعجب به - جريا
على ذوق عصره - فاختار من شعر ابن حجاج كتاباً سماه « الحسن من شعر الحسين » ،
ولعل هذا الاختيار كان رد فعل لما كان في نفس الشريف من سخط على مجتمع لا يحفل
بالشعر الجاد الرصين ، فلبجاً إلى شاعر هازل ليختار أحسن ما في شعره ... وهو اختيار على
كل حال لا يسوغ لنا إعجاب الشريف الرضى بشعراء العبث والمجون مع كثرة منادحه في
اختيار شعر الجادين من الشعراء . وقد يكون الشريف الرضى من المعجبين حقاً بظرف
الشاعر ابن حجاج في عصر اضطرت فيه قسوة الحوادث الناس إلى أن يتخففوا من وقارهم
وجد زمانهم ، وأن يفيدوا طباعهم المكدودة بالجد راحة . ولعل مرثية الشريف لابن
حجاج تؤكد لنا هذا المعنى حين يقول :

فزل كزيال الشباب الرطيم ب خانك يوم لقاء الغواني !
ليبك الزمان طويلا عليك فقد كنت خفة روح الزمان !!

وقد امتاز الشريف الرضى من شعراء عصره بتلك العفة اللفظية التي تطبع شعره الكثير
الفياض . فلا تراه في شعره مفحشا ، ولا نائياً ، ولا سليطاً ، ولا ماجناً .

وقد لفتت هذه الحقيقة نظر المستشرق « آدم متز » فقال^(١) : [ولم يكن يخرج من فم
هذا الرجل النبيل حقاً كلمة واحدة من تلك الكلمات القبيحة التي يتلفظ بها السوق ، والتي

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ج ١ ص ٤٥١ .

نرى أمثالها عند الصابي صاحب الرسائل ، وعند الوزير المهلبى ، وعند الوزير الصاحب بن عباد . وإذا كان غيره من الشعراء قد استباحوا لأنفسهم من الذم كل قبيح ، فإننا لا نجد للشريف الرضى فى باب المهجاء أقوى من ذم لمن بارد قبيح الوجه . وهو :

تغنى^(١) بمنظرة العيون إذا بدا وتقىء عند غنائه الأسماع
أشهى إلينا من غنائك مسمعا زجل الضراغم بينهن قراع

وإذا أخرجنا أبا العلاء المعرى من مجال الموازنة فى العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى فإن شاعرنا يحتل أعلى مكان فى النصف الثانى من القرن الرابع ، فى شعره ذلك النفس العربى الكريم ، وتلك العزة العربية الغلباء التى انحدرت إليه من أصلاب البيت العلوى ، وذلك المجد والعلا اللذان كثيرا ما دارا فى شعره ، حتى ليخيل إلى القارى أن المعالى كانت دائما على مهامس شفتيه . وهو فوق ذلك وصاف بارع ، غزل رقيق الغزل ، وفى محسن الوفاء ، راث مجيد الرثاء .

وهو فوق ذلك كثير الحكمة يسوقها فى شعره سوقا ، ويرسلها إرسالاً ، إلا أن أمثاله وحكمه لم تشتهر شهرة أمثال المتنبى وحكمه ، لأن أمثال أبى الطيب فيها من عناصر السيرة والسهولة ما يجعلها تدور على الألسن كل مدار .

أما أمثال الشريف الرضى وحكمه فكانت تحتاج إلى إعمال الخاطر ، وقدح الذهن ، وذلك يتجافى وانتشار الأمثال .

(١) فى الأصل « تغنى » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه .

الشریف الرضی بین أهل السنة والشیعة

قضى الله أن يكون الشریف الرضی فی عصر استحكمت فیہ أسباب الخلاف بین أهل السنة والشیعة ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أنه شهد فی السنة الثانیة من طفولته تلك الفتنة المروعة التي حدثت بالكرخ واحتترقت فیها دور ودكا كین وأناسی كثیرون . ولم تكن الفتن للمذهبية متركزة فی مكان بعینه ، ولكنها كانت فی العراق كله ، بل فی مدن كثيرة من بلاد فارس . وكانت كل مدينة تتلون بلون مذهبی خاص ، فكان فی مدينة « قم » غلاة من الشیعة ، وكانت أصفهان مثلاً يغلب علیها مذهب أهل السنة ، وكان یكفی أن یقال مثلاً إن شیعیاً سب الصحابة أو بعضهم ، أو أن سنیا غالی فی مدح معاوية ، فتقوم من أجل ذلك فتنة لا قبل بإطفائها . والوقائع فی ذلك كثيرة لا ینقصنا استحضارها الآن للاستشهاد ، ولكن الخیر أن یلقى علی ذلك كله ستار من النسیان لأماً للجراح ، ورأباً للصدوع .

لقد تعرض كثیر من الأشخاص للأذى من جراء هذه الفتن المذهبية التي لا طائل تحتها ، فوق ماتعرضت له المدن والجماعات من أحداث جسام . فلقد قبض معز الدولة بن بویه علی الخلیفة المستکفی ، أنزله من علی عرشه بصورة مهينة ، لأن المستکفی اتهم بأنه كان قد قبض علی رئیس الشیعة .

وبلغ من اشتداد النزاع بین هاتین الفرقتین من فرق المسامین أن الفتنة التي قامت ببغداد سنة ۳۴۹ هـ تعطلت من أجلها صلاة الجمعة بمساجد أهل السنة .

ولعل نظرة علی أحداث ذلك القرن عامماً عاماً فی کتاب « المنتظم » أو « الكامل »

أو « تجارب الأمم » ترينا كيف استحالت الحياة بين الإخوة المسلمين إلى حرب عصبية مذهبية لم يكن من الحكمة قيامها .

ويروى ابن الجوزي صاحب المنتظم^(١) « في حوادث سنة ٣٩٨ هـ نبأ الفتنة التي جرت بين أهل الكرخ والفقهاء بقطيعة الربيع ، وكان سببها أن بعض الهاشميين من أهل باب البصرة تعرضوا بمحمد بن النعمان - فقيه الشيعة المعروف بابن المعلم - تعرضا امتعض له أصحابه من الشيعة ، الذين ساروا واستنفروا أهل الكرخ دفاعا عن فقيهم ... ثم صاروا إلى دار القاضي أبي محمد بن الأكفاني وأبي حامد الأسفرائيني - وهما من علماء السنة - فسبوا وطلبوا من الفقهاء الواقعة بهم . وازدادت نار الفتنة اشتعالا حين قصد أحداث الكرخ باب دار أبي حامد الأسفرائيني ، فانتقل عنها ونزل دار القطن . وبلغت الحوادث حدا أحفظ الخليفة ، فأرسل الحرس الذين حول بابه لمعاونة أهل السنة . واجتمع أشرف الكرخ وتجارها إلى دار الخليفة القادر ، فسألوه العفو عما فعل السفهاء والأحداث الأغرار فعفا عنهم .

وفي غمار هذه الأحداث والفتن عاش الشريف الرضي ، ولكنه كان أبعد ما يكون عن التعصب ، وكان فيه من سماحة الرأي ، ورحابة الصدر واتساع النظر ما باعد بينه وبين الخوض في غمرات لم تكن من مصلحة الأمة الإسلامية في قليل ولا كثير .
ويحدثنا السيد محمد المشكاة في مقدمة النسخة المصورة من « تلخيص البيان » بأن مؤلف هذا الكتاب هو الشيعي الخالي عن التعصب^(٢) .

(١) جزء ٢ ص ٢٣٧

(٢) مقدمة النسخة المصورة من « تلخيص البيان » صفحة ن

وأدرك المرحوم الدكتور زكي مبارك ذلك وهو يتحدث عن الشريف في كتابه فقال :
(والواقع أن الشريف كان قليل الرعاية للعصية المذهبية ، والظاهر أنه كان حر العقل إلى حد بعيد)^(١) .

والحق أن الشريف الرضى قد ورث السماحة والبعد عن التعصب البغيض من أبيه
أبي أحمد الحسين بن موسى الذي كان يقوم دائما بدور المصلح للموفق بين المتخاصمين ،
وكثيرا ما التجأ إليه الخائف فوجد الأمن في كنفه ، فإن ابن الجوزي يحدثنا أنه في سنة
٣٦١ هـ وردت كتب الحاج بأن بني هلال اعترضوا الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا ،
فبطل الحج ذلك العام ، ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أبي أحمد الحسين الموسوي على
طريق المدينة ، وتم حجه^(٢)

ولما اختلف الملك الأخوان بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، وصمصام الدولة
ابن عضد الدولة بن بويه سافر والد الشريف الرضى إلى فارس ليصلح بين الأخوين
المتنازعين ، وليوفق بين غايتيهما التي أدت إلى النزاع بين العسكرين الفارسي والبغدادى .
وقد انحدرت هذه النزعة الإصلاحية الموقفة إلى أبناء أبي أحمد الحسين الموسوي والد
الشريفين ، الرضى والمرضى . ففي أحداث سنة ٤٢٠ هـ - أى بعد وفاة الرضى بأربعة عشر
عاما - نرى أخاه الشريف المرتضى يذهب مع قوم من مشايخ أهل الكرخ إلى دار
الخليفة القادر العباسي فيعتذرون من جنابة مذهبية قام بها أحداث الكرخ من أبناء
الشيعة^(٣)

(١) عبقرية الشريف الرضى ، زكي مبارك ج ١ ص ١٥١ مطبعة الجزيرة . بغداد .

(٢) المنتظم ج ٧ ص ٥٧ (٣) المصدر السابق ج ٨ ص ٤٥ .

لهذا لم يكن غريبا على الشريف الرضى أن يرث التسامح واتساع الأفق الدينى عن أبيه السمع الموفق . وقد كانت تلمذته ودراسته على مشايخه دليلا على رحابة أفقه المذهبي . فقد كان من شيوخه أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى ، وقد روى عنه الحديث ، وأبو محمد عبد الله بن محمد الأسدى الأصفهاني . وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، وكان فقيها على مذهب الإمام مالك ، وكان - بشهادة المؤرخ ابن الجوزى - شيخ الشهود ومقدمهم ، كما كان كريما مفضلا على أهل العلم^(١) .

وكانت علاقة الشريف الشيعي بهذا الأستاذ السني علاقة الابن بأبيه . وقد روى ابن الجوزى أن الشريف قرأ على هذا الشيخ القرآن ، فقال له يوما : أيها الشريف ! أين مقامك ؟ فقال : فى دار أبى بباب الحول ، فقال له : مثلك لا يقيم بدار أبيه ، ونحله الدار التى بالبركة فى السكرخ ، فامتنع الرضى ، وقال : لم أقبل من غير أبى قط شيئا ! فقال له : حق عليك أعظم لأننى حفظتك كتاب الله ، فقبلها^(٢) .

والحق أننا لم نلاحظ فيما كتبه الشريف الرضى أو نظمه أثرًا لتعصب ممقوت ، أو لحة

من عصبية ظاهرة ، ولم نرفيه خروجًا عن جادة الحلم والتوقر حين يغضب لعل بن أبى طالب أو لأبنائه وحفدته من العلويين ، ولم نلاحظ عنده عنفا فى القول ، أو غلاظة فى الدفاع إلا حين تحدث فى « المجازات النبوية » عن حسان بن ثابت شاعر الرسول والدعوة الإسلامية . فحين أخذ يكشف عن وجوه المجاز فى قوله عليه السلام : (حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين ، لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن) بدأ يقول : [وهذا

(١) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢٢٣

(٢) المصدر السابق .

الكلام عندنا في حسان متعلق بوقت مخصوص ، وهو زمن النبي صلى الله عليه وآله ،
فأما حين ظاهر أمير المؤمنين عليه السلام بعداوته ، ورماء بمعارض القول في أشعاره ،
فقد خرج من أن يكون حجازا بين الإيمان والنفاق ، وتحيز إلى جانب النعمة
والضلال ^(١) .

ولو أن الشريف الرضي - رضى الله عنه - كان من أنصار التعصب لوجد في « تلخيص
البيان » و « المجازات النبوية » مجالا فسيحا للتعبير عن تعصبه ، والتنقيص عن صدره -
لو كان ضائق الصدر - ولكنه كان أسمح من أن يثير مغمزا ، أو يوقظ نائمة ، إلا ما كان
من اتهامه حسان بن ثابت - رضى الله عنه - بالتحيز إلى جانب النعمة والضلال .



أساتذة الشريف الرضي

رأينا من علاقة الشريف الرضي ببعض أساتذته وشيوخه ما جعل أساتذه الفقيه المالكي
أبا إسحق إبراهيم بن أحمد الطبري ينحله دارا له ، فيمتنع الشريف ، لأنه لم يقبل من غير أبيه
شيئا ، ولكن الشيخ يدخل إليه من باب الأبوة الروحية العالمية فيقول له : حق عليك أعظم
من حق أبيك ، فيقبل الشريف المنحة .

والحق أننا نجد من بر الشريف الرضي بشيوخه ، وإشادته بذكورهم ، والدعاء لهم في
مصنفاته ، ما يحمل الدلالة على صفة العرفان بالجميل ، والقدر للمعروف ، وشدة الحفاظ للصنيع .
ولقد جملة الله بالأدب النبوي ، واخلق العلوى فيما يتصل بأساتذته ، فلا يذكورهم

(١) المجازات النبوية . طبع مصر . ص ١٠٥ .

في معرض الاحتجاج برأيهم إلا مترجما عليهم ، مشيدا بأقذارهم ، فلا يكتفى بأن يقول مثلاً : سمعت شيخنا أبا الفتح ابن جنى ، أو : قال لي الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي أدام الله توفيقه ، أو كنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله ، أو غير ذلك مما يفيد قراءته على شيوخه ، ولكنه حين يستحسن قولاً لأحد شيوخه أو رأياً لأحد أساتذته لا يني عن الإشارة إلى ذلك والإشادة به ، كما صنع مع شيخه أبي الفتح عثمان بن جنى الذي شرح معنى قولهم : لعمر الله ، أنهم يريدون القسم بالحياة التي يُحْيِي بها الله ، لا الحياة التي يُحْيَا بها - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فكانَّ القسم إذا أقسم بهذه الحياة دخل ما يخصه منها في جملة قسمه ، وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى ، فيصير مقسماً بحياته التي أحياه الله بها .

وقد أعجب الشريف الرضى برأى أستاذه ابن جنى في هذا التعبير ، فكتب بعد إيراده : (وكنت أستحسن هذا القول منه جداً ، وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتي عليه ، وكان عفا الله عنه كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا)^(١) فالتلميذ هنا لا يأخذ رأى أستاذه وحسب ، ولكنه يمضي في استحسانه . ويبالغ في صفة هذا الاستحسان بقوله : جداً . ثم يشير إلى نظائر لهذا كان يسمعها منه ، ثم يزيد بأن شيخه كان كثير الاستنباط والاستطلاع للخفايا . ولو أراد طالب علم أن يكون لسان صدق لأستاذه وداعية لشيخه ما بلغ ما بلغه الشريف الرضى في حق شيخه ابن جنى مع بلاغة الإيجاز .

وقد عرفنا شيوخ الشريف الرضى من إشارته إليهم في « تلخيص البيان » والمجازات النبوية « ، أو من إشارة المؤرخين إلى بعضهم بأنه قرأ عليهم أو أخذ عنهم ، كما فعل

(١) تلخيص البيان • مجازات سورة النحل .

ابن الجوزي حين أشار في « المنتظم » إلى قراءة الشريف الرضي القرآن على الفقيه أبي إسحاق الطبري المالكي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ^(١) .

والحق أن الأستاذ الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني قد زودنا في كتابه « الغدير » ببضعة عشر شيخا تتلمذ الشريف الرضي عليهم^(٢) . وقد وجدنا في الثبوت الذي أورده بأسماء شيوخ الرضي ما لم نجده فيما بين أيدينا من مراجع . ولعل المصادر الشيعية قد أسعفته بما أبت مصادرنا أن تساعفنا به .

ونحن نذكر هنا هذا الثبوت ، ونزيد عليه ما أمدتنا به المصادر من تراجم حياتهم التي وجدناها مبعثرة متناثرة في « تاريخ بغداد » و « المنتظم » و « معجم الأدباء » و « وفيات الأعيان » و « بغية الوعاة » و « النجوم الزاهرة » و « الكامل » وغيرها من مراجع الطبقات والتراجم والتاريخ :

(١) - السيرافي النحوي ، وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، سكن بغداد ، وتولى القضاء فيها . وكان ثقة في القراءات وعلوم القرآن والفقه واللغة والنحو وغيرها ، وكان من أعلم الناس بمذهب البصريين في النحو ، أما في الفقه فكان ينتحل مذهب أهل العراق . ولقد تعفف عن الكسب إلا من عمل يده ، فكان ينسخ في كل يوم عشر ورقات ليأخذ عليهن أجرا قدره عشرة دراهم ، وهن قدر مئوته . وتوفى سنة ٣٦٨ هـ . ومن هذا نعلم أن الشريف تتلمذ له وهو قبيل التاسعة من عمره .

(١) المنتظم لابن الجوزي . ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) الغدير . طبع . النجف . ج ٤ ص ١٦٢ .

(٢) - أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، كان إماماً فى النحو والعربية ، وله شعر ذكر بعضه ياقوت فى معجمه الذى يشتمل على ترجمة مطولة له . وقد روى شعر المتنبى وشرحه ، وكان المتنبى يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، ولما مات المتنبى رثاه ابن جنى بقصيدة أولها :

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب وصوّحت بعد رى دوحة الكتب
وقد صحب ابن جنى أبا على الفارسى أربعين سنة ، فلما مات أبو على تصدر عنه أبو الفتح فى مجلسه ببغداد . وتوفى سنة ٣٩٢ هـ فرثاه تلميذه الشريف الرضى بقصيدة رصينة محكمة النسيج يقول فيها :

فمن للمعانى فى الأكمة ألفت إلى باقر غيث المعانى وفاتق
يطوّح فى أنثائها بضميره مرير القوى ، ولّاج تلك المضايق
تسمّ أعلى طودها غير عائر وجاوز أقصى دحضها غير زالق
ولم يكتف الشريف الرضى بحسن الإشارة إلى أستاذه ابن جنى فى مصنفاته ، ولكنه مدحه بشعره ، عرفاناً بقدره فى البلاغة ، ومنزلته فى الفصاحة ، فقال من قصيدة :

فدّى لأبى الفتح الأفاضل إنه يبر عليهم إثم أرمّ وقال
إذا جرت الآداب جاء أمامها قريبا ، وجاء الطالبون إقالا
فتى مستعاد القول حسنا ولم يكن يقول محالا ، أو يحيل مقالا
ليقرى أسماع الرجال فصاحة ويورد أفهام العقول زلالا
ويجرى لنا عذبا نмира وبعضهم إذا قال أجرى للمسامع آلا.

(٣) - أبو على الحسن بن أحمد الفارسى ، وقد أجازته فى كتابه المسمى « بالإيضاح »

كما ذكر ذلك الشريف في « المجازات النبوية » ، وكان يسمع من شيخه ابن جني الذي كان ينشده عن أبي علي الفارسي ، كما في « تلخيص البيان » في مجازات سورة طه ، وسورة ص . وأبو علي أحد الأئمة في علم العربية ، زار كثيراً من بلاد المملكة العربية الإسلامية ، فدخل بغداد ، وقدم حلب وأقام مدة عند سيف الدولة بن حمدان . ودخل فارس فاتصل بعضد الدولة بن بويه ؛ وصنف له كتاب « الإيضاح » في قواعد العربية . وصحبه ابن جني أربعين عاماً كما سلف القول . وتوفي سنة ٣٧٧ هـ .

(٤) - القاضي عبد الجبار أبو الحسن بن أحمد الشافعي المعتزلي ، ويروي الشريف عنه قائلاً : (وفيما علقتة عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد أدام الله توفيقه) وقد ذكره الشريف في « تلخيص البيان » في مجازات سورة الكهف ، كما ذكره في « المجازات النبوية » في بيان الجاز في قوله صلى الله عليه وسلم : (الأيدي ثلاث : فيد الله العليا ، ويد المعطى بَلَعَ قَبْلَ الْوَسْطَى ، ويد السائل السفلى) واسم هذا القاضي عبد الجبار وكنيته أبو الحسن كما في « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان » . وفي الأعلام للزركلي كنيته أبو الحسين . وكان شيخ المعتزلة في عصره ، ويلقبونه بقاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . وتوفي بالري سنة ٤١٥ هـ . ولم يذكره ابن الجوزي في وفيات كتابه . وقد دلنا الشريف الرضي في « التلخيص » على أنه قرأ عليه كتابه المسمى « تقريب الأصول » كما دلنا في « المجازات النبوية » على أنه قرأ عليه كتابه المسمى « شرح الأصول الخمسة » .

(٥) - أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، وكان شيخه في الفقه . وإليه يشير في « المجازات النبوية » قائلاً : (وكنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي - رحمه الله - عند انتهائي في القراءة عليه إلى هذه المسألة من كتاب الطهارة) - وهي مسألة

الشرب في آنية الذهب والفضة - كما يشير إليه في « تلخيص البيان » في مجازات سورة ص قائلاً : (وقال لي الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي أدام الله توفيقه) . والخوارزمي هذا - كما يقول الخطيب البغدادي - هو شيخ أهل الرأي وقيهمهم ، وقد انتهت إليه الرياسة والفتوى في مذهب الإمام أبي حنيفة . وكان لا يميل إلى مباحث علم الكلام ويقول : ديننا دين العجائز ، ولسنا من الكلام في شيء . وقيل فيه : ما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى ، والإصابة فيها ، وحسن التدريس ، وقد دعي إلى ولاية الحكم مراراً فامتنع منه . وتوفي سنة ٥٤٠٣ هـ ودفن بمنزله بدرب عبدة ببغداد ، ثم نقل بعد بضع سنوات إلى تربة في سوقة غالب^(١) .

(٦) - أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح . وقد أشار إليه في « المجازات النبوية » في مجاز قوله عليه السلام : (الخلق عيال الله عز وجل ، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله) وقال عنه : (أخبرنا بهذا الحديث أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود ابن الجراح في جملة ما أخبرنا به من الأحاديث) . وأبو القاسم هذا ممن ترجم لهم الخطيب في « تاريخ بغداد^(٢) » وابن الجوزي في « المنتظم^(٣) » . وكان ثبت السماع صحيح الكتاب ، وأمل الحديث ، وكان عارفاً بالمنطق ، ومن هنا رمى باشتغاله بشيء من مذاهب الفلاسفة . وكان ينظم الشعر ، ومن شعره ما يدل على نزعة العلمية كقوله :

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقي قد حاز جهلاً وغياً

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شياً

ويظهر من النادرة التالية أنه كان يتجمل في حياته ، وأنه على الرغم من ضيق العيش كان

(١) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٢٤٧ . (٢) المصدر السابق ج ١١ ص ١٧٩ .

(٣) المنتظم لابن الجوزي . ج ٧ ص ٢١٨ .

يتجلد . فقد خرج يوما إلى جماعة من أصحابه فقال : الله بيننا وبين علي بن الجهم ،
ف قيل له : ومن هو علي بن الجهم ؟ قال الشاعر . قيل : وقد رآه السيد ؟ قال : لا ! ولكن له
بيت آذانا به . وأنشد هذا البيت :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجلد

ويظهر أنه كان غرضا لسهام الزمان ، فقد حدث أبو محمد الجوهري قال : انقطعت
عن زيارة أبي القاسم عيسى بن علي ، ثم قصدته ، فلما نظر إليّ قال :

رأيت جفاء الدهر لي فجفوتني كأنت غضبان عليّ مع الدهر

وتوفي أبو القاسم سنة ٣٩١ هـ ودفن في داره ببغداد .

(٧) - عمر بن إبراهيم بن أحمد المقرئ بن حفص الكتاني ، وقد أشار إليه الشريف
في « المجازات النبوية » وهو يتحدث عن المجاز في قوله عليه السلام : (المرأ أم الخبائث) ،
وقد سمع الشريف هذا الحديث منه في جملة ما رواه له من الأحاديث . وأبو حفص -
كما يذكّر الخطيب البغدادي - كان من رجال الحديث ، وقيل إنه كان ثقة فيه ، وذكره
ابن أبي الفوارس فقال : كان لا بأس به . وذكر صاحب « تاريخ بغداد » عن العتيقي خبر
وفاته في سنة ٣٩٠ هـ . أما النسبة « الكتاني » ففي « المجازات النبوية » ، « والغدير » أنها
الكتاني بنونين ، وفي « المنتظم » « و تاريخ بغداد » الكتاني ، بالتاء أولا والنون
ثانيا .

(٨) - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي ، ولم يذكره الشريف
الرضي في واحد من كتابيه في المجازات ، ولكن ابن الجوزي ذكر في تاريخه في وفات سنة
٣٩٣ هـ . وقال إن الرضي قرأ عليه القرآن ، وهو صاحب قصة منحه الدار بماله من حق الأبوة

الروحية عليه وهى أعظم من أبوة النسب . وأبو إسحاق كان فقيها مالكيا من المعدلين -
أى القائلين بالعدل على الله - وكان فوق منزلته العلمية كريما مفضلا على أهل العلم ، وقصته
مع الشريف هى دليل الكرم والإفضال من الأستاذ إلى تلميذه . وقد نقل ابن الجوزى
من أخباره أكثر ما كتبه عنه صاحب «تاريخ بغداد» الذى يذكر أنه كان حسن المعاشرة ،
جميل الأخلاق ، وأن داره كانت مجمع أهل القرآن والحديث .

(٩) - أبو الحسن على بن عيسى الربعى كما ذكره الشريف الرضى فى «المجازات
النبوية» فى البيان عن المجاز فى حديثه صلى الله عليه وسلم المتعلق بالزواج بعد الطلاق
ثلاثا . والربعى - كما يقول السيوطى فى بغية الوعاة - أحد أئمة النحويين وحذاقهم
الجيدى النظر الدقيق الفهم والقياس ، وكان تلميذا للسيرافى فى النحو ، ثم رحل إلى
شيراز ، فلزم أبا على الفارسى عشر سنين^(١) ثم رجع إلى بغداد حيث مات بها سنة ٤٢٠ هـ
أما أبو الحسن على بن عيسى الرمانى ، فلم يكن شيخا للشريف الرضى بالذات وإنما
كان شيخه بالواسطة . فقد كان شيخه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى يروى له عنه -
كما ذكر ذلك الشريف فى «التلخيص» فى سورة ص - ولا ندرى لماذا لم يأخذ الشريف
الرضى عن على بن عيسى الرمانى مباشرة كما أخذ عن على بن عيسى الربعى ؟ وكلاهما
معاصر له ؟.

(١٠) - مهمل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجى ، ولم يذكره الأستاذ الشيخ
عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى فى ثبت أساتذة الشريف ، وأعله سها عنه ، ولكن

(١) هذه رواية السيوطى فى «بغية الوعاة» ، ويذكر ابن الجوزى فى المنتظم ج ٨ ص ٤٦ أنها

عشرون سنة .

الشریف نفسه يذكره في أحد مصنفاته : « المجازات النبوية » في خلال التحدث عن مجازات قوله صلى الله عليه وسلم : (اخلق عيال الله) . وقد بحث عنه كثيرا في المصادر والمطالعة إلى أن وجدته في « لسان الميزان » ^(١) للحافظ الإمام ابن حجر العسقلاني المؤرخ المحدث المشهور ، وقد نقل عن ابن أبي الفوارس أن سهلا الديباجي كان رافضيا غالبا ، وذكر أنه توفي سنة ٣٨٥ هـ .

(١١) - الشيخ المفيد أبو عبد الله بن المعلم محمد بن النعمان ، وكان من أهل التحقيق وانتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته ، وقد صنف كثيرا من الكتب في الفقه والأصول وعلم الكلام ، وذكر ابن الجوزي في المنتظم (ج ٨ ص ١١) أن الشريف المرتضى - أخا الرضى - كان من أصحابه ، وذكر أنه لما توفي ببغداد سنة ٤١٣ هـ رثاه المرتضى فقال :

مَنْ لِفَضْلٍ أَخْرَجَتْ مِنْهُ خَيْثًا وَمَعَانٍ فَضَضْتَ عَنْهَا خَتَامًا
مَنْ يَنْبِرُ الْعَقُولَ مِنْ بَعْدِ مَا كُنَّ ^(٢) هُمُودًا ، وَيَفْتَحُ الْأَفْهَامَا
مَنْ يَبْعِرُ الصَّدِيقَ رَأْيَا إِذَا مَا سَلَّ فِي الْخُطُوبِ كَانَ حَسَامًا ؟

ويذكر صاحب « الغدير » أن الشريف الرضى قرأ عليه هو وأخوه المرتضى .

(١٢) - أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، وقد ذكره صاحب « الغدير » : وأبو عبد الله المرزباني أديب إخباري مؤرخ . وهو صاحب « معجم الشعراء » وهو تراجم للشعراء إلى عصره ، على حروف المعجم ، وهو مصدر وثيق لمؤرخي الأدب . ووصفه ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » بأنه كان ثقة في الحديث ، ومائلا إلى التشيع في

(١) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني - طبع حيدر آباد الدكن بالهند ج ٣ ص ١١٧ .

(٢) في « المنتظم » : من بعد ما نحن همودا . وهو تحريف . ولعل العوَاب ما أثبتناه .

المذهب . وبلغ من اهتمام المرزباني بالشعر والشعراء أنه أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي واعتنى به - على ميله هو إلى التشيع - فرفع بذلك الصنيع درجة العلم فوق حدود التعصب . وتوفي سنة ٣٨٤ هـ ، وقيل سنة ٣٧٨ هـ . والأول أصح على ما يراه صاحب « الوفيات » .

(١٣) - أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي الأصفهاني . وقد ذكره صاحب « الغدير » في ثبت شيوخ الشريف الرضي ، ولم أجد ذلك في مصادر . وابن الأصفهاني هذا كان كريما مفضلا على أهل العلم ، وقد ولي قضاء مدينة المنصور ، ثم ولي قضاء باب الطاق ، ثم جمع له قضاء بغداد سنة ٣٩٦ هـ . وكان أكثر من واحد من أهل الحديث يثنون عليه ثناء حسنا ويذكرونه ذكرا جميلا . وتوفي ابن الأصفهاني سنة ٤٠٥ هـ كما يذكر صاحب « تاريخ بغداد » ودفن في داره بنهر البزارين .

(١٤) - أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد الخطيب المشهور المعروف بابن نباتة الفارقي ، وهو صاحب « ديوان الخطيب المنبرية » المشهور ، وكان مبرزاً في الأدب والبلاغة ، وأجمعوا على أن خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها . والتقى هو والشاعر المتنبي في خدمة سيف الدولة ابن حمدان . وأثرت غزوات سيف الدولة في الشاعر والخطيب ، فنظم المتنبي قصائده الحماسية الحربية ، وصنع ابن نباتة خطبه في الجهاد والحث عليه . واشتهر ابن نباتة بالتقوى والصلاح . وتوفي بحجاب سنة ٣٧٤ هـ^(١) .

(١٥) - أبو محمد الشيخ الأقدم هارون بن موسى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . وقد ذكره صاحب « الغدير » ولم أهتم إلى مصدره .

« (١) كما في « معجم المطبوعات العربية » و « الأعلام » لخبر الدين الزركلي . وفي « الغدير » ج ٤ ص ١٦٢ أنه توفي سنة ٣٩٤ هـ ولعله تحريف من المطبعة .

الشريف الرضى

بين القرآن والحديث وكلام الإمام على

لقد كانت البلاغة هي السمة التي غابت على الشريف الرضى حين نثر وحين شعر .
والحق أنه وقف أمام ثلاثة مصادر لتدفق البلاغة العربية ، فعكف عليها ونهل من مواردها ،
واستخرج ما فيها من كنوز بلاغية ، فجلاها أمام أهل العربية في آنق أثوابها ، وأقشبه
أبرادها ، وأجمل معارضها .

وهذه المصادر الأصلية للبيان العربي هي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وكلام
الإمام على .

وكانت مهمة الشريف الرضى في القرآن والحديث هي الكشف عما فيها من وجوه
البيان ، وضروب البلاغة ، وجهات النصيحة ، حتى تحقق للقرآن الكريم الإعجاز ، مع أن
ألفاظه لم تخرج عما كان العرب يستعملونه من ألفاظ ، وما يدور في لغتهم من كلمات . وحتى
تحقق للحديث النبوي ذلك المقام البلاغي ، والمنزل البياني الذي لا يدانيه مقام ولا يقاربه
منزل ، لأن صاحبه صلى الله عليه وسلم أوتي الحكمة وجوامع الكلم .

أما مهمة الشريف الرضى في كلام الإمام على كرم الله وجهه فكانت تأليف كتاب
يحتوى على مختار أقواله [في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواظ
وآداب ، علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ،
وثواب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتاب ،
إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة وموردها ،

ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا ، ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى ، وفيه عبقة من الكلام النبوى^(١) .

ولقد أنتج لنا اهتمام الشريف الرضى بهذه المصادر البلاغية ثلاثة كتب من خير ما صنف فى البيان العربى ، لأنها كتب خالصة فى البلاغة ، صريحة فى البيان ، خالية من المصطلحات البيانية المتأخرة بعد ذلك ، تلك المصطلحات التى جعلت من البلاغة علماً جافاً ، وقواعد جامدة ، ونظريات تحفظ ولكنها لا تخرج بليغاً ، ولا تصب على قولها فصيحاً .

وكان كتاب « تلخيص البيان » هو الذى كشف فيه الرضى عن وجوه البيان فى كتاب الله ، وكتاب « المجازات النبوية » هو الذى تناول فيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بجلاء عرائسه ، واستخراج نفائسه . أما كتاب « نهج البلاغة » فقد كان كله جمعاً لكلام الإمام على ، ونظماً لعقود درره ، وضماً لأشتات لآله . وامله - لو طال به الأجل رضى الله عنه - لصنع فى كلام على كرم الله وجهه ما صنعه فى حديث الرسول عليه السلام ، من الكشف عن وجوه بيانه ، وبيان جمال استعاراته ومجازاته .

والحق أن الشريف الرضى بهذه الكتب الثلاثة قد استكمل صفات الموطد أركان البلاغة العربية ، والداعم أساسها ، والمقيمها على قرار مكين من المعالجة البيانية الواضحة ، التى لا يحاجزها عن حسن التأتى معاذلة ولا تعقيد ولا التواء . وتلك يد سلفت

(١) من مقدمة الشريف الرضى لكتاب « نهج البلاغة » طبع مصر . ص ٢ ، ٣ .

من الشريف الرضى للبيان العربى ، تجعلنا نعدّه رائداً كبيراً من رواد البلاغة والفصاحة الذين مهدوا الطريق - بتلك الدراسة البلاغية الكاملة للقرآن والحديث - لمن جاء بعدُ من علماء البلاغة النظريين .

ولن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين أشدّاقهم من أن « نهج البلاغة » هو من كلام الشريف الرضى نفسه ، وأنه ليس للإمام على كرم الله وجهه . فتلك قضية أحسن الدفاع فيها « ابنُ أبى الحديد » فى القديم ، كما أحسن الدفاع عنها فى زماننا هذا الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد^(١) .

نعم ! لن نعيد القول فى هذه المسألة ، ولكننا نشير إلى ما ذكره جورجى زيدان^(٢) من أن كتاب « نهج البلاغة » هو للشريف المرتضى - لا الشريف الرضى - مع تطابق الأخبار والآثار على أن النهج هو للرضى . وقد أخذ جورجى زيدان بأوهن القولين فى هذه القضية ، ونقل عن ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » ، ولكنه لم ينقل النص كاملاً ، ولا الكلام تاماً ، فاجتزأ من النقل بما يوهم أن « نهج البلاغة » للمرتضى ، وعبر عن ذلك بأنه « المشهور » ، مع أنه قول مرجوح . ولو أنصف جورجى زيدان لقال كما قال ابن خلكان : (وقد اختلف الناس فى كتاب « نهج البلاغة » المجموع من كلام الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى^(٣) ؟) .

والحق أن كتاباً من كتب الشريف الرضى لم ينل من الاهتمام به ، والتعليق عليه ، وحفظه ، وكثرة الشروح له ما ناله كتاب « نهج البلاغة » الذى جمعه من كلام الإمام

(١) انظر مقدمة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد لـ كتاب « نهج البلاغة » .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ، جزء ١ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

على كرم الله وجهه ، فقد ذكر صاحب « الغدير »^(١) أكثر من سبعين شرحا له ، وذكر أسماء أصحابها على مر العصور مما يقرب من عصر الشريف إلى زماننا هذا ، ولولا أنها مما لا يدخل في مجال حديثنا الضيق لأتينا على أسمائها جميعا .

تأليف الشريف الرضى

لقد زخر عصر الشريف الرضى بطائفة من المصنفات فى شتى العلوم ، سواء أكان ذلك فى الأدب والنحو واللغة والتاريخ والفقه والحديث والكلام وغيرها . ويكفى أن يكون من إنتاج هذا العصر كتب ابن العميد والخوارزمى والصاحب بن عباد وبدیع الزمان الهمداني ، و « يتيمة الدهر » للشعالبي ، و « الصناعتين » و « ديوان المعاني » لأبى هلال العسكري ، و « الدرر والغرر » للشريف المرتضى ، و « الموازنة بين الطائفتين » للآمدى ، و « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى ، و « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني ، و « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، و « الخصائص » لابن جنى ، و « التهذيب » للأزهري ، و « مقاييس اللغة » لابن فارس ، و « الصحاح للجوهري » ، و « الفهرست » لابن النديم ، و « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، وغيرها مما ألف فى مصر وأفريقية والأندلس ، « كزهر الآداب » للحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣هـ ، و « تاريخ مصر » لابن زولاق المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٣٨٧هـ ، و « الأفعال » لابن القوطية الأندلسى المتوفى سنة ٣٦٧هـ .

(١) الغدير ج ٤ ص ١٦٤ - ١٦٩

والحق أن مصنفات الشريف الرضى تحتل أسمى مكان في لجج هذا البحر الواسع من التأليف العربى الإسلامى فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ونحن هنا مثبتون ما استطعنا الحصول عليه من ثبت مؤلفاته :

(١) - « نهج البلاغة » ، وهو مما جمعه الشريف الرضى من كلام الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة ، وتناوله كثيرون بالشرح ، حتى بلغت شروحه أكثر من سبعين شرحا ، أشهرها وأوسعها شرح ابن أبى الحديد أبى حامد عز الدين عبد الحميد المتوفى سنة ٦٥٥ هـ . وقد اختصره المولى سلطان محمود الطبسى . ونهج البلاغة شروح باللغة الفارسية منها « منهاج الولاية » وهو شرح المولى عبد الباقى الخطاط الصوفى التبريزى المتوفى سنة ١٠٣٩ هـ . وشرح المولى تاج الدين حسن المعروف بملا تاجا .

(٢) - « المجازات النبوية » ، وقد ذكرناه غير مرة فى هذه الدراسة ، وهو يشتمل على بيان وجوه المجاز والاستعارة ، والكشف عن مواقع النكت البلاغية والطرف البيانية فى ٣٦١ حديثا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد طبع فى العراق سنة ١٣٢٤ هـ ، سنة ١٣٢٨ هـ ، ثم طبع فى مصر طبعة وثيقة بتحقيق المرحوم الأستاذ محمود مصطفى المدرس بكلية اللغة العربية .

(٣) - « تلخيص البيان ، فى مجازات القرآن » أو « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » كما فى مقدمة « المجازات النبوية » ، وهو هذا الكتاب الذى نكتب له هذه المقدمة التحليلية ، ولم يطبع قبل اليوم ، ولكن السيد محمد المشكاة نشر مخطوطته المصورة على طريقة « الفوتوتيب » بإيران سنة ١٣٦٩ هـ ، وألحق به فهرس جلية

ضافية وكتب له مقدمة في سبع صفحات ، كما كتب له الأستاذ حسين علي محفوظ مقدمة في ثمانى صفحات . وقد قال ابن خلكان عن هذا الكتاب : إنه جاء نادرا في بابه^(١) .

(٤) - ديوان شعره ، جمعه أبو حكيم الخبزي « بفتح الخاء وسكون الباء » المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع في بيروت سنة ١٣٠٧ هـ . بشرح الشيخ أحمد عباس الأزهرى ، ومحمد اللبائيدى في جزئين صفحاتها ٩٨٦ . وطبع في بمباى سنة ١٣٠٦ هـ في ٥٤٩ صفحة . وتولى في مصر الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد القيام بشرحه وطبعه في مطبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٨ هـ ، ولكن لم يبلغ فيه إلا إلى قافية الباء . وقد ظهر هذا الجزء في ٤٨٠ صفحة وضبط الشعر بالشكل التام .

(٥) - « خصائص الأئمة » وقد أشار إليه الشريف الرضى نفسه في مقدمته لكتاب « منهج البلاغة » وذكر أنه ألفه - أو ابتدأ تأليفه - في عنوان السن وغضاضة الغصن ، وأنه يشتمل على محاسن أخبار الأئمة وجواهر كلامهم ، فلما فرغ من الخصائص التى تخص الإمام عليا كرم الله وجهه ، عاقته عن إتمام الكتاب محازرات الزمان ومماطلات الأيام . والظاهر مما كتبه الشريف الرضى في مقدمته لمنهج البلاغة أن « خصائص الأئمة » لم يتم تأليفه ، وأن « منهج البلاغة » هو فصل من فصول خصائص الأئمة . ويذكر صاحب الغدير أن عنده نسخة من خصائص الأئمة ، ويعجب مما قاله الشيخ الحلّى من أنه توجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المنهج ، ولكن لم تصح نسبتها .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٢ ص ٣ .

(٦) - « حقائق التأويل في متشابه التنزيل » ويشير الشريف الرضى إليه دائماً في « المجازات النبوية » وفي « تلخيص البيان في مجازات القرآن » فيسميه تارة بالكتاب الكبير^(١) ، وتارة باسم حقائق التأويل - كما في مجازات سورة آل عمران وسورة المائدة - ويسميه ثالثة الكتاب الكبير في متشابه القرآن . وقد أسماه النجاشي « حقائق التنزيل » ، كما أطلق عليه صاحب « عمدة الطالب » : « كتاب المتشابه في القرآن » .

(٧) - « معاني القرآن » ، وقد ذكره له ابن شهر آشوب في « المعالم » وقال عنه إنه يتعذر وجود مثله . وقال فيه ابن خلكان المؤرخ في « وفيات الأعيان » : « إنه صنف كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله ، دل على توسعه في علم النحو واللغة » ولا نستطيع الجزم إذاً ما كانت هذا الكتاب هو بعينه « حقائق التأويل » أم كتاباً غيره .

مركز تحقيق كتاب مؤيد علوم إسلامي

(٨) - « الحسن من شعر الحسين » وقد ذكر ذلك في ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٣٠٧ هـ ونقل ذلك المستشرق متر في كتابه « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري »^(٢) . وقد كان الشريف صديقاً للحسين^(٣) أبي عبد الله بن أحمد بن الحجاج الشاعر المأجور الظريف ، ووصفه حين رثاه بأنه كان خفة روح الزمان . وكان الرضى معذوراً حين اختار من شعر الحجاج في هذه المختارات ، فإن الثعالب يقول عنه (إنه على علاته تنفكه الفضلاء بثمار

(١) انظر تلخيص البيان ، مجازات سورة المائدة ، والتوبة ، والرعد ، وإبراهيم ، والزخرف .

(٢) جزء ١ ص ٤٤٩ .

(٣) في البيعة: اسمه الحسن ، والنصوب عن الوفيات ، والأعلام الزركلي ، والغدير لعبد الحسين أحمد .

شعره ، وتستملح الكبراء بينات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفته وقذعه^(١) ولعل الثعالبي كان يقصد بالاحتشمين الشريف الرضى وأضرابه ممن تجلمهم أقدارهم وأحسابهم عن النزول إلى المجون . ولكن شعر ابن الحجاج لم يكن سخيلاً كله ، ولا ما جئنا كله ، فله قطع رائعة خالية من الفحش المفرط ، كانت تسر النفس وتعيد الأنس - كما يقول صاحب يتيمة الدهر - وامل هذه القطع هي التي اختارها الشريف الرضى فيما اختار .

(٩) - وله « كتاب رسائله » الذي جمعه أبو إسحق الصابي وكان معاصراً له ، وقد ذكر ذلك ابن النديم في « الفهرست »^(٢) . وهذا الكتاب مطوى في أحناء الغيب ، ولعل الأيام لو كشفت عنه النقاب ، وأزالت عنه الحجاب تدلنا على ذخيرة أدبية رائعة في فن الرسائل ، الذي لم يقل فيه الشريف الرضى عن أمراء الرسائل في عصره ، من أمثال صاحب الصابي والخوارزمي وغيرهم .

(١٠) - أخبار قضاة بغداد . وقد ذكره له ابن عنبسة الحسنى الداودي المتوفى سنة ٨٣٩هـ ولا نعرف عنه شيئاً ، وذكره صاحب « الغدير » في ثبت مؤلفاته .

(١١) - سيرة والده . وهو مما ذكره الحسنى في « عمدة الطالب » ، في مناقب آل أبي طالب . ويقول العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : إن هذا الكتاب ألفه الشريف الرضى سنة ٣٧٩هـ ، أي قبل وفاة والده بواحد وعشرين عاماً .

(١٢) - أما ما ذكره المؤرخ جورجى زيدان من أن للشريف الرضى كتاب « انشراح

(١) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٥ . (٢) الفهرست ص ١٩٤ .

الصدر ، في مختارات من الشعر « فهو غير دقيق تمام الدقة ، لأن انشراح الصدر هذا ليس إلا منتخبات من شعر الشريف الرضى ، اختارها بعض الأدباء كما يذكر حاجي خليفة في « كشف الظنون »^(١) وهو يتحدث عن ديوان الشريف الرضى .

استقلال شخصية الشريف في النقد

يبدو الشريف الرضى في مصنفاته التي وقعت لنا بآدى الشخصية ، ظاهر الاستقلال في الرأى ، والاعتداد بالفكر . فهو لا يقبل المسائل قضايا مسالة وأموراً منتهية ، ولكنه يناقشها ويعلق عليها ، ويبدى فيها صريح الرأى ، ويبين إذا كانت قريبة من العقل ، أو بعيدة عن القبول ، أو دانية من اعتساف القول .

وقد لاحظنا ذلك في مواطن كثيرة من كتابيه « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان في مجازات القرآن » فإن استقلال شخصيته النقدية يبدو شيئاً يلفت النظر في هذين الكتابين ، إلى حد لا يجوز إغفاله في معرض الحديث عن الشريف الرضى .

والشواهد على ذلك لا تعوزنا في « المجازات » و « التلخيص » ، فهي منا على أطراف الثمام .

يقول المؤلف في مجازات قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ ﴾ إن الأيدى - على بعض التأويلات - معناها الحجج والبيانات التي جاء بها الرسل ، ويكون معنى الآية على هذا التأويل أن الكفار ردوا حجج الأنبياء من حيث

(١) ج ١ ص ١٢٣

جاءت ، وطريق بجيئها أفواههم ، فكأنهم ردوا عليهم أقوالهم ، وكذبوا دعواهم . . .
ثم يقول بعد ذلك : (وفي هذا التأويل بعد وتعسف إلا أننا ذكرناه لحاجتنا إليه ، لما ذهبنا
مذهب من حمل قوله سبحانه ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على الاستعارة لا على
الحقيقة) .

ثم يمضى الشريف الرضى رحمه الله فى عرض الأقوال المقتولة فى تأويل هذه الآية
والتعليق عليها فيقول : (وقال بعضهم : بل المراد بذلك ضرب من الهزؤ يفعلهُ المجان
والسفهاء إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس ، وقصدوا الوضع منه ، والإضرار عليه ، فيجعلون
أصابعهم فى أفواههم ، ويتبعون هذا الفعل بأصوات تشبهه وتجانسه ، يستدل بها على قصد السخف
وتعمد الفحش ، وهذا عندى بعيد من السداد ، وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد) .

ويقول معلقاً على قول بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴾ : (وفى هذا القول بعض التخليط ، والذي أذهب إليه فى ذلك ما ذكرته
فى كتابى الكبير على شرح واستقصاء ، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى
آذَانِهِمْ ﴾ والله أعلم : أى أخذنا أسماعهم ، فبطل استماعهم) .

ويقول معقباً على قول من فسروا العَجَلَ بالطين فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء ﴿ خُلِقَ
الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ : (فأما من قال من أصحاب التفسير إن العَجَلَ ههنا اسم من أسماء
الطين ، وأورد عليه شاهداً من الشعر ، فلا اعتبار بقوله ، ولا التفات إلى شاهده ، فإنه
شعر مولد) .

وقصدُ الشريف الرضى بالشعر المولد هو هذا البيت الذى ذكره بعض المفسرين
مستشهداً على أن العَجَلَ اسم من أسماء الطين :

والنَّبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

والشريف هنا يبدو ناقدًا أدبيًا لغويا دقيقا ، فهو لا يحتج بشعر من لا يُحتج بشعرهم من المولدين ، وقد لاحظنا أنه في « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان » لم يستشهد إلا بشعر عربي فصيح صحيح ، فلم يستشهد مرة واحدة ببيت مولد .

ونراه في مجازات سورة الزمر يسوقه القول إلى بيت الأعشى :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها أو القمر السارى لألقى المقالدا

فيقول : (وقال بعض العلماء : ليس قول الشاعر ههنا « ينادى الشمس » من النداء الذى هو رفع الصوت ، وإنما هو من المجالسة . تقول : ناديت فلانا ، إذا جالسته في النادي ، فكأنه قال : لو يجالس الشمس لألقت قناعها شغفاً به ، وتبرجاله . وهذا من غريب القول) .

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

وفي مجازات سورة الحشر نراه يقول في مجاز قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ : (. . . المعنى أنهم استقروا في الإيمان ، كاستقرارهم في الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ، ولباب الفصاحة . وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقا . ألا ترى كم بين قولنا : استقرؤا في الإيمان ، وبين قولنا : تبوؤوا الإيمان . وأنا أقول أبدا : إن الألفاظ خدم للمعاني ، لأنها تعمل في تحسين معارضها ، وتنميق مطالبها) . فقوله رضى الله عنه : « وأنا أقول أبدا » يحمل معنى قيامه بقضية البلاغة ، وخدمة الألفاظ للمعاني ، مع مضيه في هذه الدعوة البيانية ، والزعامة البلاغية إلى حد المناادة على نفسه .

فإذا تركنا « تلخيص البيان » جانباً لنكشف عما في « المجازات النبوية » من استقلال في الفكر ، واعتداد بالرأى لم تعوزنا الشواهد السكثر .

وفي مجاز قوله صلى الله عليه وسلم : (لا إسلال ولا إغلال) يقول الشريف الرضى : (وقد قال بعضهم : المراد بالإسلال ههنا سل السيوف ، وبالإغلال لبس الدروع . وهذا القول غير معروف ، والقول الأول هو القول السّدّد ، والصحيح المعتمد)^(١) .

وفي مجاز قوله صلى الله عليه وسلم . (الولد للفراش وللعاهر الحجر) يرى بعضهم أن المراد بالحجر هنا هو الرجم بالأحجار إذا كان العاهر محصّناً ، فإذا كان غير محصن فالمراد بالحجر حينئذ التعنيف به والغلظة عليه ، بتوفية الحد الذي يستحقه من التجلد ، ولكن الشريف الرضى لا يقبل هذا القول بل يرفضه قائلاً : (وفي هذا القول تعسف واستكراه ، وإن كان داخلًا في باب المجاز ، لأن الغلظة على من يقام الحد عليه إذا كان الحد جلدًا لا رجماً لا يعبر عنها بالحجر ، لأن ذلك بعد عن سنن الفصاحة ، ودخول في باب الفهامة)^(٢) ،

وفي مجاز قوله صلى الله عليه وسلم : (تؤخرون الصلاة إلى شَرَقِ المَوتى) نراه يقول : (وقد قيل في ذلك أقوال كلها بعيدة عن المحجة) ثم يشرح الحديث بعد ذلك شرحاً أدبياً بليغاً فيقول : (ومع ذلك فيخرج الكلام من حيز الاستعارة غير قول واحد ، وهو أن يكون المراد أنهم يؤخرون الصلاة إلى أن لا يبقى من النهار إلا بقدر

(١) المجازات النبوية . طبع مصر ، من ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه من ١١٢ .

ما بقى من نفس الميت الذى قد شرق بريقه ، وغرغر ببقية نفسه ، فثبه عليه الصلاة والسلام تلك البقية بشُفافة الذِّمَاء التى قد قرب انقضاؤها ، وحان فناؤها (١).

ولعل من هذه الأمثلة يتضح مذهبنا إليه من اعتداد الشريف الرضى برأيه ، واستقلال شخصيته فى النقد استقلالاً يبعده عن تقليد السابقين ، وترديد أقوال القائلين ، سواء أكانوا من رجال الفقه أم التفسير أم اللغة أم غيرهم . على أنه لا يخالف لمجرد المخالفة ، ولا يناقض لمحض المناقضة ، ولكنه يخالف ويعارض دائماً حين يكون الحق دائماً فى جانبه ، والصواب فى ناحيته رحمه الله ! .

محمد عبد الغنى حسن



القاهرة { رجب ١٣٧٤
مارس ١٩٥٥ }

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامى

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٣ .

طه

ومن السورة التي يذكر فيها
موسى عليه السلام وبى طه

يقول حقاً ه
سن

قوله سبحانه ان الساعة آتية اذا اخفيها وهذه استعانة
على احد التأويلين وهو بما سمعتم من شيخنا اى الفصح البحرى عفا الله
عنه قال الذى عليه خذاق اصحابنا ان كادها هنا على بابها من معنى
المقابلة الا ان قوله تعالى اخفيها يقول الى معنى الاظهار لان للرد
بواكاد اسلمها خفاها والخفا الغشا والغطاء ما خوذ من خفا
القرية وهو العشا الذى يكون عليها فاذا اسلب عن الساعة غطاها
المايع من تخليها ظهرت للناس فاعلمنا سبحانه تعالى قال كاد اظهرها
قالى واشدنى ابو على منذ ايام بيباهون انطق التواهد على الغرض
الذى رمينا وكان سماعى ذلك من اى الفصح رحمة الله وابو على حينئذ باق
لم يميت وهو قول الشاعر

لقد علم الايقاظ اخفية الكرى ترجحها من جالك واكتالها
ومعناه لقد علم الايقاظ عيونها جعل العين للنوم في انها شتمه عليه
كالخفا للقرية في انه مشتمل عليها وقول الشاعر اخفيها لارى من
المستعارات العجيبة والبدايع الغريبة وقوله ترجحها من جالك
واكتالها يعود على العيون : كانه قال ترجح العيون واكتالها



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

القول مجازاً واستعانةً لانا النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان ينشئ
عظم ذنبه الى حال انقراض الظهر وهو صوت تنققع العظام من
ثقل الحمل لان هذا القول لا يكون الا كناية عن الذنوب العظيمة
والافعال القبيحة وذلك غير جائز على الانبياء عليهم السلام
في قول من لا يظن عليهم الصفاير ولا الكبار وفي قول من لا يظن
عليهم الصفاير دون الكبار لان الله سبحانه قد تسمم عن موثقات
الاثام وشحنات الاعمال اذ كانوا امناء وحيد والسيد امره
ونهيهم وسفراء الى خلقه وقد استقصينا الكلام على ذلك في باب
مزد من كتابنا الكبير فنقول ان المراد بها هنا بوضع الورد
ليس على ما يظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب وانما المراد
به ما كانا نعلمه النبي صلى الله عليه وسلم من الامور المستعينة
والمواقف المحظرة في اداء الرسالة وتبليغ النذارة وما كان يلاقيه
عليه السلام من مضار توفقه وتبلغه من مرامي ابدى معشره
وكل فليخرج في صدره وتقتل على ظهره فقره الله سبحانه به
ان الهمم تلك المخاوف كلها وخط عن ظهر تلك الاحياء اسرها
واذاله من اعدائه وفضله على اكفائه وقدم ذمه على كل ذكر
ورفع قدره على كل قدر حتى من بعد الخضر واطان بعد الخلقه



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تلخیص النبیاری فی مجازات القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

حفظه و قدم له و صنع فہارسہ

محمد عبدالغنی حسن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة

... ولكنهم لما لم يعلموا هذه الآلات في مذاهب الاستدلال بها ، كانوا كمن فقد أعيانها ، ورمى بالآفات فيها . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَطُيِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ^(١) ﴾ لأن الطبع من الطابع ، وانلختم من الخاتم ، وهما بمعنى واحد . وإنما فعل سبحانه ذلك بهم عقوبة لهم على كفرهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [٧] ^(٢) استعارة أخرى . لأنهم كانوا على الحقيقة ينظرون إلى الأشخاص ، ويقلّبون الأبصار ، إلا أنهم لما لم ينتفعوا بالنظر ، ولم يعتبروا بالعبر ووصف سبحانه أبصارهم بالغشي ، وأجرامهم تُجرى الخوابط الغواشي . أو يكون تعالى كفى ههنا بالأبصار عن البصائر ، إذ كانوا غير منتفعين بها ، ولا مهتدين بأدلتها . لأن الإنسان يُهْدَى ببصيرته إلى طرق نجاته ، كما يُهْدَى ببصره إلى مواقع خطواته .

وقوله تعالى . ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [١٠] والمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة ، لأنه فساد في القلوب كما أنه فساد في الحقيقة ، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [١٥] وهاتان استعارتان . فالأولى منهما إطلاق صفة الاستهزاء سبحانه ، والمراد بها أنه تعالى يُجَازِيهِمْ على استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم ، فسمى الجزاء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعا في مقابلته ، والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى ،

(١) سورة التوبة الآية رقم ٨٧ ، وفي سورة « المنافقون » (فطبع على قلوبهم) بالغاء لا بالواو الآية رقم ٣ .

(*) ملحوظة . يشير الرقم بين حاصرتين بعد الآية هكذا [] إلى عددها من السورة .

لأنه عكس أوصاف الحليم ، وضد طريق الحكيم . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيَمْدُهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أى يَمْدُّ لهم كأنه يخليهم والامتداد فى عَمَهُمْ والجماح فى غيهم ، إيجاباً للحجة ، وانتظاراً للمراجعة ، تشبيهاً بمن أُرْخى الطُّول للفرس أو الراحلة ، ليتنفس خناقها ، ويتسع مجالها .

وربما جُعِلَ قوله سبحانه : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) على أنه مستعار فى بعض الأقوال ، وهو أن يكون المعنى أنهم يُمَدُّون أنفسهم ألاَّ يُعاقبوا ، وقد علموا أنهم مستحقون للعقاب ، فقد أقاموا أنفسهم بذلك مقام المخادعين . ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ^(٢) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجِحتُ تِجَارَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والمعنى أنهم استبدلوا الهدى بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، فخرست صفتهم ، ولم ترح تجارتهم . وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء فى أول الكلام بلفظ الشرى تأليفاً لجواهر ^(٣) النظام ، وملاحمة بين أعضاء الكلام .

وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [٢٠] . وهذه استعارة . والمراد يكاد

(١) كان من حق هذه الآية فى الترتيب أن تأتى قبل الآية العاشرة التى سبق الحديث عنها فى قوله تعالى : (فى قلوبهم مرض الخ) ولا أدرى أكان ذلك سهواً من المؤلف رضى الله عنه ، أم سهواً من الناسخ حيث وضعها فى غير موضعها ، وأنزلها فى غير ترتيبها .

(٢) فى الأصل « وما يخادعون » على أنها قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ليتجانس اللفظان فى الموضعين . وقرأ حمزة والسكسائي وعاصم وابن عامر « يخدعون » كما أجهتاه . وكما نقرأه فى المصحف الذى بين أيدينا .

(٣) فى الأصل « بجواهر » وهى خطأ فى النسخ .

يَذْهَبُ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَشِدَّةِ التَّمَاعِهِ . والدليل على ذلك قوله تعالى في النور^(١) : ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [٤٣] وَمُحْصَلُ^(٢) المعنى : تكاد أبصارهم تذهب عند رؤية البرق ، فجعل تعالى الفعل للبرق دونها لما كان السبب في ذهابها .

وقوله سبحانه : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [٢٢] وهذه استعارة . لأنه سبحانه شبه الأرض في الامتداد بالفرش ، والسماء في الارتفاع بالبناء .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [٢٩] أى قصد إلى خلقها كذلك . لأن الحقيقة في اسم الاستواء الذي هو تمام بعد نقصان ، واستقامة بعد اعوجاج ، من صفات الأجسام ، وعلامات المحدثات .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [٤٢] وهذه استعارة . والمراد بها : ولا تَخْلُطُوا الحق بالباطل ، فتعَمَّى مسالكه ، وتُسْكَكِلَ معارفه . وذلك مأخوذ من الأمر الملتبس ، وهو الخلطُ المشبه . ويقول القائل : قد أَلْبَسَ عَلَى هذا الأمر . إذا انخلقت أبوابه عليه ، وانسَدَّتْ مطالع فهمه .

وقوله سبحانه : ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [٦١] وهذه استعارة . والمراد بها صفة شمول الذلة لهم ، وإحاطة المسكنة بهم ، كالخباء المضروب على أهله ، والرواق المرفوع لمستظله .

وقوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [٦٦] أى للآمم التي

(١) أى في سورة النور . آية رقم ٤٣ .

(٢) في الأصل : ويحصل المعنى . وهو تحريف من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

تشاهدها ، والأمم التي تكون بعدها . أو للقرى التي تكون أمامها ، وللقرى التي تكون خلفها . ولقول العرب : كذا بين يدي ، كذا وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى تقدم الشيء للشيء . يقول القائل لغيره : أنا بين يديك . أي قريب منك . وقد مضى فلان بين يديك ، أي تقدم أمامك .

وقوله تعالى في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَحْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [٧٤] وهذه استعارة . والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله سبحانه بآثار الصنعة وأحلام الصنعة^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِئَتُهُ ﴾ [٨١] وهذه استعارة فيها كناية عجبية عن عظم الخطيئة ، لأن الشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغا غير قالمص^(٢) ، وزائدا غير ناقص .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [٨٨] . وهذه استعارة على التأويلين جميعا . إما أن تكون غلف جمع أغلف ، مثل أحمر وحمرة ، يقال سيف أغلف . أو تكون جمع غلاف ، مثل حمار وحمرة ، وتخفف^(٣) فيقال حمرة ، وكذلك يجمع غلاف ، فيقال غلف وغلف بالتثنية والتخفيف . قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، يقال : سيف أغلف ، وقوس غلفاء ، ورجل أغلف : إذا لم يثبت . فمن قرأ غلف ، على جمع أغلف ، فالمعنى أن المشركين قالوا : قلوبنا في أغطية عما يقوله ، يريدون النبي عليه السلام . ونظير ذلك قوله سبحانه حاكيا عنهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا

(١) هكذا بالأصل . ولم يهتد إلى وجه الصواب فيها ، ولعلها : « وإحكام الصفة » .

(٢) قالمص الثوب بعد غلله = انكماش ، فهو قالمص .

(٣) في الأصل « وتخفيف » وهو تحريف من النسخ لأمع له ، والصواب ما أثبتناه .

وَقُرْ ﴿٥﴾ [الآية^(١)]. ومن قرأ : قلوبنا غُلف على جمع غلاف بالثقل والتخفيف ، فعنى ذلك : قالوا قلوبنا في أوعية فارغة لا شيء فيها . فلا تُكثِر علينا من قولك ، فإننا لا نعى منه شيئا . فكان قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه ، والاحتجاز عن دعائه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [٩٣] وهذه استعارة . والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل ، فكأنها تشرَّبت حُبَّه فجازجها بمازجة المشروب ، وخالطها بخالطة الشيء المذوذ . وحذف حُبِّ العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرُّب العجل على الحقيقة .

وقوله سبحانه : ﴿ بئس ما يأمرُكم به إيمانُكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [٩٣] استعارة أخرى . لأن الإيمان على الحقيقة لا يصحُّ عليه النطق ، فالأمر إنما يكون بالقول . فالمراد إذا بذلك - والله أعلم - أن الإيمان إنما يكون دلالةً على صدِّ الكفر والضلال ، وترغيباً في اتباع الهدى والرشاد ، وأنه لا يكون ترغيباً في سفاهة ، ولا دلالةً على ضلالة . فأقام تعالى ذِكْرَ الأمر ههنا مقام ذكر الترغيب والدلالة ، على طريق المجاز والاستعارة ، إذ كان المرغَّبُ في الشيء والمدلول عليه ، قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوبُ إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٠٢] هذه استعارة . لأن بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى^(٢) لهم . والمراد به - والله أعلم - أنهم لما أوقفوا أنفسهم بتعلم السحر ، واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر ، كانوا كأنهم قد رضوا بالسَّحر ثمناً لنفوسهم ، إذ عرضوها بعمله للهلك ، وأوقفوها^(٣) لدايم العقاب .

(١) سورة فصلت . الآية رقم ٥ .

(٢) في الأصل « لا تأتي » وهو تحريف من الناسخ .

(٣) في الأصل : « وأرقوها » وهو تحريف لعل صوابه ما أثبتناه .

وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان ، وأدّون الأغواض .
 وقوله سبحانه : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [١١٢] أى أقبل على عبادة الله سبحانه ، وجعل توجّهُه إليه بجملة لا بوجهه دون غيره . والوجه ههنا استعارة .
 وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [١١٥] أى جهة التقرب إلى الله . والطريق الدالة عليه ، ونواحي مقاصده ومعتمداته الهادية إليه .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [١٣٠] والتقدير : سَفِهَ نَفْسًا ، على أحد التأويلات . وهذه استعارة . لأنه تعالى علق السَفَهَ بالنفس . وقولنا : نَفْسُ فلانٍ سَفِيهةٌ : مستعارة ، وإنما السَفَهُ صفةٌ لصاحب النفس لا للنفس .

وقوله : ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ [١٣٣] أى ظهرت له علاماته ، ووردت عليه مقدماته ، فهي استعارة . لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة .
 وقوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [١٣٨] أى دين الله ، وجعله بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر ، ووسمه لا مح . وهذا من محض الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ لِشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [١٥٠] فهذه استعارة على قول من قال : إن الشطر ههنا البعد . أى ولّ وجهك جهة بُعْدِهِ . إذ لا يصح أن تولى وجهك جهة بُعْدِ المسجد على الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١٦٨] أى لا تنجذبوا فى قياده ، لأن المنجذب فى قياد^(١) غيره تابع لخطواته . وهذه من شرائف الاستعارة . فهى أبلغ عبارة

(١) فى الأصل « فى قياده » . وقد جعلناها « قباد » بدلا من « قياده » تمثيا مع ما جرى عليه المؤلف فى قوله : (لا تنجذبوا فى قياده) .

عن التحذير من طاعة الشيطان فيما يأمر به ، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله . فهذه من شرائف الاستعارات .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ [١٧٤] . وهذه استعارة . كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكل مشبها بالآكل من النار . وقوله سبحانه : ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ : زيادة معنى ، وإن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه ، وذلك أنه أفظع سمعا ، وأشدَّ إجماعا . وليس قول الرجل للآخر : إنك تأكل النار ، مثل قوله : إنك تدخل النار في بطنك .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ [١٧٥] وقد مضى نظير ذلك ، وأمثاله كثيرة في هذه السورة وغيرها .

وقوله تعالى في ذكر النساء : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [١٨٧] . واللباس ههنا مستعار ، والمراد به قرب بعضهم من بعض والشمال بعضهم على بعض ، كما تشمل الملابس على الأجسام^(١) . وعلى هذا المعنى كنوا عن المرأة بالإزار .

وقوله سبحانه : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ [١٨٧] وهذه استعارة ، لأن خيانة الإنسان نفسه لا تصح على الحقيقة ، وإنما المراد أنه سبحانه خفف عنهم التكليف في ليالي الصيام ، بأن أباحهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الإفشاء إلى النساء ، ولو منعهم من ذلك لعلم أن كثيرا منهم يخلع عذار الصبر ، ويضعف عن مغالبة النفس ، فيواقع المعصية بفعل ما حُظر عليه من غشيان

(١) استشهد ابن قتيبة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » بقول النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى جيدها تثنت عليه فكانت لباسا

على أن اللباس معناه أن المرأة والرجل يتضامان فيكون كل واحد منها للآخر بمنزلة اللباس .

النساء ، فيكون قد كسب نفسه العقاب ، ونقصها الثواب . فكأنه قد خانها في نفي المنافع عنها ، أو جرّ المضار إليها . وأصل الخيانة في كلامهم : النقص ، فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [١٨٧] . وهذه استعارة مجيبة . والمراد بها على أحد التأويلات : حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل . والخيطان ههنا مجاز . وإنما شبه بذلك لأن خيط الصبح يكون في أول طلوعه مستدقا خافيا ، ويكون سواد الليل منقضيا موليا ، فهما جميعا ضعيفان ، إلا أن هذا يزداد انتشارا ، وهذا يزداد استسرا .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [١٨٨] .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم رباني

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [٢٤٥] . وهذه استعارة . لأن الغنى بنفسه^(١) لا يجوز عليه الاستقراض على حقيقته ، ولكن المقرض في الشاهد لما كان اسما لمن أعطى غيره . إلا على أن يُردَّ عليه عِوَضُهُ ، أقام سبحانه توفية^(٢) العوض عليه مقام رد القرض .

وقوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ [٢٥٠] فهذه استعارة . كأنهم قالوا : أمطرنا صبرا ، واسقنا صبرا . وفي قوله : أفْرِغْ ، زيادة فائدة على قوله : أنزل ، لأن الإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته وانصبا به وسعته .

(١) في الأصل « الغنى لنفسه » وهو تحريف من الناسخ ، فالفقه غنى بنفسه لا غنى لنفسه .

(٢) في الأصل « توفيه » بالهاء لا بالياء المربوطة كما أصلناه .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [٢٥٧] وهذه
استعارة . والمراد بها إخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان ، ومن النقي إلى الرشاد ، ومن
عمياء^(١) الجهل إلى بصائر العلم .

وكل ما في القرآن من ذكر الإخراج من الظلمات إلى النور فالمراد به ما ذكرنا .
وذلك من أحسن التشبيهات . لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ، ويضل
القاصد . والإيمان كالنور الذي يؤمه الحائر ، ويهتدى به الجائر . لأن عاقبة الإيمان مضيئة
بالإيمان والثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب . وفي لسانهم وصف الجهل بالعمى
والعمه ، ووصف العلم بالبصر والجلية . يقال : قد غمَّ عليه أمره ، وأظلم عليه رأيه . إذا
كان جاهلا بما يرتثيه ويفعله . ويقال في نقيض ذلك : هو على الواضحة من أمره ، والجلية من
رأيه . إذا كان عالما بما يُورد ويصدر ، فيما يأتي ويذر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَكْنُفْ أَعْيُنُهُ عَنِ الذِّكْرِ هَٰذَا لَمَّا كَانَ آتِيًا إِلَى اللَّهِ فَسُجِّنْ فِي الْأُمَمِ نَافِلًا ﴾ [٢٨٣] . وذلك مثل قوله تعالى :
﴿ وَلَٰكِن يُؤْخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ لأن الآثم والكاسب صاحب
القلب ، دون القلب على ما تقدم من القول .

(١) حرى الناسخ على عدم إثبات همزة المدود فسكتب « عمياء » بدون همزة . وقد همزنا ما أغفله

في جميع المواطن بالسكتاب ، فلا حاجة إلى التنبيه عليه .

ومن السورة التي يذكر فيها «آل عمران»

قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٧] . وهذه استعارة . والمراد بها أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله . فهي بمنزلة الأم ، وكان سائر الكتاب يتبعها ويتعلق بها ، كما يتبع الولد آثار أمه ، ويفزع إليها في مهمته .

وقوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [٧] . وهذه استعارة . والمراد بها المتمكنون في العلم ، تشبيها بروسوخ الشيء الثقيل في الأرض الخوافة . وهو أبلغ من قوله : والثابتون في العلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُحْشَرُونَ ^(١) إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [١٢] وهذه استعارة . والمعنى : بئس ما يمتهد ويفرّش . ونظيره قوله ﴿ وَسَاءَتْ مَرْتَفَقًا ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [٢٣] وهذه استعارة ، والمراد فسدت أعمالهم فبطلت . وذلك مأخوذ من الحبط ، وهو داء ترم له أجواف الأبل ، فيكون سبب هلاكها ، وانقطاع آكلها .

(١) في الأصل « ويحشرون » ياء الفاعلين لا بناء المخاطبين كما هو الصواب في القراءة عن ابن عباس التي رواها عكرمة وسعيد بن جبير . وفي رواية أبي صالح أن اليهود لما قرعوا بما أصاب المسلمين يوم أحد نزلت الآية : (قل للذين كفروا سيقبلون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) يعني قريشا . وهي قراءة نافع .

وقوله تعالى : ﴿ تُولِجُ^(١) اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [٢٧] وهذه استعارة ، وهي عبارة عجبية عن إدخال هذا على هذا ، وهذا على هذا . والمعنى أن ما ينقصه من النهار يزيد في الليل ، وما ينقصه من الليل يزيد في النهار . ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ ، لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر ، بلطف الممازجة ، وشديد الملاسة .

وقوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [٣٩] وهذه استعارة . لأن المراد بهذا القول عيسى عليه السلام . والعلماء مختلفون في هذه اللفظة ، وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتاب « حقائق التأويل » . فمن بعض ما قيل في ذلك أن بشارة الله تعالى سبقت بالمسيح عليه السلام في الكتب المتقدمة ، والنذرات السافرة ، فأجرى تعالى اسم « الكلمة » عليه لتقدم البشارة به . والبشارة إنما تكون بالكلام .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا أَلَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [٥٤] . وهذه استعارة . لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالى . والمراد بذلك إنزال العقوبة بهم جزاء على مكرهم . وإنما سُمِّيَ الجزاء على المكر مكرًا للمقابلة بين الألفاظ على عادة العرب في ذلك . قد استعارها لسانهم ، واستعادها بلسانهم .

وقوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا^(٢) آخِرَهُ ﴾ [٧٢] وهذه استعارة . والمراد أول النهار . ولم يقل رأس النهار . لأن الوجه والرأس وإن اشتركا في كونهما أول الشيء ، فإن في الوجه زيادة فائدة ، وهي أن به تصح المواجهة . ومنه تعرف حقيقة الجملة .

(١) في الأصل : يولج بالياء المثناة التعتية ، وهو تحريف من الناسخ الآية الكريمة . والعيوب : تولج بالياء المثناة الفوقية . أما « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » بالياء المثناة التعتية ، فهي في سورة الحج وقمان والحديد وفاطر .

وقوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٧٣] وهذه استعارة . والمراد بها إما سعة عطائه ، وعظيم إحسانه ، أو اتساع طرق علمه ، وانفساح أقطار سلطانه وعزه .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . الآية﴾ [٧٧] وهذه استعارة . وحقيقتها : ولا يرحمهم الله يوم القيامة . كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه : انظر إلى نظرة . لأن حقيقة النظر تغليب العين الصحيحة في جهة المرئ التماساً لرؤيته . وهذا لا يصح إلا على الأجسام ، وَمَنْ يُدْرِكْ بِالْحَوَاسِ ، ويوصف بالحدود والأقطار . وقد تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ [١٠٣] وهذه استعارة . ومعناها : تمسكوا بأمر الله لكم ، وعهده إليكم . والحبال : العهود ، في كلام العرب . وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه ، كالمثبت بالحبل إذا وقع في غمرة ، أو ارتكس في هوة . فالعهد يُستأمن بها من المخاوف ، والحبال يُستنقذ بها من المتالف . فلذلك وَقَعَ التشابه بينهما .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [١٠٣] . وهذه استعارة . لأنه تعالى شبه المُشْفَى - بسوء عمله - على دخول النار ، بالمُشْفَى - لزالة قدمه - على الوقوع في النار .

وقوله سبحانه : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [١٠٩] على قراءة من قرأ بفتح التاء وكسر الجيم . وهذه استعارة . والمراد بها أن الأشياء كلها تنتهي إلى أن تزول عنها أيدي المالكين والمديرين ، ويخلص ملكها وتديرها رب العالمين .

وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ ^(١) عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا ، إِلَّا يَحْبِلُ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنْ النَّاسِ ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [١١٢] وقد مضى الكلام على مثل ذلك في « البقرة » فلا معنى لإعادته .

وقوله تعالى : ﴿ لَيَقَطَعَنَّ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [١٢٧] أى ينقص عدداً من أعدادهم ، فيوهن عضداً من أعضادهم . وهذا من محض الاستعارة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [١٤٣] وهذه استعارة ، لأن الموت لا يلتقى ^(٢) ولا يرى . وإنما أراد سبحانه رؤية أسبابه ، من صدق مصاع ^(٣) ، وتتابع قراع . أو رؤية آلاته ، كالرماح المشرعة والسيوف المحترطة .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [١٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها الرجوع عن دينه ، والتقاعس عن اتباع طريقه . فشبه سبحانه الرجوع في الارتياب ، بالرجوع على الأعقاب .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى ﴾ [١٥٦] وهذه استعارة . لأن الضرب ههنا عبارة عن الإنجاذ في السير ، والإيغال في الأرض ، تشبيهاً للخابط في البر بالساح في البحر ، لأنه يضرب بأطرافه في غمرة الماء شقاً ^(٤) لها ، واستعانة على قطعها .

(١) في أصل المخطوط « وضربت » بالواو . وهو تحريف في النسخ ، وصحة الآية « ضربت » ...
بغير واو .

(٢) في الأصل « لا تلتقى » بالناء . وهو تحريف من النسخ : والصواب ما أثبتناه .

(٣) المصاع : مصدر ماصح : أى قاتل وجالد .

(٤) في الأصل « سعا » بدون إعرام . والساح في الماء يضربه ليشق طريقه فيه .

وقوله سبحانه : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴾ [١٦٣] .
وهذه استعارة . لأن الإنسان غيرُ الدرجة . وإنما المراد بذلك : هم ذوو درجات متفاوتة
عند الله ، فالمؤمن درجته مرتفعة ، والكافر درجته متفضعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [١٨٥] وهذه استعارة . لأن
الغرور لا متاع له على الحقيقة ، وإنما المراد بذلك أن ما يستمتع به الإنسان من حطام
الدنيا ظل زائل ، وخضاب ناضل .

وقوله تعالى في صدر هذه الآية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [١٨٥] مستعار أيضاً ،
لأن حقيقة الذوق ما أدرك بحاسة ، وإنما حسن وصف النفس بذلك لما يحس به من كرب
الموت وعذابه ، فكأنها تحسه بذوقه .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [١٨٦] . فهذه
استعارة . لأن الأمور لا عزم لها ، وإنما العزم للموطن نفسه على فعلها ، وهو الإنسان .
فالمراد : فإن ذلك من قوة الأمور . لأن العزم على فعل الأمر قوى عليه .

وقوله تعالى : ﴿ فَنبذوه ورائهم ﴾ [١٨٧] . وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم
غفلوا عن ذكره ، وتشاغلوا عن فهمه ^(١) ، يعني الكتاب المنزل عليهم ، فكان كالشيء
الملقى خلف ظهر الإنسان ، لا يراه فيذكره ، ولا يلتفت إليه فينظره ..

وقوله : ﴿ فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [١٨٨] ومنجاة من العقاب .
والمفازة : الأرض البعيدة التي إذا قطعها الإنسان فاز بقطعها ، وأمن من خوفها .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ [١٩٦، ١٩٧]
وهذه استعارة . والمراد بالتقلب ههنا كثرة الاضطراب في البلاد ، والتقلقل في الأسفار ،
والانتقال من حال إلى حال .

(١) في الأصل «فه» وهو تحريف ، فإن طريقة الناسخ في كتابة الهاء أن لا يبين كتابتها فتبدو كأنها قنطرة .

ومن السورة التي يذكر فيها « النساء »

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [١٠] وهذه استعارة ، وقد مضى الكلام على نظيرها في « البقرة » . والمعنى أنهم لما أكلوا المال المؤدى إلى عذاب النار ، شَبَّهُوا من هذا الوجه بالآكلين من النار .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ [١٥] وهذه استعارة . لأن المتوفى ملك الموت . فنقل الفعل إلى الموت على طريق المجاز والاتساع . لأن حقيقة التوفى هو قبض الأرواح من الأجسام .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ ^(١) أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نصيبهم ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أن من عقدتم بينكم وبينه عقدا ، فأدُّوا إليه ما يستحقه بذلك العقد عليكم . وإنما نسب العقدة إلى الأيمان على عادة العرب في ذلك . يقول القائل : أعطاني فلان صفقة يمينه على كذا . وأخذت يد فلان مصافحة على كذا . وعلى هذا الذخو أيضاً إضافة الملك إلى الأيمان في قوله تعالى : « وما ملكت أيمانكم » لأن الإنسان في الأغلب إنما يقبض من المال المستحق بيمينه ، ويأخذ السلع المملوكة بيده .

وقوله سبحانه : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [٤٦] . وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أنهم ينكسون الكلام عن حقائقه ، ويزيلونه عن جهة صوابه ، تحالفاً له على أهوائهم ، وعطفاً عن آرائهم .

(١) في الأصل « والذين عاقدت » بفعل المفاعلة ، وهى قراءة . كما أن هناك قراءة « عقدت » بتشديد

القاف ، رواها على بن كبة عن حمزة .

وقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ لَيَّا بِالسِّنْتِيهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ [٤٦] استعارة أخرى . والمراد بها : يميلون بكلامهم إلى جهة الاستهزاء بالمؤمنين ، والوقعة في الدين . وقوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ [٤٧] . وهذه استعارة . وهي عبارة عن مسخ الوجوه . أى تزيل^(١) تخاطيطها ومعارفها ، تشبيها بالصحيفة المطموسة ، التي غميت سطورها ، وأشكلت حروفها .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [٧٧] . وهذه استعارة : والمراد بها تخسيس قدر ما يصحب الإنسان من الدنيا ، وأن المتعة به قليلة ، والشوائب كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ [٩٠] . فهذه استعارة . والمراد بها صفة صدورهم بالضيق على القتال . وذلك مأخوذ من الحصار ، وهو تضيق المذهب ، والمنع من التصرف .

وقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْمَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ [٩٠] الآية وهذه استعارة ، وحقيقتها ، إن طلبوا منكم المسالمة ، وسألوكم المودة . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ عبارة عن طلبهم السلم عن ذل واستكانة ، وخضوع وضراعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ [١٢٨] وهذه استعارة . وليس المراد أن مُحْضِرًا أحضر الأنفس شحها ، ولكن الشح لما كان غير مفارق لها ، ولا متباعد عنها ، كان كأنه قد أحضرها ، وحمل على ملازمتها .

ومثل هذا قوله تعالى في هذه السورة : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ

(١) في الأصل « نزيل » بدون قط وهو تحريف .

شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾ . فليس التشبيه ههنا عملاً من غيرهم بهم ، وإنما شبهوا هم على أنفسهم (١) كما يقال : أين يُذهب بك ؟ والمراد أين تذهب . ونظائر ذلك كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا ﴾ (٢) مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴿١٤٠﴾ . وهذه استعارة . والمراد بالخوض ههنا مناقلة الحديث ، والضربُ في أقطاره ، والتفسُّح في أعطانه ، استثارة لكرائمه ، وبحثا عن غوامضه . تشبيهاً بخائض الماء ، الذي يثير قراره ، ويسبر غماره (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [١٥٧] . وفي هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ لأن الظن جعل ههنا بمنزلة الداعي الذي يطاع أمره ، والقائد الذي يتبع أثره ، مبالغة في صفة الظن بشدة الاستيلاء عليهم وقوة الغلبة على قلوبهم . والاستعارة الأخرى أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ راجعاً إلى الظن لا إلى المسيح عليه السلام . فكأنه سبحانه قال : وما قتلوا الظن يقينا : كما يقول القاتل : قتلت الخبير علماً . ومن أمثالهم : (قتل أرضاً عالماً) و (قتل أرض أهلها) والمراد بقولهم . قتلت الخبير علماً : أى استقصيت معرفته ، واستخرجت دخليته (٤) . فلم يفتنى شيء من علمه ، فسكنت بذلك كأني قاتل له . أى لم أبق شيئاً يُعلم من كنهه ، كما لم يبق القاتل من المقتول شيئاً من

(١) هنا خمس كلمات متقطعة غير واضحة بالأصل .

(٢) في لأصل (فلا تقعد) بخطاب الواحد ، وهو تحريف وليس هناك في القراءات شيء مثل هذا . ويؤيد صيغة الجمع قوله تعالى بعد هذا : (إنكم إذا مثاهم) .

(٣) في الأصل « عماره » بدون نقط العين المعجمة .

(٤) في الأصل « دخليته » بإعجام الدال . والصواب بالبدال المهملة .

نفسه . وعلى هذا قولهم : أصاب فلانُ شاكلة الأمر وطبق مفصلَ الرأي
حقيقته ، وبلغ مصدق^(١) والشاكلة : الخاصرة ههنا ، وهى من مقاتل
الحيوان .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبَتْهُ آلُهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١] وقد مضى كلامنا على معنى تسمية المسيح عليه السلام بكلمة
الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١] ههنا استعارة . والمراد بذلك أن الناس
ينتفعون بهديه ، ويحيون من موت الضلالة برشده ، كما تحيا^(٢) الأجسام بأرواحها ،
وتتصرف بحركاتها .



(١) هنا في موضع النقط كلمات لم تنبئ بالأصل .
(٢) في الأصل « يحيا » ، ويتصرف « وهو تحريف » .

ومن السورة التي يذكر فيها « المائدة »

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ [٢] . وهذه استعارة ، والمراد مستبعدات الله التي أشعرها للناس ، أى بينها لهم . من قولهم : أشعرت البدنة ، إذا جرحتها في سنامها لينسيل دمها ، فيعلم أنها هدى لبيت الله سبحانه : وهذا الفعل علامة لها ، ودلالة عليها .

وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والسلام ههنا جمع سلامة . فالمراد أنه تعالى يدل من أطاعه على طريق نجاته ، وسبيل أمانته ، لأن طاعته تعالى إمام^(١) السلامة ، فمن اتبع قيادته نجا ، ومن تقاعس عنه ضل وغوى .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد على انقطاع الإرسال إلى الأمم و . . . الزمان من . . .^(٢) . الرسل . تشبيها بحال إرسال الأنبياء إلى أممهم ثم حال توفيقهم بعد أداء شرائعهم بشقوب النار ثم خمودها ، واضطرامها ثم فتورها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [٢١] . وهذه استعارة . ونظيرها قوله تعالى : ﴿ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى لا تولوا عن دينكم

(١) في الأصل « إمام » ولا معنى للإمام هنا لأنه ما يؤتم به . ولعل ما استظهرناه هو الصواب ، لأن الإمام . له مكان القيادة . فكان الطاعة تقود إلى السلامة .

(٢) موضع النقط كلمات لم تتبين بالأصل .

وتشكوا بعد يقينكم ، فتكونوا كالمقهقر^(١) الراجع ، والمتقاعس الناكص .

وقوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٣٠]

وهذه استعارة . والمراد : سولت له وقربت عليه نفسه ففعل . وطوَّعت فَعَّات . من الطوع . أى سهلت نفسه عليه ذلك ، حتى أتاه طوعا ، وانقاد إليه سمحا .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [٣٢] وأحيائها هنا استعارة .

لأن إحياء^(٢) النفس بعد موتها لا يفعله إلا الله تعالى . وإنما المراد : من استبقاها وقد استحقت القتل ، واستنقذها وقد أشرفت على الموت . فجعل سبحانه فاعِلَ ذلك بها كحْيِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا . إذ كان الاستنقاذ من الموت كالإحياء بعد الموت .

وقوله سبحانه : ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [٤١] وهذه

استعارة . لأن صفة الإيمان والكفر إنما يوصف بها الإنسان دون القلب . والمراد : أنهم آمنوا بالظواهر ، وكفروا بالبواطن .

قوله سبحانه^(٣) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . وقد تقدم مثلها . . والمعنى : مصدقا

بما سلف قبله من الكتاب الذى هو الإنجيل الصحيح . واستعير ذكر اليدين ههنا ،

كما يقول القائل إذا سأله غيره عن راكب مرَّبه : هو بين يديك . أى قد سار أمامك .

ومهيمن عليه : أى شاهدا عليه . فهذه أيضا استعارة أخرى . والمراد : أن ما فى هذا الكتاب

من وضوح الدلالة يقوم مقام النطق بصحة الشهادة .

(١) هكذا بالأصل « ولعلها كالمقهقر » .

(٢) بالأصل « إحياء » بحذف همزة المدود .

(٣) هكذا بالأصل بدون واو . والصواب « وقوله » بالواو عطفا على ما قبلها من الاستعارات .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . والمراد : ولا تطع أمرهم ، ولا تجب داعيهم ، فأقام سبحانه أهواءهم مقام الدعاة إلى الردى ، والهداة إلى العصى .

وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ ^(١) [٤٨] . وهذه استعارة عجيبة : والمعنى : فبادروا فعل الخيرات إن كنتم على غير أمان من حضور الأجل ، وتضييق الأمل . وذلك شبه لسباق الخيل ، لأن كل واحد من فرسانها يشاح غيره على بلوغ الغاية المقصودة ، وينافسه في الإسراع إلى البغية المطلوبة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [٥٤] . وهذه استعارة . لأن الحب الذي هو ميل الطباع لا يجوز على القديم سبحانه ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ، وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [٦٤] . وهذه استعارة . ومعناها أن اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه ، فكذبهم تعالى بقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة ، وإنما المراد به المبالغة في وصف النعمة . كما يقول القائل : ليس لي بهذا الأمر يدان ، وليس يريد به الجارحتين ، وإنما يريد المبالغة في نفى القوة على ذلك الأمر . وربما قيل إن المراد بذلك نعمة الدنيا ونعمة الآخرة . والله أعلم أى ذلك أصوب . وقد أشبعنا الكلام على هذا المعنى في كتابنا الكبير .

وقوله تعالى : ﴿ كَلِمَاتٌ أَوْ قَدُومًا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [٦٤] وهذه استعارة .

(١) في الأصل « واستبقوا الخيرات » بالواو لا بالفاء وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هنا سطران غير واضحين ، وثانيهما مضموس المعالم .

لأن الحرب لا نار لها على الحقيقة ، وإنما شُبِّهَت بالنار لاحتدام قراعتها ، وجِدَّ مِصَاعُهَا ،
وَأَنَّهُ تَأْكُلُ أَهْلَهَا ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ حَطْبَهَا .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [٦٦] . فهذه استعارة . لأن التوراة لا يصح
عليها القيام ، وإنما المراد لو أنهم اتبعوا حكمها ^(١) وقوله تعالى : ﴿ لَأَكْلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [٦٦] استعارة أخرى على أحد التأويلين ، وهو أن يكون
المراد بهذا القول العبارة عن سعة الرزق ورفاهة العيش . كما يقول القائل : فلان مغمور في
النعم والنعمة من قرنه إلى قدمه . والتأويل الآخر لأكلوا من فوقهم ، أى من ثمار
الشجر التي تفوت بسطة اليد ، ومن تحت أرجلهم ، أى من نبات الأرض الذي يباشر
موطئ القدم . وقيل المراد بذلك ما يكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت
الأرض .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

فهذا كقوله تعالى ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلَيْكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [٨٩] . على قراءة من
قرأ عَقَّدْتُمْ ، وعَقَّدْتُمْ بالتخفيف والتشديد ، دون من قرأ عاقَدم . فهذه استعارة . والمراد بها
تأكيد الأيمان حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد والحبل المحصّد . أو يكون المراد أنكم
عقدتموها على شيء خلافا لليمين اللغو التي ليست معقودة على شيء ، لأن الفقهاء يسمون
اليمين التي على المستقبل يمينا معقودة ، فهي التي يتأتى فيها البر والحنث ، وتجب فيها
الكفارة . واليمين على الماضي عندهم ضربان : لغو، وغموس . فاللغو كقول القائل :

(١) هنا ألفاظ معلومة .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٩٦ .

والله ما فعلتُ كذا . في شيء يظن أنه لم يفعله ، والله لقد فعلت كذا . في شيء يظن أنه قد فعله ^(١) .

.

فهو اليمين على الماضي إذا وقعت كذبا . نحو قول القائل : والله ما فعلت . وهو يعلم أنه قد فعل . والله لقد فعلت . وهو يعلم أنه لم يفعل . فهذه اليمين كفارتها التوبة والاستغفار لا غير .

وقوله تعالى : ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [٩٤] وهذه استعارة . لأن الفارس هو الذي ينال الفتيص برمح . ولكن الرمح لما كان مباشرا حسن لهذه الحال أن يسمى نائلا .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَذُنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ [١٠٨] . وهذه استعارة . لأن الشهادة لا وجه لها . وإنما المراد أن يأتوا بالشهادة على جليتها وحقيقتها . وخبر تعالى عن ذلك بالوجه لأن به تعرف حقيقة الجملة ، ويفهم كنه الصورة ، كما قلنا فيما تقدم . وهذه من الاستعارات البديعة .

وقوله تعالى حاكيا عن المسيح عليه السلام : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [١١٦] . وهذه استعارة . لأن القديم سبحانه لا نفس له . والمراد : تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، وتعلم حقيقتي ولا أعلم حقيقتك ، أو تعلم مغيبى ولا ^(١) أعلم مغيبك . فكان خوى ذلك : تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم . وقد استوفينا الكلام على ذلك في (حقائق التأويل) .

(١) هنا سطر مغموس

(٢) في الأصل « لا أعلم » بدون واو .

سورة الأنعام

قوله تعالى^(١): ﴿فَقَطَّعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٥]
وهذه استعارة . لأن الأصل في هذه اللفظة : دابة الفرس ، وجمعها دوابر ، وهي ما يلى حافره من خلفه . ودابة الطائر: هي الشاخصة التي خلف رجله ، وتدعى الصيصة^(٢) أيضا . فالمراد بقوله سبحانه : ﴿فَقَطَّعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٤٥] والله أعلم : أى قطعت عنهم الأمداد اللاحقة بهم من خلفهم ، والتألون لهم في غيهم وضلالهم . أو قطع خلفهم من نسلهم ، فلم تثبت لهم ذرية ، ولم يبق لهم بقية .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . والمراد بالأخذ ههنا إبطال حواسهم . وإذا بطلت فكأنها قد أخذت منهم ، وغُيِّبَتْ عنهم .

وقوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [٥٩] وهذه استعارة . والمراد : وعنده الوصول إلى علم الغيب ، فإذا شاء فتحه لأتبيائه وملائكته^(٣) ، وإن شاء أغلق عنهم علمه . ومنعهم فهمه . وعبر تعالى عن ذلك بالمفاتيح ، وهي أحسن عبارة ، وأوقع استعارة . لأن كل ما يتوصل به إلى فتح اللبهم ، وبيان المستعجم سُمي بذلك . ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه أمر أو اختار له حفظ : افتح علىَّ . أى : بين لي وفهمني ما عذب عني .

(١) هنا ورقة ضائعة من الأصل من أول سورة الأنعام إلى الآية رقم ٤٥ .

(٢) الصيصة والصيصة : شوكة الحائك ، وشوكة الديك أو الطائر . والجمع صياصر .

(٣) في الأصل « وملائكته » وهي طريقة الناسخ في الإملاء .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [٦٨] فهذه استعارة . والمراد بها إثارة أحاديث الآيات ليستشفوا بواطنها ، ويعلموا حقائقها ، كالتخاطب في غمرة الماء ، لأنه يثير قعرها ، ويسبر غمرها . وقد مضى الكلام على نظير ذلك في (النساء) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [٨٠] وهذه استعارة . لأن صفة الشيء بأنه يسع غيره . لا يطلق إلا على الأجسام التي فيها الضيق والاتساع ، والحدود والأقطار . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فالمراد أن علمه سبحانه يحيط بكل شيء ، فلا تخفى عليه خافية ، ولا تدق عنه غامضة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلِتُنذِرَ ^(١) أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [٩٢] وهذه استعارة . والمراد بأم القرى مكة ، وإنما سماها سبحانه بذلك ، لأنها كالأصل للقرى ، فكل قرية فإنما هي طائفة عليها ، ومضافة إليها . وقد روى في تقدم اختطاطها ما لا يحتمل كتابنا هذا ذكره .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ [٩٣] وهذه استعارة مجيبة . لأنه سبحانه شبه الذين يعتبرهم كرب الموت وغصصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء وبلجه . وقد سميت الكربة غمرة لأنها تغمر قلب الإنسان ، آخذة ^(٢) بكظمه ، وخاتمة ^(٣) على متنفسه . والأصل في جميع ذلك غمرة الماء .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [٩٤] على قراءة من قرأ برفع النون من بينكم . وهذه استعارة . لأنه لافصائل ^(٣) هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع ، وإنما المراد :

(١) بالأصل « لتنذر » بغير واو . والصواب ما أثبتناه من نص الآية الكريمة .
(٢) في الأصل « آخذة » و « خاتمة » بدون قطع على الناء الربوطة وإلحاقها : « وجائئة »
(٣) في الأصل « لافضائل » بالضاد المعجمة . وليس المقام مقام فضائل ورفائل وإنما هو مقام فضائل ووصائل .

لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة ، التي تشبه لاستحكامها بالحبال المحصدة ، والقرائن المؤكدة .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [٩٥] فهذه استعارة على بعض الأقوال ، وهو أن يكون معناها أنه سبحانه يشق الحبة الميتة ، والنواة اليابسة ، فيخرج منها ورقاً خضيراً^(١) ، ونباتاً ناضراً ، ويخرج الحب اليابس الداوى^(٢) من التبت الحى ناسمى . وقال بعضهم : يُخرج الإنسان الحى من النطفة وهى موات ، ويُخرج النطفة للموات من الإنسان الحى . والله أعلم بالصواب .

وقوله سبحانه : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ^(٣) اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ [٩٦] وهذه استعارة . والمعنى : شاقُّ الصبح ومستخرجه من غسق الليل . وقوله سبحانه : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ أبلغ من قوله شاقُّ الإصباح ، إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق . ألا تراءم يقولون : انشقَّ الظفر ، وانفلق الحجر ؟ وقوله تعالى ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ استعارة أخرى . ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشيء المحبوب الذى تسكن إليه النفوس وتحبه^(٤) القلوب . يقال : فلان سكنُ فلانٍ . على هذا المعنى . والتأويل الآخر يخرج الكلام عن معنى الاستعارة . وهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الليل مظنة لانقطاع الأعمال ، والسكون بعد الحركات .

(١) الورق الخضر هو الأخضر . ووزنها مثل فرح .

(٢) فى الأصل الداوى بالذال المهملة . والصواب إعجمها .

(٣) هكذا بالأصل على قراءة رويس عن يعقوب . وهى قراءة أهل المدينة . أما قراءتنا نحن « وجعل الليل سكناً » فهى قراءة الحسن وعيسى بن عمر وحزرة والكسائى .

(٤) فى الأصل « وتحبه » . والقاف زيادة من الناسخ حرف بها الكلم من موضعه ...

وقوله سبحانه : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [١٠٠] في قراءة من قرأ : وخرقوا بالتخفيف ، وفي قراءة من قرأ خرقوا بالتثقيل . فهذه استعارة . والمراد أنهم دعوا له سبحانه بنين وبنات بغير علم ، وذلك مأخوذ من « الخرق » وهي الأرض الواسعة ، وجمعها خروق ، لأن الريح تتخرق فيها ، أي تتسع . والخرق من الرجال : الكثير العطاء ، فكأنه يتخرق . والخرقة : جماعة الجراد مثل الحرقة ، والخرق : الريح الشديد الهبوب . فكأن معنى قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ أي اتسعوا في دعوى البنين والبنات له ، وهم كاذبون في ذلك . ومن قرأ : وخرقوا^(١) فإنما أراد تكثير الفعل من هذا الجنس . والاختراق ، والاختلاق ، والاختراع ، والاتصال بمعنى واحد ، وهو الادعاء للشيء على طريق الكذب والزور .

وقوله سبحانه : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [١١٢] وهذه استعارة . لأن الزخرف في لغة العرب : الزينة . ومن ذلك قولهم : دار مزخرفة أي مزينة . فكأنه تعالى قال : يزينون لهم القول ليغثروا به ، وينخدعوا بظاهره ، كما يستغث بظاهر جميل ، على باطن مدخول .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [١١٠] وهذه استعارة . لأن تقليب القلوب والأبصار على الحقيقة وإزالتها عن مواضعها ، وإفلاقها عن مناصبها لا يصح والبنية صحيحة والجملة حية متصرفة . وإنما المراد - والله أعلم - أنا نرميها بالحيرة والخافة ، جزاء على الكفر والضلالة . فتكون الأفئدة مسترجعة لتعاضم أسباب الخواف ، وتكون الأبصار منزعة لتوقع طلوع المكاره . وقد

(١) وقرئ : « وحرفوا » بالخاء المهملة والفاء . أي زوروا . انظر « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » طبع دار الكتب العربية الكبرى ، ج ٢ ص ٢٠١ .

قيل إن^(١) المراد بذلك تقليبها على قراميص^(٢) الجرف في نار جهنم ، وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [١١٣] : وهذه استعارة . والمعنى : ولتميل إليه أفئدة هؤلاء المذكورين . ويقال : صغى فلان إلى فلان . أى مال إليه . وصغوه معه : أى ميله . ومنه أصغى بسمعه إلى الكلام . إذا أماله إلى جهته ، ليقرب من استماعه . وميل القلب إلى المعتقدات ، كميل السمع إلى المسموعات . وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١٢٧] . وهى استعارة . والمراد : لهم محل الأمانة والسلامة والمنجاة من الخافة . وتلك صفة الجنة . والسلام ههنا : جمع سلامة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الدُّنْيَا ﴾ [١٣٠] وهذه استعارة . لأنهم لما اغتروا بالحياة الدنيا حسن أن يقال إنها غرتهم . ولما كان فيها ما تميل إليه شهواتهم جاز أن يقال : إنها استمالت شهواتهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [١٥٣] وهى استعارة . والسبل التى هى الطرق لا تتفرق بهم ، وإنما هم الذين يفارقون نهجها^(٤) ، ويتبعون عوجها .

(١) كتب الناسخ « أن » بوضع همزة فوقها فتحة ، وعجيب أن يكون ذلك بعد مادة القول .

(٢) القراميص : جمع قرامس وهو فى الأصل الحفرة الواسعة الجوف الضيقة الرأس يستدفئ فيها الصرد ، أو هى موضع خبز اللثة .

(٣) ويصح أن يكون السلام اسما من اسم الله تعالى . فتكون دار السلام دار الله . كما يقال للكمة بيت الله .

(٤) فى الأصل « بهجتها » وهو تحريف من الناسخ . ولعل الصواب نهجها ، أو محجتها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [١٦٤] فهذه استعارة . والمعنى : ولا تحمل حاملة حمل أخرى . يريد تعالى في يوم القيامة . أى لا يخفف أحد عن أحد ثقلا ، ولا يشاطره حملا . لأن كل إنسان في ذلك اليوم مشغول بنفسه ، ومقروح^(١) بحمله . وليس أن هناك على الحقيقة أحمالا على الظهور ، وإنما هي أثقال الآثام والذنوب .
ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(٢) .



(١) هكذا بالأصل ، ولعلها « مفدوح » لأن الحمل الفادح هو الذى يشغل صاحبه فيعيا به فهو مفدوح . يقال : فدحه الأمر .

١٠ (٢) سورة البقرة الآية رقم ٤٨ ، والآية رقم ١٢٣ وهما من المتشابه .

ومن السورة التي يذكر فيها « الأعراف »

قوله : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [٧] . فهذه استعارة . لأن الخسران في التعارف إنما هو النقص في أثمان المبيعات . وذلك يخص الأموال لا النفوس . إلا أنه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقائها وخفتها جاء بذكر الخسران بعدها ، ليكون الكلام متفقا ، وقصص الحال متطابقا . فكانه سبحانه جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة ، إذ كانوا يوصفون بأنهم يملكون نفوسهم ، كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم .

وذكر خسرانهم لها لأنهم عرضوها للخسار ، وأوجبوا لها عذاب النار . فصارت في حكم العروض المثلقات ، وتجاوزوا حد الخسران في الأثمان ، إلى حد الخسران في الأعيان .

وقوله سبحانه حاكيا عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والصراط ههنا كناية عن الدين ، جعله الله سبحانه طريقا للنجاة والمفاز^(١) ، في داري القرار والمجاز ، وإنما قال صراطك . لما كان الدين كالطريق المؤدية إلى رضا الله سبحانه ومشوبته^(٢) . الموصلة إلى نعيمه وجنته . فكان إبليس - لعنه الله - إنما يوعد بالعود على طريق الدين ليضل عنه كل قاصد ، ويرد عنه كل

(١) في الأصل « والمفار » بالراء المحلة . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل « ومصوبته » ولا معنى لها هنا لأن المصوبة معناها المصيبة وضعف العقل ؛ وليس هذا جزاء رضا الله سبحانه وتعالى .

وارد ، بمكره وخذائمه ، وتليسه^(١) ووساوسه . تشبيها بالقاعد على مدرجة بعض السبل ،
ليخوف^(٢) السالكين منها ، ويعدل بالقاصدين عنها . والمراد : لأقعدن لهم على صراطك
المستقيم ، فلما حذف الجار انتصب الصراط .
والحذف ههنا أبلغ في الفصاحة ، وأعرق في أصول العربية . ونظيره قول
الشاعر^(٣) :

* كما عسل الطريق الثعلب *

أى عسل في الطريق .

وكل ما في القرآن من ذكر سبيل الله سبحانه ، فالمراد به الطريق المفضية إلى طاعته عاجلا ،
وإلى جنته آجلا .

وقوله سبحانه : ﴿ فَذَلَّا هُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [٢٢] . وهذه استعارة . والمراد أنه أوقعهما في
أهوائه بغروره لهما . وكل واقع في مثل ذلك فإنه نازل من علو إلى استفال ، ومن كرامة
إلى إذلال . فلذلك قال تعالى : ﴿ فَذَلَّا هُمَا بِغُرُورٍ ﴾ . وقد استقصينا الكلام على ذلك
في كتابنا الكبير ، عند القول فيما اختلف العلماء فيه من ذنوب الأنبياء عليهم السلام .
وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا

(١) في الأصل « وتليسه » ولا معنى لها . والصواب ما أثبتناه ، لأن تليس إبليس هو ما يدلس به على
الناس ليضلهم عن سبيل الله .

(٢) في الأصل « لئخوف » وهو تحريف ، لأن القاعد هو الذي يخوف السالكين .

(٣) هو الشاعر ساعدة بن جؤبة بصف رحا . والبيت كاملا هو :

لأن بهز الكف يصل منه فيه ، كما عسل الطريق الثعلب

انظر ابن هشام في « أوضح السالك » ج ٢ ص ١٦

وَلِبَاسُ التَّقْوَى ، ذَلِكَ خَيْرٌ ﴿ [٢٦] وقد قرئ : ورياشا ^(١) . وهما جميعا استعارة ههنا ^(٢) . لأن المراد بهما اللباس . وسمى اللباس ريشا ورياشا تشبيها بريش الطائر الذي يستر جلته . ومن كلام العرب : أعطيته رجلا بريشه . أى بكسوته .

وقال المفسرون : معنى لباس التقوى ما كان من الملابس يستر العورة ، لأن ستر العورة من أسباب التقوى . وقرئ : ولباسُ التَّقْوَى . نصبا بأنزلنا عليكم . والرفع فيه على معنى الابتداء . ويكون خيرا خبرا له . فيكون المعنى : ولباسُ التقوى المشار إليه خير . وهذا أسدُّ القولين في هذا المعنى .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . لأن الوجه لا يصح عليه القيام . والمعنى : فتوجهوا وجوهكم عند كل مسجد . ويجوز أن يكون معنى ذلك : فتوجهوا بجملةكم نحو كل مسجد . لأن وجه الشيء عبارة عن جلته .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [٤٠] وهذه استعارة . والمراد لا يصلون إلى الجنة ولا يتسهل لهم السبيل إليها ، ولا يستحقون بأعمالهم للدخول إليها . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ ^(٣) أى سهّلنا خروجه من السماء إلى الأرض ، ورفعنا الحواجز بينه وبين الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [٤١] وهذه استعارة . وقد مضى في (آل عمران) ^(٤) أن الزيادة ههنا قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾

(١) قرأ ذلك الحسن وعاصم من رواية المفضل الضبي ، كما قرأه أبو عمرو من رواية الحسين بن علي الجعفي
(٢) الاستعارة في قوله تعالى « قد أنزلنا عليكم لباسا » لا تتضح إلا إذا كان اللباس هو المطر الذي به يثبت القطن والكتان . أى أنزلنا عليكم مطرا ينتج القطن والنبات الذي تتخذون منه ملابسكم - انظر القرطبي ج ٢ ص ١٨٤

(٣) سورة القمر . الآية رقم ١١

(٤) في الأصل « لأن الزيادة » وهو تحريف من النسخ وصوابه « إلا أن .. » كما أثبتناه .

فكأنه جعل لهم من النار أمهدة مفترشة ^(١) وأغشية مشتملة ، فيكون استظلالهم بجرها ، كاستقرارهم على جمرها . نعوذ بالله من ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ﴾ [٤٣] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك شيء يأتى ^(٢) نزعه على الحقيقة . والمعنى : أزلنا ما في صدورهم من الغل بإنسانهم إياه ، و بإحداث ^(٣) أبدال له تشغل أماكنه من قلوبهم ، وتشفع مواقعه من صدورهم . وقال بعض المفسرين : معنى ذلك : أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضا على علو المنزلة فيها ، والبلوغ إلى مشارف رتبها . والحسد : الغل .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣] وهذه استعارة خفية . وقد تكون استعارة خفية ، واستعارة جلية . وذلك أن حقيقة الميراث في الشرع هو ما انتقل إلى الإنسان من ملك الغير بعد موته على جهة الاستحقاق . فأما صفة الله تعالى بأنه الوارث لخلقه كقوله : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٤) وكقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٥) فهو مجاز ، والمراد : أنه الباقي بعد فناء خلقه ، وتقوُّض سمائه وأرضه .

وقد استعمل ذلك أيضا في نزول قوم ديار قوم بعدهم ، وأخذ قوم أموال قوم بعد إجلائهم وحرهم ^(٦) . فقال سبحانه في هذه السورة : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [١٣٧] . وقال تعالى في

(١) في الأصل « مفوئته » وهو تحريف

(٢) في الأصل « يأتى » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « وبأحداث » وهو تحريف .

(٤) سورة القصص . الآية رقم ٨

(٥) سورة آل عمران . الآية رقم ١٨٠ وسورة الحديد . الآية رقم ١٠

(٦) في الأصل « وحرهم » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه مما يجزم به السياق .

موضع آخر : ﴿ وَأَوْزَنَّاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَوُّوها ﴾ ^(١) وليس يصح في إراث الجنة مثل هذه المعاني التي ذكرناها ، لأن الجنة لا يسكنها قوم بعد قوم قد فارقوها وانتقلوا عنها . فقوله سبحانه : ﴿ أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ على الأصل الذي قدّمناه استعارة . ويكون المعنى الذي يسوغ هذه الاستعارة أن هؤلاء المؤمنين لما عملوا في الدار الدنيا أعمالا استحقوا عليها الجزاء والثواب ، ولم يصح أن يوفر عليهم ذلك إلا في الجنة ، وهي من الدار الآخرة ، فكأنهم استحقوا دخولها . فحسن من هذا الوجه أن يوصفوا بأنهم أورثوها ، وإن لم يكن سكنهم لها بعد سكنى قوم آخرين انتقلوا عنها . وسوّغ ذلك أيضاً اختلاف حال الدارين ، وانتقالهم من الأولى إلى الآخرة . فسكان ماعلوه في الدار الأولى كان سبباً لما وصلوا إليه في الدار الآخرة ، كما يستحق الميراث بالسبب .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [٤٥] وهذه استعارة ، فإن ^(٢) سبيل الله سبحانه : دينه . ومعنى ويبغونها عوجاً أى يبتغون عنها المتحاول ، ويطلبون منها الفسح والخارج ، ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قويمه ، ومضطربة غير مستقيمة .

وقوله تعالى : ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٥٣] وقد مضى نظير ذلك في أول السورة .

وقوله سبحانه : ﴿ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ ﴾ [٥٤] ^(٣) .

(١) سورة الأحزاب . الآية رقم ٢٧ .

(٢) في الأصل « بأن » وهو تحريف .

(٣) هنا قطعة ناقصة من الأصل تبلغ قدر ست ورقات من الآية رقم ٥٣ من الأعراف إلى الآية رقم

٦٤ من سورة النوبة .

سورة التوبة

(١)

على الحقيقة هي التقارب بالحدود مثل المسامحة ، وهي المائلة في السميت الذي هو الجهة ، وذلك من صفات الأجسام ، وذوات الحدود والأقطار . فالمراد إذن بالمحادثة همنا كون الإنسان في غير الحد الذي فيه أولياء الله سبحانه . فكأنهم في حد ، وأولياء الله سبحانه في حد . وكذلك الكلام في مشاققة الله تعالى على أحد التأويلين ، وهو أن يكون الإنسان في شق أعداء الله وحر به ، لافي شق أوليائه وحز به .

وحقيقة الكلام أن يكون المراد به محادثة أولياء الله على الصفة التي ذكرناها فقال تعالى : ﴿ يُحَادِدِ اللَّهُ ﴾ كما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢) أى يؤذون أولياء الله ورسوله ، لأن الأذى لا يجوز على من لا تلحقه المنافع والمضار ، والمساءات والمساو .

وقوله سبحانه : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [٦٤] وهذه استعارة . لأن السورة نطقها من جهة البرهان لا من جهة اللسان . فكأنه سبحانه أراد أن الناس يعلمون بهذه السورة النازلة في المنافقين بواطن نفوسهم ، وعقائد قلوبهم .

.

(١) هنا بداية القسم الموجود من سورة التوبة ، أما ما قبل ذلك ففقود مع آخر قسم من سورة الأعراف .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية رقم ٥٧ .

[وقوله سبحانه^(١)] : ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [٨٧] . [الخوالف النساء^(٢)] [المقيات في دار الحى بعد رحيل الرجال . وإنما سمي النساء خوالف تشبيها لهن بالخوالف ، التى واحدتهن خالفة ، وهى الأعمدة تكون فى أواخر بيوت الحى المضروبة . فشبههن - لكثرة لزوم البيوت - بالخوالف التى تكون فى البيوت .

وقد قيل إن الخوالف أيضا زوايا البيوت ، واحدتها خالفة . والمعنى واحد . وقد يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ حقيقة الخوالف التى هى أعمدة البيوت . أى رضوا بأن يكونوا فى بيوتهم ، فيكونوا - بالملازمة لها - كخوالفها وأعمدتها .

وقد يجوز أيضا أن يكون الخوالف ههنا جمع فرقة خالفة . وهى الجماعة التى تقعد عن الغزو ، كالشيوخ ، والنساء ، وذوى العاهات ، والولدان . ومما يقوى ذلك قوله تعالى أمام هذا الكلام : ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [٨٣] .

وكنتم سمعت شيخنا أبا الفتح عثمان بن جنى^(٣) النحوى - رحمه الله - يقول ذلك ، ويذهب إلى مثله أيضا فى قوله سبحانه : ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾^(٤) . ويقول : هى جمع فرقة كافرة . إلا أن الكلام يكون على القول الأول استعارة . ويكون على هذا القول حقيقة .

(١) هذه زيادة ليست بالأصل يقتضيهما السياق

(٢) هذا السطر محو ، وقد استظهرناه من السياق الذى يفسر الخوالف بالنساء المقيات فى دار الحى .

(٣) أبو الفتح عثمان بن جنى إمام من أئمة النحو . وقد اشتهر بشرحه لديوان المتنبي ، وكتاباه

« الخصائص » فى اللغة وهو مشهور . وكان المتنبي يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، وقد كان ابن جنى

أستاذا للشرىف الرضى ، ونقل هذا عنه كثيرا فى كتابه « المجازات النبوية » . توفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٤) سورة الممتحنة آية رقم ١٠ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَّائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [٩٨] . وهذا استعارة (١) عليهم أيام السوء ، لأن الأيام والشهور قد تسمى دوائر ، على طريق الاستعارة . فليس لأنها ترجع بأعيانها ، وإنما تعود أشباهها وأمثالها ، فشهر كشهري ، ويوم كيوم ، وساعة كساعة ، وسنة كسنة . يقال دارت السنون ، ودارت الشهور على هذا المعنى . إلا أن هذه اللفظة ، أعني الدائرة والدوائر ، قد اختص ذكرها بالمواضع المكروهة . فيقال : دارت عليهم الدوائر ، إذا أهلكتهم الأيام ، وأفتتهم الأعوام . ويقال : دارت لهم الدنيا . إذا وصفوا بمواناة الإقبال ، وانتظام الأحوال . فكان التمييز في الخير أو الشر إنما يقع بقولنا : دارت لهم ، ودارت عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ﴾ [١٠٩] وهذه استعارة . والمراد بها ذكر ما بناه المنافقون من مسجد الضرار (٢) ، بعد ما بلى المؤمنون من المسجد المعروف بمسجد قباء (٣) . لأن المؤمنين وضعوا هذا البناء ، وهم مؤمنون متقون ، عارفون موقنون ، فكانهم وضعوه على قواعد من الإيمان ، وأساس من الرضوان . والمنافقون إنما وضعوا ذلك البناء كيدا للمؤمنين ، وإرسادا للمسلمين . فكانهم وضعوه على شفا

(١) هنا سطران محوون تماما .

(٢) مسجد الضرار ، هو المسجد الذي بناه المنافقون بقاء لإضرار المسلمين وتفريق كلمتهم ، وقد سأله النبي عن رجوعه من تبوك أن يأتي مسجدهم هذا ليصلي فيه ، فأُنزل الله فيه قوله تعالى : « الذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرسادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليعلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا » . وقد أمر النبي عليه السلام بهدم هذا المسجد الظالم أهله ، فحرق وهدم واتخذ موضعه مكانا للقيامة .

(٣) مسجد قباء هو المسجد الذي أسسه النبي على التقوى من أول يوم نزل فيه قباء ، وهي بلدة على بعد ميلين من جنوب المدينة .

جُرْفٍ هَارٍ مَقْوُوسٍ ، وَأَسَاسٍ وَاهٍ مُنْتَقِضٍ ، فَكَأَنَّمَا انْهَارَ بِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، أَيْ
أَسْقَطَهُمْ ذَلِكَ الْفِعْلُ فِي عَذَابِ النَّارِ ، وَدَائِمِ الْعِقَابِ . وَهَذِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْأَسْتِعَارَاتِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [١١٠] فَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ . وَمَعْنَاهَا أَنْ ذَكَرَ الْبَنِيَانِ الَّذِي بَنَوْهُ لَا يَزَالُ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، يَخَافُونَ مَعَهَا إِنْزَالَ اللَّهِ بِهِمْ ضُرُوبَ الْعِقَابِ ، أَوْ بَسْطَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ لِمَا ظَاهَرَهُمْ مِنَ الْعِنَادِ وَالشَّقَاقِ . فَهُمْ أَبَدًا بِنَفْسِهِمْ مُسْتَرِيبُونَ ، وَعَلَيْهَا خَائِفُونَ مُشْفِقُونَ . فَلَا يَزَالُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ حَسْرَةً ، وَتَرْهَقَ نَفْسُهُمْ خِيفَةً .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [١١١] وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لِمَا أَمَرَهُمْ بِبَذْلِ نَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي الْجِهَادِ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَافَحَةِ عَنْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَضَمِنَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُودَ فِي النِّعَمِ ، وَالْأَمَانَ مِنَ الْجَحِيمِ ، كَانَتْ نَفْسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعُرُوضِ الْمُبِيعَةِ ، وَكَانَتْ الْأَعْوَاضُ الْمَضْمُونَةُ عَنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَثْمَانِ الْمُنْقُودَةِ ، وَكَانَتْ الصَّفَقَةُ رَاجِعَةً لَزِيَادَةِ الْأَثْمَانِ عَلَى السَّلْعِ ، وَإِضَاعَافِ الْأَعْوَاضِ عَلَى الْقِيمِ .

وَجَمَلَةُ هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْعِبَادَاتِ كُلَّهَا كَالْتِجَارَاتِ ، فِي أَنَّهَا طَلَبٌ لِلْمَنَافِعِ . فَالْعِبَادَاتُ ^(١) طَلَبٌ لِمَنَافِعِ الْآخِرَةِ ، وَالتِّجَارَاتُ طَلَبٌ لِمَنَافِعِ الدُّنْيَا .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ [١١٧] وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ . لِأَنَّ حَقِيقَةَ الزَّيْغِ الْأَعْوِجَاجِ وَاللَّيْلِ . وَالْمُرَادُ : مِنْ بَعْدِ مَا كَادَتْ قُلُوبُهُمْ تَزُولُ مِنْ عَظَمِ الْخِيفَةِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « بِالْعِبَادَاتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ

وتقنط من نزول الرحمة ، فتكون بذلك كالشيء الزائغ بعد الاستقامة ، والمستمال بعد الثبات والرصانة .

ومن الدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [١١٨] فهذه أيضا استعارة . لأن النفس بالحققة لا توصف بالضيق والاتساع ، وإنما المراد بذلك المراد بالقول الأول من أنه عبارة عن انضغاط القلوب بشدة الكرب ، وبلوغها منقطع الصبر .

وقوله : سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [١٢٠] وهذه استعارة . والمراد بها أنهم لا ينبغي لهم أن يكرموا أنفسهم عما يبذل النبي صلى الله عليه وسلم فيه نفسه ، ولا يحفظوا مهجهم في المواطن التي تحضر فيها مهجته ، اقتداء به ، واتباعا لأثره . وهذه لفظة يستعملها أهل اللسان كثيرا ، فيقولون : رغبت بنفسي عن الضيم ، وأرغب بك يافلان عن القتل ، أى أضن بنفسي عن أن تذل ، وأنفس بمثلك عن أن يُقتل .

فالظاهر يدل على أنهم رضوا بنفوسهم عن نفس النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد : وما كان لهم أن يرغبوا بالنفوس . عن^(١) التي ينزلها نفسه ويعرض فيها مهجته .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٢٤] ، [١٢٥] وهذه

(١) يان بالأصل . وبصح أن توضع هنا كلمة المواطن ، أو الموضع ، أو المنازل ، أو المأوى من هذا الباب .

استعارة ظاهرة . وذلك أن السورة لاتزيد الأرجاس^(١) رجسا ، ولا القلوب مرضا ، بل هي شفاء للصدر ، وجلاء للقلوب . ولكن المناققين لما ازدادوا عند نزولها عَمِيَ وَعَمَّهَا وازدادت قلوبهم ارتيابا ومرضاً ، حَسُنَ أن يُضاف ذلك إلى السورة ، على طريق لأهل اللسان معروفة .

وقد استقصينا الكلام على ذلك في عدة مواضع من كتابنا الكبير . فمن أراد بلوغ أقاصي هذه الطريقة ، والضرب في أقطارها والتفسيح في أعطائها ، فليتبع مواضعها من ذلك الكتاب بمشيئة الله .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [١٢٨] وهذه استعارة . والمراد بأنفسكم ههنا - والله أعلم - أى من جنس أنفسكم وخلقكم ، لتكونوا إليه أسكن ، وإلى القبول منه أقرب . ويجوز أن يكون من أنفسكم أى من قبيلكم وعشيرتكم ، كما يقول القائل : فلان من نفس بني فلان . أى من صميم أنسابهم ، وليس من وسائطهم وملاصقهم .

وقد يجوز أن يكون المراد برسول من أنفسكم ، أى من أشقائكم وأعزائكم ، كما يقول القائل لذي ودّه والقريب من قلبه : أنت من نفسى ، وأنت من قلبى . أى أنت شقيق النفس ، وقسيم القلب .

ومما يقوى ذلك قوله سبحانه : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٢٨] أى بحبّه لكم ، وميله إليكم ، بعزّه عليه أن تعنتوا وتعاندوا فتحرموا الثواب ، وتستحقوا^(٢) العقاب ، فهو حريص على إيمانكم رافةً بكم وإشفاقاً عليكم .

(١) في الأصل « لاتزيد الأرجاس إلا رجسا » ولا زائدة من النسخ بها يتقلب المعنى إلى الضد . والصواب حذفها كما أثبتناه .

(٢) في الأصل « ويستحقوا » بضمير الغائبين والصواب « وتستحقوا » بضمير المخاطبين كما أثبتناه .

ومن السورة التي يذكر فيها

« يونس » عليه السلام

قوله سبحانه ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن المراد بالقدم ههنا : السابقة في الإيمان ، والتقدم في الإخلاص . والعبارة عن ذلك بلفظ القدم غاية في البلاغة ، لأن بالقدم يكون السبق والتقدم . فسميت قدما لذلك . وإن كان التأخر أيضا يكون بها^(١) ، كما يكون التقدم بخطوها ، فإنما سميت بأشرف حالاتها وأنبه متصرفاتها . وقال بعضهم : إيمانهم في الدنيا هو قدمهم في الآخرة . لأن معنى القدم في العربية : الشيء تقدمه أمامك ليكون عُدَّةً لك ، حتى تقدم عليه .

وقال بعضهم : ذكر القدم ههنا على طريق التمثيل والتشبيه ، كما تقول العرب : قد وضع فلان رجله في الباطل ، وتخطى^(٢) إلى غير الواجب . ومعناه أنه انتقل إلى فعل ذلك ، كما ينتقل الماشي ، وإن لم يحرك قدمه ، ولم ينتقل خطاه .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [٣] وهذه استعارة . لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التي تعلو البساط وتميل وتعتدل . والمراد بالاستواء ههنا :

(١) في الأصل « بهما » بضمير اللين . وهو تحريف من الناسخ . والصواب « بها » بضمير المفردة العائد على القدم .

(٢) في الأصل هكذا « وتعطا » بدون إجماع وبرسم الفعل بألف بدل الياء .

الاستيلاء بالقدرة والسلطان ، لا بحلول القرار والمكان . كما يقال :
استوى^(١) فلان الملك على سرير ملكه . بمعنى استولى على تدبير الملك ، وملك
مقعد الأمر والنهي . وحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه ،
ولا مكان عالٍ يشار إليه . وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته ، واستيلاء سلطانه
على رعيته .

فإن قيل : فالله سبحانه مستولٍ على كل شيء بقهره وغلبته ، ونفاذ أمره وقدرته ، فما
معنى اختصاص العرش بالذكر ههنا ؟ قيل — كما ثبت — أنه تعالى رب لكل شيء . وقد
قال في صفة نفسه ، ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢) فإن قيل : فما معنى قولنا عرش الله ،
إن لم يرد بذلك كونه عليه ؟ قيل كما يقال : بيت الله وإن لم يكن فيه ، والعرش في السماء
تطوف به الملائكة تعبداً ، كما أن البيت في الأرض تطوف به الخلائق تعبداً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾^(٣) [١٠] وهذه استعارة على بعض الأقوال .
كأن المعنى أن بشرهم بالسلامة من المخاوف عند دخول الجنة تجعل مكان التحية لهم . لأن
لكل داخل داراً تحية يُلقى بها ، ويؤنس بسماعها . والسلام ههنا من السلامة ،
لا من التسليم .

(١) ومنه قول الراجز :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق
انظر «الفرطاني» ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٢) سورة التوبة . الآية رقم ١٢٩ ، والنمل الآية رقم ٢٦ ، وللمؤمنون . الآية ٨٦ ، ونصها هنا
« قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » .

(٣) في الأصل « تحيتهم » بغير واو . والصواب « وتحيتهم » بالواو عطفاً على ما قبلها ، وهو قوله
تعالى : « دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام » .

وقوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ [٢٤] . وهذه استعارة حسنة ، لأن الزخرف في كلامهم اسم للزينة واختلاف الألوان الموثقة .

وقوله سبحانه : ﴿ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ [٢٤] . أى لبست زينتها بألوان الأزهار ، وأصابع^(١) الرياض ، كما يقال : أخذت المرأة قناعها . إذا لبسته . وتقول لها : خذى عليك ثوبك . أى البسيه .

وقوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾^(٢) أى البسوا ثيابكم .
وقوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ [٢٤] . استعارة أخرى ، لأن الحصيد من صفة النبات ، لا من صفة الأرض . والمعنى : فجعلنا نباتها كذلك . فاكثفى بذكر الأرض من ذكر النبات لأن النبات فيها ، ومنشوء منها .

وقوله سبحانه : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ [٢٧] . على قراءة من قرأ بتحريك الطاء . وهذه استعارة . لأن الليل على الحقيقة لا يوصف بأن له قطعاً متفرقة ، وأجزاء متصفة . وإنما المراد — والله أعلم — أن الليل لو كان مما يتبعض وينفصل لأشبه سواد وجوههم أبعاضه وقطعه . ونصب سبحانه (مظلماً) على أنه حال من الليل . وفيه زيادة معنى . لأن الليل قد سمي ليلاً وإن كان مقمراً ، فإنما قال سبحانه : مظلماً ، على أن التشبيه إنما وقع به أسود ما يكون جلباباً ، وأبهم أثواباً .

وقوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [٦٧]

(١) في الأصل « وأصابع » بالعين المهملة . ولعلها كما أثبتناه بالعين المعجمة ، جمعاً لأصباغ مثل أزهار وأزاهير . فتكون جمع الجمع لصيغ .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٣١ .

وهذه استعارة مجيبة . وقد أومأنا إلى نظيرها فيما تقدم . وذلك أنه سبحانه — إنما سمى النهار مبصرا ، لأن الناس يُبصرون فيه ، فكان ذلك صفة الشيء بما هو سبب له ، على طريق المبالغة . كما قالوا : ليل أعمى ، وليلة عمياء . إذا لم يبصر الناس فيها شيئا لشدة إظلامها . وقوله : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ [٧١] . على قراءة من قرأ : ﴿ فَاجْمَعُوا ﴾ ^(١) . من الجمع ، لا على قراءة من قرأ : ﴿ فَاجْمَعُوا ﴾ من الإجماع . وهذه استعارة . والمعنى : اشتوروا في أمركم ، وأجمعوا له بالكُم ، وبالغوا في قدح الرأي بينكم ، حتى لا يكون أمركم غمةً عليكم ^(٢) . أى مغطى تغطية حيرة ، ومُبهمًا إبهام جهالة ، فيكون عليكم كالغمة العمياء ، والطخية الظلماء . وذلك مأخوذ من قولهم : غمَّ الهلال . إذا تغطى ببعض الموانع التي تمنع من رؤيته . ثم افعلوا بى ما أنتم فاعلون .

وهذه حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه . ويخرج الكلام منه على الاستقلال لكيدهم ، وقلة الحفل باستجماعهم واحتشادهم .

وقوله سبحانه . ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِيهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ ﴾ [٨٨] . وهذه استعارة . لأن حقيقة الطمس تحو الأثر . من قولهم : طمست الكتاب . إذا محوت سطوره . وطمست الريح ربع الحى . إذا محت رسومه . فكان موسى عليه السلام إنما دعا الله سبحانه بأن يمحو معارف أموالهم بالمسح لها ، حتى لا يعرفوها ، ولا يهتدوا إليها ، وتكون منقلبة عن حال الانتفاع بها ، لأن الطمس تغير حال الشيء إلى الدثور والدروس .

(١) مى قراءة عاصم الجعدري ، بوصل الألف وفتح الميم . من جمع يجمع

(٢) ومنه قول الشاعر الجاهلي طرفة :

لعمرك ما أمرى على بغمة نهارى ، ولا ليلى على بسرمد

وقوله تعالى : ﴿ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [٨٨] استعارة اخرى . إما أن يكون المراد بها ما يراد بالخنم والطبع . لأن معنى الشد يرجع إلى ذلك . أو يكون المراد به تثقيل العقاب على القلوب ، بالإيلاء لها ، ومضاعفة النعم والكرب عليها . و يكون ذلك على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ »^(١) أى غلظ عليهم عقابك ، وضاعف عليهم عذابك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٠٥] وهذه استعارة . وقد أومأنا إلى مثلها فيما تقدم . والمراد بها : استقم على دينك ، واثبت على طريقك . وخص الوجه بالذكر ، لأن به يُعرف توجه الجملة نحو الجهة المقصودة وقد يجوز أن يكون المراد بذلك - والله أعلم - أقم وجهك أى قومه نحو القبلة التى هى الكعبة . مستمرا على لزومها ، وغير منحرف عن جهتها .

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

(١) هذا الحديث فى مسند ابن حنبل ج ١٢ ص ٢٥٠ بتحقيق المحدث الجليل الصديق الشيخ أحمد محمد شاكر . وقد ذكر الشيخ أن إسناده صحيح . وقد رواه ابن سعد فى الطبقات ، ورواه مسلم والبخارى فى صحيحهما . ونص الحديث فى المسند : (لما رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الأخيرة من صلاة الصبح قال : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة . اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسئ يوسف) .

ومن السورة التي يذكر فيها

« هود » عليه السلام

قوله تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [١] وهذه استعارة . لأن آيات القرآن لما ورد في بعضها ذكر الحلال والحرام ، واستمرت على ذلك بين وعد مقدم ، ووعد مؤخر ، ونذارة مبتدأ بها ، وبشارة معقب بذكرها شبه القرآن لذلك - بالتظام المفصلة ، التي توافق فيها بين الأشكال تارة ، وتؤلف بين الأضداد تارة ليكون ذلك أحسن في التنضيد ، وأبلغ في الترصيف . وهذه من بدائع الاستعارات

وقوله سبحانه : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن حقيقة الشيء لا تنأى في الصدور . والمراد بذلك - والله أعلم - أنهم ينتنون صدورهم على عداوة الله ورسوله ، صلى الله عليه وآله . وذلك كما يقول القائل : هذا الأمر في طي ضميري . أى قد اشتمل عليه قلبي . فيكون قوله تعالى : ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ بمنزلة قوله يطوون صدورهم . ولفظ ينتنون أعذب استماعاً وأحسن مجازاً .

وقيل أيضاً : بل معنى ذلك أن المنافقين كانوا إذا اجتمعوا تخافتوا بينهم في الكلام ، وحنوا ظهورهم تظامناً عند الحوار ، خوفاً من رمق العيون ، ومراجم الظنون ، لوقوع ما يتفاوضونه في أسماع المسلمين . فإذا انحنت ظهورهم ، اثنت صدورهم . فأعلمنا الله سبحانه أنهم وإن أغلقوا أبوابهم ، وأسدلوا ستورهم ، واستغشوا ثيابهم - بمعنى اشتملوا بها ، وبمعنى أدخلوا رؤوسهم فيها على ما قاله بعضهم - فإنه تعالى يعلم غيب صدورهم ، ودخائل

قلوبهم، ومَرَامَزَ أعينهم، ومحاذف^(١) ألسنتهم .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ^(٢) الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ
كَفُورًا ۖ ﴾ [٩] وهذه استعارة لأن إذاقة الرحمة ونزعها ليسا بحقيقة ههنا . وإنما المراد بذلك
أنا إذا رحمتنا الإنسان بعد توبته من موقعة [في] ^(٣) بعض الذنوب فقبلنا متابه ، وأسقطنا
عقابه ، ثم واقع بعد ذلك ذنبا آخر ، واستحق أن نعاقبه وأن نزيل رحمتنا عنه ، يئس من الرحمة
وقنط من المغفرة . وليس الأمر كذلك ، لأنه إذا عاود الإقلاع ، أمِنَ الإيقاع .

وقد أخرج هذا الكلام مُخْرِجَ الذم لمن يواقع المعصية ، فيقنط من قبول التوبة .
فعنى أذقنا الإنسان منا رحمة . أى عرفناه أنا قدر رحمتنا . إذ قد أوجبنا قبول التوبة إذا
أخلص العبد فيها ، وأتى بها على شروطها وحدودها .

ومعنى ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ۖ ﴾ أى أزلنا عنه رحمتنا لأجل اقترافه المعصية التي اقترفها في
المرأى ^(٤) . وقد يجوز أن يكون المراد بالرحمة ههنا ما أعلم به النعمة والسراء . ويكون
انتزاعها منه بمعنى إبداله بها الشدة والضراء ، إجرأء له في مضمار الابتلاء والاختبار ، أو
مصلحة يكون معها أقرب إلى الإصلاح ^(٥) والرشاد . ومما يقوى ذلك قوله تعالى بعد
هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ، إِنَّهُ
لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۖ ﴾ [١٠]

(١) هكنا بالأصل . ولعلها مرامى الألسنة بالكلام كما يحذف بالحجر أى يرمى به .

(٢) فى الأصل « وإذا أذقنا » وهو تحريف من النسخ الذى كثر تحريفه حتى فى النسخ القرآنى .

والصواب « ولئن أذقنا » .

(٣) هذه اللفظة بالأصل . ولعلها زائدة لأن المعنى يستقيم بدونها ، ولهذا وضعتها بين حاصرتين .

(٤) هكنا بالأصل ، ولم نهند إلى تصويب لها .

(٥) فى المتن : الإصلاح ، وقد غيرت فى الهامش إلى « الصلاح » بدلا منها .

وقوله سبحانه : ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [٢٨] الآية . وهذه استعارة . لأن الرحمة لا توصف بالعمى وإنما يوصف الناس بالعمى عن تمييز مواقعها ، وإدراك مواضعها . فلما وُصفوا بالعمى عنها حسن أن يوصف بذلك في القلب ^(١) . كما يقال : أدخلت الخاتم في أصبعي ، والمغفر في رأسي . وإنما الأصبع دخلت في الخاتم ، والرأس دخل في المغفر . وقد يجوز أن يكون قوله سبحانه : ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٢) بمعنى خفيت عليكم ، كما يقول القائل : قد عمى على خبرهم . وعمى على أثرهم . أى خفى عنى الأثر والخبر .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [٣١] . وهذه استعارة . كما يقول القائل : اقتحمت فلانا ^(٣) عيني ، واحتقره طرفي . إذا قبح في منظر عينه خلقه ، وصغر دمامة . ليس أن العين على الحقيقة يكون منها الاحتقار ، أو يجوز عليها الاستصغار .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [٣٤] وذكر الإغواء ههنا من قبيل الاستعارة وإن لم يكن من صريحها . وكذلك لفظ المكر ، والاستهزاء ، وما يجري هذا الجرى . لأن المراد بمعاني هذه الألفاظ غير المراد بظواهرها . فالمتعارف من الإغواء هو الدعاء إلى الفنى والضلال . وذلك غير جائز على الله سبحانه ، لقبحه وورود أمره بضده . والمراد إذن بالإغواء ههنا تخييبه سبحانه

(١) ليس القلب هنا بمعنى الجراحة التي في الجسم ، ولكنه القلب اللفظي والمعنوي ، كما نقول : أدخلت الخاتم في الأصبع بدلا من أدخلت الأصبع في الخاتم .

(٢) فعميت بالتشديد هي قراءة الأعمش وحزة والكسائي .

(٣) في الأصل «الذى» بصيغة المفرد ، وهو تحريف من الناسخ . والصواب «الذين» بصيغة الجمع .

(٤) في الأصل : فلان وهو تحريف من الناسخ

لهم من رحمته ، لكفرهم وذهابهم عن أمره . ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ . أى خيبة من الرحمة ، وارتكاسا فى النعمة . وقد جاء لفظ الإغواء والمراد به التخييب فى كثير من منشور كلامهم ، ومنظوم أشعارهم .

ويجوز أن يكون الإغواء ههنا بمعنى الإهلاك لهم . ويجوز أن يكون بمعنى الحكم بالغواية عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴾ [٣٧] . وهذه استعارة . ومعناها : واصنع الفلك بأمرنا ، ونحن نرعاك ونحفظك . ليس أن هناك عينا تلحظ ، ولا لسانا يلفظ . وذلك كما يقول القائل : أنا بعين الله . أى بمكان من حفظ الله . ومن كلامهم للفظاعن المسيح والحميم المودع : صحبتك عين الله . أى رعاية الله وحفظه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي ، وَغِيضَ الْمَاءِ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [٤٤] . الآية . وهذه استعارة . لأن الأرض والسماء لا يصح أن تؤمرا وتخطبا . لأن الأمر والخطاب لا يكونان إلا لمن يعقل ، ولا يتوجهان إلا لمن يعى ويفهم . فالمراد إذن بذلك : الإخبار عن عظيم قدرة الله سبحانه ، وسرعة مضي أمره ، ونفاذ تدبيره . نحو قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) . وهذا إخبار عن وقوع أوامره من غير معاناة ولا كلفة ، ولا لغوب ولا مشقة .

(١) سورة مريم الآية رقم ٥٩ .

(٢) سورة النحل . آية رقم ٤٠ .

وفي هذا الكلام أيضا فائدة أخرى لطيفة . وهو أن قوله سبحانه : ﴿ يَا أَرْضُ اْبْلَعِي مَاءَكَ ﴾ . أبلغ من قوله : يَا أرض اذهبي بمائك . لأن في الابتلاع دليلاً^(١) على إذهاب الماء بسرعة . ألا ترى أن قولك لغيرك : ابلع هذا الطعام ، أبلغ من قولك له : كل هذا الطعام ، إذا أردت منه إيصاله إلى جوفه بسرعة ؟ وكذلك الكلام في قوله سبحانه : ﴿ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي ﴾ . لأن لفظ الإقلاع ههنا أبلغ من لفظ الانجلاء . لأن في الإقلاع أيضا معنى الإسراع بإزالة السحاب ، كما قلنا في الابتلاع . وذلك أدل على نفاذ القدرة ، وطواعية الأمور ، من غير وقفة ولا لبثة ، هذا إلى ما في المزاوجة بين اللفظين من البلاغة العجيبة ، والفصاحة الشريفة . إذ يقول سبحانه : يَا أرض ابلعي ، وَيَا سماء اقلعي : ومثل هذا في القرآن أكثر من أن يشار إليه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [٥٨] . وهذه استعارة . لأن العذاب في الحقيقة لا يوصف بالغلظ والدقة ، لأنه الألم الذي يلحق الحى في قلبه أو جسمه . وإنما وصفه تعالى بالغلظ على طريقة كلام العرب ، لأنهم يصفون الأمر الهين بالضئولة والدقة ، كما يصفون الأمر الشاق بالغلظ والشدة ، تحملا لذلك على عرفهم في المراجعة للشيء الغليظ الكثيف ، وقله الحفل بالشيء الدقيق الضئيل . ألا ترى إلى قولهم : عرض فلان دقيق ، وقدره ضئيل ؟ وإلى قولهم في مقابلة ذلك : لقي فلان فلانا بكلام غليظ ، وقول ثقيل .

وقد يجوز أيضا - والله أعلم - أن يكون المراد بعذاب غليظ ههنا الصفة لعذاب الآخرة . والعذاب إنما يقع بالآلات المستعظمة والأعيان^(٢) المستفظة ، مثل مقامع الحديد ، والحجارة

(١) في الأصل « دليل » بالرفع وهو تحريف من الناسخ ، لأنه اسم أن مؤخره فهو واجب النصب .

(٢) في الأصل « كالأعيان » . ولا محل للتشبيه هنا بعد أن مثل بمقامع الحديد والحجارة المحمأة بعد ذلك .

الحُمأة بالجحيم . فوصف سبحانه العذاب الغليظ ، لأنه واقع بالأشياء الغليظة ، والآلات الثقيلة ، فيكون ذلك مجازاً من هذا الوجه .

ومما يقوَّى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ عذابُ الآخرة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ ^(١) وهذه النجاة من عذاب الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فدلَّ على أن النجاة من العذاب الأول غير النجاة من العذاب الآخر . وأن الأول عذاب الدنيا ، والثاني عذاب الآخرة ، لأن العطف بالواو يقضى بذلك ، وإلا كان وجهُ الكلام : فلما جاء أمرنا نجَّينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا من عذاب غليظ ، ولم يكن لقوله تعالى : ﴿ وَنَجِّنَاهُمْ ﴾ ثانياً معنى .

وقوله سبحانه حا كيا عن لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [٨٠] وهذه استعارة والمراد بها : لو كنت آوِي إلى كثرة من قومي ، وَعَدِد من أهلي . وجعلهم ركناً له ، لأن الإنسان يلجأ إلى قبيلته ، ويستند إلى أعوانه ومنعته ، كما يستند إلى ركن البناء الرصين ، والنضد الأمين ^(٢) .

وجاء جواب لو ههنا محذوفاً . والمعنى ، لو أنني على هذه الصفة خللت بينكم وبين ما همتم به من الفساد وأردتموه من ذنوب فحشاء . والحذف ههنا أبلغ ، لأنه يوم المتوعد بعظيم الجزاء ، وبغليظ النكال ، ويصرف وهمه إلى ضرور العقاب ، ولا يقف به عند جنس من أجناس الخوفات المتوقعات .

(١) سورة هود . الآية رقم ٤٨ .

(٢) النضد من الجبل : ما تراكم منه . والجمع أنضاد .

وليس مخرج هذا الكلام من لوط عليه السلام ، على ما ظنّه مَنْ لا معرفة له ، وقدح فيه بأن قال : ألم يكن يأوى إلى الله سبحانه ؟ فما معنى هذا القول الذى قاله ؟ وذلك أن لوطا على ما ذكرنا إنما أراد الأعوان من قومه ، والأركان المستند إليهم من قبيلته ، وهو يعلم أن له من معونة الله سبحانه أشد الأركان ، وأعز الأعوان ، إلا أن من تمام إزاحة العلة فى التكليف حضور الناصر ، وقُرْبَ المعاضد والمرافد .

وقوله سبحانه فى صفة الحجارة المرسلة على قوم لوط : ﴿ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَاهِيَةٌ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [٨٣] وهذه استعارة . لأن حقيقة التسويم هى العلامات التى يعلم بها الفرسان والأفراس فى الحرب ، للتمييز بين الشعارات ، والتفريق بين الجماعات .

قال الله سبحانه : ﴿ يُمِدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ^(١) وقرئ ^(٢) ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ بفتح الواو . وقال الله سبحانه : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ ^(٣) والمعنى أنه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حربا لهم وأعوانا عليهم وصفها بوصف رجال ^(٤) الحرب وخيولهم ، فكأنها مرسلة من عند الله ، أى من عند ملائكة الله الذين تولوا الرمي بها ، إرسال الخيول المسومة على أعدائها ، وإن لم يكن هناك تسويم على الحقيقة .

وقد قال بعضهم : إن تلك الحجارة كانت على الحقيقة معلّمة بعلامات تدل على أنها أعدت للعذاب ، وأفردت للعقاب . وذلك أملا للقلوب ، وأعظم فى الصدور .

(١) فى الأصل « يمددكم بخمسة آلاف ... » بدون ذكر لفظة ربكم وقد أغفلها الناسخ غفر الله له جريا على عادته من الإغفال والإهمال . وهذه هى الآية رقم ١٢٥ من سورة آل عمران .

(٢) مسومين بالفتح هى قراءة ابن عامر وحزرة والكسائى وثاقب أما مسومين بكسر الواو فهى قراءة أبى عمرو وابن كثير وعاصم .

(٣) سورة آل عمران . الآية رقم ١٤ .

(٤) فى الأصل « الرجال الحرب » وهو تحريف من الناسخ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ [٨٤].

وهذه استعارة من وجهين: أحدهما وَصَفَ اليوم بالإحاطة ، وليس بجسم فيصح وصفه بذلك . والوجه الآخر : أن لفظ محيط ههنا كان يجب أن يكون من نَعْتِ العذاب ، فيكون منصوبا . فَجَعَلَهُ - سبحانه - من نعت اليوم فجاء مجرورا ، فأما وصف اليوم بالإحاطة - وإن لم يتأت فيه ذلك - فالمراد به - والله أعلم - أنَّ العذاب لما كان يعمُّ المستحقين له في يوم القيامة حَسَنَ وصف ذلك اليوم بأنه محيطٌ بهم أى أنه كالسياج المضروب بينهم وبين الخلاص من العذاب والإفلات من العقاب . وأما نَقْلُ نَعْتِ العذاب إلى نَعْتِ اليوم ، فالوجهُ فيه أن العذاب لما كان واقعا في ذلك اليوم كان ذلك اليوم كالحيط به ، لأنه ظرفٌ لِحُلُولِهِ ، ووقتٌ لِنَزُولِهِ .

وقوله سبحانه : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٦] وهذه استعارة . لأن حقيقة البقية تركة^(٢) شيء من شيء قد مضى ، ولا يجوز إطلاقه على الله سبحانه . فإذا نَجِبَ أن يكون المراد غير هذه الحقيقة . وقد قيل في معنى ذلك وجوه : أحدها بقية الله من نعمته خير لكم . وقد قيل : بقية الله طاعةُ الله ، وذلك لأنها تُبْقَى رضاه وثوابه أبداً ما بقيت . وقيل بقية الله أى عَفْوُ الله عنكم ورحمته بكم^(٣) بعد استحقاقكم العذاب ، كما يقول العرب المتحاربون بعضهم لبعض ، إذا استحرَّ فيهم القتل ، وأعضلهم الخطب : البقية ! البقية ! أى نسألکم البقية علينا والمكافأة لنا . والبقية ههنا والإبقاء بمعنى واحد .

(١) في الأصل « إني أخاف عليكم » بدون واو . وهي ناقصة من النسخ .

(٢) في الأصل « تركه » بالهاء لا بالتاء للربوطة .

(٣) في الأصل « ورحمته لكم » .

وقوله سبحانه : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ ^(١) نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ [٨٧] وهذه استعارة . لأن الصلاة لا يصح منها الأمر على الحقيقة ، وإنما أطلق عليها ذلك ، لأنها بمنزلة الأمر بالخير ، والناهي عن الشر .

وقيل : المراد بذلك : أدينك يأمرك بهذا ؟ أى فى شريعتك ودينك الأمر بهذا ؟ فإذا كان ذلك فى عقد الدين حسن أن يضاف الأمر به إلى الدين :

وفى هذا الكلام أيضا مجاز آخر . وهو أنه تعالى قال : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [٨٧] وليس يصح على ظاهر الكلام أن يؤمر شعيب بأن يترك قومه شيئا هم عليه ، وإنما المعنى - والله أعلم - أصلاتك تأمرك أن تأمرنا بترك ما يعبد آبائنا ؟ فاكتمى بذكر الأمر الأول عن ذكر الأمر الثانى ، لأنه كالمعلوم من فحوى الكلام . وهذا من غوامض أسرار القرآن .

وقوله سبحانه : ﴿ أَرْهَطِيْ أَعْرَاسِيْكُمْ مِنْ اللَّهِ ، وَأَتَّخِذْهُمُ وَرَاءَ ظَهْرِيْ ﴾ [٩٢] . فهذه استعارة . لأن الله سبحانه لا يجوز عليه أن يجعل ظهريا على الحقيقة . فالمراد أنكم جعلتم أمر الله سبحانه وراء ظهوركم . وهذا معروف فى لسان العرب أن يقول الرجل منهم لمن أغفل قضاء حاجته ، أو ثنى عطفًا على عدله وعتابه : جعلت حاجتى وراء ظهرك ، وتركت مقالى دبر أذنك . أى لم تعن بحاجتى ، ولم تصنع إلى معاتبتي .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [٩٤] . وهذه استعارة ، لأن حقيقة الأخذ إنما يوصف بها الأجسام . والصيحة عَرَضٌ من الأعراض ، لأنها بعض الأصوات ، إلا أنها أقوى للأسماع صكا وقرعا ،

(١) فى الأصل « وأن فعل ... » وهو تحريف من الناسخ .

وَأَبْلَغُ فِي الْقُلُوبِ وَجَلًا وَرَوْعًا . . والمراد أن هلاكهم لما كان عن الصيحة حَسَنَ أَنْ يَقَالَ :
إِنَّمَا أَخَذْتَهُمْ بِمَعْنَى ذَهَبَتْ بِنَفْسِهِمْ ، وَأَتَتْ عَلَى جَمْعِهِمْ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ، وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ،
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [٩٨ - ٩٩] فقوله تعالى : ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ
الْمَوْرُودُ ﴾ و ﴿ وَبِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ استعارتان . لأنه تعالى جَعَلَ فرعون في تقدمه
قومه إلى النار بمنزلة الفارط ^(١) المتقدم للوارد إلى الورد ، كما كان في الدنيا متقدمهم إلى
الضلالة ، وقائدهم إلى الغواية ، وَجَعَلَ النار بمنزلة الماء الذي يورَدُ ، ثم قال تعالى :
﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ لأنه وِرْدٌ لَا يُجِيزُ ^(٢) ، الغصة ، ولا ينقع الغلة .

وقد اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ . وهل ذلك ذم
لنار جهنم على الحقيقة أو المجاز ، فقال أبو علي ^(٣) محمد بن عبد الوهاب الجبائي : ذلك على
طريق المجاز ، والمعنى بئسَ وِرْدُ النار . وقال أبو القاسم البلخي ^(٤) : بل ذلك على طريق
الحقيقة .

فأما قوله سبحانه : ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ
الْمَرْفُودُ ﴾ [٩٩] فإنما قلنا إنه استعارة ، لأن حقيقة الرفد العطية . يقال رَفَدَهُ يَرْفُدُهُ رَفْدًا
وَرِفْدًا بفتح الراء وكسرهما . ولكن اللعنة لما جُعِلَتْ بدلًا من الرفد لهم عند انتقائهم من

(١) الفارط : اسم فاعل من فرط بمعنى سبق وتقدم ، انظر القاموس المحيط .

(٢) هَكَذَا بِالْأَصْلِ

(٣) أبو علي محمد الجبائي كان رأسًا من رؤوس المعتزلة وشيخ علماء الكلام في عصره . وتنسب
إليه طائفة « الجبائية » والجبائي نسبة إلى « جي » من قرى البصرة . توفي سنة ٣٠٣ هـ . وذكر ابن حوقل
في « المسالك والممالك » أن جي مدينة ورستاق عريض مشتهر العمائر بالنخل وقصب السكر وغيرها ،
ومنها أبو علي الجبائي الشيخ الجليل لإمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره .

(٤) أبو القاسم البلخي هو عبدالله بن أحمد السكعي ، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية .
والسكعي نسبة إلى بني كعب ، والبلخي نسبة إلى بلخ إحدى مدن خراسان . توفي سنة ٣١٧ هـ .

دار إلى دار، على عادة المنتجع المسترقد أو الرجل المتزود، جاز أن يسمى رفداً، على طريق المجاز، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) والبشارة في الأعم الأغلب إنما تكون بالخير لا بالشر. ولما جعل إخبارهم باستحقاق العذاب في موضع البشارة لغيرهم باستحقاق الثواب جاز أن يسمى في ذلك بشارة.

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقَصَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [١٠٠]. وهذه استعارة. والمعنى: منها قائم البناء، خالي من الأهل، ومنها منقوض الأبنية، ملحق بالأرض، تشبيها بالزراع المحصود. إلى هذا المعنى يرمي قوله تعالى: ﴿وَبَثْرٍ مُعْتَطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾^(٢). وقوله سبحانه: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٣). والعروش الأبنية. أى خالية من أهلها، على ما فيها من بواقي أبنيتها.

وقد يجوز أن يكون ذلك كناية عن أهل القرى، فكأنه سبحانه شبه الأحياء الباقين بالزراع النامي، وشبه الأموات المهالكين بالزراع الناضب. وذلك أحسن تمثيل، وأوقع تشبيه.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١٩]. وهذه استعارة. والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم أخبر به، وتمام وقوع مخبره مطابقاً لخبره.

(١) سورة آل عمران . الآية رقم ٢١ .

(٢) سورة الحج . الآية رقم ٤٥ .

(٣) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٩ .

ومن السورة التي يذكر فيها

« يوسف عليه السلام »

قوله : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [٤] . وهذه استعارة ، لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل ، فكان الوجه أن يقال . ساجدة . ولكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل ، جاز أن توصف^(١) بصفة من يعقل ، لأن السجود من فعل العقلاء . وهذا كقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ، لَا يَحْطَمَنَّكُمْ ﴾^(٢) فلما كانت النمل في هذا القول مأمورة أمر من يعقل جرى الخطاب عليها جرية على من يعقل . مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾^(٣) لأنها لما شهدت عليهم شهادة العقلاء المخاطبين أجزوا . كما في هذا الخطاب - مجرى العقلاء المخاطبين . ومن الشاهد على ذلك قول عبدة بن الطيب .

إِذْ أَشْرَفَ الدَّيْكَ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ لَدَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَارِيلُ^(٤)

(١) في الأصل « بوصف » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة النمل الآية رقم ١٨ وتكملة الآية (لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .

(٣) سورة فصلت . الآية رقم ٢١ .

(٤) هذا البيت من قصائد « الفضليات » للنسي والقصيدة كلها كاملة في ديوان الفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - ص ١٣٣ - ١٤٣ ج ١ . وترجمة عبدة بن الطيب في اللآلئ ، والأغاني ، والإصابة ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وهو صاحب البيت المشهور في الرثاء :

فأكان قيس هلك هلك واحد ولكنه بذيان قوم تمدا

فلما جعله بمنزلة الداعى جعل الديكة بمنزلة القوم المدعوين ، وجعلهم أسيرة له ، وأسرة الرجل قومه ورهطه . والمعاذيل الذين لا سلاح معهم . فكأنه جعله مستنصرا من لا نصرة له ولا غناء عنده . وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ^(١) على أحد القولين . فكأنه سبحانه ردّ خاضعين إلى أصحاب الأعناق لا إلى الأعناق ، لأن الخضوع منهم يكون على الحقيقة .

وقد يجوز أيضا أن يكون قوله في ذكر الكواكب والشمس والقمر : ﴿ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ إنما حسن على تأويل تلك الرؤيا . وتأويلها يتناول من يعقل من إخوة يوسف وأبويه . فجرى الوصف على تأويل الرؤيا ، ومصير العقبى . وهذا موضع حسن ، ولم يمس لي كمن ^(٢) تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [١٨] وهذه استعارة . لأن الدم لا يوصف بالكذب على الحقيقة . والمراد بذلك - والله أعلم - بدم مكذوب فيه ، والتقدير بدم ذى كذب . وإنما يوصف الدم بالمصدر الذى هو (كَذِبٌ) على طريق المبالغة . لأن الدعوى التى ^(٣) علق بذلك الدم كانت غاية في الكذب .

وقال بعضهم : قد يجوز أيضا أن يكون « كذب » ههنا صفة لقول محذوف يدل عليه الحال . فكأن التقدير : وجاءوا على قميصه بدم ، وجاءوا بقول كذب ، إذ كانت إشارتهم إلى آثار الدم فى القميص قد صحبها قول منهم يؤكد تلك الحال ، وهو قولهم : ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [١٧] . والقول الأول

(١) سورة الشعراء . الآية رقم ٤ .

(٢) هكذا بالأصل . وصوابه كما تقدم .

(٣) فى الأصل « الذى » وهو خطأ ، فالدعوى مؤنثة لامذكرة . وهو تحريف من الناسخ .

أصوب . ومن غرائب التفسير ما روى عن أبي عمرو بن ^(١) العلاء أنه قال : سمعت بعض الرواة يقول : بدم كذب بالإضافة من الدال ^(٢) . وقال : هو الجدوى في كلام الكنعانيين ، وأنشد لبعضهم :

ظَلَّتْ دِماءُ بَنِي عَوْفٍ كَأَنَّهُمْ عِنْدَ الْهَيَاجِ رِعاةٌ بَيْنَ أَكْدَابِ

وقيل : إنهم لطحواقميص يوسف عليه السلام بدم ظبي ذبحوه .

وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [١٨] وهذه استعارة . وحقيقة التسويل تزيين الإنسان لغيره أمرا غير جميل . جعل سبحانه أنفسهم لما قوى فيها الإقدام على ذلك الأمر المذموم بمنزلة الغير الذي يحسن لهم فعل القبيح ، ويحملهم على ركوب العظيم .

وقوله سبحانه : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [٣٠] وهذه استعارة . والمراد بها أن حبه تغفل إليها ، حتى أصاب شغافها ، وهو غشاء قلبها . كما تقول : بطنْتُ الرَّجُلَ . إذا أصبت بطنه . ويقال : معنى شَغَفَهَا أى سَلَبَ شَغافَ قلبها ، على طريق المبالغة في وصف حبها له ، كما تقول : سلبت الرَّجُلَ إذا أخذت سَلْبَهُ .

وقوله سبحانه : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ [٤٤] وهذه أبلغ استعارة وأحسن عبارة لأن أَحَدَ الْأَضْغَاثِ : ضِفَتْ . وهو الخليط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض ، كالحزمة وما يجرى مجراها ، فشبه سبحانه اختلاط الأحلام ، وما مر به الإنسان من المحبوب والمكروه ، والمساءة والسرور باختلاط الحشيش المجموع من أخفاف ^(٣) عدة ، وأصناف كثيرة .

(١) أبو عمرو بن العلاء . واسمه زبان بن عمار كان إماما في اللغة والأدب وكان أعلم الناس بالأدب والقرآن والشعر وأعراب الجاهلية . توفي سنة ١٥٤ بالكوفة . وله ترجمة موجزة في « الزهر » للسيوطي . وانظر « الأعلام » للزركلي .

(٢) وقرأ الحسن وعائشة « بدم كذب » بالوصف لا بالإضافة ، وبالدال المهملة أى بدم طرى . يقال للدم الطرى : الكذب .

(٣) الأخفاف : جمع خيف وهو كل هبوط وارتقاء في سفح الجبل ، أو ما ارتفع عن سبل الماء .

وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . والمراد بالسَّبع الشَّداد : السَّنون المجذبة . ومعنى ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ ، أى ينفد فيهن ما ذخرتموه لهن من السنين المحصبة .

وجرى على ذلك عادة العرب في قولهم : أكلت آل فلان السنة . يريدون مسَّهم الضر في عام الجذب ، وزمان الأزل^(١) . حتى كأنهم ليسمون السنة المجذبة : الضَّبْع . فيقولون : أكلتهم الضَّبْع . أى نهكتهم سنة الجذب .

وقال بعضهم : إنما نسب تعالى الأكل إليهن لأن الناس يأكلون فيهن ما ذخروه ، ويستنفدون ما أعدوه . كما يقال : يوم آمن . وليل خائف . أى يأمن الناس في هذا ، ويخافون في هذا .

وقوله سبحانه : ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^(٢) [٥٢] . وهذه استعارة . لأنه تعالى أقام كيد الخائنين^(٣) مقام الخابط في طريق ، ليصل إلى مضرة المكيدة وهو غافل عنه . فأعلمنا سبحانه أنه لا يهديه ، بمعنى لا يوفقه لإصابة الغرض ، ولا يسدده لبلوغ المقصد ، بل يدعه يخبط في ضلاله ، ويتسكع في متاهه ، لأنه كالسَّارى في غير طاعة الله ، فلا يستحق أن يهدي لرشد ، ولا يتسدد لقصد .

وقوله سبحانه : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [٥٣] . وهذه استعارة . لأن النفس لا يصح أن تأمر على الحقيقة .

(١) الأزل : الضيق والشدة والداهية .

(٢) أصل الآية كاملة : (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) .

(٣) كرر الناسخ هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين مرة أخرى في أثناء الناسخ .

ولكن الإنسان لما كان يتبع دواعيها إلى الشهوات ، وينقاد بأزمته إلى المقبّحات ، كانت بمنزلة الأمر المطاع ، وكان الإنسان بمنزلة السامع المطيع . وإنما قال سبحانه : ﴿ لَأَمَّارَةٌ ﴾ . ولم يقل لأمرّة ، مبالغة في صفتها بكثرة الدفع في المهاوى ، والقوّد إلى المغاوى . لأن « فعلاً »^(١) من أمثلة الكثير ، كما أن « فاعلاً » من أمثلة القليل .

وقوله سبحانه : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ﴾ [٧٦] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك على الحقيقة بناء يوطد ، ولا درجات تشيد . وإنما المراد به ترقية^(٢) معالم الذّكر في الدنيا ، ورفع منازل الثواب في الآخرة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [٨٢] . وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات . والمراد : وأسأل أهل القرية التي كنا فيها ، وأصحاب العير التي أقبلنا فيها . وما يكشف عن ذلك قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَنَجِّنَاهُم مِّنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾^(٣) . والقرية هي الأبنية المفروشة ، والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث ، فلم أن المراد بذلك أهلها . ومن الشاهد على ذلك أيضاً . قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤) . وقال بعضهم : إن القرية هي الجماعة المجتمعّة ، لا الأبنية المشيدة . وذلك مأخوذ من قولهم : قرى الماء في الحوض . إذا جمعه . والعير : هي الإبل وفيها أصحابها . وإنما أنت سبحانه ضمير القرية

(١) فعال : أى الصيغة التي على وزن فعال . وهذه تدل على الكثرة والمبالغة فالرجل القتال هو الكثير القتال .

(٢) في الأصل (لعله) بدون إجماع الحروف .

(٣) سورة الأنبياء . الآية رقم ٧٤ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ٧٧ .

بقوله : ﴿ أَلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ على اللفظ كما يقول القائل : قامت تلك الطائفة ، وتفرقت تلك الجماعة ، على اللفظ . ومحسن منه أن يقول عقيب هذا الكلام : وأكلوا ، وشربوا ، وركبوا ، وذهبوا ، حملا على المعنى دون اللفظ . كما قال تعالى : ﴿ مِنْ أَلْقَرِيَّةٍ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ . ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ ﴾ على المعنى . وكذلك القول في العير ، فإنما أنت ضميرها على اللفظ ، لأن العير مؤنثة . قال تعالى في هذه السورة : ﴿ وَلَمَّا فَصَّاتِ الْعَيْرُ ﴾ [٩٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ [٨٧] وهذه استعارة . والمراد ولا تيتسوا من فرج الله . والروح هو تنسيم الريح ، التي يلد شميمها ، ويطيب نسيمها . فشبه تعالى الفرج الذي يأتي بعد الكربة ، ويطرق بعد اللزبة^(١) بنسيم الريح الذي تروح القلوب له ، وتثلج الصدور به . ومثل ذلك ما جاء في الخبر : (الريح من نفس الله)^(٢) أى من تنفيسه عن خلقه . يريد سبحانه أن القلوب تستروح إليها ، كما يستروح المكروب إلى نفسه ، وذو الخناق إلى نفسه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ [١٠٧] . وهذه استعارة . والمراد بذلك المبالغة في صفة العذاب بالعموم لهم ، والإطباق عليهم ، كالغاشية التي تشمل على الشيء ، فتجمله من جميع جنباته ، ونستره عن العيون من كل جهاته .

(١) اللزبة : الشدة والقحط . يقال سنة لزبة أى شديدة .

(٢) وفي « نهاية الأرب » ج ١ ص ٩٥ روى عن رسول الله أنه قال (الريح من روح الله تعالى تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فلا تسبوها ، واسألوا الله خيرها ، واستعينوا بالله من شرها) أخرجه البيهقي في سننه .

ومن السورة التي يذكر فيها

« الرعد »

قوله تعالى : ﴿ أَتَيْنَا لَنُخْلِقَ جَدِيدًا ﴾ [٥] . وجديد ههنا استعارة . لأن أصله ههنا مأخوذ من الجد ، وهو القطع . يقال : قد جد الثوب ، فهو جديد بمعنى مجدود . إذا قطع من منسجه ، أو قطع لاستعمال لابس . والمراد - والله أعلم - إننا لنخلق جديداً ، أى قد فرغ من استئنافه ، وأعيد إلى موضع ثوابه وعقابه ، فصار كالثوب الذى قطع ^(١) منسجه بعد الفراغ من عمله .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ^(٢) بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ [٦] . وهذه استعارة والمراد بها ماضى المثالات - وهى العقوبات - للأمم السالفة قبلهم ، وتقدمها أمامهم . وقولهم : خلت الدار . أى مضى سكانها عنها . وخلوا هم . أى مضوا عن الدار وتركوها . وقولهم : القرون الخالية . أى الماضية .

والعقوبات على الحقيقة لم تمض ^(٣) ، وإنما مضى المعاقبون بها . فكأنهم ذكروا بالعقوبات الواقعة قبلهم ليعتبروا بها .

(١) هكذا بالأصل ولعلها : قطع من منسجه .

(٢) بالأصل : « يستعجلونك » بدون واو . وقد تركها الناسخ جرياً على عادته ..

(٣) فى الأصل : لم يمض وهو تحريف من الناسخ . والعقوبات هى المثالات التى قال الله فيها لأنها قد خلت من قبلهم .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [٨] . وهذه استعارة مجيبة . لأن حقيقة الغيض إنما يوصف بها الماء دون غيره . يقال : غاض الماء وغضته^(١) ولكن النطفة لما كانت تسمى ماء ، جاز أن توصف الأرحام بأنها تغيضها في قرارتها ، وتشتمل على نفاعاتها^(٢) . فيكون ما غاضته^(٣) من ذلك الماء سببا لزيادة ، بأن يصير مضغنة ، ثم علقة ثم خلقة مصورة . فذلك معنى قوله : ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ . وقيل أيضا : معنى ﴿ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾ . أى ما تنقص بإسقاط العلق ، وإخراج الخلق . ومعنى : ﴿ مَا تَزْدَادُ ﴾ أى ما تلده لتمام ، وتؤدي خلقه على كمال . فيكون الغيض ههنا عبارة عن النقصان ، والازدياد عبارة عن التمام .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [١٣] . وهذه استعارة . لأن التسييح فى الأصل تنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ، وتبرئته من مذانس الأعمال ، وقبائح الأفعال . وهذا لا يتأتى من الرعد ، الذى هو اصكاك أجرام السحاب بعضها ببعض . فالمراد - والله أعلم - أن أصوات الرعود تقوى بها الدلالة على عظيم قدرة الله سبحانه ، وبعده عن شبه الخليفة المقدرة ، وصفات البرية المدبرة . إذ كان الرعد كما قلنا إنما تغلظ أصواته ، وتعظم هزاته على حسب تعاضم صفحات السحاب الممتدة ، وتراكم الغيوم المطننة . وهى مع هذه الأحوال ، من ثقل أجرامها ، وتكاثف غمامها معلقة بمناطات الهواء الرقيق ، لولا دعائم القدرة وسماكها ، وعلائق الجبرية ومساكها لما حمل عشر معشارها ، ولا استقل ببعض أجزائها .

(١) غاض الماء : نقص . وغضته أنا أى نقصته . .

(٢) النفاعات : جمع نفاع وهو الشئ الذى ينتفع به .

(٣) فى الأصل ماغضته . وهو تحريف من الناسخ .

ومن عجيب أحواله أنه أيضا مع ما ذكرنا من تناقل أروافه ، وتعاظُل^(١) التفافه
ينفَشُ^(٢) انفضاش الهباء المتداعي ، والغُشَاء المتلاشي . إن في ذلك لعلبة لأولى
الأبصار .

ومعنى تسبيح الرعد بحمده سبحانه : دلالتُه على أفعاله التي يستحق بها الحمد ، كما يقول
القائل : هذه الدار تنطق بفناء أهلها . أى تدل على ذلك بخلاء ربوعها ، وتهديم عروشها .
وقد يجوز أن يكون معنى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ أن الرعد يضطر الناس
إلى تسبيح الله سبحانه عند سماعه ، فحُسِّن وصفه بالتسبيح لأجل ذلك ، إذ كان هو السبب
فيه . وهذا معروف في كلامهم .

وقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَظِلَالُهُمْ
بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [١٥] . وهذه استعارة . لأن أصل السجود في اللغة الخضوع والتذلل .
إمَّا باللسان الناطق عن الجملة أو بآثار الصنعة وعجائب الخلقة . ثم نقل فصار اسما لهذا العمل
الخصوص الذي هو من أركان الصلاة ، لأنه يدل على تذلل الساجد خالقه ، بتطامن
شخصه ، وانحناء ظهره . وقد ذكر في بعض الأخبار أن جدنا جعفر^(٣) بن محمد عليهما السلام
سئل عن العلة فيما كلف الله سبحانه من أعمال الصلاة وسائر العبادات ، فقال : أراد الله

(١) التعاظُل : هو نكاثُر الشيء وركوب بعضه فوق بعض . ومنه المعاظلة في الكلام أى تعقده
وموالاة بعضه فوق بعض .

(٢) انفش : أى سكن ولان بعد شدة .

(٣) جعفر بن محمد هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين رضى الله
عنهم . وهو سادس الأئمة الاثني عشر . وكان واسع العلم ، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك وجابر بن حيان .
ولقب بالصادق لأنه لم يهد عليه كذبة قط . توفى سنة ١٤٨ هـ بالمدينة .

سبحانه بذلك إذلال الجبارين . فإذا تمهد ما ذكرنا كان في ذكر « الظلال » فائدة حسنة ، وهو أن الظل الذي هو في سجود الشخص وهو غير قائم بنفسه ، إذا ظهرت فيه أعلام الخضوع للخالق تعالى بما فيه من دلائل الحكمة ومعجائب الصنعة ، كان ذلك أعجب من ظهور هذه الحال في البنية القائمة بنفسها ، والمعروفة بشخصها .

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [١٧] . وهذه استعارة . والمراد بضرب الأمثال - والله أعلم - معنيان : أحدهما أن يكون تعالى أراد بضربها تسييرها^(١) في البلاد ، وإدارتها على ألسنة الناس . من قولهم : ضَرَبَ فلان في الأرض . إذا توغل فيها وأبعد في أقاليمها . ويقوم قوله تعالى : ﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ مقام قوله ضَرَبَ بها في البلاد .

والمعنى الآخر في ضرب المثل أن يكون المراد به نصبة للناس بالشهرة ، لتستدل عليه خواطرهم ، كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم . وذلك مأخوذ من قولهم : ضربت الخبَاء . إذا نصبت ، وأثبت طنبه^(٢) ، وأثبت عمده . ويكون قوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ [١٧] . إلى هذا الوجه . أي ينصب منارها ، ويوضح أعلامها ، ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصدوه ، ويعرفوا الباطل فيجتنبوه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٣٣] وهذه استعارة .

(١) في الأصل : تسييرها وهو تحريف في النسخ .

(٢) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . والجمع أطناب .

والمراد به أنه تعالى مُخَصِّصٌ على كل نفس ما كسبت ، ليجازيها به . وشاهد ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ ^(١) . أى مادمت له مطالبا ، ولأمره مراعيًا ، لا تمهل له للحيلة ، ولا تنظره للغيلة ^(٢) . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

وإذا لم يصح إطلاق صفة القيام على الله سبحانه حقيقة ، فإن المراد بها قيام إحصائه على كل نفس بما كسبت ، ليطالبها به ، ويجازيها عنه بحسبه . والقيام والدوام ههنا بمعنى واحد . والماء الدائم هو القائم الذى لا يجرى .

وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [٤١] . وهذه استعارة . وقد اختلف الناس فى المراد بها ، فقال قوم : معنى ذلك نقصان أرض المشركين ، بفتحها على المسلمين . وقال آخرون : المراد بنقصانها : موت أهلها ، وقيل موت علمائها .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم الإسلام

وعندى فى ذلك قول آخر ، وهو أن يكون المراد بنقص الأرض - والله أعلم - موت كرامها . وتكون الأطراف ههنا جمع طُرْفٍ . لا جمع طَرَفٍ ، والطَّرْف هو الشيء الكريم . ومنه سُمِّيَ الفَرَسُ طَرَفًا ، إذ كان كريما . وعلى ذلك قول أبى الهندي ^(٣) الرياحى :

شربنا شربة من ذات عرق بأطراف الزجاج من العصير

أى بكرائم الزجاج . ولم يمض فى هذا القول لأحد .

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٧٥ .

(٢) الغيلة بكسر النون : الخديعة والاحتيال .

(٣) فى الأصل : أبو الهند وهو تحريف من الناسخ . واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس ، وهو من بنى زيد بن رباح . وقد ترجم له ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » ص ٦٦٣ من طبعة عيسى الحلبى بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، وذكر صاحب « العقد الفريد » خبرا له وطرفا من أقواله ونوادير شرا به . جزء ٦ ص ٣٤٢ .

ومن السورة التي يذكر فيها

« إبراهيم عليه السلام »

قوله سبحانه : ﴿ وَذَكَرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٥] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - التذكير بأيام نقم الله التي أوقعها بالماضين ، كعادٍ وثمود ومن جرى مجراهم : وهذا كقولنا : أيام العرب . وإنما تريد به الأيام التي كانت فيها الوقائع المشهورة والملاحم العظيمة . وقد يجوز أن يكون الأيام ههنا عبارة عن أيام النعم ، كما قلنا إنها عبارة عن أيام النقم . فيكون المعنى : فذكرهم بالأيام التي أنعم الله فيها عليهم وعلى الماضين من آباءهم بوقم^(١) الأعداء ، وكشف اللأواء ، وإسباغ النعماء . ألا ترى أن أيام العرب التي هي عبارة عن الوقائع يكون فيها لبعضهم الظهور على بعض ، فذلك من النعم ، وعلى بعضهم السوء والدائرة ، وتلك من النقم ؟ فالأيام إذن تذكرة لمن أراد التذكرة بالإناعام والانتقام .

وقوله سبحانه . ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [٩] وهذه استعارة ، على وجه واحد من وجوه التأويلات التي تحملت عليها هذه الآية . وذلك أن يكون المعنى ماذهب إليه بعضهم من أن الأيدي ههنا عبارة عن حجج الرسل عليهم السلام ، والبيّنات التي جاءوا بها قومهم ، وأكّدوا بها شرعهم . لأن بذلك يتم لهم السلطان عليهم والتدبير لهم ، وقد سمّوا السلطان يدا في كثير من المواضع ، فقالوا : ما فلان على فلان يدٌ ، أي سلطان . ويقولون : قد زالت يد فلان الأمير . إذا عزل عن ولايته ،

(١) وقم العدو : قهره وأذله ، ووقم الرجل : رده عن حاجته أفصح رد .

بمعنى زال سلطانه عن رغيته . ويقولون : أخذت هذا الأمر باليد . أى بالسلطان . فالحجج التى جاء بها الأنبياء أمهم قد تسمى أيديا على ما ذكرناه ، فلما وصف الكفار على هذا التأويل بأنهم ردّوا أيدي الأنبياء - عليهم السلام - فى أفواههم ، كان المراد بذلك ردّ حججهم من حيث جاءت ، وطريقُ بجيئها أفواههم ؛ فكأنهم ردّوا عليهم أقوالهم ، وكذبوا دعواهم .

وفى هذا التأويل بُعد وتعسف ، إلا أننا ذكرناه لحاجتنا إليه ، لما ذهبنا مذهب من حمل قوله سبحانه : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على الاستعارة لاعلى الحقيقة .

فإذا حملت الآية على حقيقة الأيدى التى هى الجوارح كان المراد بها مختلفا ^(١) فيه . فمن العلماء من قال : المراد بذلك أنهم كانوا يعضّون أناملهم تغيظا ^(٢) على الرسل عليهم السلام ، كما يفعل المغيظ المحنق ، والواجم للمفكر .

وقال بعضهم : المراد بذلك أن المشركين أومأوا إلى أفواه الأنبياء ، بالتسكيت لهم ، والقطع لكلامهم .

وقال بعضهم : بل المراد بذلك ضرب من الهزء ^(٣) يفعله المجّان والسفهاء ، إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس ، وقصدوا الوضع منه ، والإضرار عليه . فيجعلون أصابعهم فى أفواههم ويتبعون هذا الفعل بأصواتٍ تشبهه وتجانسه ، يستدل بها على قصد السخف ، وتعمد الفحش . وهذا عندى بعيد من السداد ، وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد .

(١) فى الأصل : مختلف فيه . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى الأصل : تغيضا بالضاد المعجمة لا بالفاء المعجمة .

(٣) الهزء بفتح الهاء والهزء بضمها : السخرية .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أن الكفار كانوا إذا بدأ عليهم الرسل بالكلام سدّوا بأيديهم أسماعهم دفعة ، وأفواههم دفعة ، إظهارا منهم لقلّة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم ، ليدلوهم - بهذا الفعل - على أنهم لا يصغون لهم إلى مقال ، ولا يجيئونهم عن سؤال ، إذ قد أبهموا طريق السماع والجواب ، وهما الآذان والأفواه . وشاهد ذلك قوله سبحانه حاكيا عن نوح عليه السلام يعنى قومه : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ ^(١) فيكون معنى رد أيديهم في أفواههم على القول الذى قلنا أن يمسكوا أفواههم بأ كفهم ، كما يفعل المظهر الامتناع من الكلام . ويكون إنما ذكر تعالى ردّ الأيدي ههنا - وهو يفيد فعل الشيء ثانيا بعد أن فعل أولا - لأنهم كانوا يكثرّون هذا الفعل عند كلام الرسل عليهم السلام . فوصفوا في هذه الآية بما قد سبق لهم مثله ، وألف منهم فعله ، فحسن ذكر الأيدي بالرد على الوجه الذى أو مانا إليه . وأيضا فقد يقول القائل لغيره : اردد إليك يدك . بمعنى اقبضها وكفها . لا يريد غير ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [١٤] . وهذه استعارة . لأن المقام لا يضاف إلّا إلى من يجوز عليه القيام . وذلك مستحيل على الله سبحانه ، فإنّ المراد به يوم القيامة ، لأن الناس يقومون فيه للحساب ، وعرض الأعمال على الثواب والعقاب ، فقال سبحانه في صفة ذلك اليوم : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وإنما أضاف تعالى هذا المقام إلى نفسه في هذا الموضع ، وفي قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ

(١) سورة نوح عليه السلام . الآية رقم ٧ .

(٢) سورة المطففين . الآية رقم ٦ .

رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١﴾ لَأَن الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ لَهُ خَالِصًا ، لا يشاركه فيه حكم [حاكم] ^(٢) ، ولا يحاذيه أمرُ أمر . وقد يجوز أن يكون المقام ههنا معنى آخر ، وهو أن العرب تسمى الجامع التي تجتمع فيها لتدارس مفاخرها ، وتذاكر مآثرها « مقامات » و « مقاوم » . فيجوز أن يكون المراد بالمقام ههنا الموضع الذي يقص فيه سبحانه على بريته محاسن أعمالهم ، ومقايص أفعالهم ، لاستحقاق ثوابه وعقابه ، واستيجاب رحمته وعذابه . وقد يقولون : هذا مقام فلان ومقامته ، على هذا الوجه ، وإن لم يكن الإنسان المذكور في ذلك المكان قائما ، بل كان قاعداً أو مضطجعا . ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ ^(٣) أي من مجلسك . سماه مقاما - مع ذكره أن سليمان عليه السلام كان جالسا فيه - لأنه قال ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ . وإنما سماه مقاما ، لأن القاعد إذا قام بعد قعوده ففيه يكون قيامه . وهذا من غرائب القرآن الكريم . وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَاءِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [١٧] فهذه استعارة . لأن المراد بذلك لو كان الموت الحقيقي ولم يكن ^(٤) سبحانه ليقول : ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ ، وإنما المعنى أن غواشي الكروب ، وحوازب الأمور

(١) سورة الرحمن . الآية رقم ٤٦ .

(٢) لفظة « حاكم » ناقصة من الأصل . وقد وضعناها بين حاصرتين ، لأن السياق يفتضيها

(٣) سورة النمل . الآية رقم ٣٩ .

(٤) هذه العبارة غير واضحة كما هي . والمقصود أن الموت هنا مجاز لا حقيقة ، ولو كان الموت هنا حقيقة لم يكن سبحانه ليقول : (وما هو بميت) . ولعل الواو زائدة في قوله « ولم يكن »

تطرقه من كل مطرق ، وتطلع عليه من كل مطلع . وقد يوصف المغموم بالكرب ،
والمضغوط بالخطب بأنه في غمرات الموت ، مبالغة في عظيم ما يغشاه ، وأليم ما يلقاه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [١٨] في
هذه الآية استعارتان إحداهما ^(١) قوله تعالى : ﴿ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ ^(٢) .

.

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [٣٧] . وهذه من محاسن
الاستعارة . وحقيقة الهوى النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط . والمراد به ههنا المبالغة في
صفة الأفتدة بالنزوع إلى المقيمين بذلك المكان . ولو قال سبحانه : تحن إليهم ، لم يكن
فيه من الفائدة ما في قوله سبحانه : ﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ لأن الحنين قد يوصف به من هو
مقيم في مكانه ، والهوى يفيد انزعاج الهاوى من مستقره .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ أَسْوَادُ ﴾ [٤٣] وهذه استعارة .
والمراد بها صفة قلوبهم بالخلو من عزائم الصبر والجأذ ، لعظيم الإشفاق والوجل . ومن عادة
العرب أن يسموا الجبان يراعة جوفاء ، أى ليس بين جوانحه قلب .

وعلى ذلك قول جرير يهجو قوماً ويصفهم بالجبن :

قل لخفيف القصبات الجوفان جيئوا بمثل عامر والعلهان ^(٣)

(١) في الأصل : أحدهما . بالذكور وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هنا ورقة ضائعة من الأصل . من الآية ١٨ إلى الآية ٣٧ .

(٣) ورد هذا البيت في ديوان جرير هكذا .

وإنما وصف الجبان بأنه لاقاب له ، لأن القلب محل الشجاعة ، وإذا نفى المحل فأولى أن ينتفى الحال فيه . وهذا على المبالغة في صفته بالجن . ويسمون الشيء إذا كان خالياً « هواء » ، أى ليس فيه ما يشغله إلا الهواء .

وعلى هذا قول الله سبحانه : ﴿ ^(١) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ أَى خَالِيًا مِنَ التجلد ، وعاطلاً من التصبر . وقيل أيضاً : إن معنى ذلك أن أفئدتهم منحرفة ^(٢) لا تعي شيئاً ، للرعب الذى دخلها ، والهول ^(٣) الذى استولى عليها . فهى كالهواء الرقيق فى الانحراف ، وبطلان الضبط والامتساک .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [٤٦] . وهذه استعارة على إحدى القراءتين . وهما : لِتَزُولَ . بكسر اللام الأولى وفتح اللام الأخرى . وَلِتَزُولَ . بفتح اللام الأولى وضم الأخرى . وقرأنا بهذه القراءة للكسائى ^(٤) وحده ، وقرأنا لبقية السبعة القراءة الأولى .

فمعنى القراءة الأولى أن يكون موضع « أن » فيها موضع نعم ، لأنها قد ترد ^(٥) بهذا المعنى مثقلة : كقوله : (إِنْ وَرَاكِبَهَا ^(٦)) .

(١) سورة القصص . الآية رقم ١٠ .

(٢) فى الأصل : منحرفة .

(٣) فى الأصل : والقول الذى استولى عليها . ولا معنى للقول هنا . وإنما هو الهول المقابل للرعب .

(٤) الكسائى : هو على بن حمزة الكوفى ، أحد القراء السبعة . ولام مفسدة فى النحو واللغة مشهورة . وكان مؤدباً للرشيد العباسى وابنه الأمين . توفى سنة ١٨٩ بمدينة الرى .

(٥) فى الأصل : قد تردد . وهو تحريف من الناسخ .

(٦) هذا هو ما رُدَّ به ابن الزبير رضى الله عنه لمن قال له : لعن الله ناقة حملتني إليك . فقال ابن الزبير : إِنْ وَرَاكِبَهَا . أى : نعم ! ولعن راکبها . وهو من شواهد كتب معانى الحروف . انظر « معنى اللبيب » ج ١ ص ٣٦ .

ويجوز أن ترد مخففة . لأنَّ « أن » على أصلها قد تأتي مخففة ومثقلة . ويكون المعنى واحداً . وكذلك « أن » المفتوحة . قال الشاعر ^(١) :

أكشره وأعلم أن كلانا على ماساء صاحبه حريص

وأراد « أن كلانا » خفف . فإذا تقرر ذلك صار تقدير الكلام في الآية : ونعم كان مكرهم أنزول منه الجبال . وقد وردت هذه اللام في موضع ليس ، لأن الخفيفة فيه تحمل ^(٢) .

قال الفراء ^(٣) : سمعت العرب تقول : الكراء حينئذ لرخيص . ولم يقل : إن الكراء لرخيص . فيكون المراد : إن الجبال تنزل من مكرهم استعظاما واستنظاما ، لو كانت مما يعقل الحال ، ويقدر على الزوال . وهذه اللام ههنا تسمى إلى معنى « تكاد » ^(٤)

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

(١) نعت كثيراً في معرفة اسم هذا الشاعر وفي العثور على هذا البيت في المراجع الكثيرة فلم أهند بعد طول بحث . . فلعل الله يوفق من بدأنا عليه فنشكر صنيعة .

(٢) هنا الكلام ناقص ، ولعل الناسخ أراد أن يكتب « لأن الخفيفة فيه تحمل محل ما ، وتكون اللام للجحود » . وعبارة الفرطبي في هذا المقام واضحة دالة على الفرض حيث يقول في جزء ٩ ص ٣٨٠ : (إن : بمعنى ما . أي ما كان مكرهم أنزول منه الجبال . لضعفه ووهنه) . ثم زاد الفرطبي خمسة مواطن في القرآن جاءت فيها « إن » بمعنى « ما » وهذا هو أحدها .

(٣) الفراء هو يحيى بن زياد أبو زكريا إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب . وكان فوق علمه باللغة والنحو فقيها متكلماً مفسراً . وقد عهد إليه الخليفة المأمون بترية ولده . توفي سنة ٢٠٧ هـ . وهناك فراء آخر اسمه الحسين بن مسعود البغوي اشتهر بالفقه والحديث والتفسير وتوفي سنة ٥١٠ هـ وليس هو المقصود هنا ، فقد ولد بعد وفاة الشريف الرضي بثلاثين عاماً .

(٤) هنا قطعة مفقودة من الكتاب تبلغ ورقة تقريباً .

سورة الحجر

. وقوله سبحانه : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٧٢] . وهذه استعارة . والمراد بها صفتهم بالتردد في غيبيهم ، والتسكع في ضلالهم . فشبه تعالى المتلدد^(١) في غمرات الغي ، بالمتردد في غمرات السكر .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨] وهذه استعارة . والمراد بها : ألن كنفك لهم ، ودم على لطفك بهم . وجعل سبحانه خفض الجناح ههنا في مقابلة قول العرب إذا وصفوا الرجل بالحدة عند الغضب : قد طار طيرة ، وقد هفأ حلمه ، وقد طاش وقاره . فإذا قيل : قد خفض جناحه ، فأما المراد به وصف الإنسان بلين الكنف ، والكظم عند الغضب . وذلك ضد وصفه بطيرة المغضب ، ونزوة المتوثب .

وقوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [٩١] . وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المعنى أنهم جعلوا القرآن أقساما مجزأة ، كالأعضاء المعضاة^(٢) ، فأمنوا ببعض ، وكفروا ببعض . وقيل : جعلوه أقساما ، بأن قالوا : هو سحر وكهانة ، وكذب وإحالة .

وأما التأويل الآخر في معنى (عضين) فيخرج به اللفظ عن أن يكون مستعاراً^(٣) ، وذلك

(١) المتلدد في المسكان : التلث به . أو المتعير المتلث عينا وشمالا .

(٢) المعضاة : أى الجزأة المقسمة .

(٣) في الأصل : مستعار ، بالرفع وهو تحريف من الناسخ .

أن يكون معناها على ما قاله بعض المفسرين معنى الكذب . قال : وهو جمع عضة ، كما كان في القول الأول ، إلا أن العضة ههنا معناها الكذب والزور ، وفي القول الأول معناها التجزئة والتقسيم . وقد ذكر ثقات أهل اللغة في العضة وجوها . فقالوا : العضة النيمة ، والعضة الكذب ، وجمعه عضون . مثل عِزَّة وعِزُون ، والعضة السحر ، والعضه الساحر .

وقد يجوز أن يكون ﴿ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ جمع عضة ، من السحر . أى جعلوه سحرا وكهانة ، كما قال سبحانه كما عظم عنهم ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴾^(١) . و﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] . وهذه استعارة . لأن الصّدع على الحقيقة إنما يصح في الأجسام لا في الخطاب والكلام . والفرق ، والصّدع ، والفصل في كلامهم بمعنى واحد . ومن ذلك قولهم للمصيب فى كلامه : قد طبق الفصل . ويقولون : فلان يفصل الخطاب . أى يصيب حقائقه ، ويوضح غوامضه . فكان المعنى فى قوله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أى : أظهِر القول وبينه فى الفرق بين الحق والباطل . من قولهم صدع الرءاء . إذا شقه شقا بينا ظاهرا . ومن ذلك صدع الزجاج . إذا استطار فيها الشق ، واستبان فيها الكسر . وإنما قال سبحانه :

(١) سورة المدثر . الآية رقم ٢٤ .

(٢) سورة الأنعام ١٠ الآية رقم ٧ . وسورة هود . الآية رقم ٧ . وسورة سبأ ١٠ الآية رقم ٤٣ . وسورة الصافات . الآية رقم ١٥ .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ولم يقل : فبلغ ما تؤمر ، لأن الصدع ههنا أعم ظهورا ، وأشد تأثيرا .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك - والله أعلم - أن بالغ في إظهار أمرك ، والدعاء إلى ربك ، حتى يكون الدين في وضوح الصبح ، لا يشكك نهجه ، ولا يظلم فجه . مأخوذاً ذلك من ^(١) « الصديق » ، لشأنه ووضوح إعلانه .



مركز تحقيق كتابات العلوم الإسلامية

(١) الصديق : الصبح . سمى بذلك لانصداعه عن ظلمات الليل .

ومن السور التي يذكر فيها « النحل »

قوله سبحانه : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن المراد بالروح ههنا الوحي الذي يتضمن إحياء الخلق والبيان عن الحق . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ^(١) ومثله قوله سبحانه في المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ^(٢) فسماء تعالى روحا على هذا المعنى ، لأن به حيا ^(٣) أمته ، وبقاء شريعته . وقد مضى معنى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب .

فأما قوله سبحانه : ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ ^(٤) فإنما أراد بذلك الروح التي خلقها ليحيي عباده بها ، وأضافها إلى نفسه كما أضاف الأرض إلى نفسه ، إذ يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ^(٥)

وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن ^(٦) جنى رحمه الله يقول : معنى قولهم في القسم : لعمر الله ما قلت ذلك ، ولأفعلن ذلك . إنما يريدون به القسم بحياة يحيي الله بها ، لاهياة يحيي بها ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . فكان القسم إذا أقسم بهذه الحياة دخل ما يخصه منها في جملة قسمه ، وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى . فيصير مقسما بحياته التي أحياء الله بها .

(١) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(٢) سورة . النساء الآية رقم ١٧١ .

(٣) هكذا بالأصل . ولعلها « حياة » أو « إحياء » .

(٤) في الأصل : نفخ بالفاء ، وصحة الآية : ونفخ بالواو . سورة السجدة آية رقم ٩ .

(٥) سورة النساء . الآية رقم ٩٧ .

(٦) تقدمت ترجمته في مجازات سورة التوبة .

والعمر ههنا هو العمر . ومعناه الحياة .

وكنت أستحسن هذا القول منه جدا ، وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتي عليه .
وكان - عفا الله عنه - كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا .

وقوله سبحانه : ﴿ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا لِيُقِشَ الْأُنْفُسُ ﴾ [٧] وهذه
استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المعنى : أنكم لا تبلغون هذا البلد إلا بأنصاف
أنفسكم ، من عظم المشقة ، وبعد الشقة ، لأن الشق أحد قسمي الشيء . ومنه قولهم : شقيق
النفس أى قسيمها ، فكأنه من الامتزاج بها شق منها . وعلى ذلك قول الشاعر ^(١) :

مِنْ بَنِي عَامِرٍ لَهَا نِصْفُ قَلْبِي قِسْمَةً مِثْلَمَا يُشَقُّ الرِّدَاءُ

فأما من حمل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا لِيُقِشَ الْأُنْفُسُ ﴾ على أن معناه المشقة والنصب والكد
والدأب ، كان الكلام على قوله حقيقة ، وخرج عن حد الاستعارة . فكأنه سبحانه قال :
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بمشقة الأنفس .

وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [٩] وهذه استعارة . لأن الجائر
هو الضال نفسه . يقال : جار عن الطريق . إذا ضل عن نهجه ، وخرج عن سبيله . ولكنهم
لما قالوا : طريق قاصد . أى مقصد فيه ، جاز أن يقولوا : طريق جائر أى يجار فيه .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [٢٥] . وهذه استعارة
لأن الأوزار على الحقيقة هي الأثقال ، واحدا وزر . والمراد بها ههنا : الخطايا والآثام ، لأنها
تجرى مجرى الأثقال التي تقطع المتون ، وتنقض الظهور .

وفى معنى ذلك قولهم : فلان خفيف الظهر . إذا وصفوه بقلة العدد والعيال ، أو بقلة
الذنوب والآثام .

(١) لم أهتم إلى اسم هذا الشاعر بعد طويل بحث فى المراجع والمطالع وكتب الشواهد والتفسير
واللغة وغيرها . والله يجزل شكر من يدلنا عليه ! .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [٢٦] وهذه استعارة . لأن الإتيان هنا ليس يراد به الحضور عن غيبة ، والقربُ بعد مسافة . وإنما ذلك كقول القائل : أتيتُ من جهة فلان . أى جاءنى المكروه من قبله . وأتى فلان من مأمنه . أى ورد عليه الخوف من طريق الأمن ، والضر من مكان النفع .

وقوله سبحانه ﴿ فَالْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ [٢٨] . وهذه استعارة . وليس هناك شيء يلقى على الحقيقة . وإنما المراد بذلك طلب المسائلة عن ذل واستكانة ، والتماس وشفاعة . لأن من كلامهم أن يقول القائل : ألقى إلى فلان بيده . أى خضع لى ، وسلم لأمرى . وقد يجوز أيضا أن يكون معنى فالقوا السلم . أى استسلموا وسلموا . فكانوا كمن طرح آلة المقارعة ، ونزع شِكة المحاربة . وفى معنى ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ^(١) أى لا تستسلموا لها ، وتوقعوا نفوسكم فيها .

وقوله سبحانه ^(٢) : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٤٠] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك شيء على الحقيقة يؤمر ولا قول يسمع . وإنما هذا القول عبارة عن تحقيق الإرادة وسرعة وجود المراد ، من غير معاناة ولا مشقة ، فهو إخبار عن نفاذ قدرته تعالى . فإذا أراد أمرا كان لوقته ، من غير أن يبطله إيجاده ، أو يتعاسف إنفاذه . وذلك بمنزلة قول أحدنا : « كُنْ » فى خفة اللفظ به ، وسرعة التعبير عنه ، من غير كلفة تلاحقه ، ولا مشقة تعترضه .

وقيل إن معنى قوله سبحانه : (كُنْ) علامة للملائكة يدهم بها عند سماعهم لها على أنه سيحدث كذا ، ويفعل كذا ، من محكمات التقدير ، ومبرمات التدبير .

(١) سورة البقرة . الآية رقم ١٩٥ .

(٢) فى الأصل : « إِنَّمَا أَمْرُنَا » وهو تحريف من الناسخ لكلام الله تعالى . والصحيح : إِنَّمَا قَوْلُنَا

لشئ . الخ - سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

وقوله سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَّالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . لأن المراد بها رجوع الظلال من موضع إلى موضع . والظلال على الحقيقة لا تنفياً ولا تنقل ، وإنما ترد الشمس عليها ، ثم ترجع إلى ما كانت عليه ، بعد أن تزول الشمس عنها ، والشمس هي المتحركة عليها ، والظلال قائمة بحالها .

وقوله تعالى في صفة النحل العسالة : ﴿فَاسْأَلِكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [٦٩] . وفي هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلِكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ، على قول من جعل ذُلُلًا حالاً للسُّبُل ، لا حالاً للنحل . والذُّلُّ : جمع ذُلُول ، وهي الطرق الموطأة للقدم ، السهلة على الحافر والمنسَم ، تشبيهاً لها بالإبل الذُّلُّ ، وهي التي قد عُوِّدَت الترحل ، وأُلفتِ المسير .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ والمراد بذلك العسل . والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل ، وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه ومواقعه من أوراق الأشجار ، وأضغاث النبات . لأنه يسقط كسقوط الندى في أماكن مخصوصة ، وعلى أوصاف معلومة ، والنحل مهملة تتبع تلك المساقط ، وتعمد تلك المواقع ، فتنتقل العسل بأفواهها إلى كواراتها^(١) المواضع^(٢) المعدة لها . فقال سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ والمراد من جهة بطونها . وجهة بطونها : أفواهها . وهذا من غوامض هذا البيان ، وشرائف هذا الكلام .

(١) الكوارات بضم الكاف وتشديد الواو جمع كورة ، وهي بيت يتخذ للنحل من الفضبان أو الطين تأوى إليه . أو هي عسلها في الشمع .

(٢) هكذا بالأصل ولعلها « والمواضع » بواو عاطفة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٨٦] وهذه استعارة .
والمراد بإلقاء القول - والله أعلم - إخراج الكلام مع ضرب من الخضوع والاستكانة
والإسرار والخفية ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ ^(١) وفي هذا الكلام مفعول محذوف . فكانه قال
تعالى : تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ الْأَخْبَارَ بِالْمَوَدَّةِ . وهذا القول نزل في قوم من المؤمنين كانوا يجتمعون
مع قوم من المنافقين بأرحامٍ تُلْفُهُمْ ، وخُلُف ^(٢) تولد عنهم ، فيتسقطونهم ليعرفوا منهم أخبار
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فنبهوا عن مناقشتهم والاجتماع معهم . فكان المعنى :
تلقون إليهم الأسرار بالمودة التي بينكم ، على سبيل الإسرار والاختفاء .

وقد قيل إن المراد : تُلْقُونَ ^(٣) إليهم المودة ، فقال تعالى : بِالْمَوَدَّةِ ، كما قال سبحانه :
﴿ تَنَبَّأْتُ بِاللَّذْنِ ﴾ ^(٤) أى تلبت الدهن على أحد التأويلين ، ونظير التأويل الأول قوله
سبحانه في ذكر الشياطين : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهمْ كَاذِبُونَ ﴾ ^(٥) أى يطلبون سماع
الأخبار على وجه الاستخفاء والاستسرار . وهذا الوجه لا يصح ^(٦) في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقُوا
إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٨٦] لأن الحال التي أخبر سبحانه بأن هذا يجري فيها هي
حال القيامة ، وتلك حال لا يجوز فيها الاستسرار لقول ، ولا الكتمان لسر ، لأن السرائر
مُظْهِرَةٌ والضمائر مصحرة . ^(٧) وإنما المراد بهذا الكلام ما يقوله المعبودون لمن عبدتهم من
الأمّة ، إذ يقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَّكَاءَهُمْ ، قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ

(١) سورة الممتحنة . الآية رقم ١ .

(٢) الخلف : جمع خلة وهي الصداقة والصحبة .

(٣) في الأصل : يلقون .

(٤) سورة المؤمنون . الآية رقم ٢٠ .

(٥) سورة الشعراء . الآية رقم ٢٢٣ .

(٦) في الأصل : من قوله تعالى . وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتناه .

(٧) أصرح الأمر : أظهره وأعلنه في غير خفاء .

شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ ﴿٨٦﴾ فقال المعبودون لهم في الجواب عن ذلك : إنكم لكاذبون ، أى فى أننا دعوناكم إلى العبادة ، أو فى قولكم إننا آلهة . وقد يجوز أيضا أن يكون التكذيب من العابدين للمعبودين ، فكأنهم قالوا لهم : كذبتُم فى ادعائكم أنكم تستحقون العبادة من دون الله تعالى . فلم يَبْقَ إذن إلا الوجه الأول فى معنى إلقاء القول ، وهو أن يكون على وجه الخضوع والضرعة ، ويكون سبب هذه الاستكانة الخوف من الله سبحانه ، لا خوف بعض الشركاء من بعض . ومثل ذلك قوله سبحانه عقب هذه الآية : ﴿ وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ ﴾ [٨٧] أى استسلموا له عن ضرع ذلة ، وانقطاع حيلة . ومن ذلك قولهم : ألقى فلان يد العاني . أى ذلَّ ذلَّ الأسير، وخضع خضوع المقهور .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، فَزِيلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ [٩٤] وهذه استعارة . لأن المراد بالقدم ههنا الثبات فى الدين . ولما كان أصل الثبات فى الشيء والاستقرار عليه إنما يكون بالتقدم ، حسن أن يعبر عن هذا المعنى بلفظ القدم وكأن المراد بقوله تعالى : ﴿ فَزِيلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ أى يضعف دينكم ، ويضطرب يقينكم ، فيكون كالقدم الزائلة ، والقائمة المائدة .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [١٠٢] وهذه استعارة . لأن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والتقديس : الطهارة . وإنما سُمِّيَ رُوح القدس لأن حياة الدين وطهارة المؤمنين إنما تكون بما يحمله إلى الأنبياء عليهم السلام من الأحكام والشرائع ، والآداب والمصالح .

وقوله سبحانه : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [١٠٣] وهذه استعارة . لأن المراد باللسان ههنا جملة القرآن وطريقته ، لا العضو

المخصوص الذى يقع الكلام به . وذلك كما يقول العرب فى القصيدة : هذه لسان فلان .
أى قوله . قال شاعرهم :

لسانُ الشَّوْءِ تهديها إلينا وَحِثْتَ وما حسبتُك أن تحينا ^(١)

أى مقالة السوء . ومثل ذلك قول الآخر ^(٢) :

ندمتُ على لسان كان منى وددت بأنه فى جوف عِكم

أى على قول سبق منى ، لأن الندم إنما يكون على الفعل والكلام ، لا على الأعضاء والأعيان .

وإنما سُمى القول لسانا ، لأنه إنما يكون باللسان ، ويصدر عن اللسان .

وقوله سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [١١٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة الذوق إنما تكون فى المطاعم والمشارب ، لا فى الكسَى والملابس . وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم ، والبلاء الشامل لهم . وقد عُرِفَ فى لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة ، أو أخذ بحريرة : ذُقْ غِيبَ فَعْلِكَ ، واجنِ ثَمَرَةَ جَهْلِكَ . وإن كانت عقوبته ليست مما يُحَسُّ بالطعم ، ويُدْرَك بالذوق . فكأنه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حَسَّنَ أَنْ

(١) روى هذا البيت هنا على هذه الصورة . وفى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي جزء ١٠ ص ١٢٩ روى هكذا :

لسانُ الشر تهديها إلينا وَخِثْتَ وما حسبتُك أن نخونا

ولم تذكر كتب الشواهد اسم قائل هذا البيت .

(٢) هو الخطيئة الشاعر كما جاء فى « لسان العرب » مادة : لسن . إلا أنه روى فى اللسان هكذا :

ندمتُ على لسان فات منى فليت بأنه فى جوف عِكم

والعِكم بكسر العين : العدل الذى توضع فيه الأشياء (الفرارة) أو الكارة .

يقول تعالى : فأذاقهم ذلك ، أى أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ، ووخامة
الطعم الكريه . وإنما قال سبحانه : ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ ولم يقل : طعم الجوع والخوف ، لأن
المراد بذلك - والله أعلم - وصف تلك الحال بالشمول لهم ، والاشتمال عليهم ، كاشتمال
الملابس على الجلود ، لأن ما يظهر منهم عن مضيض الجوع وأليم الخوف ، من سوء الأحوال ،
وشحوب الألوان ، وضئولة الأجسام ، كاللباس الشامل لهم ، والظاهر عليهم . وقد استقصينا
الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .



مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامى

ومن السورة التي يذكر فيها

« بنو إسرائيل »^(١)

قوله سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [١٢] وفي هذه الآية استعارتان إحداهما : قوله سبحانه : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ . والآية العلامة . والمراد بمحوها - والله أعلم - على قول بعضهم أى جعلنا ظلمة الليل مشكلة ، لا يفهم معناها ، ولا يعلم خواها ، لما استأثر الله تعالى بعلمه من المصلحة المستسرة في ذلك .

وحقيقة المحو طمس أثر الشيء . من قولهم : محوت الكتاب . إذا طمست سطوره ، حتى يُشكل على القارىء ، ويخفى على الرائي^(٢) .

وقال قوم : آية الليل القمر خاصة . ومحوه : تصيير تلك الظلمة في صفحته ، حتى نقص نوره عن نور الشمس ، لما يعلم الله سبحانه من المصلحة في ذلك . وآية النهار الشمس . وقال آخرون : بل آيتا الليل والنهار ضوء هذا في الجملة ، وظلمة هذا في الجملة . لأن الضوء علامة النهار ، والظلمة علامة الليل ، على ما قدمنا ذكره . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ وفي ذلك وجهان : أحدهما أن يكون المراد أنا

(١) هي سورة «الإسراء» . وقد سميت من قديم سورة بني إسرائيل . وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه في بني إسرائيل ، والكهف ، ومريم : لأنهن من العتاق الأول ، وهن من تлады . يريد من قديم كسبه . انظر القرطبي ج ١٠ ص ٢٠٣ .

(٢) في الأصل « على الرائي » وهو تحريف من الناسخ .

جعلناها مكشوفة القناع مبينة الإبصار ، على خلاف آية الليل إذ جعلناها مشرحة^(١)
الغلاف ، بهيمة الأطراف .

والوجه الآخر أن يكون معنى مُبصرة أى يبصر الناس فيها ، ويهتدون بها كما تقدم
قولنا فى قولهم : نهار صائمٌ ، وليل نائمٌ . أى أهل هذا صيام ، وأهل هذا نيام . وكما
يقولون : رجل نُخبث . إذا كان أهله وولده خبثاء . ورجلٌ مُضعِف . إذا كانت دوابه
وظهوره ضعفاء . فعلى هذا يسمى النهار مبصرا ، إذا كان أهله بصراء . وقد مضى الكلام
على مثل ذلك فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [١٣] وهذه استعارة .
والمراد بالطائر ههنا - والله أعلم - ما يعلقه الإنسان من خير وشر ، ونفع وضر . وذلك
مأخوذ من زجر الطير على مذاهب العرب . لأنهم يتركون الطائر المتعرض من ذات
اليمين ، ويتشاءمون بالطائر المتعرض من ذات الشمال .

ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الإنسان من الخير والشر كالطوق فى عنقه يالزامه
إياه ، والحكم عليه به . وقال بعضهم : معنى ذلك أننا جعلنا لكل إنسان دليلا من نفسه
على ما بيناه له ، وهديناه إليه . والعرب تقيم العنق والرقبة مقام الإنسان نفسه . فيقولون :
لى فى رقبة فلان دم ، ولى فى رقبته دين . أى عنده . وفلانٌ أعتق رقبةً . إذا أعتق
عبدا أو أمة . ويقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتق رقبتي من النار . وليس يريد العنق
الخصوصة ، وإنما يريد الذات والجملة .

وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل الذى يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب ،
على عادة العرب التى ذكرناها فى التبرك بالسائح ، والتشاؤم بالبارح .

(١) أشرح الشئ : ضم بعضه إلى بعض وأحكم شدة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [٢٤] . وهذه استعارة مجيبة ، وعبرة شريفة . والمراد بذلك : الإخبات للوالدين ، وإلانة القول لهما ، والرفق واللفظ بهما .

وخفضُ الجناح في كلامهم عبارة عن الخضوع والتذلل ، وهما ضد العلو والتعزز . إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذا ترك الطيران ، والطيران هو العلو والارتفاع . وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاستشاط^(١) . فيقال : قد طار فلان طيرة^(٢) . إذا غضب واستشاط . وقد أومأنا إلى هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وإنما قال سبحانه : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [٢٤] . ليبين تعالى أن سبب الذل لهما الرأفة والرحمة ، لئلا يقدر أنه الهوان والضراعة . وهذا من الأغراض الشريفة ، والأسرار اللطيفة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة ، وإنما الكلام الأول كناية عن التقدير ، والكلام الآخر كناية عن التبذير وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حده ، ولا يجرى إلا إلى أمده . وقد فسر هذا قوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(٣) .

(١) في الأصل « الاستشاط » وهو تحريف من الناسخ . لأن الفعل استشاط ، والمصدر استشاطا . مثل استقام استقامة .

(٢) في الأصل « طيره » بالهاء وهو تحريف . والصواب بالناء المربوطة المنقوطة .

(٣) سورة الفرقان . الآية رقم ٦٧ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [٤٦] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ، ولا وقْر في سمع . وإنما المراد أنهم - لاستغفالهم سماع القرآن عند أمر الله سبحانه نبيه عليه السلام بتلاوته على أسماعهم وإفراغه في آذانهم - كالذين على قلوبهم أكنة دون علمه ، وفي آذانهم وقْر دون فهمه ، وإن كانوا من قِبَل نفوسهم أَتْوًا ، وبسوء اختيارهم أخذوا . ولو لم يكن الأمر كذلك لما ذُمُّوا على اطراحه ، ولُعذِّروا بالإضراب عن استماعه .

وقوله سبحانه : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ [٤٧] وهذه استعارة لأن النجوى مصدر كالنقوى . وإنما وُصِفوا بالمصدر ، لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه ، من كثرة تناجيهم ، وأسرار المكاييد بينهم . والصفة بالمصادر تدلُّ على قوة الشيء الموصوف بذلك . مثل قولهم : رجلٌ رِضًا ، وقومٌ عدلٌ . وما يجرى هذا الجرى .

وقوله سبحانه : ﴿ وَآتَيْنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً ﴾ [٥٩] . وهذه استعارة . والمعنى : جعلنا الناقة آيةً مُبصرة . أى مُبصرةً للعاشي^(١) . ومذكورة للناسي ، ومظنة لاعتبار المعتبر ، وتفكر المفكر . لأن من عجائب تلك الناقة تمخض الصخرة بها من غير حمل بطن ، ولا فرع فحل . وأنها كانت تقاسم نمود الورد ، فلها يوم ولنمود يوم .

قال سبحانه : ﴿ لَهَا شَرِبٌ ، وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾^(٢) فإذا كان يومها

(١) العاشي : اسم فاعل من عشا عن الشيء ، أى أعرض وصدر عنه إلى غيره .

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ١٥٥ .

شربت فيه الماء ، مثلما كانت ثمود تأخذ أشقاصها^(١) وزروعها ، وأصرامها^(٢) وشروبها . وهذا من صوادح العبر ، وقوارع النذر .

وقال بعضهم : يجوز أن يكون معنى مبصرة ههنا أى ذات إبصار . والتأويلان يؤولان إلى معنى واحد .

وقوله سبحانه عن إبليس : ﴿لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٦٢] وهذه استعارة على بعض التأويلات في هذه الآية . وهو أن يكون الاحتك ههنا افتعالا من الحنك . أى لأقودهم إلى المعاصي ، كما تقاد الدابة بحنكها ، غير ممتعة على قائدها . وهى عبارة عن الاستيلاء عليهم ، والملكة لتصرفهم ، كما يملك الفارس تصرف فرسه ، بثنى العنان تارة ، وبكبح اللجام مرة .

وقال يعقوب^(٣) فى «إصلاح المنطق» : [يقال : حنك الدابة يحنكها حنكا ، إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به . وقد احتكك الدابة^(٤) مثل حنكها] إذا فعل بها ذلك .

وقال بعضهم : لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ . أى لَأُلْقِينَ فى أحناكهم حلاوة المعاصي ، حتى يستأذوها ، ويرغبوا فيها ويطلبوها . والقول الأول أحب إلى .

(١) الأشقاص : جمع شقص بكسر الشين ، وهو القطعة من الشيء أو من الأرض .

(٢) الأصرام : جمع صرم بكسر الصاد ، وهو الجماعة من الشيء أو من البيوت .

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، المعروف بابن الكيت ، وكان أبوه من أصحاب الكسائى المشهور فى اللغة والنحو . أما صاحبنا فقد شهد له المؤرخون بالعلم الغزير فى اللغة والشعر والنقطة فى الرواية . وكتابه «إصلاح المنطق» يقول فيه المبرد : «مارأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب يعقوب بن الكيت فى المنطق» . توفى سنة ٢٤٤ . وقد طبع «إصلاح المنطق» طبعة موثقة بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون .

(٤) فى «إصلاح المنطق» ص ٨٢ (وقد احتكك دابته) .

وقال بعضهم : لَأَسْتَأْصِيَنَّ ذَرِيَّتَهُ بِالْإِغْوَاءِ ، وَلَأَسْتَقْصِيَنَّ إِهْلَاكَهُمْ بِالْإِضْلَالِ ، لَأَنْ اتَّبَاعَهُمْ غِيَهُ وَطَاعَتُهُمْ أَمْرُهُ يُؤْوِلَانِ بِهِمْ إِلَى مَوَارِدِ الْهَلَاكِ ، وَعَوَاقِبِ الْبَوَارِ .
وقال الشاعر :

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْجَعَتْ وَاحْتَنَكْتَ أَمْوَالَنَا وَجَلَّغَتْ ^(١)
أَيَّ أَهْلَاكَتْ أَمْوَالَنَا .

ويقال : احتنكه إذا استأصله وأهلكه . ومن ذلك قولهم : احتنك الجراد الأرض .
إذا أتى على نبتها .

وقيل أيضا : المراد بذلك لأضيّقن عليهم مجارى الأنفاس من أحنأكمهم ، بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم . ويقال : احتنك فلان فلانا . إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه ، فكان كالشبا ^(٢) في مقلته والشجا ^(٣) في مسأله .

وقوله سبحانه ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [٧٨] وهذه استعارة . لأن الدالك : المائل في كلامهم . فكانت سبجانه أمس بإقامة الصلاة عند ميل الشمس . فقبل عند مياها للزوال ، وقيل عند مياها للغرب . والشمس على الحقيقة لا تميل عن موضعها ولا تزول عن مركزها ، وإنما تملو أو تنخفض ، وترتفع بارتفاع الفلك وانخفاضه ، وسيره وحركاته .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١]

(١) ورد هذا الرجز في « مجازات القرآن » لأبي عبيدة هكذا :

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْجَعَتْ جَهْدًا إِلَى جَهْدٍ بِنَا فَأَضَعَتْ
وَاحْتَنَكْتَ أَمْوَالَنَا وَجَلَّغَتْ

انظر « مجازات القرآن » لأبي عبيدة . طبعة سامي الخانجي ص ٢٨٤ . والرجز كذلك في « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٠ ص ٢٨٧ . ولم ينسبه أبو عبيدة ولا الفرطى لقائله .

(٢) الشبا : جمع شبة وهي حد السيف أو قدر ما يقطع به منه .

(٣) في الأصل الشجا بالسين المهملة . وإله تحريف من الناسخ . فإن الشجا بالشين المعجمة ما يعترض

الحلق فيشجي به .

وهذه استعارة . لأنهم يقولون : زهقت نفس فلان إذا خرجت . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(١) فالمراد - والله أعلم - وهلاك الباطل إنَّ الباطل كان هلوکا . تشبيها له بمن فاضت نفسه ، وانتقضت بنيته . لأن الباطل لامِساك لذمائه ، ولا سماك لبنائه .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ﴾ [٨٤] وهذه استعارة . لأن الأولى أن يكون المراد ههنا بالشاكلة - والله أعلم - الطريقة التي تشاكل أخلاق الإنسان ، وتوافق طبيعته . وذلك مأخوذ من الشاكلة ، وجعلها شواكل ، وهى الطرق المتسعة ^(٢) عن المحجة العظمى . فكان الدنيا ههنا مشبهة بالطريق الأعظم ، وعادات الناس فيها ، وطبائعهم التي جبلوا عليها مشبهة بالطرق المختلجة من ذلك الطريق ، الذي هو المعمود وإليه الرجوع .

وقال بعضهم : الشاكلة العلامة ، وأنشد :

بَدَتْ شَوَاكِلُ حُبِّ كُنْتَ تُضْمِرُهُ فِي الْقَلْبِ أَنْ هَتَفَتْ فِي الدَّارِ وَرَقَاهُ ^(٣)

فكانه تعالى قال : كلٌّ يعمل على الدلالة التي نصبت لاستدلالة ، والأمانة التي رفعت لاهتدائه .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذْنُ لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ [١٠٠] وهذه استعارة ، والمراد بالخزائن ههنا المواضع التي جعلها الله سبحانه وتعالى

(١) سورة التوبة . الآية رقم ٥٥ .

(٢) هكنا بالأصل . ولعلها : المتسعة .

(٣) لم أهتم إلى قائل هذا البيت .

جعات^(١) لدرور الرزق ومنافع الخلق . وإلى تلك المواضع تُرفع الأيدي عند السؤال والرغبات، واستدراك^(٢) الخير والبركات .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [١٠٦] وهذه استعارة ، ومعنى فَرَقْنَاهُ : أَيْ بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ بِنُصُوعٍ مُصْبَاحِهِ ، وَشَدُوخٍ أَوْ ضَاحِهِ ، حَتَّى صَارَ كَمُفْرَقِ الْقَرَسِ فِي وَضُوحِ نَحْطِهِ^(٣) أَوْ كَمُفْرَقِ الصَّبْحِ فِي بَيَانِ مَنبَاجِهِ .
وقال بعضهم : معنى فرقناه أَيْ فَصَّلْنَاهُ سُورًا وَأَيَاتٍ . وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ فَرْقِ الشَّعْرِ ، وَهُوَ تَمْيِيزُ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ ، حَتَّى يَزُولِ التَّبَاسُهُ ، وَيَتَخَلَّصَ التَّفَافُهُ .



(١) هكذا بالأصل . ولم أوفق إلى تحقيقها ، ولما كان النسخ ضبط آخرها بكسرتين ، فهي جمع مؤنث سالم منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة على أنها مفعول به لجمّل . ولعلها « جفّات » .
(٢) هكذا بالأصل ، ولا معنى لها ولعلها « واستدراك »
(٣) النخط هو مكان الخط أو الفرق في مفرق الحصان .

ومن السورة التي يذكر فيها «الكهف»

قوله سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ [١] وهذه استعارة . لأن حقيقة العِوَج أن يكون فيما يصح عليه أن ينصب أو يميل ويضطرب ويستقيم . وهذه من صفات الأجسام ، لا من صفات الكلام .

فقول : إنما وصف القرآن - والله أعلم - بأنه قَيِّمٌ لا عِوَجَ فيه ، ذهاباً إلى نفي الاختلاف عن معانيه ، والتناقض في أوضاعه ومبانيه . وأنه غير ناكِبٍ عن المنهاج ، ولا مستمر على الاعوجاج .

وقوله سبحانه : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [٥] ووصف الكلمة ههنا بالكبر استعارة . والمراد أن معناها فظيع ، وفحواها عظيم . وتقدير الكلام : كَبُرَتْ الكِلمَةُ كلمة .

وللنصب ههنا وجهان : أحدهما أن يكون على تفسير المضمير . مثل قولهم : رَنِمَ رَجُلًا زيدٌ ، وبئسَ صاحبًا همزوا . والوجه الآخر أن يكون على التمييز في الفعل المنقول ، نحو : ساءت مُرَتَفَقًا ، وتصبَّبَ عَرَقًا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاءَهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [٨] وهذه استعارة . لأن المراد بالجُرُز ههنا الأرض التي لا نبات فيها ، وذلك مأخوذ من قولهم : ناقةٌ جُرُوزٌ . إذا كانت كثيرة الأكل ، لا يكاد أحيائها يسكنان من قضم الأعلاف^(١) ،

(١) في الأصل : الأحلاف . ولا معنى له ههنا . والأعلاف جمع علف ، وهو ما تعلقه الدابة .

ونشط^(١) الأعشاب . ومن ذلك قولهم : سيف جُرَازٌ . إذا كان يبرى المفاصل ، ويقط
الضرائب .

وإنما سُميت تلك الأرض جُرُزا إذ كانت كأنَّها تأكل نَبَتَها ، فلا تدع منه
نابتة ، ولا تترك طالعة . ونظير ذلك قولهم : أرض جداء : لا ماء فيها . تشبيها بالناقة التي
لا لبن فيها ، وهي الجدء^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [١١] .
وهذه استعارة . لأن المراد بها منع آذانهم من استماع الأصوات ، وهمس الحركات .
قال بعضهم : وذلك كالضرب على الكتاب لتشكّل حروفه ، فتمتنع على القارئ
قراءته .

وإنما دلّ تعالى على عدم الإحساس بالضرب على الآذان ، دون الضرب على
الأبصار ، لأن ذلك أبلغ في الغرض المقصود ، من حيث كانت الأبصار قد يُضربُ
عليها من غير عَمَى ، ولا يبطل إدراك بقية الحواس جملة ، وذلك عند تغميض الإنسان
عينه . وليس كذلك منع الاستماع من غير صمم ، لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم
بالنوم الذي هو السهو على صفة دل ذلك على عدم الإحساس من كل جارحة يصح
بها الإدراك . ولأن الأذن لما كانت طريقا إلى الأنباء ثم ضرب عليها ، لم يكن سبيل
إلى الانتباه ، فبطل استماعهم . وفي هذا القول بعض التخليط .

(١) نشطت الدابة العشب : إذا أكلته بسرعة وخفة . وقد نشطت الدابة : أي سميت .

(٢) الناقة الجدء : هي الصغيرة الندى ، أو المقطوعة الأذن ، أو التي ذهب لبنها . انظر الفيروز آبادي

والذى أذهبُ إليه فى ذلك ما ذكرته فى كتابى الكبير على شرح واستقصاء ، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ والله أعلم ، أى أخذنا أسماعهم . ويكون ذلك من قول القائل : قد ضَرَبَ فلانٌ على مالى . أى أخذه وَحَالَ بينى وبينه ، فأما تشبيه ذلك بالضرب على الكتاب حتى تشكل حروفه على المتأمل ففيه بُعْد وتصفٌ .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك : وضربناهم على آذانهم ، من الضرب الحقيقى ، تشبيها بمن ضُرب على سماخه^(١) ، فهو موقوذ^(٢) مأموم^(٣) ، ومشدوه^(٤) منمور .

وقوله سبحانه : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٤] . الآية . وهذه استعارة . لأن الربط هو الشدُّ . يقال : ربطت الأسير . إذا شدته بالحبل والقيد^(٥) . والمراد بذلك : شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوكية^(٦) ، فتنضمُّ على مكنونها ، ويؤمنُ التبدد على ما استودع فيها . أى فشَدَدْنَا على قلوبهم لئلا تنحلَّ معاقدها^(٧) وتهفو عزائمُ جَلَدِهَا . ومن ذلك قولُ القائل لصاحبه : رَبَطَ اللهُ على قلبك بالصبر .

(١) السماخ والصماخ واحد . وهو خرق الأذن الباطن الماضى إلى تجويف الرأس .

(٢) الموقوذ : المصروب ضربا شديدا حتى أشرف على الموت .

(٣) أمه : شجته ، فهو مأموم . . .

(٤) المشدوه : المشدوخ الرأس .

(٥) القيد : السير من الجلد .

(٦) الأوكية : جمع وكاء ، وهو رباط القرية أو ما تشد به .

(٧) فى الأصل : صرعا . وهو تحريف ، وقد أصاحناه من السياق فى لفظة الجلد المقابلة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ [١٦] . وفي هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله تعالى : ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ والرحمة ههنا بمعنى النعمة . ولم يكن هناك مطوى فينشر ، ولا مكنون فيظهر . وإنما المراد بذلك : يسبغ الله عليكم نعمته ، على وجه الظهور والشياع ، دون الإخفاء والإسرار . فيكون ذلك كنشر الثوب المطوى وإظهار الشيء الخفي ، في شياع الأمر ، وانتشار الذكر . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ [١٦] . وأصل المرفق ما ارتفق به . وهو مأخوذ من المرفقة . وهي التي يرتفق عليها ، أى يعتمد عليها بالمرفق .

ويقال مِرْفَقٌ ، ومَرْفِقٌ بمعنى واحد . وقد قرئ بهما جميعاً بمعنى واحد . فكأنه قال : يهيئ لكم من أمركم ما تعتمدون عليه وتستندون إليه ، ويكون لظهوركم عماداً ، ولأعضادكم سناداً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ، وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ ﴾ [١٧] . وفي هذه الآية استعارتان : أولاهما قوله تعالى في ذكر الشمس : ﴿ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ لأن التزاور أصله الميل ، وهو مأخوذ من الزور ، وهو الصدر . فكأنه سبحانه قال : إن الشمس تميل عن هذا الموضع ، كما تميل المتزاور عن الشيء بصدرة ووجهه . ويبين بذلك عن موضع الكهف المشار إليه من جهات المشرق والمغرب أن الشمس لا يلحقه ثوبها عند الشروق ، ولا ينفض عليه^(١) . . . آخر الغروب .

(١) هنا لفظة غير واضحة بالأصل .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ . وفي ذلك قولان : أحدهما أن يكون المراد أنها تقرضهم في ذات الشمال ، أى أنها تجوزهم عادةً بمطرح شعاعها عنهم . من قولهم : قرضتُ الشيء بالمقراض . إذا قطعته به . والمقراض متجاوز لأجزائه أولاً حتى ينتهى إلى آخره . والقول الثانى : أن يكون المراد أنها تعطيهـم القليل من شعاعها عند مرها بهم ، ثم تسترجعه عند انصرافها عنهم . تشبيها بقرض المال الذى يعطيه المعطى ليستردّه ، ويقدمه ليرتجعه . ومعنى قرض المال أيضاً مأخوذ من القطع ، لأن المقرض يعطى للمقرض شقة من ماله ، وقطعة من حاله .

وقوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [٢١] . وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - وكذلك أطلعنا عليهم . إلا أن فى لفظ الإغثار فائدة ، وهى مصادفة الشيء عن غير طلب له ولا إحساس به ، وهو « أَفْغَلْنَا » من الإغثار . وأصله أن الساعى فى طريقه إذا صيد قدامه ، أو نكب أصبعه شيء ، ففى الأغلب أنه يقف عليه متأملاً له ، وناظراً إليه . فكأنه استفاد علم ذلك من غير أن تتقدم معرفته به . ومن ذلك قول القائل لغيره : لَأَغْتُرَنَّ عَلَيْكَ بِخَطِيئَةٍ فَأَعاقبك . أى لأفنى على ذلك منك .

وعلى هذا قوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ غُتِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ ^(١) . أى أطمع على ذلك منهما ، واستفيد العلم به من باطن أمرها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ خُمَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ﴾ [٢٢] . وهذه استعارة لأن الرجم ههنا هو القذف بالظن ، والقول بغير علم . ومن عادة

العرب أن تسمى القائل بالظن راجماً وقاذفاً ، وتسمى السَّابَّ الشاتم راميّاً راجماً .
ويقولون : هذا الأمر غيب مرجّم . أى يرميه الناس بظنونهم ، ويقدرونه بحسابهم .
ومرَجَّم إنما جاء لتكثير العمل ، كأنه يرمى من ههنا ، ومن ههنا . وإنما سمي
الظان راجماً لأنه يوجه الظن إلى غير جهة مطلوبة ، بل يظن هذا ، ويظن هذا ، كالراجم
الذى لا يعلم مواقع أحجاره إذا رمى بها في الجهات . فتارة تقع يميننا وتارة تقع
شمالاً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا ۝ [٢٨] ۝ ﴾ وهذه استعارة . على أحد التأويلات في هذه الآية . وهو أن يكون المراد
بذلك : أننا تركنا قلبه غفلاً من السمات التى تنسم بها قلوب المؤمنين ، فتدل على زكاء
أعمالهم ، وصلاح أحوالهم . كقوله سبحانه : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِنْهُ ۝ ^(١) ۝ ﴾ وذلك تشبيه بالبعير إذا أغفل فترك بلا سمة يعرف بها ، على عادة العرب
في إقامة السمات مقام العلامات المميزة بين أموالهم في الموارد والمراعى وتعريف الضوال .
وفي هذه الآية أقوال أخر ، القول الذى قدمناه أدخلها في باب الاستعارة . منها أن يكون
معنى ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ۝ ﴾ أى نسبناه إلى الغفلة . كقول القائل أكفرت فلاناً . إذا نسبته
إلى الكفر ، وأبخلته إذا نسبته إلى البخل .

ومنها أن يكون المراد : سميناه غافلاً بتعرضه للغفلة ، فكأن المعنى : حكمنا عليه بأنه
غافل . كما يقول القائل : قد حكمت على فلان بأنه جاهل . أى لما ظهر الجهل منه وجب
هذا القول فيه .

ومنها أن يكون ذلك من باب المصادفة . فيكون المعنى : صادفنا قلبه غافلاً . كقول

القاتل أنحدت فلانا . أى وجدته محمودا . وذلك يؤول إلى معنى العلم . فكأنه تعالى قال : علمناه غافلا . وعلى هذا قول عمرو بن معد يكرب ^(١) لبني سليم : (لله دركم يا بني سليم ! والله لقد قاتلناكم فما أجبتناكم ، وهاجيناكم فما ألغمتناكم ، وسألناكم فما أنجحتناكم) أى لم نصادفكم على هذه الصفات ، من الجبن عند النزال ، والبخل عند السؤال ، والعى عند المقال ^(٢) .

وعلى ذلك قول نافع ^(٣) بن خليفة الغنوى .

سألنا فأحمدنا ابن كل مرزأ جواد وأنجحتنا ابن كل بخيل

أى وجدنا هذا محمودا ، ووجدنا هذا بخيلا مذموما .

وفما علقته عن قاضى القضاة أبى الحسين عبد الجبار ^(٤) بن أحمد - أدام الله توفيقه - عند قراءتي عليه كتابه الموسوم « بتقريب الأصول » فى أخريات من الكلام فى

(١) عمرو بن معد يكرب الزبيدى كان فارسا من فرسان اليمن وصاحب غارات مشهورة . وفد على النبي عليه السلام سنة ٥٩ هـ فأسلم وقومه ، ولما توفى النبي ارتد عن الإسلام ، ثم رجع إليه فعسن إسلامه وشهد واقعة القادسية وسائر الفتوح . ومن شعره قصيدته التى يقول فيها :
إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وتوفى سنة ٥٢١ هـ على مقربة من مدينة الرى .

(٢) كان مقتضى الترتيب هنا أن يقول : من الجبن عند النزال ، والعى عند المقال ، والبخل عند السؤال ، ليصح التقسيم .

(٣) نافع بن خليفة الغنوى شاعر روى القالى قطعة من شعره فى « ذيل الأمالى » ص ١١٦ ، كما ذكر الجاحظ فى « البيان والتبيين » أبياتا من شعره ج ١ ص ١٧٦ . وقد جهدت - بعد جهد العلامة عبدالعزيز الميمنى - فى معرفة شئ منه فلم أوفق . ويقول عنه فى « سمط اللآلى » : (ونافع لم أعرفه ، ولا ذكره الأمدى) ج ٣ من السمط ص ٥٥ .

(٤) هو أبو الحسين الشافعى المعتزلى . وكان أحد شيوخ المؤلف . قرأ عليه فى مجازات القرآن وفى المجازات النبوية . وكان شيخ الاعتزال فى عصره . ويلقب بقاضى القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . توفى بالرى سنة ٤١٥ . انظر الأعلام للزركلى ، والتدير ج ٤ للأمينى ص ١٦٣ . وقد كان فى الأصل « أبو الحسن » فأصلحناه عن « الأعلام » .

التعديل والتجوير ، أنه لو لم يكن الأمر على ما قلناه في إغفال القلب من أن المراد بذلك مصادفته غافلا ، وكان على ما قاله الخصوم من أنه تعالى صدف به عن أمره ، وصرفه عن ذكره لوجب أن يقول سبحانه : فَاتَّبَعَ هَوَاهُ . لقول القائل : أعطيته فأخذ ، وبسطته فانبسط ، وأكرهته فأذل . أى كانت هذه الأفعال منه مسببة عن أفعاله به . لأن هذا وجه الكلام في الأغلب الأعرف . فلما جاء بالواو صار كأنه قال : ولا تطلع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه . لأنه إذا وُجد غافلا فهو الذى غفل ، والفعل حينئذله ومنسوب إليه .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُغْاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢٩] . وفي هذه الآية استعارتان : أولاها قوله تعالى : ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ والسرادق هو القسطنطين المحيط به . فوصفه ^(١) - سبحانه - النار بالإحاطة والاشتمال فلا ينجو منها ناج ، ولا يُطلق منها عاني . وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ ^(٢) . أى حبسا تحصرهم ، وطولا تقصرهم ، ومثل قوله سبحانه ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ قوله : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ ^(٣) والمؤصدة : المغلقة المطبقة . من قولهم أوصدت الباب وأصدته ^(٤) . إذا أغلقته وأطبقتة . وقرئ : مُعَدَّ وَعَمَد . والمراد بقوله سبحانه : ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ مثل المراد في قوله : ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾

(١) هكذا بالأصل . وهو تحريف من الناسخ صوابه « فوصف » .

(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٨ .

(٣) سورة الهنزة . الآيتان ٨ ، ٩ .

(٤) ويقال أيضا أصد الباب على وزن أفعل مثل أصد بالتضعيف .

تشبيها بتمديد الأخبية والسرادقات بالأطناب ، وإقامتها على الأعماد .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ والمرتفق : المتكأ ، وهو ما يعتمد عليه بالمرفق ، ومنه المرفقة وهي الخدّة . وذلك نظير قوله سبحانه : ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ^(١) فلما جاء سبحانه بذكر السرادق جاء بذكر المرافق ، ليتشابه الكلام .

وروى عن بعضهم أنه قال : معنى مُرْتَفَقًا . أى مجتمعا ، كأنه ذهب إلى معنى : وساءت مرافقته . والمرافقة لا تكون إلا بالاجتماع جماعة . وهذا القول يخرج الكلام عن حد الاستعارة فيدخله في باب الحقيقة . والوجه الأول أقوى . ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٣١] فجاء بذكر الارتفاق لما قدّم ذكر الاتكاء . وهذا أوضح ^(٢) مشاهد .

وقوله سبحانه : ﴿ كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . لأن الظلم ههنا ليس على أصله في اللغة ، ولا على عرفه في الشريعة . لأنه في اللغة اسم لوضع الشيء في غير موضعه . وفي الشريعة اسم للضرر المفعول ، لا على وجه الاستحقاق ، ولا فيه استجلاب نفع ، ولا دفع ضرر .

والمراد بقوله تعالى ههنا : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أى لم تمنع منه شيئا . وإنما حسن أن يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمر تلك الجنة التي هي البستان كالمستحق لما لكها . فإذا أخذ حقه على كماله وتماه حسن أن يقال : إنها لم تظلم منه شيئا . أى لم

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٢٠ وفي سورة آل عمران . آية رقم ١٩٧ قوله تعالى « ثم مأواهم جهم وبئس المهاد » فالآيتان متشابهتان إلا في « ثم » بدلا من الواو .

(٢) هكذا بالأصل . ولعلها : واضح .

تمنع منه مستحقا ، فتكون في حكم الظالم إذ أضرت بمالكها في نقصان زروعها ، وإخلاف ثمارها . ومما يقوئى ذلك قوله سبحانه : ﴿ آتَتْ أَكْثَابَهَا ﴾ . أى أعطت أكلها . فلما جاء بلفظ الإيعطاء حسن أن يجيء بلفظ الظلم . ومعناه ههنا المنع . فكأنه تعالى قال : أعطت ما يستحق عليها ، ولم تمنع منه شيئا .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [٥٦] وهذه استعارة . وأصل الدحض الزلق . ومكان دحض : أى مزلق . فكأنه سبحانه قال : لينزلوا الحق بعد ثباته ، ويزيلوه عن مستقراته . فيكون كالسير بعد قوته ، والمائل بعد استقامته . وقوله سبحانه ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [٥٧] . وهذه استعارة . لأن المراد بذكر اليدين ههنا ما كسبه الإنسان من العمل الذى يجر العقاب ، ويوجب النكال . ومثله فى القرآن كثير . كقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ^(١) وذلك على طريقة للعرب معروفة . وهو أن يقولوا للجاني المعاقب : هذا ما جننت يداك . وهذا ما كسبت يداك . وإن لم تكن جنائته عملا بيده ، بل كانت قولاً بفم . لأن الغالب على أفعال الفاعلين أن يفعلوها بأيديهم ، فحمل الأمر على الأعراف ، وخرج على الأكثر . وعلى هذا المعنى تسمى النعمة يداً ، لأن المنعم فى الأغلب يعطى بيده ما ينعم به ، وإن لم يقع ذلك فى كل حال ، وإنما الحكم للأظهر ، والقول على الأكثر .

وقوله سبحانه : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴾ [٧٧] وهذه استعارة . لأن الإرادة على حقيقتها لا تصح على الجماد . والمعنى : يكاد أن ينقض ، أى

يقارب أن ينقض . على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في الباني ، لأنه لما ظهرت فيه أمارات الانقضاخ ، من ميل بعد انتصاب ، واضطراب بعد ثبات ، حسن أن يطلق عليه إرادة الوقوع ، على طريقة الاتساع ^(١) .

وترد في كلامهم كاد بمعنى أراد ، وأراد بمعنى كاد . وجاء في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ^(٢) أى أردنا ليوسف .

وقوله سبحانه . ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ^(٣) معناه - على أحد الأقوال - أريد أخفيها . ومما ورد في أشعارهم شاهدا على ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :
كادت وكدت ، وتلك خير إرادة لو عاد من هو الصباة مامضى ^(٤)
فقال : وتلك خير إرادة ، والإشارة إلى كادت ، وكدت .

وأوضح من هذا قول الأفوه الأودي ^(٥)

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَا كُنْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
أى الذى أرادوا .

(١) فى الأصل . « الأتساع » وهو تحريف من التأسخ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم ٧٦ .

(٣) سورة طه . الآية رقم ١٥ .

(٤) هذا البيت لم ينسب لفائله فى « شرح شواهد الكشاف » المسمى « تنزيل الآيات ، على الشواهد من الآيات » للعلامة محب الدين أفندى ، ولم ينسبه القرطبى لأحد وإنما نقل عن الأنبارى قوله : وشاهد هذا قول الفصيح من الشعر - افظر « جامع أحكام القرآن » ج ١١ ص ١٨٤ .

(٥) هو صلاة بن عمرو بن مالك . وهو شاعر يمانى جاهلى اشتهر بالسيادة والقيادة . وهذا البيت من قصيدة مشهورة يقول فيها :

لا يصالح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جمهم سادوا
وقبل بيت الشاهد هذا البيت :

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عمد إذا لم ترس أوتاد

وقد نسب صاحب « شواهد الكشاف » للرافدة الأودي ، وهو تحريف مطبعي ، لأن مثل هذا لا يخفى على العلامة محب الدين .

فأما قول الشاعر^(١) .

يُرِيدُ الرِّيحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

فليس يصح حمله على مقارنة الفعل ، كما قلنا في قوله سبحانه : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ لأنه لا يستقيم على الكلام أن يقول : يكاد الريح صدر أبي براء . وإنما ذلك على سبيل الاستعارة ، لأن صاحب الريح إذا أراد ذلك كان الريح كأنه يريد له . فأما قول الراعي يصف الإبل :

فِي مَهْمِهِ فَانْقَتَ بِهِنَّ هَامَاتِهِنَّ فَلَقَ الْفُؤُوسَ إِذَا أَرَدْنَ نَصُولًا^(٢)

فإنه بمعنى مقارنة الفعل ، لأن الفؤوس إذا فلق في نصبها قاربت أن تسقط ، فجعل ذلك كالإرادة منها . والنصول هنا مصدر نَصَلَ نَصُولًا ، مثل وقع وقوعا . وهذا البيت من أقوى الشواهد على الآية .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [٩٩] وهذه استعارة .

لأن أصل المَوْجَانِ من صفات الماء الكثير ، وإنما عبر سبحانه بذلك عن شدة اختلافهم ودخول بعضهم في بعض لسكرة أضدادهم ، تشبيها بموج البحر المتلاطم ، والتفاف الدباب^(٣) المتعاضل .

(١) لم ينسب هذا البيت لقائله في « جامع أحكام القرآن » ج ١١ ص ٢٦ ، وكذلك لم ينسبه ابن مطرف الكنتاني في كتابه « القرطبي » طبع الخانجي ص ٢٦٩ واكتفى بما أنشده السجستاني عن أبي عبيدة . وكذلك لم ينسبه ابن قتيبة في « تأويل مشكل القرآن » ولا « لسان العرب » . وأبو براء هو عامر بن مالك واقبه ملاعب الأسنة . وترى أخباره في « الشعر والشعراء » لأن قتيبة صفحات ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ . وقد كان البيت في الأصل : « تريد الريح . . الخ » فأصلحناه عن القرطبي وابن مطرف الكنتاني .

(٢) لم ينسب هذا البيت لقائله في القرطبي ج ١١ ص ٢٦ .

(٣) الدباب : الجراد الصغير ، أو النمل . والمتعاضل : المتراكب بعضه في بعض .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ [١٠١] وهذه استعارة . وإس المراد أن عيونهم على الحقيقة كانت في غطاء يسترها وحجاز يحجزها . وإنما المعنى أنهم كانوا ينظرون فلا يعتبرون ، أو تعرض لهم العبر فلا ينظرون . ومن الأدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ عَنْ ذِكْرِي ﴾ لأن الأعين لا توصف بأنها في غطاء عن ذكر الله تعالى ، لأن ذلك من صفات ذوى العيون . وإنما المراد أن أعينهم كانت تذهب صفحا عن مواقع العبر ، فلا يفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها ، فيذكرون الله سبحانه عند إجابة أفكارهم ، وتصريف خواطرهم . وهذا من غرائب القرآن وعجائبه ، وغوامض هذا الكلام ومناسبه .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [١٠٤] وهذه استعارة . وأصل الضلال ذهاب القاصد عن سبيل^(١) طريقه . فكان سعيهم لما كان في غير الطريق المؤدية إلى رضا الله سبحانه ، حسن أن يوصف بالضلal ، والعدول عن سبيل الرشاد .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَٰئِكَ^(٢) الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ، فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [١٠٥] . وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه : ﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ وتأويل لقائه ههنا على وجهين : أحدهما أن يكون فيه مضاف محذوف . فكانه تعالى قال : ولقاء ثوابه وعقابه . أو جنته وناره . والوجه الآخر أن يكون معنى ذلك رجوعهم إلى دار لأمر فيها لغير الله سبحانه . فيصبرون إليها من غير أن يكون لهم بها محيص ، أو دونها محيد . وذلك مأخوذ من مقابلتك الشيء من غير أن تصرف عنه وجهك يمينا ولا شمالا .

(١) في الأصل « سر » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل بدئت الآية بغير لفظة أولئك وهو تحريف من الناسخ .

يقول القائل : لقيتُ فلانا . أى قابلته بجملى . وتقول : دارى تلقاه دارِ فلان . أى مقابلتها . فكانت كل واحدة منهما كالمقبلة على الأخرى . فلما كان لأحد يوم القيامة يستطيع انصرافا عن الوجهة التى أمر الله سبحانه بجمع الناس إليها ، وحشرهم نحوها ، سُمى ذلك لقاء الله سبحانه على السَّعة والمجاز .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ والمراد بذلك - والله أعلم - أنا لانجد لهم أعمالا صالحة تثقل^(١) بها موازينهم يوم القيامة . والميزان إذا كان ثقيلًا سُمى مستقيما ، وقائما . وإذا كان خفيفا سُمى عادلا ، ومائلا . وقد يجوز أن يكون معنى ذلك أنهم لا اعتداد بهم ، ولا نباهة لذكرهم فى يوم القيامة . كما يقال فى التحقير للشيء : هذا لا وزن له ولا قيمة . وكما تقول : فلان عندى بالميزان الراجح ، إذا كان كريما عليك ، أو حبيبا إليك .

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) فى الأصل : يثقل بالياء وهى تعريف .

ومن السورة التي يذكر فيها « مريم عليها السلام »

قوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [٤]
وهذه من الاستعارات العجيبة . والمراد بذلك : العبارة عن تكاثر الشيب في الرأس حتى
يقهر بياضه ، وينصل سواده .

وفي هذا الكلام دليل على سرعة تضاعف الشيب وتزايد وتلاحق مدده ، حتى
يصير في الإسراع والانتشار كاشتعال النار ، يعجز مطفئيه ، ويُغلب متلافيه .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [٢٣] . وهذه استعارة .
والمعنى : فجاء بها المخاض ، أو ألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، لتجعله سنادا لها ، أو عمادا
لظهرها . وهي التي لجأت إلى النخلة ، ولكن ضرب المخاض لما كان سببا لذلك ، حسن أن
ينسب الفعل إليه في إلجائها ، والنجى بها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ، وَجَعَلْنَا لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [٥٠]
وهذه استعارة . والمراد بذكر اللسان ههنا - والله أعلم - الثناء الجميل ^(١) الباقي في أعقابهم ،
والخالف في آباؤهم ^(٢) . والعرب تقول : جاءني لسان فلان . يريد مدحه أو ذمه . ولما
كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنهما باسم اللسان .

وإنما قال سبحانه : ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ . إضافة للسان إلى أفضل حالاته ، وأشرف
متصرفاته ، لأن أفضل أحوال اللسان أن يُنْخَبِر صدقا ، أو يقول حقا .

(١) في الأصل : (الجل) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) أي الباقي في آباؤهم .

ومعناه : لقد علم الأيقاظ عيونا . فجعل العين للنوم في أنها مشتملة عليه ، كإخفاء
للقربة في أنه مشتمل عليها .

وقول الشاعر : أخفية الكرى من الاستعارات العجيبة ، والبدائع الغريبة . وقوله :
تَرْجُجُهَا مِنْ حَالِكٍ وَاکْتَحَالَهَا . يعود على العيون . كأنه قال : تَرْجُجُ العيون وَاکْتَحَالَهَا
من سواد الليل . وهذا لا يكون إلا مع السهر وامتناع النوم ، لأن العيون حينئذ بانفتاحها
تكون كالمباشرة لسواد الظلماء ، فيكون كالسكحل لها .

والتَرْجُجُ : اسوداد العينين من السكحل . يقال : رَجَّجْتُ^(١) المرأة عينها وحاجبها .
إذا سودتهما بالإثم .

وعلى التأويل الآخر يبعد الكلام عن طريق الاستعارة . وهو أن يكون أكاد
ههنا بمعنى أريد ، كما قلنا فيما مضى^(٢) . ومن الشواهد على ذلك قول الشاعر :

أمنخرم شعبان لم تقص حاجة من الخاج كفا في الأصم^(٣) نكيدها

أي كنا نريدها في رجب . ويكون « أخفيها » على موضوعه من غير أن يعكس
عن وجهه . ويكون المعنى : إن الساعة آتية أريد أستروقت مجيئها ، لما في ذلك من
المصلحة . لأنه إذا كان المراد بإقامتها الجأزة على الأفعال ، والمؤاخذه بالأعمال ، كانت

(١) ومنه قول الشاعر الراعي النهرى :

إذا ما الغنائات برزن يوما وزججن الخواجب والعيونا

وهذا البيت من شواهد النحو في باب المفعول معه . انظر « أوضح المسالك » إلى ألفية ابن مالك »

الشاهد ٢٥٩ .

(٢) في الآية رقم ٧٧ من سورة السكف .

(٣) الأصم : شهر رجب . وسمى بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت السلاح لكونه شهرا حراما .

انظر لسان العرب . وقال الخليل : إنما سمي بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا حركة قتال ،
ولا قفعة سلاح ، لأنه من الأشهر الحرم .

ومن السورة التي يذكر فيها

موسى عليه السلام وهي « طه »

قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [١٥] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو مما سمعته من شيخنا أبي الفتح النحوي^(١) ، عفا الله عنه . قال : الذي عليه خُذَّاق أصحابنا : أَنَّ كَادَ ههنا على بابها من معنى المقاربة . إلا أن قوله تعالى : أُخْفِيهَا يُوَوَّلُ إلى معنى الإظهار . لأن المراد به : أَكَادُ أُسْلِبُهَا خفاءها . وَأُخْفِيهَا : الغشاء والغطاء . مأخوذ من خَفَاءَ^(٢) القربة ، وهو الغشاء الذي يكون عليها .

فإذا سُلِبَ عن الساعة غطاؤها المانع من تجليها ظهرت للناس فرأوها . فكأنه تعالى قال : أَكَادُ أُظْهِرُهَا . قال لي : وأنشدني أبو علي^(٣) منذ أيام بيتنا هو من أنطق الشواهد على الغرض الذي رمينا . وكان سماعي ذلك من أبي الفتح رحمه الله ، وأبو علي حينئذ باق لم يمت . وهو قول الشاعر^(٤) .

لقد عَلِمَ الْأَيْقَاطُ أُخْفِيَةَ السَّكْرَى تَزَجُّجَهَا مِنْ حَالِكٍ وَاکْتِحَالَهَا

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني إمام النحو المشهور وأستاذ المؤلف ، وقد سبق تعريفنا به في هوامش مجازات سورة التوبة .

(٢) الخفاء : الغطاء : وجهه أخفية .

(٣) أبو علي هو أبو علي الفارسي ، واسمه الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، كان إماماً في العربية . وكان يسأل في كل بلد يحل فيه عن مسائل من اللغة والنحو والصرف فيجيب إجابات سديدة . وصنف في أسئلة كل بلد كتاباً . وقد تعاصر المؤلف وابن جني وأبو علي الفارسي . وكان المؤلف شاباً ناشئاً حين تقدمت السن بأبي علي الفارسي الذي توفي سنة ٣٧٧ هـ على حين أن الشريف الرضي ولد سنة ٣٥٩ هـ .

(٤) هذا البيت لم يذكره فائل . وهو من أبيات الشواهد في « لسان العرب » ولم ينسب لفائله . وأخفية النور : أكنه . وأخفية السكرى : الأعين .

الحكمة في إخفاء وقتها ، ليكون الخلق في كل حين وزمان على حذر من مجيئها ،
وَوَجَلٍ مِنْ بَغْتِهَا^(١) ، فيستعدوا قبل حلولها ، ويمهدوا قبل نزولها .

ويقوى ذلك قوله سبحانه : ﴿ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [١٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [٢١] وهذه
استعارة . لأن المراد بالسيرة ههنا الطريقة والعادة . وأصل السيرة مضي الإنسان في تدبير
بعض الأمور على طريقة حسنة أو قبيحة . يقال : سار فلان الأمير فينا سيرة جميلة . وسار
بنا سيرة قبيحة . وأمكن موسى عليه السلام لما كان يصرف عصاه - قبل أن تنقلب^(٢)
حية - في أشياء من مصالحه ، كما حكى سبحانه عنه بقوله : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ،
وَأُهْشِئُ بِهَا عَلَى غَنَمِي^(٣) وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ [١٨] ثم قلبت حية ، جاز أن يقول
تعالى : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ أي إلى الحال التي كنت تصرفها معها في المصالح
المذكورة ، لأن تصرفها في تلك الوجوه كالسيرة لها ، والطريقة المعروفة منها .
والمراد : سنعيد لها إلى سيرتها الأولى . فانتصبت السيرة بإسقاط الجار^(٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [٢٢] وهذه
استعارة . والمراد بها - والله أعلم - وأدخل يدك في قميصك مما يلي إحدى جهتي يديك .
وسميت تلك الجهتان جناحين ، لأنهما في موضع الجناحين من الطائر . ويوضح عما ذكرنا
قوله سبحانه في مكان آخر : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٥)
والجيب في جهة إحدى اليدين .

(١) في الأصل : بغيثها ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل : (تعلب) وهي تحريف .

(٣) سورة طه . الآية رقم ١٨ .

(٤) إذا نزع الخافض ، أو سقط الجار انتصب الاسم بعده بدلاً من جره .

(٥) سورة النمل . الآية رقم ١٢ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [٢٧] ، [٢٨]
وهذه استعارة . والمراد بها إزالة لَفْ (١) كان في لسانه ، فعبّر عنه بالعقدة . وعبر عن مسألة
إزالته بحل العقدة ، ملائمة بين النظام ، ومناسبة بين الكلام .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك إزالة التقيّة عن لسانه وكفايته سطوة فرعون
وغواته ، حتى يؤدي عن الله سبحانه آمنا ، ويقول متمكنا ، فلا يكون معقود اللسان بالتقيّة ،
ومعكوم الفم بالخوف والمراقبة . وذلك كقول القائل : لسان فلان معقود : إذا كان خائفا
من الكلام . ولسان فلان منطلق : إذا كان مقداما على المقال .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [٣٩] . وفي
هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ وليس
المراد أن هناك شيئا يُلقى عليه في الحقيقة ، ولكن المعنى أنني جعلتك بحيث لا يراك أحد
إلا أحبك ، ومال قلبه نحوك ، حتى أحبك فرعون وامراته ، فتبنيك وربّيك ، واسترضعك ،
وكفلاك . وهذا كقول القائل : على وجه فلان قبول . وليس هناك على الحقيقة شيء يوما
إليه . إلا أن كل ناظر ينظر إليه يقبله ، قلبه وتسرب به نفسه .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ والمراد بذلك - والله
أعلم - أن تتربى بحيث أراك وأراك . وليس أن ههنا شيئا يغيب عن رؤية الله سبحانه ،
ولكن هذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية ، وفرط الحفظ والكلالة (٢) . ولما كان
الحافظ للشئ في الأغلب يديم مراعاته بعينه ، جاء تعالى باسم العين بدلا من ذكر الحفظ
والحراسة ، على طريق المجاز والاستعارة .

(١) اللف : التواء عصب في اللسان يعطله عن الكلام .

(٢) في الأصل « والكلالة » والصواب همزها .

ويقول العربى لغيره : أنت منى بمرأى ومسمع . يريد بذلك أنه متوفر عليه برعايته ، ومنصرف إليه بمراعاته .

وقوله سبحانه : ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [٤١] وهذه استعارة . والمراد بها : واصطنعتك لتبلغ رسالتى ، وتنصرف على إرادتى ومحبتى ، وقال بعضهم : معنى لنفسى ههنا : أى لمحبتى . وإنما جاز أن يوقع النفس موقع المحبة لأن المحبة أخص شىء بالنفس ، فحسن أن تسمى بالنفس . وقد^(١) يجوز أن يكون ذلك على معنى قول القائل : اتخذت هذا الغلام لنفسى ، أى جعلته خاصاً لخدمتى ، لا يشاركنى فى استخدامه أحد غيرى . وسواء قال : اتخذته أو اتخذته لنفسى ، فى فائدة الاختصاص ، ليس أن هناك شيئاً يتعلق بالنفس على الحقيقة .

وقوله سبحانه : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٥٠] وهذه استعارة على أحد التأويلين . والمراد بها - والله أعلم - أنه أكمل لكل شىء صورته ، وأتقن خلقته ، وهذا يعم كل مصور من حيوان وجماد وغير ذلك . فلا معنى لحل من حمله على الحيوان فقط .

وعندى فى ذلك وجه آخر ، وإن كان الكلام يخرج به من باب الاستعارة . وهو أن يكون فى الكلام تقدير وتأخير . فكأنه سبحانه قال : ربنا الذى أعطى خلقه كل شىء ، ثم هداهم إلى مطاعمهم ومشاربهم ، ومناكحهم ، ومساكنهم وغير ذلك من مصالحهم . ويكون ذلك نظير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا كُمُ مِنْ كُلِّ مَآسَأٍ لَّنُمُوهُ﴾^(٢) . ويكون المراد أنه سبحانه أعطى خلقه فى أول خلقهم

(١) فى الأصل « فقد » ولا معنى للعطف بإلقاء هنا .

(٢) سورة إبراهيم . الآية رقم ٣٤ .

كل^(١) ما تراح به عليهم ، ويتكامل معه خلقهم ، من سلامة الأعضاء ، واعتدال الأجزاء ، وترتيب المشاعر والحواس ، ومواقع الأسماع والأبصار ، ثم هداهم من بعد لمصالحهم ، ودلهم على منافعهم ، وأجراهم في مزار التكليف إلى غاياتهم .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾^(٢) [٥٣] وقد قرئ : مَهْدًا . وهذه استعارة . والمراد بها تشبيه الأرض بالمهاد المقترش ، ليتمكن الاستقرار عليها ، والتقلب فيها . وقد مضى نظير هذه الاستعارة فيما تقدم . ومعنى المهاد والمهد واحد . وهو مثل الفرش والفراش . إلا أن المهد ربما استعمل في رسم الآلة التي يُجعل فيها الصبي الصغير ليحفظه ، وهو يؤول إلى معنى الفرش . والمهد أيضا : مصدر مهّد ، يمهّد ، مهّدا . إذا مكّن موضعا لقدمه ، ومضجعا لجنبه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [١١١] وهذه استعارة . والمراد بها ما يظهر في الوجوه يوم القيامة من آثار الضرع ، وأعلام الجزع . وذلك مأخوذ من تسميتهم الأسير « العاني » . ومنه ما جاء في بعض الكلام : النساء عوان عند أزواجهن . أي أسراء في أيدي الأزواج . وعلى ذلك قول القائل : هذه المرأة في حبال فلان . لأنه بما عقّده من نكاحها كالأسير^(٣) لها ، والمالك^(٤) لرقها . فكان الوجوه خضعت من خشية الله تعالى خضوع الأسير الذليل ، في يد الأسر العزيز .

(١) كتبها الناسخ « كلا » موصولة ، ولا محل للوصل هنا . فإن كل مضافة إلى ما التي بمعنى الذي .

(٢) قرأ الكوفيون هنا وفي سورة الزخرف : مهّدا ، أي كالمهد . وقرأ الباقون : مهادا وهو

اسم ما يمهّد كالفرش أو جمع مهّد . انظر « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » للبيضاوي ج ٤ ص ٢٤ .

(٣) في الأصل : (كالأسير) وهو تحريف من الناسخ .

(٤) في الأصل : (والمالك) وهو تحريف أيضا .

ومن السورة التي يذكر فيها

«الأنبياء عليهم السلام»

قوله سبحانه : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [١١] وحقيقة القصم كسر الشيء الصاب . وجعل ههنا مستعاراً للعبارة عن إهلاك الجبارين من أهل القرى أصْلَبَ ما كانوا عيْدانا ، وأمنع أركاننا .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ [١٥] وفي هذه الآية استعارتان . لأنه سبحانه جعل القوم الذين أهلستهم بعذابه بمنزلة النبات المحصود ، الذي أنيم بعد قيامه ، وأُهد بعد اشتطاطه واهتزازه

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ خَامِدِينَ ﴾ والخمود من صفات النار ، كما كان الحصيد من صفات النبات . فكأنه سبحانه شبه همود أجسامهم بعد حراكتها بجمود النار بعد اشتعالها . وقد يجوز أيضاً - والله أعلم - أن يكون المراد تشبيههم بالنبات الذي حُصد ثم أحرق . فيكون ذلك أبلغ في صفتهم بالهلاك والبوار ، وأتجاء العالم والآثار . لاجتماع صفتي الحصد والإحراق . وقال سبحانه : ﴿ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ . ولم يقل خامدا ، كما قال تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ^(١) ولم يقل خاضعة . لأنه سبحانه ردَّ معنى خاضعين على أصحاب الأعناق ، لا على الأعناق . وكذلك يجوز رد معنى خامدين على القوم الذين أهلكتوا ، لا على النبات الذي به شُبِّهوا .

وقيل معنى : ﴿ حَتَّى ^(١) جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا ﴾ أى سلطنا عليهم السيف يختليهم كما تختلى الزروع بالمنجل . وقد جاء فى الكلام : جعله الله حصيد سيفك ، وأسير خوفك .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [١٨] . وهذه استعارة . لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة ، التى يُرْجَمُ بها ، كالحجارة وغيرها . فجعل - سبحانه - إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل ، الذى يرض ماصكته ، ويدمغ مامسه . ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفى الاستعارة حقها ، وأعطائها واجبها ، فقال سبحانه : ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ولم يقل فيذهبه ويبطله . لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال ، وعلى طريق الغلبة والاستعلاء . فكان الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه . والدماغ مَقْتَلٌ . ولذلك قال سبحانه من بعد : ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ والزاهق : الهالك .

وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [٣٠] . وهذه استعارة . لأن الرتق هو سد خصاصة ^(٢) الشيء . ويقال : رتق فلان الفتق . إذا سده . ومنه قيل للمرأة : رتقاء . إذا كان موضع مَرَّها من الذَّكَرِ ملتصقا . وأصل ذلك مأخوذ من قولهم : رتق فتق الخباء والقسطاط وما يجرى مجراها . إذا خاطه . فكان السموات والأرض كانتا كالشيء المَخِيطِ الملتصق ببعضه ببعض ، ففتقهما سبحانه ، بأن صدع ما بينهما بالهواء الرقيق ، والجو الفسيح .

(١) فى الأصل : (فجعلناهم) وهو تعريف من الناسخ . لأن الآية التى يبين المؤلف المجاز فيها هى قوله تعالى : « فا زالت تلك دعوائهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين » .
(٢) فى الأصل « حصاصه » بدون قطع .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب - صلوات الله عليه وآله - معنى أن السموات كانت لا تمطر، والأرض لا تنبت . ففتق الله سبحانه السماء بالأمطار ، والأرض بالنبات ^(١) .
وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ [٣٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة السقف ما أظلل الإنسان ، من علو بيت أو خباء ، أو ما يجري مجرى ذلك . فلما كانت السماء تظل من تحتها ، وتعلو على أرضها ، حسن أن تسمى ^(٢) سقفا لذلك . ومعنى محفوظا : أى تحفظ ^(٣) مما لا يمكن أن تحفظ من مثله سائر السقوف ، من الانفراج والانهدام والتشعث والاسترمام . وقد قيل : معنى ذلك حفظ السماء من مسارق السمع ، وتحصينها بمقاذف الشهب .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . لأن أصل السبح هو التقلب والانتشار في الأرض . ومنه السباحة في الماء . ولا يكون ذلك إلا من حيوان يتصرف . ولكن الله سبحانه لما جعل الليل والنهار والشمس والقمر مسخرة للتقلب في هذا الفلك الدائر والصفائح السائر ، تتعاقب فيه وتتغير ، وتتقارب وتتباعد ، حسن أن يعبر عنها بما يعبر به عن الحيوان المتصرف ، وزيدت على ذلك شيئا ، فعبر عنها بالعبارة عن الحيوان المميز . فقيل : يسبحون ، ولم يقل : تسبح ، لأنها في الجرى على الترتيب المنتظم والتقدير المحكم أقوى تصرفا من الحيوان غير المميز . ولأن الله سبحانه أضاف إليها الفعل على تدبير ما يعقل ، فحسن أن يعبر عنها بالعبارة

(١) نسب الشريف الرضى هذا الكلام للأمام على بن أبي طالب . وهذا التفسير منسوب لابن عباس رضى الله عنه ، كما ذكرنا ذلك في مقدمة الكتاب ، وانظر « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني ج ١ ص ٤٨٣ . ورواية الإمام السيوطي في « الإتيان » تؤيد قولنا ، انظر ص ١٨٧ ج ٢ من كتاب « الإتيان في علوم القرآن » للسيوطي .

(٢) في الأصل : يسمى بالياء وهو تعريف .

(٣) في الأصل : (يحفظ) بالياء وهو تعريف .

عما يعقل مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) . ومثل قوله سبحانه : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ^(٢) فقال : ادخلوا ولم يقل ادخلن . لأن خطابها لما خرج على مخرج خطاب من يعقل كان الأمر لها على مثال أمر من يعقل . وقد مضى الكلام على ذلك فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [٣٧] . وهذه استعارة . والمراد أن الإنسان خلق مستعجلاً بطلب ^(٣) مايؤثره ، واستطراف مايحذره . والله سبحانه إنما يعطيه ماطلب ، ويصرف عنه مارهب ، على حسب مايعلمه من مصالحه ، لأعلى حسب مايسنح من مآربه .

وقيل ذلك على طريق المبالغة في وصف الإنسان بالعجلة ، كما يقال في الرجل الذكي : إنما هو نار تتوقد ، وللإنسان البليد : إنما هو حجر جامد .

فأما من قال من أصحاب التفسير : إن العجل ههنا اسم من أسماء الطين ، وأورد عليه شاهداً من الشعر ، فلا اعتبار بقوله ، ولا التفات إلى شاهده ، فإنه شعر مولد ^(٤) وقول فاسد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [٤٦] . ولفظ النفحة ههنا مستعار . والمراد بها إصابة الشيء اليسير من العذاب .

(١) سورة يوسف . الآية رقم ٤ .

(٢) سورة النمل . الآية رقم ١٨ .

(٣) في الأصل : (بطلب) بالياء المثناة التعتية . وهو تحريف .

(٤) أما الشعر الذي أنشدوه ليثبتوا به أن العجل هو الطين ، فهو قول الشاعر :

والنبع في الصخرة الصماء منبه والنخل ينبت بين الماء والعجل

انظر « الجامع لأحكام القرآن » للفرطبي ج ١١ ص ٢٨٩ .

يقال : نَفَحَ فلان فلانا بيده . ونَفَحَ الفَرَسُ فلانا بحافره . إذا أصابه إصابة خفيفة ، ولم يبلغ في إيلاؤه الغاية . فكان النفحة ههنا قدر يسير من العذاب ، يدل واقعه على عظيم متوقعه ^(١) ، [و] شاهده على فظيع غائبه .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ، لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [٦٥] وهذه استعارة . والمراد بها وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والإطراق عند لزوم الحجة ، فكأنهم شَبَّهُوا بالمرتدى على رأسه ، تدويحاً بنصوع البيان ، وإبلاسا عند وضوح البرهان .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [٧٤] ولفظ القرية ههنا مستعار . والمراد به الجماعة التي كانت تعمل الخبائث من أهل القرية . وكشف سبحانه عن ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ وفي هذا الكلام خبر عجيب ، لأنه تعالى جعل ما يلي لفظ القرية مؤنثا ، إذ كانت مؤنثة ، فقال : ﴿ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ . وجعل بقية الكلام مذكرا ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ لأن المراد به مذكر ، فصار الكلام في الآية على قسمين : قسم عائد إلى اللفظ ، وقسم عائد على المعنى . وهذا من عجائب القرآن .

وقوله سبحانه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٧٩] ويسبح ههنا استعارة . وقد مضى من الكلام في « الرعد » على قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٢) ما هو بعينه تأويل تسبيح الجبال ههنا . وقد قيل في ذلك وجه آخر يخرج به

(١) في الأصل بدون واو . وقد أثبتناها بين حاصرتين ، لأن بها يستقيم نسق الكلام .

(٢) سورة الرعد الآية رقم ١٣ .

الكلام من حد الاستعارة . وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُنَّ ﴾ ههنا مأخوذاً من التسبيح ، وهو الإبعاد في السير ، والتصرف في الأرض . لا من التسبيح . فكأنه تعالى قال : وسخرنا مع داود الجبال يسرن في الأرض معه ، ويتصرفن على أمره ، طاعة له . ونظير ذلك قوله سبحانه في « سبأ » : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ ^(١) أى سيرى معه . والتأويب السير .

وإنما قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُنَّ ﴾ عبارة عنها بتكثير الفعل من السَّبَّح .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ ^(٢) أى تصرفاً ومتسعاً . ومجالاً ومنفسحاً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا ، فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [٩١] . وهذه استعارة . والمراد ههنا بالروح : إجراء روح المسيح عليه السلام في مريم عليها السلام ، كما يجرى الهواء بالنفخ . لأنه حصل معها من غير علوق من ذكرٍ ، ولا انتقال من طبق إلى طبق . وأضاف تعالى الروح إلى نفسه ، لمزية الاختصاص بالتعظيم ، والاصطفاء بالتكريم . إذ كان خلقه المسيح عليه السلام ، من غير توسط مناكحة ، ولا تقدم ملازمة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ، كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [٩٣] . وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم تفرقوا في الأهواء ، واختلفوا في الآراء ، وتقسمتهم المذاهب ، وتشعبت بهم الولائج ^(٣) . ومع ذلك فجميعهم راجع إلى الله سبحانه ، على أحد وجهين :

(١) سورة سبأ . الآية رقم ١٠ .

(٢) سورة الزمل . الآية رقم ٧ .

(٣) الولائج : جمع وليجة ، وهي بطانة الإنسان ومن يتخذها معتمداً عليه من غير أهله .

إمّا أن يكون ذلك رجوعاً في الدنيا . فيكون المعنى : أنهم وإن اختلفوا في الاعتقادات صاترون إلى الإقرار بأن الله سبحانه خالقهم ورازقهم ، ومصرفهم ومدبرهم . أو يكون ذلك رجوعاً في الآخرة ، فيكون المعنى أنهم راجعون إلى الدار التي جعلها الله تعالى مكان الجزاء على الأعمال ، وموفى الثواب والعقاب ؛ وإلى حيث لا يحكم فيهم ، ولا يملك أمرهم إلا الله سبحانه .

وشبه تخالفهم في المذاهب ، وتفرقهم في الطرائق ، مع أن أصلهم واحد ، وخالقهم واحد ، يقوم كانت بينهم وسائل متناسبة ، وعلائق متشابهة ، ثم تباعدوا تباعداً قطع تلك العلائق ، وشذب تلك الوسائل ، فصاروا أخياراً^(١) مختلفين ، وأوزاعاً^(٢) مفترقين .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [٩٨] هذه استعارة . لأن الحصب هو ما يرمى به من الحصباء ، وهي الحصى الصغار . يقال : حصب فلان فلاناً . إذا قذفه بالحصى . ويقولون : حصبنا الجحمار . أى قذفنا فيها بالحصبات^(٣) . فشبه سبحانه قذفهم في نار جهنم بالحصباء التي يرمى بها . من ذلّ مقادفهم ، وهوان مطارحهم .

وفي ذلك أيضاً معنى لطيف ، وهو أنه سبحانه لما قال : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ والمراد ههنا - والله أعلم - بما تعبّدون : الأصنام ، والأغلب

(١) الأخيار : المختلفون . يقال : هم إخوة أخيار ، أى أهمم واحدة والآباء شتى .

(٢) الأوزاع : الجماعات . ولا واحد لها .

(٣) في الأصل « بالحصيات » بالياء المثناة التحتية . وهو تحريف ، والصواب بالحصبات . بالياء

اللوحة التحتية .

عليها أن تكون^(١) من الحجارة ، حَسُنَ أن يسمَّى الرمي بها في نار جهنم حَصَبًا ، وتسميتها حَصَبًا إذ كانت حجارة ومن جنس الحصباء ، وجاز أن يسمَّى قذف العابدين لها في النار أيضا بذلك ، حملا على حكمها ، وإدخلا في جملتها .

والفائدة في قذف الأصنام مع عابديها في نار جهنم أن يكون من زيادات عقابهم ، ورجحانات عذابهم ، لأنهم إذا كثرت مشاهدتهم لها في أحوال العذاب كان ذلك أعظم لحسرتهم على عبادتها ، وندمهم على الدعاء إليها .

وقد قيل أيضا إنها إذا حيت بوقود النار - نعوذ بالله منها - لصقت بأجسامهم ، فكانت من أقوى أسباب الإيلام لهم . وعلى هذا التأويل حمل جماعة من المفسرين قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٢) بقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾^(٣) . وهذه استعارة والمراد بها على أحد القولين : إبطال السماء ونقض بنيانها ، وإعدام جملتها . من قولهم : طَوَى الدَّهْرُ آلَ فلان . إذا أهلكهم^(٤) ، وعنى آثارهم . وعلى القول الآخر يكون الطُّىُّ هنا على حقيقته فيكون المعنى : إن عَرْضَ السموات يُطوى^(٥) حتى يجتمع بعد انتشاره ، ويتقارب بعد تباعد أقطاره . فيصير كالسجل المطوى ، وهو ما يُكتب فيه من جلد ، أو قرطاس ، أو ثوب ، أو ما يجري مجرى ذلك . والكتابُ ههنا مصدرٌ ، كقولهم :

(١) في الأصل : (أن يكون) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٤ .

(٣) « للكتاب » بالإنفراد ، هي قراءة فافع أما قراءة الجمع « للكتب » فهي قراءة حفص وحزرة والكسائي ويحيى وخلف

(٤) في : الأصل (أهلكم) وهو تحريف من الناسخ .

(٥) في الأصل : (تطوى) وهو تحريف .

كتبتُ ، كتابةً ، وكتاباً ، وكتباً . فيكون المعنى : يوم تطوى السماء كطى السجل ليكتب فيه ، فكأنه قال تعالى : كطى السجل للكتابة ، لأن الأغلب في هذه الأشياء التي أومأنا إليها أن تطوى قبل أن تقع الكتابة فيها ، لأن ذلك الطى أبلغ في التمكن منها .



مركز تحقيق كتاب في علوم إسلامي

ومن السورة التي يذكر فيها « الحج »

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] .
وهذه استعارة . لأن حقيقة الزلزلة هي حركة الأرض على الحال المفزعة . ومثل ذلك قولهم :
زَلَزَلَ اللهُ قدمه . وكان الأصل : أزلَّ اللهُ قدمه . بمعنى أزالها عن ثباتها واستقامتها ، وأسرع
تعثرها وتهافتها . ثم ضوعف^(١) ذلك ، فقيل : زَلَزَلَ اللهُ قدمه . كما قيل : دَكَّه اللهُ ،
وَدَكَّكَه . فالمراد بزلزلة الساعة - والله أعلم - رُجفان القلوب من خوف . . . (٢) وزلات
الأقدام من روعة موقعها . ويشهد بذلك قوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ (٣) [٢] يريد تعالى من شدة الخوف والوجل ، والذهول والوهل .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن المراد ههنا باهتزاز
الأرض - والله أعلم - تشبيهها بالحيوان الذي همد بعد حراكه ، وخشع بعد تطالُّه وإشرافه ،
لعلَّة^(٤) طرأت عليه ، فأصارتَه إلى ذلك ، ثم أفاق من تلك الغَمرة ، وصحا من تلك
السَّكرة ، فتتحرك بعد هموده ، واستهب^(٥) بعد ركوده . وكذلك حال الأرض إذا أماتها
الجدب ، وأهدمها المَحْلُ ؛ ثم حَالُهَا إذا نضجها الغيث بسجَّاله ، وبَلَّهَا القطر ببلاله ،

(١) التضعيف في تصريف الأفعال معروف مثل : زلزل في زل ، وصلصل في صل .

(٢) هنا بياض بالأصل .

(٣) سورة الحج . الآية رقم ٢ .

(٤) في الأصل : (لعله) وهو تحريف .

(٥) كذا بالأصل .

واهتزت بالنبات ناضرة ، ورطبت بعد الجفوف منزلة^(١) ذلك تقدير العزيز العليم .

وقوله سبحانه : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٩] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - الصفة بالإعراض عن سماع الرشد ، ولَّى العنق عن اتباع الحق . لأن المستقبل لسماع الشيء الذى لا يلائمه فى الأكثر يصرف دونه بصره ، ويثنى عنه عنقه . والعطف : جانب القميص ، وبه سمي شق الإنسان عطفاً ، لأن منه يكون ابتداء انعطافه ، وأول انحرافه . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [١١] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - صفة الإنسان المضطرب الدين ، الضعيف اليقين ، الذى لم تثبت^(٣) فى الحق قدمه ، ولا استمرت عليه مريته ، فأوهى شبهة تعرض له يتفاد معها ، ويفارق دينه لها ، تشبهاً بالقائم على حرف مهواة . فادنى عارض يزقه ، وأضعف دافع يطرحه .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَن فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [١٨] الآية . وهذه استعارة .

والمراد - والله أعلم - بسجود الشمس والقمر والنجوم والشجر وما ليس بحيوان ميمز ما يظهر فيه من آثار الخضوع لله سبحانه ، وعلامات التدبير ، ودلائل التصريف

(١) هكذا بالأصل . ولم أدر وجه الصواب فيه .

(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٨٣ ؛ وسورة فصلت . الآية رقم ٥١ .

(٣) فى الأصل : (لم يثبت) وهو تحريف من الناصح . فالقدم مؤنثة .

والتسخير ، فيحسُن لذلك أن يسمّى ساجدا على أصل السجود في اللغة ، لأنه الخضوع والاستكانة . أو يكون ذلك على معنى آخر ، وهو أن الذي يظهر في الأشياء التي عدّها ، من دلائل الصنعة ، وأعلام القدرة ، يدعو العارفين الموقنين إلى السجود ، ويبيعهم على الخضوع ، اعترافا له سبحانه بالافتقار ، وإخبائا له بالإقرار . وذلك كما تقدّم من قولنا في تسبيح الطير والجمال .

وقوله سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ ^(١) كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بها أن النار - نعوذ بالله منها - تشتمل عليهم اشتمال الملابس على الأبدان ، حتى لا يسلم منها عضو من أعضائهم ، ولا يغيب عنها شيء من أجسادهم .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك - والله أعلم - أن سراييل القطراني التي ذكرها سبحانه ، فقال ﴿ سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ أَنْ ﴾ ^(٢) إذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار ، لإحاطتها بهم واشتمالها عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . لأن المراد بها ذهول القلب عن التفكير في الأدلة التي تؤدي إلى العلم . وذلك في مقابلة قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ^(٣) فإذا وُصف القلب عند تبين الأشياء بالرؤية ^(٤) والإبصار ، جاز أن يوصف عند الغفلة والذهول

(١) في الأصل : « والذين » بالواو ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة إبراهيم . الآية رقم ٥٠ .

(٣) سورة النجم الآية رقم ١١ .

(٤) في الأصل : « بالرؤية بدون همز الواو » وهو تحريف يضيع المعنى .

تسمى والضلال . وإنما جعلت القلوب ههنا بمنزلة العيون ، لأن بالقلوب يُوصَل إلى المعلومات ، كما أن بالعيون يوصل إلى المرئيات . ولأن الرؤية^(١) ترد في كلامهم بمعنى العلم . ألا تراهم يقولون : هذا الشيء منى بحر أى ومسمع . أى بحيث أعرفه وأعلمه ، ولا يريدون بذلك نظر العين ، ولا سمع الأذن .

وفى قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ معنى عجيب ، وسر لطيف . وذلك أن سبحانه لم يُرد نفي العمى عن الأبصار جملة . وكيف يكون ذلك وما يعرض من عمى كثير منها أشهر من أن نومي^(٢) إليه ، ونذل^(٣) عليه ؟ وإنما المراد - والله أعلم - أن الأبصار إذا كانت معها آلة الرؤية من سلامة الأحداق ، واتصال الشعاعات لم يحز أن لا ترى ما لا مانع لها من رؤيته . والقلوب بخلاف هذه الصفة بها ، قد يكون فيها آلة التفكير والنظر من سلامة البنية ، وصحة الروية وزوال الموانع العارضة ، ثم هى مع ذلك لاهية عن النظر ، ومتشاغلة عن التفكير . فلذلك أفرد بها الله سبحانه بصفة العمى عن الأبصار على الوجه الذى بيناه مع الفائدة .

فأما الفائدة فى قوله سبحانه : ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٤٦] والقلب لا يكون إلا فى الصدر ، فإن هذا الاسم الذى هو القلب لما كان فيه اشتراك بين مسميات كقلب الإنسان ، وقلب النحلة ، والقلب الذى هو الصميم والصريح . من قولهم هو عربى^(٤) قلباً ، والقلب الذى هو مصدر قلبت الشيء أقلبه قلباً ، حسن أن يُزال اللبس بقوله تعالى : ﴿ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ احترازاً من تجويز الاشتراك .

(١) فى الأصل : « الروية » وهو تحريف سبق فى رقم ٣ .

(٢) فى الأصل : « يومى » بدون نقط .

(٣) فى الأصل : « وذل » بدون نقط .

(٤) فى الأصل : « عربى » وهو تحريف من الناسخ . وفى « الأساس » للزمخشري : هو أعربى

قلب . أى محض واسط فى قومه .

وقوله سبحانه : ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ . وهذا من أحسن الاستعارات . لأن العقيم المرأة التي لاتلد ، فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه لاليل بعده ولا نهار ، لأن الزمان قد مضى ، والتسكليف قد انقضى . فجعلت الأيام بمنزلة الولدان للآلئى ، وجعل ذلك اليوم من بينها عقيما ، لأنه لاينتج ليلا بعده ، ولا يستخلف بدلاله . وقد يجوز أيضا أن يكون المراد - والله أعلم - أن ذلك اليوم لا خير بعده لمستحق العقاب الذين قال الله سبحانه في ذكرهم : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴿ الآية ، فوصفه بالعقم لأنه لاينتج لهم خيرا ، ولا ينتج لهم فرحا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ [٧٢] . وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أن الكفار عند مرور الآيات بأسماعهم يظهر في وجوههم من النكرة لسماعها والإعراض عن تأملها ، مالا يخفى على الخالط لهم ، والناظر إليهم . وذلك كقول القائل : عرفت في وجه فلان الشر . أى استدلت منه على اعتقاد المكروه ، وإرادة فعل القبيح .

ويحتمل قوله تعالى : « المنكر » ههنا وجهين : أحدهما أن يكون المنكر ما ينكره الغير من أمرهم . والآخر أن يكون ما ينكرونهم هم من المهجوم عليهم ، بتلاوة القرآن . وصوادع البيان

ومن السورة التي يذكر فيها

« قد أفلح المؤمنون »

قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [١٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة السلالة هي أن تسل الشيء من الشيء . فكان آدم عليه السلام لما خلق من أديم الأرض كان كأنه انسل منها ، واستخرج من سرها . وقد صار ذلك عبارة عن محض الشيء ومُصاحبه^(١) ، وصفوته ولبابه . ليس أن هناك شيئا استل من شيء على الحقيقة . وقد تسمى النطفة سلالة على هذا المعنى . ويسمى ولد الرجل سلالة أيضا على مثل ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ، وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [١٧] . وهذه استعارة . لأن المراد بالطرائق ههنا السموات السبع ، مشبهة بطرائق النعل ، وواحدتها : طريقة . وقد يجمع أيضا على طريق . فهي قطع الجلود يُجعل بعضها فوق بعض وينتظم بالحرز . ويقال : طارقت النعل . من ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٢٧] وهذه استعارة . والقول فيها كالقول في : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾^(٢) . على حد سواء . فكانه سبحانه قال : واصنع الفلک بحيث نرعاك ونحفظك ، ونمنع منك من يريدك .

(١) المصاح من الشيء : خالسه . يقال : فلان مصاح قومه . إذا كان أخلصهم نسباً . ومثله :

المصة . انظر القاموس المحيط والاسان .

(٢) في الأصل : « واصنع » بالواو . وهو تحريف من الناسخ .

(٣) سورة طه . الآية رقم ٣٩ . وقد تقدم الكلام عن هذه الآية في سورة طه .

أو يكون المعنى : واصنع الفلك بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين . فإننا نمنعك بهم ، ونشدك بمعاضدتهم ، فلا يصل إليك من أرادك ، ولا تبلدك مراعى من كادك .
وقوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤١] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أنه عاجلهم بالاستئصال والهلاك ، فطاحوا كما يطيح الغثاء إذا سال به السيل . والغثاء : ما حملت السيول في ممرها من أضغاث النبات ، وهشيم الأوراق وما يجرى مجرى ذلك . فكان أولئك القوم هلكوا ، ولم يحس لهم أثر ، كما لا يحس أثر ما طاح به السيل من هذه الأشياء المذكورة .

والعرب يعبرون عن هلاك القوم بقولهم : قد سال بهم السيل . فيجوز أن يكون قوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ . كناية عن الهلاك ، كما كنوا بقولهم : سال بهم السيل عن الهلاك . والمعنى : فجعلناهم كالغثاء الطافح في سرعة انجفاله ^(١) ، وهوان فقدانه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٦٢] . وهذه استعارة . والنطق لا يوصف به إلا من يتكلم بآلة .

وسمعت قاضي القضاة ^(٢) أبا الحسن يجيب بذلك من يسأله : هل يجوز أن يوصف القديم تعالى بأنه ناطق ، كما يوصف بأنه يتكلم ؟ فمنع من ذلك ، وقال : ما قدمت ذكره . فوصف سبحانه القرآن بالنطق مبالغة في وصفه بإظهار البيان . وإعلان البرهان ، وتشبيهها باللسان الناطق ، في الإبانة عن ضميره ، والكشف عن مستوره .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ [٦٣] وهذه استعارة . والمراد

(١) الانجفال : الهرب في إسراع .

(٢) في الأصل : « فهم » بالغاء . وهو تحريف من الناسخ .

(٣) تقدمت ترجمتنا له عند الكلام في مجازات سورة الكهف .

بها أن القوم الذين قال سبحانه فيهم أمام هذه الآية هم الموصوفون بقوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ أى فى حيرة تغمرها ، وغمة تسترها . والغمر جمع غمرة . وهو ما وقع الإنسان فيه من أمرٍ مذهل ، وخطب مدله ، مشبه بغمرات الماء التى تغمر الواقع فيها ، وتأخذ بكظم^(١) المغمور بها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [٧١] . وهذه استعارة . والمراد بها : ولو كان الحق موافقا لأهوائهم لعاد كل إلى ضلاله ، وأوقع كل فى بطله ، لأن الحق يدعو إلى المصالح والمحاسن . والأهواء تدعو إلى المفاسد والمقايح ، فلو اتبع الحق قائد الهوى لشمل الفساد ، وعم الاختلاط ، وخفضت أعلام الهداية ، ورفع^(٢) منار الغواية .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [١٠٣] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون معنى الموازين همنا المعادلة بين الأعمال بالحق^(٣) ...

.

(١) الكظم بفتح الكاف والغاء : مخرج النفس . جمعه أ كظام وكظام .

(٢) فى الأصل « ورفعت » وهو تحريف من الناسخ . لأن النار مذكور .

(٣) هنا قطعة ناقصة من الأصل تبلغ ورقة تقريبا من الآية رقم ١٠٣ من سورة المؤمنون ، إلى

الآية ٢٤ من سورة النور .

سورة « النور »

... [وقوله سبحانه : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ ^(١) عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [٢٤] . وهذه استعارة على أحد التأويلات الثلاثة ، وهو أنه سبحانه يجعل في الأيدي التي بُسِطت إلى المحظورات ، والأرجل التي سعت إلى المحرمات ، علامة تقوم مقام النطق المصرح ، واللسان المفصح ، في الشهادة على أصحابها ، والاعتراف بذنوبها .

فأما شهادة الألسنة فقد قيل إن المراد بها إقرارهم على نفوسهم بما واقعوه من المعاصي ، إذ علموا أن الكذب لا ينفعهم ، والجحود لا يفي عنهم .

وليس ذلك بمناقض لقوله سبحانه : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٢) لأنه قد قيل في ذلك إنه جائز أن تخرج ألسنتهم من أفواههم فتنطق بمجردها ، من غير اتصال بجوزاتها ولهوائها . فيكون ذلك أعجب لها ، وأبلغ في معنى شهادتها . ويختتم في تلك الحال على أفواههم .

وقيل يجوز أن يكون الختم على الأفواه إنما هو في حال شهادة الأيدي والأرجل ، بعد ما تقدم من شهادة الألسن .

وأما التأويلان الآخران في معنى شهادة الأيدي والأرجل ، فالكلام يخرج بهما عن حد الاستعارة إلى الحقيقة . وذلك أنهم قالوا: إن الله سبحانه يَبْنِي الأيدي والأرجل بنية تكون هي الناطقة بما تشهد به عليهم ، من غير أن يكون النطق منسوباً إليهم .

(١) ما بين حاصرتين ، هو من القطعة الناقصة من الأصل وقد أكلناه .

(٢) سورة يس . الآية رقم ٦٥ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَيَضْرِبَنَّ يَصْحُورُهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . والمراد بها : إسبال الخمر التي هي المقانع على فرجات الجيوب ، لأنها خصائص^(١) إلى الترائب والصدور ، والثدي والشعور . وأصل الضرب من قولهم : ضربت الفسطاط . إذا أقمت بإقامة أعماده ، وضرب أوتاده . فاستعير ههنا كناية عن التناهي في إسبال الخمر ، وإضفاء الأزر .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٣٥] وهذه استعارة . والمراد بذلك عند بعض العلماء أنه هادى أهل السموات والأرض بصوادع برهانه ، ونواصع بيانه ، كما يهتدى بالأنوار الثاقبة ، والشهب اللامعة .

وقال بعضهم : المراد بذلك - والله أعلم - الله منور السموات والأرض بمطالع نجومها ، ومشارك أقدارها وشموسها .

وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ يَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [٣٥] وهذه مبالغة في وصف الزيت بالصفاء والخلاصة ، على طريق المجاز والاستعارة ، حتى يقارب أن يضيء من غير أن يتصل بنار ويناط بذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [٣٧] وهذه استعارة . والمراد بتقلب القلوب ههنا : تغير الأحوال عليها ، من الخوف والرجاء ، والسرور والغم ، إشفاقاً من العقاب ، ورجاءاً للثواب . والأولى صفة أعداء الله ، والأخرى صفة أولياء الله .

وأما تقلب الأبصار فالمراد به تكرير لحظ المؤمنين إلى مطالع الثواب ، وتكرير لحظ الكافرين إلى مطالع العقاب .

(١) الخصائص : جمع خصاصة بفتح الحاء ، وهو الحرق في الباب أو البرقع وغيرهما . والجمع خصاس وخصامات .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ مَرِيعٌ الْحِسَابِ ﴾ [٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ ﴾ استعارة ومجاز . والمعنى : فوجد وعيد الله سبحانه عند انتهائه إلى منقطع عمله السيئ ، فكأله بصواعه ، وجازاه بجزائه . وذلك يكون يوم المعاد ، وعند انقطاع تكليف العباد .

وقد قيل أيضا : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ عِنْدَهُ ﴾ يعود إلى الكافر لا إلى عمله ، فكأنه تعالى قال : فوجد الله قريبا منه ، أى وجد عقابه مُرصداً له ، فأخذه من كسبه ، وجازاه بما اكتسب . وذلك كقول القائل : الله عند لسان كل قائل . أى يجازيه على قول الحق بالثواب ، وعلى قول الباطل بالعقاب . والقولان جميعاً يؤولان إلى معنى واحد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾ [٤٣] . وهذه استعارة على بعض التأويلات . لأن الجبال ههنا يراد بها السحاب الثقيل ، تشبيها لها بكثائف أطوارها ، ومشارف هضابها . ويكون الضمير في قوله سبحانه : ﴿ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا ﴾ عائداً على السماء لاعلى الجبال . فكأن التقدير : وينزل من جبال من السماء من برَدٍ ، يريد من السحاب المشبهة بالجبال . وتكون الفائدة في قوله من جبال في السماء تخصيص تلك الجبال من جبال الأرض . لأننا لو جعلنا الضمير الذى فيها عائداً على الجبال أوهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء . فإذا جعلنا الضمير عائداً إلى السماء أمِن الالتباس ، وكان في ذلك أيضاً تعجبٌ لنا

من وصف جبال في السماء على طريق التشبيه ، لأن الجبال على الحقيقة لا تكون إلا في
قرارات الأرض ، وصفحات التُّرْب .

وقوله سبحانه : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها
طَرْدُ النهار بالليل ، وطَرْدُ الليل بالنهار . فَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ سبحانه باسم التقلب . وليس
المراد تقليب ^(١) الأعيان ، بل تغاير الأزمان .



(١) أي ليس المراد التقلب المادي للأشياء العينية الذاتية .

ومن السورة التي يذكر فيها « الفرقان »

قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ [١٢] وفي هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله سبحانه : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ وهو في صفة نار جهنم ، نعوذ بالله منها ، ولا تصح صفة الرؤية عليها . وإنما المراد - والله أعلم - إذا كانت منهم بمقدار مسافة لو كان بها مَنْ يوصف بالرؤية لراهم . وهذا من لطائف التأويل ، وغرائب التفسير .

وقد يجوز أيضا أن يكون معنى ذلك : إذا قرُبَتْ منهم ، وظهرت لهم . من قولهم : دُورُ بَنِي فلان تترأى . أى تتقارب . وفي الحديث : ﴿ لَا تَتَرَأَى نَارًا هُمَا ﴾ ^(١) أى لا تتداني .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ وهاتان الصفتان من صفات الحيوان ، ويختص التغيظ بالإنسان ، لأن الغيظ من أعلى منازل الغضب ، والغضب

(١) الحديث بأكمله في « صحيح أبي داود » الجزء الأول . باب على ما يقاتل المشركون ، كتاب الجهاد . ص ٢٦١ ونصه : (حدثنا هناد بن السرى ثنا أبو معاوية عن إسماعيل عن قيس عن جرير بن عبد الله . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل قال : فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا يا رسول الله لم ؟ قال : لاترأى ناراهما)

وفي سنن النسائي ج ٢ ص ٢٤٥ جاء هذا الحديث في باب القود بغير عديدة . كتاب القسامة . وقد أورد المؤلف هذا الحديث في كتابه « المجازات النبوية » وتحدث عما فيه من مجاز حديثا رائعا . صفحة ٢٠٠ من المجازات النبوية . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ سنة ١٩٣٧ ، وجاء هذا الحديث في « لسان العرب » وفسره صاحب اللسان ثم قال : وقال أبو عبيد : معنى الحديث أن المسلم لا يحمل له أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

لا يوصف بحقيقته إلا الناس . والزفير قد يشترك في الصفة به الإنسان وغير الإنسان . وإنما المراد بهاتين الصفتين المبالغة في وصف النار بالاهتياج والاضطرام ، على عادة المغيظ والغضبان .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [٢٣] وهذه استعارة . لأن صفة القدوم لا تصح إلا على من تجوز عليه الغيبة ، فتجوز منه الأوبة . والله سبحانه شاهد غير غائب ، وقائم غير زائل . فالمعنى : وقصدنا إلى ما عملوا ، أو عمدنا إلى ما عملوا . وذلك كقول القائل : قام فلان بفلان في الناس . إذا أظهر ذمه وعيبه ، وليس يريد أنه نهض عن قعود ، وتحفز بعد استقرار وسكون ، وإنما يريد أنه قصد إلى سببه ، وتظاهر بشلبيه . وقال الشاعر :^(١)

فإنَّ أباكم تاركٌ ما سألتمو فمهما أتيتم فاقدموه على علم

يقال : قدمت هذا الأمر . وأنا أقدمه . إذا أتيت وقصدته . وقد ذكر بعض العلماء في ذلك وجهاً آخر . قال : إنما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ لأنه عاملهم معاملة القادم من غيبة . أو كان - بطول إمهاله لهم - كالغائب عنهم ثم قدِمَ ، فراحهم على خلاف ما أمرهم به ، واستعملهم فيه ، فأحبط أعمالهم الفاسدة ، وعاقبهم عقاب العائد عن الطاعة ، المرتكس في الضلالة . والمعتمدُ على القول الأول .

وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [٢٣] مجاز آخر . وذلك أنه لم يجعل عملهم على الحقيقة هباءً منثوراً ، وهو الغبار الدقيق هبناً . ومنه الهابي . وإنما أراد سبحانه أنه أبطل ذلك العمل فعفا رسمه ، وسقط حكمه ، وبطل بطلان الغبار المحقق ، والغشاء المتفرق .

(١) لم أعثر على اسم صاحب هذا البيت في كثير من المراجع .

وقوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [٢٤] وهذه استعارة . لأن المقييل من صفات المواضع التي يُنَام فيها ، ولا نوم في الجنة . وتقدير الكلام : وأحسن موضع قائلة . فسكان ذلك المكان من وثارة مهاده ، وبرّد أفيائه ، يصلح أن يُنَام فيه لو كان ذلك جائزا . وهذا كقوله سبحانه في ذكر أصحاب الجنة : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ^(١) أى مثل أوقات البُكْرَة والعشَى المعهودين في حال الدنيا . لأن الجنة لا يوصف زمانها بالأيام والليالي ، لأن ذلك من صفات الزمان الذي تتعاقب عليه الشمس طالعة وغاربة ، فيسمّى نهارا بطلوعها ، ويسمّى ليلا بقبوعها ^(٢)

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [٢٥] . وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - على أحد القولين صفة السماء في ذلك اليوم بتعاظم الغمام فيها ، وانتشاره في نواحيها . كما يقول القائل : قد تشققت الغمام بالبرق ، وتشققت السحاب بالرعد . وإذا كثرت ذلك فيها . ليس أن هناك تشققا على الحقيقة ، في قول أهل الشرع . وقيل أيضا : إن المراد بذلك انتقاض بنية السماء وتغيرها إلى غير ما هي عليه الآن ، كما تظهر في البناء آثار التداعي ، وأعلام التهافت ، من تشلم أطراف ، وتفطر أقطار ، فيكون ذلك ، وؤذا بانتقاضه ، ومنذرا بانتقاضه .

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(٤) . ويكون انتقاض

(١) سورة مريم . الآية رقم ٦٦ .

(٢) القبوع : الاختفاء ومنه : قبح النجم أى ظهر ثم خفى .

(٣) سورة إبراهيم . الآية رقم ٤٨ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ١٠٤ وقد سبق الحديث عن قراءة « الكتاب » و« الكتب » بالمفرد والجمع ، في سورة الأنبياء .

بِنْيَةِ السَّمَاءِ عَنْ ظُهُورِ الْغَمَامِ الَّذِي آذَنَّا سُبْحَانَهُ بِمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذْ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^(١) .

ومعنى تشقق السماء بالغمام . أى عن الغمام . كما يقول القائل : رَمَيْتُ بِالْقَوْسِ ، وعن القوس . بمعنى واحد .

وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [٤٣] . وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير . فكأنه تعالى قال : أَرَأَيْتَ مَنْ اخْتَذَ هَوَاهُ إِلَاهَهُ . معنى ذلك أنه جعل هواه أمراً بطبعه ، وقائداً يَتَّبِعُهُ ، فكأنه قد عبده لفرط تعظيمه له .

ومن أمثالهم : الهوى إلهٌ معبود . على المعنى الذى ذكرنا . وذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلَاذَرِيُّ^(٢) فى كتاب (الأشراف) أن هذه الآية نزلت فى الحارث بن قيس بن عدى السهمى ، وهو من عبدة الأوثان ، لأنه كان كلما رأى حَجَرًا أَحْسَنَ مِنَ الَّذِي اقْتَنَاهُ لِعِبَادَتِهِ أَخَذَهُ وَاطَّرَحَ مَا عَبَدَهُ .

وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [٤٥] وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله تعالى^(٣) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ [٤٥] أى [أَلَمْ تَرَ إِلَى فَعَل

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٢١٠ .

(٢) هو المؤرخ الجغرافى النسابة : جالس الخليفة المتوكل العباسى ، ومدح المأمون ، ومات فى أيام المعتد . سنة ٢٧٩ هـ . ومن كتبه « فتوح البلدان » وهو مصدر وثيق لفتوحات الإسلامية : وقد طبع بأوروبا والقاهرة . وكتاب « الأشراف » .

(٣) ماين حاصرتين ليس فى الأصل ، وقد وضعناه ، لأن السياق يقتضيه .

ربك أو إلى حكمة ربك في مد الظل ، فحذف هذه اللفظة لدلالة الكلام عليها ، إذ كان الله سبحانه لا يدرك بالمشاعر ، ولا يُرى بالنواظر . وقد يجوز أن يكون معنى الرؤية ههنا معنى العلم . فكأنه سبحانه قال : ألم تعلم حكمة ربك في مد الظل ؟ وإنما أقام سبحانه الرؤية ههنا مقام العلم لتحقيق الخطاب الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم وجهة الله تعالى في ذلك الفعل ، فقامت معرفة قلبه مقام رؤية عينه ، قطعاً باليقين ، وبعداً عن الظنون .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ وهذه استعارة على القلب . لأن الظل في الشاهد يدل على الشمس ، وذلك أن الظل لا يكون إلا وهناك شمس طالعة ، فيوصف ما لم تطلع عليه لحاجز يحجز ، أو مانع يمنع بأنه ظل . وقد قيل : إن الظل ما كان بالغداة ، والفيء ما كان بالعشي . وقيل : إن الظل مانسخته الشمس ، والفيء مانسخ الشمس ، فعلى هذا القول يجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أى دائماً لا ترد الشمس عليه فتزيله وتذهب به ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً . أى دللناها عليه ، فهي تتخيف من أقطاره ، وتتقص من أطرافه ، حتى تستوفى أجمعهُ ، وتكون بدلاً منه . فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [٤٦] .

ويجوز أن يكون معنى دلالة الشمس على الظل أنه لولا الشمس لم يُعرف الظل . ويجوز أن يقول : لولا الظل لم تعرف الشمس .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ، وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [٤٧] . وفي هذه الآية استعارتان . فأحدها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ . والمراد باللباس ههنا - والله أعلم - تغطية ظلام الليل النشور والقيع^(١) ، و [أشخاص الحيوان كما تغطي الملابس الضافية ، وتستتر الجن الواقعة . وهذه العبارة من أفصح العبارات عن هذا المعنى .

(١) ما بين حاصرتين ليس بالأصل المخطوط .

ومعنى السُّبَاتِ : قَطْعُ الأعمال ، والراحةُ من الأشغال . والسَّيِّتُ في كلامهم :
القطع .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ والنشورُ في الحقيقة :
الحياة بعد الموت . وهو ههنا مستعار الاسم لتصرف الحيِّ وانبساطه ، تشبيها للنوم بالمات ،
واليقظة بالحياة . وذلك من أوقع التشبيه ، وأحسن التمثيل .

وقوله سبحانه : ﴿ لَنُخَيِّبَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا ﴾ [٤٩] وهذه استعارة . وقد مضت الإشارة
إلى نظيرها في (الأعراف) (١) .

ووصف البلدة بالموت ههنا محمول على أحد وجهين : إما أن تكون إنما شُبِّهَتْ بالميت
من قرط يُبْسَمُها ، لتسأط الحُلَّ عليها ، وتأخر العيث عنها . أو يكون فيها من النبات
والشجر لما مات لا تقطاع الماء عنه حَسُنَ أن توصف هي بالموت لموت بنيتها ، لأنها كالأم
التي تكلفه ، والظائر التي ترضعه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ
أُجَاجٌ ﴾ [٥٣] وهذه استعارة . والمراد بذلك - والله أعلم - أنه خلَّاهما من مذاهبهما ،
وأرسلهما في مجاريهما ، كما تُمرَّجُ الخليل أي (٢) تُخلَّى في المروج مع مراعيها .

فكان وجه الإعجوبة من ذلك أنه سبحانه مع التخلية بينهما في تقاطعهما ، والتقاءهما
في مناقعهما ، لا يختلط الملح بالعذب ، ولا يلتبس العذب بالملح .

(١) وهي في الأوراق المفقودة من الكتاب .

(٢) في الأصل « أن » وهو تحريف من الناسخ .

ولغة أهل تهامة « مرجه » ولغة أهل نجد « أمرجه » وقال أبو عبيدة^(١) : إذا تركت الشيء وخليته فقد مرّجته . ومنه قولهم : مرّج الأمير الناس . إذا خلاهم بعضهم على بعض . والأمر المرّج : المختلط الملتبس .

وقوله سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [٦١] وقد قرئ : سُرْجًا ، على الجمع . وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة . والباقون يقرءون : سراجا على التوحيد .

فمن قرأ « سُرْجًا » أراد النجوم ، ومن قرأ « سراجًا » أراد الشمس ، ويقوّى ذلك قوله سبحانه في موضع آخر : ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٢) . ويقوّى قراءة من قرأ « سُرْجًا » أن النجوم من شعائر الليل ، والسرّج بأحوال الليل أشبه منها بأحوال النهار .

وإنما شبهت النجوم بالسرّج لاهتداء الناس بها في الظلماء ، كما تهتدى بالمصابيح الموضوعة ، والنيّران المرفوعة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنُ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٦٢] . وهذه استعارة ، ومعنى خِلْفَةً - في بعض الأقوال - أي جعل الليل والنهار يتخالفان ، ، فإذا أتى هذا ذهب هذا ، وإذا أدبر هذا أقبل هذا .

وقيل : خِلْفَةً أي يخلف أحدهما الآخر ، فيكون ذلك من الخلافة لا من المخالفة .

(١) هو معمر بن النخعي البصري ، كان إماما في اللغة والأدب . وقال فيه الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه . واشتهر بحفظ حديث رسول الله . وقد استفد منه الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه . وتوفي سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) سورة نوح . الآية رقم ١٦ .

وقيل : خلفه . أى أحدهما^(١) أسود ، والآخر أبيض . وهو أيضا راجع إلى معنى المخالفة .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُنْيَانًا ﴾ [٧٣] وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - لا يصمُّون عن قوارع النُّذُرِ ، ولا يَعْتَشُونَ عن مواقع العِبَرِ .



مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

(١) في الأصل : « لإحدهما » وهو تحريف من الناسخ .

ومن السورة التي يذكر

فيها « الشعراء »

قوله سبحانه ^(١) : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَىٰ أُجْتَمَعَانِ ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [٦١] وهذه استعارة . والمراد بها : العبارة عن التقارب والتداني . وإنما قلنا إن اللفظ مستعار ، لأنه قد يحسن أن يوصف به الجمعان ، وإن لم يرَ بعضهم بعضا بالموانع ، من مُشَارِ الْعَجَاج ، وَرَهْجِ الطَّرَاد . لأن المراد به تقارب الأشخاص ، لانتلاخظ الأحداق ، وذلك كقولهم في الحيين المتقاربين : تتراءى ناراها . أى تتقابل وتتقارب . لكون النارين بحيث لو كان بدلا منها إنسانان لرأى كل واحد منهما صاحبه . وقد أو مانا إلى ذلك فيما مضى ^(٢) .

ويقال أيضا : قوم رثاء ، على وزن فعال أى يقابل بعضهم بعضا . وكذلك بيوتهم رثاء إذا كانت متقابلة . ذكر ذلك أحمد بن يحيى ثعلب ^(٣) .

ومن هذا الباب الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : (أنا

(١) في الأصل : « ولا » بالواو وهو تحريف من الناسخ والصواب فلما . بالفاء .

(٢) في الكلام في مجازات سورة الفرقان . الآية رقم ١٢ .

(٣) لم نجد لذلك ذكرا في « مجالس ثعلب » التي نشرتها « دار المعارف » بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون . ووجدنا ذلك في « الأساس » للزحشرى . وثعلب هو إمام الكوفيين في النحو واللغة . اشتهر بالرواية والحفظ والصدق وكان ثقة . ومات بصدمة فرس سقط بسببها في هوة فتوفي على الأثر سنة ٢٩١ هـ .

برى: من كل مسلم مع مُشرك . قيل : ولم يارسول الله؟^(١) لا تراهى ناراهما . وقد استقصينا الكلام على معنى هذا الخبر فى كتاب « مجازات الآثار النبوية »

وقوله سبحانه ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي ﴾^(٢) وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا ، وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [١١٨] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - فاحكم بيننا وبينهم حكماً^(٣) قاطعاً ، وأمرافاصلاً : بفتح الباب اليهم بعد ما استصعب رتاجه ، وأعضل علاجه .

ويقال للحاكم : الفتح ، لأنه يفتح وجه الأمر بعد اشتباهه واستبهام أبوابه . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤) وقال بعض بنى ذهل بن زيد بن مهدي^(٥) :

وعمى الذى كانت فتاحة^(٦) قومه إلى بيته حتى يجهر غاديا

أى كان الحكم بين قومه فيه وفى أهل بيته إلى حين وفاته . وقال فتاحة قومه بكسر الفاء ، لأنها فى معنى الولاية والزعامة وما يجرى مجراها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَزُرُوعٌ وَخُلُوعٌ طَائِعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [١٤٨] وهذه استعارة . والمراد بالمضم ههنا على بعض الأقوال - والله أعلم - الذى قد ضمن^(٧) بدخول بعضه فى بعض ، فكان بعضه هضم بعضاً لفرط تكافئه ، وشدة تشابهه .

(١) هنا نقص . وقد ذكرنا نص الحديث كاملاً فى أول سورة الفرقان .

(٢) فى الأصل « بيننا » وهو تعريف من الناسخ .

(٣) مضموسة بالأصل . والسياق يدل عليها .

(٤) سورة سبأ . الآية رقم ٢٦ .

(٥) لم أعتد إلى اسم هذا الشاعر .

(٦) وفى « اللسان » الفتاحة بالمضم : الحكم ، والفتاحة والفتاحة أن تحكم بين خصمين . والفتاحة : الحكومة . قال الأشعر الجعفى :

ألا من مبلغ عمرا رسولا فإني عن فتاحتكم غنى

والفتاح : الحاكم . وأهل اليمن يقولون للقاضى : الفتح .

(٧) هكذا بالأصل . ولعلها . ضم .

وقيل : المضميم اللطيف . وذلك أبلغ في صفة الطائع الذي يراد للأكل . وذلك مأخوذ من قولهم : فلان مضميم الحشا . أى لطيف البطن . وأصله نقصان من الشيء . كأنه نقص من انتفاخ بطنه ، فلطفت معاقده خصره . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ^(١) أى نقصا وثلما .

وقيل المضميم الذى قد أئنع وبلغ . وقيل أيضا هو الذى إذا مسَّ تهافت من كثرة مائه ، ورطوبة ^(٢) أجزائه .

والقولان الأخيران يخرجان الكلام عن حد الاستعارة .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [٢١٩] وهذه استعارة . وليس هناك تقلب منه على الحقيقة . وإنما المراد به تقلب أحواله بين المصلين وتصرفه فيهم بالركوع والسجود ، والقيام والقعود . وذهب بعض علماء الشيعة فى تأويل هذه الآية مذهبا آخر ، فقال : المراد بذلك تقلب الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصلاب الآباء المؤمنين . واستدل بذلك على أن آباءه ^(٣) إلى آدم عليه السلام مسلمون ، لم تحتلجهم خواجج الشرك ، ولم تضرب فيهم أعراق الكفر ، تكريما له عليه السلام عن أن يجرى إلا فى منزهات الأصلاب ، ومطهرات الأرحام . وهذا الوجه يخرج به الكلام عن أن يكون مستعارا .

وقوله سبحانه : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [٢٢٣] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المراد بها أنهم يشغلون أسماعهم ، ويدبسون إصغاءهم ليسمعوا من أخبار السماء ما يموهون به على الضلال من أهل الأرض ، وهم عن السمع

(١) سورة طه . الآية رقم ١١٢

(٢) فى الأصل : « ولطوته » وهو تحريف والرطوبة مناسبة هنا لكثرة الماء .

(٣) فى الأصل : « آباء » بالمفرد وهو تحريف بدليل قوله بعد ذلك : مسلمون .

بمعزل ، وعن العلم بمزجر . وذلك كقول القائل لغيره : قد ألقى إليك سمعى . أى صرّفته إلى حديثك ، ولم أشغله بشيء غير سماع كلامك .

والتأويل الآخر أن يكون السّمع ههنا بمعنى المسموع ، كما يكون العلم بمعنى المعلوم ^(١) فيكون التأويل أن الشياطين يلقون ما يدعون أنهم يستمعونه إلى كل أفك أئيم ، من أعداء النبي صلى الله عليه وعلى آله . على طريق الوسوسة واعتماد القدح في الشريعة . وهذا الوجه يخرج الكلام عن حد الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [٢٢٤، ٢٢٥] . وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أن الشعراء يذهبون في أقوالهم المذاهب المختلفة ، ويسلكون الطرق المتشعبة . وذلك كما يقول الرجل لصاحبه إذا كان مخالفاً له في رأى ، أو مباعداً له في كلام : أنا في وادٍ ، وأنت في وادٍ . أى أنت ذاهب في طريق وأنا ذاهب في طريق . ومثل ذلك قولهم : فلان يهيب مع كل ريح ، ويطيّر بكل جنّاح . إذا كان تابعا لكل قائد ، ومجيباً لكل ناعق .

وقيل إن معنى ذلك تصرف الشاعر في وجوه الكلام من مدح وذم ، واستزادة ، وعتب ، وغزل ، ونسيب ، ورثاء ، وتشبيب . فشُبّهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة ، والسبل المختلفة .

ووصف الشعراء بالهيمان فيه ^(٢) قرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها ، والإبعاد في غاياتها . لأن قوله سبحانه : ﴿ يَهِيمُونَ ﴾ أبلغ في هذا المعنى من قوله : يَسْعَوْنَ ، ويسيرون . ومع ذلك فالهيمان صفة من صفات مَنْ لا مُسَكَّةَ له ولا رجاحة معه ، فهى مخالفة لصفات ذى الحلم الرزين ، والعقل الرصين .

(١) في الأصل . « المعلوم » وهو ظاهر التحريف .

(٢) في الأصل « فيها » وهو تحريف .

ومن السورة التي يذكر فيها

« النمل »

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [٧] وهذه استعارة على القلب .
والمراد بها - والله أعلم - إني رأيت نارا فآنستني فنقل فعل الإيناس إلى نفسه على معنى :
إني وجدت النار مؤنسة لي ، كما سبق من قولنا في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْغَفْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾^(١) أي وجدناه غافلا ، على بعض الأقوال .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾^(٢) ولم تغرهم هي ، وإنما
اغتروا بها هم ، فلما كانت سبباً للغرور حسن أن ينسب إليها ويناط بها .

وحقيقة الإيناس هي الإحساس بالشئ من جهة يؤنس بها ، وما أنست به فقد
أحسست به مع سكون نفسك إليه .

وقوله سبحانه حاكياً عن ملكة سبا : ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ [٣٢]
وهذه استعارة . والمراد بقطع الأمر - والله أعلم - الرجوع بعد إجابة الآراء ، ونخص الأقوال
إلى رأى واحد يصح العزم على فعله ، والعمل عليه دون غيره ، تشبيهاً بالإسداء والإلحام
في الثوب النسيج ، ثم القطع له بعد الفراغ منه . فكانها أجالت الرأى عند ورود ما ورد
عليها من دعاء سليمان عليه السلام لها إلى الإيمان به ، والاتباع له ، فميت^(٣) بين الامتناع

(١) سورة الكهف . الآية رقم ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٥١ .

(٣) ميت : أي شكت انظر الفاموس المحيط .

والإجابة ، والخاشنة والملاينة . فلما قَوِيَ في نفسها أمرُ الملائكة عَزَمَتْ على فعله ، فحَسُنَ أن يُعَبَّرَ عن ذلك بقطع الأمر ، لما أشرنا إليه .

وعلى هذا قولُ الرجل لصاحبه : لا أقطعُ أمراً دُونَكَ . أى لا أقرر العزم على شيء حتى أفاوضك فيه وأوافقك عليه . وقد يجوز أن يكون ذلك كنايةً عن الاستعجال بفعل الأمر تشبيهاً بسرعة قطع الشيء المستدق كالخبل وغيره . ومنه قولهم : صَرَمَ الأمر . أى فَرَّغَ مِنْ فِعْله بسرعة . والصَّريمة من ذلك . وفَصَلُ الأمر أيضاً قريب منه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [٤٠] وهذه استعارة . لأن المراد بارتداد الطرف ههنا التقاء الجفنين بعد افتراقهما . وذلك أبْلَغُ ما يُوصَفُ به في السرعة . وليس هناك على الحقيقة شيء ذهبَ عنه ثم رجع إليه . ولكن جَفَنَ العين لما كان يفتح وينطبق ، أقامَ الانفتاح مُقَامَ الخروج ، والانطباق مُقَامَ الرجوع .

وقيل في ذلك وجهٌ آخر . وهو أن في تجرئ عادة الناس أن يقول القائل لغيره إذا كان على انتظار أمر يَرُدُّ عليه من جهته : أنا ممدود الطرف إليك ، وشاخِصُ البَصَرِ نحوكَ . فإذا كان امتداد الطرف بمعنى الانتظار مستعملاً ، جاز أن يجعل ارتداده عبارة عن زوال الانتظار . فكأنه قال : أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تتكلفَ أمر انتظار ، وتَعُدَّ الأوقات .

والقول الأول أولى بالاعتماد ، وأخلق بالصواب ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلِ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [٦٦] وهذه استعارة . لأن المعنى هنا ليس يُراد به فقد الجارحة المخصوصة ، وإنما

يُرَاد به التعامى عن الحق ، والذهاب صفحا عن النظر والفكر ، إِمَّا قَصْدًا وتعمداً ، أو جَهْلًا وَعَمَى .

. وإنما أُجْرِى الجَهْلُ مُجْرِى الْعَمَى فى هذا المعنى ، لأن كل واحد منهما يَمْنَعُ بوجوده من إدراك الشئ على ماهو به . إذ الجَهْلُ مُضَادٌّ لِلْعِلْمِ والعَرَفَةِ ، وَالْعَمَى مُنَافٍ لِلنَّظَرِ والرُّؤْيَةِ . وإنما قال سبحانه : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ ولم يقل : عَنْهَا ، لأن المراد أنهم يَشْكُونُ فيها ، وَيَتَمَتَّرُونَ فى صَحَّتِهَا ، فهُمْ فى عَمَى مِنْهَا ؛ ولا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فى هذا الموضع : عَنْهَا . لأنه ليس المراد ذِكْرُ عَمَاهُمْ عن النظر إليها ، وإنما الْقَصْدُ ذِكْرُ عَمَاهُمْ بالشك فيها . وهذا من لطائف المعانى ^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [٧٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة الرَدِفِ هى تَحْمِلُ الإنسان غيره بما يلى ظَهْرَهُ على مركوب ^(٢)

فالمراد بقوله سبحانه : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ ههنا - والله أعلم - أى عسى أن يكون العذاب الذى تتوقعونه قد قَرُبَ مِنْكُمْ . وهو فى آثاركم ، ولا حقَّ بكم .

وقد قيل أيضا إن المراد بِرَدِفَ لَكُمْ . أى رَدِفَكُمْ . فصار العذاب فى الالتصاق بكم كالمُرادِفِ لَكُمْ . والمعنى واحد .

(١) فى الأصل : « الغالى » وهو تحريف بين .

(٢) هنا مصدر غير واضح الكلام ولا ملتئم السياق .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يْقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٧٦] وهذه استعارة . لأن القصصَ كلام مخصوص ، ولا يوصف به إلا الحىُّ
الناطقُ المميزُ . ولكن القرآن لما تضمنَ نبأ الأولين ، ومصادرَ أمور الآخرين ، كان
كأنَّه يقصُّ على من آمن به عند تلاوته له قصص من تقدمه ^(١) ...

.



مركز تحقيق كتاب علوم إسلامي

(١) هنا ضاع من الأصل أربع ورقات تقريبا . من الآية ٧٦ من سورة النمل إلى الآية ٢٦ من
سورة الأحزاب .

« سورة الأحزاب »

.

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [٢٦] وهذه استعارة . والمراد بها : أنه تعالى ألقى الرعب في قلوبهم من أثقل جهاته ، وعلى أقطع بفتاته . تشبيها بقذفة الحجر إذا صكت الإنسان على غفلة منه . فإن ذلك يكون أملاً لقلبه ، وأشدّ لروعه .

وقوله سبحانه : ﴿ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [٣٠] وهذه استعارة على قراءة من قرأ : ﴿ مُبَيَّنَةٍ ﴾ بكسر الياء ، فكأنه تعالى جعل الفاحشة تُبين حال صاحبها ، وتشير إلى ما يستحقه من العقاب عليها . وهذا من أحسن الأغراض ، وأنفس جواهر الكلام ^(١) .

.
.

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . والمراد بالسراج المنير ههنا : أنه عليه السلام يهتدى به في ضلال الكفر ، وظلام النفي ، كما يستصبح بالشهاب في الظلماء ، وتستوضح الغرة في الدماء .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] . وهذه استعارة . وللعلماء في ذلك أقوال نحن نستقصي ذكرها عند البلوغ إليها من الكتاب الكبير

(١) هنا عشرة أسطر محيت أضافها بحال لا يستقيم معها تبيين النص .

بتوفيق الله ومشيتته ، إلا أننا نشير إلى بعض ذلك ههنا إشارة تليق بغرض هذا الكتاب في طريقة الاختصار ، وخوف الإكثار ^(١)

وقال بعضهم : المراد بذلك تفخيم شأن الأمانة وأن منزلتها منزلة مالو عرض على هذه الأشياء المذكورة مع عظمها ، وكانت تعلم ما فيها ، لأبت [أن ^(٢)] تحملها وأشقت كل الإشفاق منها . إلا أن هذا الكلام خرج مخرج الواقع لأنه أبلغ من المقدر . وقال بعضهم : عرض الشيء على الشيء ومعارضته سواء . والمعارضة ، والمقابلة ، والمقايضة ، والموازنة بمعنى واحد . فأخبر الله سبحانه عن عظم أمر الأمانة وثقلها ، وأنها إذا قيست بالسموات والأرض والجبال ^(٣) ووزنت بها رجحت عليها . ولم تنطق حملها ، ضعفها عنها . وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ ومن كلامهم : فلان يأبى الضيم . إذا كان لا يحتمله . فالإباء ههنا هو ألا يقام بحمل الشيء . والإشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ، ولذلك كنى به عن الخوف الذي هو ضعف القلب . فقالوا : فلان مُشفق من كذا . أى خائف منه ،

يقول سبحانه : فالسموات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة ضعفا عنها ، وحملها الإنسان ، أى تقلدتها وقارف ^(٤) للمآثم فيها ، للمعروف من كثرة جهله ، وظلمه لنفسه .

(١) وهنا بضعة أسطر محوطة الأنصاف .

(٢) ليست بالأصل . وقد زدناها لأن السياق يتطلبها .

(٣) في الأصل « وزنت » بواو واحدة . وهو تحريف ، لأنها معطوفة على الفعل قيست .

(٤) في الأصل « وتعارق » وهو تحريف . وأمل الصواب ما استظهرناه . فإن مفارقة الأنام هي

ركوبها واقتراضها .

ومن السورة التي تذكر فيها

« سبأ »

قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [٢٣] الآية (١)
وهذه استعارة ، على قراءة من قرأ : فزَّع بالزاي والعين ، وفزَّع بالراء والعين .

فالمراد بقراءة من قرأ : فزَّع بالعين غير معجزة ، أى أزيل الفزع عن قلوبهم . كما تقول : قَذَّيْتُ عينه . إذا أزلت القذى عنها . وهو كقولهم : رَغَّبَ عنه . إذا رفعت الرغبة عنه . خلافا لقولهم : رَغِبَ فيه ، إذا صرفت الرغبة إليه . فالرغبة فى أحد الأمرين منقطعة ، وفى الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ : فرَّغ بالعين معجزة ، قريب من المراد بالقراءة الأولى . كأنه سبحانه قال : حتى إذا أُخْرِجَ ما كان فى قلوبهم من الخوف والوجل ففرغت منها .

وإنما قال : عن قلوبهم . لأنه سبحانه أقام ذلك مقام التفريج عن قلوبهم . فكما حَسُنَ أن يُقال : فرَّجَ عن قلبه ، فكذلك حَسُنَ أن يُقال : فرَّغَ عن قلبه .

وهذا موضع سرٍّ لطيف ، ومعنى عجيب .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . والمراد بها ما تقدم القرآن من الكتب ، فكأنها كانت مشيرة إليه ، ومصرفة بين يديه . وقد مضى الكلام على نظائر ذلك فيما تقدم .

(١) نكلمة الآية : « قالوا الحق . وهو العلى الكبير » .

وقوله تعالى : ﴿ بَانَ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . والمراد بمكر الليل والنهار : ما يتوقع من مكرهم في الليل والنهار ، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما . وفيه أيضا زيادة فائدة ، وهي دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلا غير منقطع في الليل والنهار ، كما يقول القائل : ما زال بنا سيرُ الليل والنهار حتى وردنا أرضَ بني فلان . وهذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار ، من غير إغياب ، ولا إراحة ركاب .

[و] ^(١) قوله سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . والمراد أنه عليه السلام بُعث ليُقدم الإنذار أمام وقوع العقاب ، إزاحة للعلة ، وقطعا للمعذرة . وقد تقدمت إشارتنا إلى نظائر هذه الاستعارة في عدة مواضع من هذا الكتاب .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [٤٩] وهذه استعارة . لأن الإبداء والإعادة يكونان في القول ، ويكونان في الفعل . فأما كونهما في الفعل فبقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ^(٢) وأما كونهما في القول فإن القائل يقول : مَكَتَ فلانٌ فلم يُعِدْ ولم يُبْدِ . أى لم يتكلم ابتداء ، ولا أحرار جوابا . وهاتان الصفتان يستحيل أن يُوصَفَ بهما الباطل - الذى هو عَرَضٌ من الأعراض - إلا على طريق الاتساع والمجاز .

وإنما المراد أن الحق قَوِيٌّ وَظَهَرَ ، والباطل ضَعْفٌ وَاسْتَرَّ ، ولم ينبق له بقية يَقْوَى بها

(١) ليست هذه الواو بالأصل . وقد نسيها الناسخ .

(٢) سورة الروم . الآية رقم ٢٧ .

بعد ضعفه ، ويجبر بعد وهنه . أى ما تقوم^(١) له قائمة فى بدء ولا عود . والبدء : الحال الأولى . والعود : الحال الأخرى . وكذلك الإبداء والإعادة .

ومحوز أن يكون لذلك وجه آخر ، وهو أن يكون المعنى أن الباطل كان عند غلبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكت ، والحائر الذاهل ، الذى لا قدرة له على الحجاج ، ولا قوة له على الانتصار . كقولهم : سَكَتَ فما أعاد ولا أبداً . عند وصف الإنسان بالحيرة ، أو غلبة الفكرة .

وقد قيل أيضاً فى ذلك وجه آخر يخرج به الكلام عن حيز الاستعارة . وهو أن يكون المراد أن صاحب الباطل لا يُبْدَى ولا يُعِيد عند حضور صاحب الحق ، ضعفاً عن حجاجه ، وضلالاً عن منهاجه . فجعل المضاف ههنا فى موضع المضاف إليه . وذلك كثير فى كلامهم .

مركز تحقيق كالمؤرخ علوم إسلامي

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٥٣] وهذه استعارة . والمراد بذلك - والله أعلم - أنهم يقولون ما لا يعلمون ، ويظنون ولا يتحققون . فهم بمنزلة الرامى غرضاً بينه وبينه مسافة متباعدة ، فلا يكون سهمه أبداً إلا قاصراً عن الغرض ، وعادلاً عن السدد .

(١) فى الأصل : « يقوم » .

ومن السورة التي يذكر فيها

الملائكة^(١) عليهم السلام

قوله سبحانه : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠]
وهذه استعارة . وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئا يوصف بالصعود ، ويرتقى من سفال
إلى علو . وإنما المراد أن القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله تعالى ، واصلان
إليه سبحانه . بمعنى أنهما يبلغان رضاه ، وينالان زلفاه . وأنه تعالى لا يضيعهما ولا يهمل
الجزء عليهما . وهذا كقول القائل لغيره : قد ترقى الأمر إلى الأمير . أى بلغه ذلك على وجهه ،
وعرفه على حقيقته . وليس يريد به الارتقاء الذى هو الارتفاع ، وضده الانخفاض .

وجه آخر : قيل إن معنى ذلك صعود الأقوال والأعمال إلى حيث لا يملك الحكم
فيه إلا الله سبحانه . كما يقال : ارتفع أمر القوم إلى القاضى . إذا انتهوا إلى أن يحكم
بينهم ، ويفصل خصامهم . وجه آخر : قيل إن الله سبحانه لما كان موصوفا بالعلو على
طريق الجلال والعظمة ، لاعلى طريق المدى والمسافة ، فكل ما يتقرب به إليه من قول
زكى ، وعمل مرضى فالإخبار^(٢) عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع ، على طريق المجاز
والاتساع .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلٍ

(١) هي سورة فاطر . وهي السورة الخامسة والثلاثون من القرآن . وقد ذكرت الملائكة فيها
في قوله تعالى في أولها : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى
وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير » .

(٢) في الأصل « والأخبار » بالواو . والفاء هنا هي الصحيح .

لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٨﴾ وقد مضى نظير هذا الكلام في الأنعام، وفي بني إسرائيل، وتركنا الإشارة إليه هناك لما جاءت في هذا الموضع زيادةٌ حققت الكلام بالاستعارة، فاحتجنا إلى العبارة عنها أسوةً بنظائرها ^(١). فنقول : إن قوله سبحانه : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أى لا تحمل حاملَةٌ حمل غيرها يوم القيامة . يقال : وَزَرَ ، يَزِرُ وَزْرًا . إذا حَمَلَ . والاسم الوزرُ . ومن ذلك أخذ اسم الوزير ، لأنه حامل الثقل عن الأمير . والمعنى : ولا يحملُ مُذنبٌ ذنبَ غيره ، ولا يؤخذ بجرمه وجنائته .

والزيادة في هذا الموضع قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلٍ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فشبّه تعالى استغاثةَ المثلث من الآثام باستغاثة من الإعياء . لأنَّ من عادة من تلك حاله أَنْ يَطْلُبَ مَنْ يَشَاظِرُهُ الحِملَ ، ويخفف عنه الثقل . فأما في ذلك اليوم فلا يهتم كلُّ امرئٍ إلاَّ نَفْسِهِ ، ولا يَعْنِيهِ ^(٢) إلاَّ أَمْرُهُ ، ولا يُعِينُ أَحَدٌ أَحَدًا ، ولا يخفف مدعوٌّ من داعٍ ثِقَلًا ، ولو كان أولى الناس بأمره ، وأقربهم التباطا به ، وانتباطا ^(٣) بنسبه .

وإنما قال سبحانه : مُثْقَلَةٌ . ولم يقل : مُثْقَلٌ . لأنه رَدَّ ذلك إلى النفس ، ولم يَرُدُّهُ إلى الشخص .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [٤٣] وهذه استعارة .

(١) في الأصل « نظائرها » بدون باء . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل : « ولا يعينه » من الإعانة . وهو تحريف .

(٣) انتباط به : أى تعلق به . ولاحظ هنا الجنس الناقص بين التباط وانتباط . وذلك من براعات

العريف الرضى .

والمراد أن الله سبحانه يعاقب المشركين على مكرهم بالمؤمنين ، فكأنما مكروا بأنفسهم ،
ووجهوا الضرر إليهم ، لا إلى غيرهم ، إذ كان المكر عائداً بالو بال عليهم . ومعنى لا يحيط
أى لا يجعل^(۱) ، ولا ينزل ، ولا يحيط إلا بهم .
وهذه الألفاظ كلها بمعنى واحد .



مركز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

(۲) فی الأصل : « لا يجعل » وهو تحریف من النسخ .

ومن السورة التي يذكر فيها « يس »

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٧، ٨] .

وهاتان استعارتان . ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في أوصاف القوم المذمومين . وهم في أحوال الدنيا دون أحوال الآخرة

ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٠] . وإذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون أحوال الآخرة ، وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالأغلال ولا مضروب عليهم بالأسداد ، علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (١) وكأن ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان ، ولئى الأعناق ، ذهابا عن الرشد ، واستكبارا عن الانقياد للحق ، وضيق صدورهم بما يرد عليهم من مواقع البيان ، وقوارع القرآن . وقد اختلف في معنى الإقماح . فقال قوم : هو غرض الأبصار ، واستشبهوا بقول بشر بن أبي خازم (٢) خازم في ذكر السفينة .

(١) سورة البقرة . الآية رقم ٧ .

(٢) البيت في « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ج ١٥ ص ٨ منسوب إلى بشر فقط من غير ذكر لآيئه . وفي كتاب « القرطبي » لابن مطر ج ٢ ص ٨٧ لم ينسب لقائله . ولكن مصحح الكتاب نسبته في الهامش إلى بشر بن أبي خازم بالخاء المهملة كما جاء مثل ذلك في كتاب « الحاشية » لابن الشجرى طبع حيدر آباد ص ٥ ، ٣٠٤ أمانى صفحة ١٠٣ ، ٢٦٩ فجاء بغير ذلك . والصواب بالخاء المعجمة والزاي . وله ترجمة في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ص ٢٢٧ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٤ ، ومختارات ابن الشجرى ج ٢ ص ١٩ - ٣٣ والمفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون .

ونحنُ على جَوَانِبِهَا قُودٌ نَقُضُ الطَّرْفَ كالإبل القِمَاحِ.

وقال قوم : المَقْمَحُ : الرافع رأسه متعمدا . فكانُ هؤلاء المذمومين شَبَّهوا على المبالغة في وصف تكارُهِهِم للإيمان ، وتضايُقِ صدورهم لسماع القرآن ، بقوم عوقبوا فجذبت أذقانهم بالأغلال إلى صدورهم مضومةٌ إليها أيمانُهم ، ثم رفعت رؤوسهم ، ليكون ذلك أشدَّ لإيلاهم ، وأبلغ في عذابهم .

وقيل : إن المَقْمَحَ الفاضُّ بصره بعد رفع رأسه ، فكانه جامعٌ بين الصفتين جميعا .

وقيل إن قوله تعالى : ﴿ فَمَيَّ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾ يعني به أيمانهم المجموعة بالأغلال إلى أعناقهم ، فاكتفى بذكر الأعناق من الأيمان لأن الأغلال تجمع بين الأيمان والأعناق . وكذلك معنى السِّدِّ المجمول بين أيديهم ومن خلفهم ، إنما هو تشبيه بمن قَصُرَ خطؤه وأخذت عليه طرقة . ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة إنما هو عَقِيبُ تلاوة القرآن عليهم ، ونَفَثِ قَوَارِعِهِ فِي أَسْمَاعِهِمْ ، حَسَنَ أَنْ يُضَيَّفَ سبحانه ذلك إلى نفسه ، فيقول : إنا جعلناهم على تلك الصفات .

وقد قرئ سَدًّا بالفتح ، وسُدًّا بالضم . وقيل إن السِّدَّ بالفتح ما يصنعه الناس ، والسِّدُّ بالضم ما يصنعه الله تعالى .

وقال بعضهم : المراد بذكر السد ههنا : الإخبار عن خذلان الله سبحانه إياهم ، وتركه نصرهم ومعونتهم ، كما تقول العرب في صفة الضال المتحير : فلانٌ لا ينفذ في طريق يسلكه ، ولا يعلم أمامه أم وراءه خيره . وعلى ذلك قول الشاعر :^(١)

(١) لم أعتد إلى اسم الشاعر بند طویل بحث ورجوع إلى كتب الشواهد والدواوين . والشكر أجزل الشكر لمن يهدينا إليه .

فأصبح لا يدري وإن كان حازما أقدامه خير له أم وراؤه
وأما قوله سبحانه : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فهو أيضا في معنى التلثم
والطبع ، وواقع على الوجه الذي يقنع عليه . وقد تقدم إيماننا إليه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [٢٧] .
وهذه استعارة . والمراد نُخْرِجُ مِنْهُ النَّهَارَ ، ونستقصي تخليص أجزاءه ، حتى لا يبقى من
ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل ، فإذا الناس قد دخلوا في الظلام . وهذا معنى قوله
تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ كما يقال : أفجروا . إذا دخلوا في النجر ، وأنجدوا . وأنهموا .
إذا دخلوا نجدا وتهامة .

والسَّخ : إخراج الشيء مما لا يسه والتحم به . فكل واحد من الليل والنهار متصل
بصاحبه اتصال الملابس بأبدانها ، والجلود بحيواناتها . ففي تخليص أحدهما من الآخر - حتى
لا يبقى معه منه ظرف ، ولا عليه منه أثر - آية باهرة ، ودلالة فاهرة ^(١) . فسيبحان الله رب
العالمين

وقوله سبحانه في ذكر البعث : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ، هَذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ السُّرُّسُلُونَ ﴾ [٥٢] وهذه استعارة . لأن المَرْقَدَ ههنا عبارة عن المات ،
فشبَّهوا حال موتهم بحال نومهم ، لأنها أشبه الأشياء بها . وكذلك قوة شبه حال
الاستيقاظ بحال الإحياء والإنشاز . وعلى ذلك قوله عليه السلام : (إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ كَمَا تَنَامُونَ ،
وَتُبْعَثُونَ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ) ^(٢) . وقال بعضهم : الاستعارة ههنا أبلغ من الحقيقة . لأن

(١) هكذا بالأصل . ولا معنى للدلالة الفاهرة . ولعلها طاهرة .

(٢) هذا الحديث من خطبة له عليه السلام ، وهي أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام .
وهي في كتاب « جبهة خطب العرب » ج ١ ص ٥١ . وقد نقلها عن « السيرة الخالصة » ج ١ ص ٢٧٢ ،
وعن « السكامل » لابن الأثير ج ٢ ص ٢٧ .

النوم أكثر من الموت ، والاستيقاظ أكثر من الإحياء بعد الموت . لأن الإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة مرات ، وليس كذلك حال الموت والحياة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ، فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ [٦٦] . وهذه استعارة . والمراد بالطمس ههنا : إذهاب نور الأبصار حتى يبطل إدراكها ، تشبيها بطمس حروف الكتاب ، حتى تشكل قراءتها .

وفيه أيضا زيادة معنى ، لأنه يدل على تحوّل آثار عيونهم ، مع إذهاب أبصارها ، وكشف أنوارها . وقيل معنى الطمس إلحामُ الشقوق التي بين الأجفان حتى تكون مبهمة ، لا شقّ فيها ، ولا شفر لها . يقولون : أعشى مطموس وطميس ، إذا كان كذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٨] وقرئ : نُنَكِّسْهُ بالتشديد . وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - أننا نعيد الشيخ الكبير إلى حال الطفل الصغير في الضعف بعد القوة ، والنبأقل بعد النبضة ، والإخلاق^(١) بعد الجدة . تشبيها بمن انتكس على رأسه ، فصار أعلاه سفلا ، وأسفله علواً .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٧٠] وهذه استعارة . والمراد بالحي ههنا : الغافل الذي يستيقظ إذا أوقظ ، ويتعظ إذا وعظ . فسمي سبحانه المؤمن^(٢) الذي ينفع بالإنذار حيا لنجاته ، وسمي الكافر الذي لا يصنع إلى الزواجر ميتا لهلكه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [٧١] وهذه استعارة . والمراد بذكر الأيدي ههنا قسمان من أقسام اليد في اللغة

(١) الإخلاق : كون الشيء خلقا باليا بعد جده .

(٢) في الأصل : د اللون ، وهو تحريف من الناصخ . والتصويب مما يقتضيه السياق والمقابلة بين المؤمن والكافر ، والحي والميت .

العربية . إما أن تكون بمعنى القوة ، وبمعنى تحقيق الإضافة . فكأنه سبحانه قال :
أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ أَنْعَامًا أَخْتَرَعْنَاهَا بِقُوَّةٍ تَقْدِيرِنَا ، وَمُتَّقِنِ تَدْيِيرِنَا .
أو يكون المعنى أن هذه الأنعام مما تولينا خلقه من غير أن يشاركنا فيه أحد
من المخلوقين . لأن المخلوقين قد يعملون سفائن البحر ، ولا يعملون سفائن البر ، التي هي
الأنعام المذللة ظهورها ، والمحلاة لحومها . فهذا وجه فائدة الإضافة في قوله تعالى : ﴿ مِمَّا
عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ . والله أعلم .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

ومن السورة التي يذكر فيها «الصفات»

قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [٤٨، ٤٩]
وهذه استعارة . والمراد بالقاصرات الطرف ههنا : اللواتي جعلن نظرهن مقصورا على أزواجهن . أى حبسن النظر عليهم ، فلا يتهدينهم إلى غيرهم . وحىء بذكر الطرف على طريق المجاز . وإلا فحقيقة المعنى أنهم حبسن الأنفس على الأزواج عفةً ودينا ، وخلقا وصونا .

وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر الطرف ، لأن طمأح الأعين فى الأكثر يكون سببا لتتبع النفوس وتطرب القلوب ، وعلى هذا قول الشاعر :

وَإِنَّكَ إِنِ ارْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِّقَلْبِكَ يَوْمَا أَتَعَبْتِكَ الْمَنَاطِرُ^(١)
والطرف ههنا واحد فى تأويل الجميع : ونظيره قوله سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾^(٢) . أى على أسماعهم ، أو مواضع استماعهم .

(١) البيت هو أحد بيتين أنشدتهما امرأة أمام أبى الفصن الأعرابى ، وكان قد خرج حاجا ، فر بقاءه ، وإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل . . والقصة كاملة فى الجزء الرابع من «عيون الأخبار» لابن قتيبة .
ص ٢٢ . وفى « شرح شواهد الكشف » للعلامة محب الدين ص ١٣٤ أنه من أبيات «الخماسة» . وفى « شرح الخماسة » للمرزوق ج ٣ ص ١٢٣٨ لم يذكر اسم قائله . وإنما اكتفى بقوله : وقال آخر . ولم يتعرض العلامة المرزوق لتحقيق اسم هذا الشاعر أو الشاعرة ، وإنما اكتفى بشرح البيتين شرحا أدبيا . وهما :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٧ .

ومن السورة التي يذكر فيها «ص»

قوله تعالى : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [١٢] وهذه استعارة على بعض الأقوال ، وهو أن يكون معنى ذى الأوتاد يعنى ذو الملك الثابت ، والأمر الواطد ، والأسباب التي بها يثبت السلطان ، كما يثبت الخباء بأوتاده ، ويقوم على عماده .

وقد يجوز أيضا أن يكون معنى ذى الأوتاد ، أى ذو الأبنية المشيدة ، والقواعد الممهدة ، التي تشبه بالجبال في ارتفاع الرؤوس ورسوخ الأصول . لأن الجبال تسمى أوتاد الأرض . قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّنْ فَوْاقِ ﴾ [١٥] . وقرئ : من فوق (٢) بالضم . وقد قيل إنهما لغتان ، وذلك قول الكسائي . وقال أبو عبيدة : مَنْ فَتَحَ أَرَادَ مَالَهَا مِنْ رَاحَةٍ ، وَمَنْ ضَمَّ أَرَادَ مَالَهَا فِي إِهْلَاكِهِمْ مِنْ مَهْلَةٍ بِمَقْدَارِ فُوقِ النَّاقَةِ ، وهى الوقفة التي بين الحلبتين . والموضع الذي يحقق الكلام بالاستعارة على قراءة من قرأ من فوق بالفتح ، أن يكون سبحانه وصَفَ تلك الصيحة بأنها لا إفاقة من سكرتها ، ولا استراحة من كربتها ، كما يفريق المريض من علته ، والسكران من نشوته . والمراد أنه لا راحة للقوم منها . فجعل سبحانه الراحة لها على طريق المجاز والاتساع . ومثله كثير في الكلام .

(١) فى سورة «عم» قوله تعالى : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » الآية ٧ .

(٢) الضم هو قراءة حمزة والكسائي . وبقية القراء قرءوها بفتح الفاء . وقال الجوهري : الفواق بالفتح والفواق بالضم ما بين الحلبتين من الوقت . وفى الحديث الشريف : (العيادة قدر فواق الناقة) انظر « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٥ ص ١٤٦ .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [٢٣]. وهذا الكلام داخل في حيز الاستعارة . لأن النعاج ههنا كناية عن النساء . وقد جاءت في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاء ، وعلى ذلك قول الأعشى .

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها ^(١)

أى : عن امرأته . وقال عنتره :

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ ^(٢)

وربما سموا الظبية نعجة ، والظبية شبيهة بالمرأة ، فتكون اللفظة مستعارة على هذا

التركيب

وإنما شُبِّهَت النساء بالنعاج لأن النعاج يُرْتَبَطْنَ للاحتلاب والاستنتاج ، والنساء يُصْطَفَيْنَ للاستمتاع والاستيلاء .

وقوله تعالى في ذِكْرِ الْخَيْلِ حَاكِيًا عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عُرِضَتْ عَلَيْهِ ، فَكَادَ أَنْ يَفُوتَهُ لِلشُّغْلِ بِهَا وَقْتُ صَلَاةٍ كَانَ يُصَلِّيُهَا ، فَضَرَبَ رُءُوسَهَا وَعَرَّاقِيهَا بِالسَّيْفِ ، عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ : ﴿ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالشُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [٣٣] وهذه استعارة . لأن المسح ههنا - في أكثر أقوال أهل التأويل -

(١) هذا البيت من قصيدة للأعشى يمدح بها قيس بن معد يكرب . ومطلعها :

رحلت سمية غدوة أجهالها غضيبي عليك ، فاقول بدالها

وتبلغ أبياتها ٥٤ بيتاً ، كما في ديوانه الكبير الذي نشرته مكتبة الآداب بتحقيق الدكتور م . محمد حسين - ص ٢٧ . والعرب تسكن بالشاء عن المرأة والزوجة . والأعشى من شعراء العصر الجاهلي الذين اشتهروا بشعر الحُرِّ ووصف مجالسها وآلاتها مما كان له أثر في الشعراء بعده كالأخطل وأبي نواس .

(٢) قال ابن طرفة السكناي في شرح هذا البيت : (يعرض بجارية يقول : أرى عبيد أنت لمن حل له أن يصيدك ، فأما أنا فإن حرمة الجوار قد حرمتك على) ، وتجد شرحه في « شرح القصائد العشر » للإمام التبريزي ص ٢٠٠ . وقال بعض النحاة : إن « ما » زائدة والأصل يا شاء قنس .

كنايةً عَنِ الضَّرْبِ بالسيف . وامتسَحَ رأسَه : إذا فَعَلَ به ذلك . وهذه الباء ههنا للإِلصاق . فكأنه تعالى قال : وَأَلْصَقَ السيف بسوقها وأعناقها . كما يقول القائل : مسحتُ يَدِي بالمنديل . أى ألصقتها به . وعلى ذلك قول الشاعر ^(١) :

نَمَشُ ^(٢) بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضَهَّبِ

أى نلصق أيدينا بأعرافها ، كما نلصقها بالمناديل التى تمسح بها الأيدي . وقد صرَّح بذلك الشاعر الآخر ^(٣) فقال :

* أَغْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ *

والشاهد الأعظم على ذلك ماورد فى التنزيل من قوله سبحانه : ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ^(٤) على قراءة من قرأ : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ حرًا . أى ألصقوا الممسح بهذه المواضع . وهذه الآية يستدل بها أهل العراق على أن استيعاب الرأس بالمسح ليس بواجب ، خلافا لقول مالك . وقال لى الشيخ أبو بكر محمد

(١) هو امرؤ القيس بن حجر السكندى ، أمير شعراء الجاهلية .

(٢) فى الأصل « نَمَس » بالسین المهملة وهو تحريف من الناسخ ، كما أنه ترك كلمة مضهَّب بدون قطع على الضاد المعجمة . والبيت من بائية امرئ القيس التى يقول فى مطلعها :
خليل مرا بن على أم جندب تقض لبانات الفؤاد المعب

انظر « شعراء النصرانية » للأب لويس شيخو اليسوعى . ص ٢٣ .

(٣) هو عبدة بن الطيب الشاعر الجاهلى . والبيت كاملا هو :

نمت قننا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

ويقول ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » إنه أخذ من قول امرئ القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قننا عن شواء مضهَّب

(٤) سورة المائدة . الآية رقم ٦ .

ابن موسى^(١) الخوارزمي - أدام الله توفيقه - عند بلوغه عليه في القراءة من مختصر أبي جعفر الطحاوي^(٢) إلى هذه المسألة : سألت أبا علي الفارسي النحوي^(٣) وأبا الحسن علي ابن عيسى الرماني^(٤) : هل يقتضي ظاهر الآية إلصاق الفعل بجميع المحل أو ببعض ؟ فقالا جميعا : إذا ألصق الفعل ببعض المحل تناوله الاسم . قال : وهذا يدل على الاختصار على مسح بعض الرأس كما يقوله أصحابنا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [٤٥] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - أولى القوى في العبادة ، والبصائر في الطاعة .

ولا يجوز أن يكون المراد بالأبصار ههنا الجوارح والحواس ، لأن سائر الناس يشاركون الأنبياء عليهم السلام في خلق ذلك لهم . ولا يحسن مدح الإنسان بأن له يداً وقدمًا وعينًا وفمًا . وإنما يحسن أن يمدح بأن له نفسا شريفة ، وهمة منيفة ، وأفعالا جميلة ، وخلالا محمودة .

وقيل أيضا معنى أولى الأيدي : أى أولى النعم في الدين ، لأن ورود اليد بمعنى النعمة

(١) كدت أياس من الحصول على ترجمة له إلى أن وجدته « في تاريخ بغداد » ج ٣ ص ٢٤٧ . قالوا : ما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى والإصابة فيها وحسن التدريس ، وقد دعي إلى ولاية المحكم مرارا فامتنع منه . توفي سنة ٤٠٣ هـ أي قبل وفاة الشريف الرضي بثلاث سنوات .

(٢) هو الإمام أبو جعفر الطحاوي المصري ، برع في الفقه والحديث ، وإليه انتهت رئاسة الحنفية بمصر ، وتفقه في مذهب الإمام أبي حنيفة حتى صار إماما . توفي سنة ٣٢١ هـ .

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي كان إماما في النحو والعربية . وتقدمت ترجمته في الهامش عند الكلام على سورة طه .

(٤) هو مفسر ونحوي كبير ، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٣٨٤ هـ وله كتب « التفسير » و « شرح أصول ابن السراج » و « شرح سيبويه » و « معاني الحروف » وترجمته في « بغية الوعاة » و « ابن خلكان » و « الأعلام » للزركلي .

مشهور في كلامهم ، فإنهم أسدّوا إلى الناس أيديا بدعائيتهم إلى الإيمان ، واقتلاتهم من حبائل الضلال .

وأما قوله سبحانه وتعالى في هذه السورة : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ [٧٥] فقد مضى من الكلام على قوله تعالى في يس : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ ^(١) ما هو بعينه الكلام على هذا الموضع ، فلا فائدة في إعادته . وجملته أن المراد بقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ مزية الاختصاص بخلق آدم عليه السلام من غير معونة معين ، ولا مظاهره ظهير .



ومن السورة التي يذكر فيها « الزُّمُرُ »

قوله تعالى : ﴿ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [٥] وهذه استعارة . والمعنى : يُعَلِي هذا على هذا . وذلك مأخوذ من قولهم : كار العِمَامَةَ على رأسه يكورها . إذا أدارها عليه . وقد قالوا : طَعَنَهُ فكَوَّرَهُ . أى صَرَعَهُ . ومنه قول أبي كبير الهذلي ^(١) :

متكورين على المعارى بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ كَتَعَطَاطِ الْمَزَادِ الْأَنْجَلِ
ومنه الحديث المأثور : (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْأُخُورِ بَعْدَ الْكُورِ) ^(٢) أى من الإِدْبَارِ بعد الإِقْبَالِ . وقيل من القلة بعد الكثرة . لأنهم يسمُّون القطيع الكثير من البقر وغيرها كوراً . ومنه قول أبي ذؤيب ^(٣) فى صفة الثور :

مركز تحقيق كتاب مير علوم إسلامي

(١) أبو كبير الهذلي هو عامر بن الحلبس . وهو شاعر جاهلي . وله ترجمة فى « الشعر والشعراء » و « الإصابة » و « الخزانة » و « الآلى » . وزعموا أنه تزوج أم الشاعر « تأبط شرا » وكان هذا غلاما صغيرا فلما رآه يكثر الدخول على أمه تنكر له . . . والقصة كاملة فى كتاب « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ٨٨ ومتكورين أى بعضهم على بعض ، والمعارى : السوءات . والتعطاط من العط ، وهو الشق ، والأنجل : الواسع .

(٢) فى « أساس البلاغة » : « وأعوذ بالله من الحور بعد الكور » . والباطل فى حور - بالضم - وهما النقصان ، كاهون والمهون . والحديث كاملا فى « المجازات النبوية » طبع القاهرة ٠ صفحة ١١٣ ، ونصه : (اللهم إنا نعوذ بك من وعناء السفر . وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور . وسوء المنظر فى الأهل والمال) .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد ، جاهلي إسلامي ، وكان راوية للشاعر الهذلي ساعدة بن جؤية . وقالوا : إنه خرج مع عبد الله بن الزبير فى مفرى نحو المغرب فأت . وهو صاحب العينة المشهورة التى يرثى بها سبعة من أبنائه ماتوا فى يوم واحد ، ومطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وشعره فى « ديوان الهذليين » طبع دار الكتب المصرية .

وَلَا شُبُوبٌ مِنَ الثِّبَرَانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الْإِغْرَاءِ وَالطَّرْدِ
أى عن سربه الكثير .

فيجوز أن يكون معنى ﴿ يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾
على قول من يقول : طعنه فكوره ، يريد : فصرعه . أى يلقى الليل على النهار ، ويلقى
النهار على الليل .

ويكون المعنى على قول من يذهب إلى أن الكور اسم للكثرة ، أى يُكثَرُ أجزاء
الليل على أجزاء النهار ، حتى ينفخ ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل . ويكورُ النهار على
الليل . أى يُكثَرُ أجزاء النهار ، حتى تظهر وتنتشر وتتشابك فيها أجزاء الليل وتضمحل .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ،
فِيْمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [٤٢]
وفى هذا الكلام استعارة خفية . وذلك أن قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾
أى يقبضها ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ منسوقٌ تعبير . فظاهر الخطاب يقتضى أنه
سبحانه يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا أيضًا . ونحن نجد أمارة بقاء نفس النائم في
جسده بأشياء كثيرة . منها ظهور التنفس والحركة وحذف لسانه بالكلمة بعد الكلمة ،
وغير ذلك مما يجرى مجراه . فيكون معنى توفى النفس النائمة ههنا اقتطاعها عن الأفعال
التمييزية ، والحركات الإرادية ، كالعُزوم^(١) والقُصُود وترتيب القيام والقعود ، إلى غير ذلك مما
فى معناه .

وقال بعضهم : الفرق بين قبض النوم وقبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظة

(١) جمع عزم وهو ما يعزم الإنسان عليه من قصد ونية .

وقبض الموت [يضاد الحياة] ^(١) . وقبض النوم تكون الروح معه في البدن ، وقبض الموت تخرج الروح معه من البدن .

وقوله سبحانه : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ [٥٦] وهذه استعارة . وقد اختلف في المراد بالجانب ههنا . فقال قوم : معناه في ذات الله .

وقال قوم : معناه في طاعة الله ، وفي أمر الله . لأنه ذكر الجانب على مجرى العادة في قولهم : هذا الأمر مُغال في جنب ذلك الأمر أى في جهته . لأنه إذا عبّر عنه بهذه العبارة دل ^(٢) على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته .

وقال بعضهم : معنى في جنب الله . أى في سبيل الله ، أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته ، بالأوصل إلى طاعاته .

ولما كان الأمر كله يتشعب إلى طريقين : إحداهما هدى ورشاد ، والأخرى غي وضلال ، وكل واحد منهما بجانب لصاحبه ، أو هو في جانب ، والآخر في جانب ، وكان الجنب والجانب بمعنى واحد ، حسنت العبارة ههنا عن سبيل الله بجنب الله ، على النحو الذي ذكرناه .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٦٣] وهذه استعارة . والمقاليد : المفاتيح . قال أبو عبيدة : واحدا مقلید ، وواحد الأقاليد إقليد . وهما بمعنى واحد . وقال غيره : واحدا قلد على غير قياس .

(١) ماين حاصرین لبس فی الأصل ، وقد زدناها ، لأن الكلام يستقيم بها . ولعل الناسخ نسبها وهو يكتب فأسقطها من مكانها
(٢) في الأصل : (ودل) بالواو ولا معنى لها .

وقال أبو عمرو بن العلاء^(١) : وجهه في العربية أن يكون الواحد على لفظ مقلد ، ثم تجمع مقاليد . فمن شاء أن يُشبع كسرة اللام قال مقاليد . كما قالوا : درهم ودرهم . قال : وسمعتُ أبا المنذر يقول : واحد المفاتيح مفتاح . وواحد المفاتيح مفتاح . والمعنيان جميعا واحد .

والمراد بمقاليد السموات والأرض ههنا - والله أعلم - أي مفاتيح خيراتها ، ومعادن بركاتهما ، من إدرار الأمطار ، وإبراق الأشجار ، وسائر وجوه المنافع ، وعوائد المصالح . وقد وصف سبحانه السماء في عدة مواضع بأن لها خزائن وأبواباً ، فحسُن على مقتضى الكلام أن توصف بأن لها مقاليد وأغلاقاً .

قال سبحانه : ﴿ لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾^(٣) وقال عز من قائل : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤) .

وقالوا : خزائن السموات الأمطار ، وخزائن الأرض النبات . وقد يجوز أن يكون معنى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي طاعة السموات والأرض ومن فيهن . كما يقال : ألقى فلان إلى فلان مقاليدَه . أي أطاعه ، وفوض إليه أمره . وعلى ذلك قول الأعشى^(٥) :

(١) هوزبان بن عمار التيمي البصري . كان إماماً في اللغة والأدب والشعر ورواية الأخبار . وقد تلقى أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية . توفي بالكوفة سنة ١٥٤ هـ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٩ .

(٣) سورة القمر : الآية رقم ١١ .

(٤) سورة النافقون . الآية رقم ٧ .

(٥) سبقت ترجمته في الحديث عن مجازات سورة ص . والبيت من قصيدة للأعشى يمدح بها « هوزة ابن علي الحنفي » ويذم « الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي » . ومطلعها :

أجبدك ودعت الصبا والولائد وأصبحت بعد الجور فيهن فاصدا

فَتَى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسُ أَلَمْتُ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرُ أَسَارَى لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا
أى لسم العلو إليه ، واعترف له به .

وقال بعض العلماء : ليس قول الشاعر ههنا : ينادى الشمس ، من النداء الذى هو
رفع الصوت ، وإنما هو من المجاسة . تقول : ناديت فلانا . إذا جالسته فى النادى . فكأنه
قال : لو يجالس الشمس لألقت قناعها شغفا به ، وتبرجاله . وهذا من غريب القول .
وقوله سبحانه : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيمِينِهِ ﴾ [٦٧] وهاتان استعارتان . ومعنى قبضته ههنا أى ملك له وخالص ، قد ارتفعت
عنه أيدي المالكين من بريته ، والمتصرفين فيه من خليقته . وقد ورث تعالى عباده ما كان
ملكهم فى دار الدنيا من ذلك ، فلم يبق ملك إلا انتقل ، ولا مالك إلا بطل .
وقيل أيضا : معنى ذلك أن الأرض فى مقدوره ، كالذى يقبض عليه القابض ،
فتستولى عليه كفه ، ويحوزه ملكه ، ولا يشاركه فيه غيره .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ ﴾ أى مجموعات فى ملكه ،
ومضمومات بقدرته . واليمين ههنا بمعنى الملك . يقول القائل : هذا ملك يمينى . وليس يريد
اليمين التى هى الجارحة . وقد يعبرون عن القوة أيضا باليمين . فيجوز على هذا التأويل أن
يكون معنى قوله سبحانه : ﴿ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ ﴾ أى يجمع أقطارها ويطوى انتشارها
بقوته ، كما قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ ^(١) ﴾ . وقيل فى
اليمين ههنا وجه آخر . وهو أن تكون بمعنى القسم . لأنه سبحانه لما قال فى « الأنبياء » : ﴿ يَوْمَ
نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا

(١) للكتاب ، أو للكتب ، على قراءتى الإفراد والجمع ، كما سبق القول فى سورة الأنبياء .

إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿۱﴾ كَانَ التَّزَامُ تَعَالَى فَمِثْلَ مَا أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِهَذَا الْوَعْدِ كَأَنَّهُ قَسَمٌ
أَقْسَمَ بِهِ لِيَفْعَلَنَّ ذَلِكَ . فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ السُّورَةِ الْآخَرَى أَنَّ السَّمَوَاتِ
مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ، أَيْ بِذَلِكَ الْوَعْدِ الَّذِي أَلْزَمَهُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ . وَجَرَى كَجَرَى الْقَسَمِ الَّذِي
لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ الْوَفَاءُ بِهِ ، وَالْخُرُوجُ مِنْهُ .

وَالاعْتِمَادُ عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ أَوَّلَى .



مركز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

ومن حم

وهى السورة التى يذكر فيها « المؤمن »

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [٧] وهذه استعارة . لأن حقيقة السعة إنما توصف بها الأوعية والظروف التى هى أجسام ، ولها أقدار ومساحات ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك .

والمراد - والله أعلم - أَنَّ رَحْمَتَكَ وَعِلْمَكَ وَسِعَا كُلَّ شَيْءٍ ، فنقل الفعل إلى الموصوف على جهة المبالغة كقولهم : طُبْتُ بهذا الأمر نفساً . وَضِقتُ به ذُرْعًا . أى طابت نفسى ، وضاق ذُرْعى . وجعل العلم موضع المعلوم ، كما جاء قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (١) أى بشيء من مَعْلُومِهِ .

وقوله سبحانه : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُنْزِلُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [١٥] . وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ والمعنى : أن منازل العز ، ومراتب الفضل التى يخص بها عباده الصالحين ، وأوليائه المخلصين رفيعة الأقدار ، مشرفة المنار .

فالدرجات المذكورة هى التى يرفع عباده إليها ، لا التى يرتفع هو بها . تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

(١) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٥ .

والاستعارة ^(١) [الأخرى] قوله سبحانه : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ والروح ههنا كناية عن الوحي كقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ^(٢) وإنما سمى روحاً لأن الناس يَحْيَوْنَ به من موت الضلالة ، وينشرون من مدافن الغفلة . وذلك أحسن تشبيه ، وأوضح تمثيل .

وقوله سبحانه : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بخائنة الأعين - والله أعلم - الرِّيب في كسر الجفون ، ومرامز العيون .

وسمى سبحانه ذلك خيانة ، لأنه أمانة للرَّيبة ، ومجانِب للغفلة . وقد يجوز أن تكون خائنة الأعين ههنا صفةً لبعض الأعين بالمبالغة في الخيانة ، على المعنى الذى أشرنا إليه . كما يقال : علامة ، ونسابة .
وأنشدوا قول الشاعر ^(٣) في مثل ذلك :

حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مَغْلٍ الْأَصْبَعِ
أى لم تكن موصوفاً بالمبالغة في الخيانة . ومعنى مغلّ الأصبع : أى سارق مختلس .

(١) هذه اللفظة ساقطة من الأصل ، وهى ضرورية في معرض تفصيل الاستعارتين .

(٢) سورة الشورى . الآية رقم ٢٠ .

(٣) لم ينسبه المؤلف لفائده . وفى « شرح شواهد الكشاف » للعلامة محب الدين : أنه للشاعر السكلاوى . وقد استشهد به الإمام الزمخشري في تفسيره عندما تحدث عن قوله تعالى فى سورة النساء : (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) .

وأضاف الأغلال إلى الأصبع ، كما أضاف الآخر^(١) الخيانة إلى اليد في قوله :

أُولَّيْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيَهُ فَزَارِيًّا أَحَدًا يَدِ الْقَمِيصِ

أى خفيف اليد في السرقة والأخذ الخفيف السريع . وعنى برافديه : دجلة

والقرات .

وإنما ذكرت اليد والأصبع في هذين الموضعين ، لأن فعل السارق والمختلس في الأكثر

إنما يكون باستعمال يده ، واستخدام أصابعه .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

(١) هو الشاعر الفرزدق . والبيت من أبيات في ديوانه ، وقد أشار إليه ابن قتيبة في مقدمته لكتابه

« الشعر والشعراء » ص ٣٤ ، وهو يتحدث عن التكلف وضرورات الفافية . والفرزدق يخاطب الخليفة يزيد بن عبد الملك شاكيا عمر بن هبيرة .

وفي « أساس البلاغة » للزغشري روى هذا البيت هكذا :

بشت على العراق ورافديه فزاريا أحـد يد القميص

ومن حم

وهي السورة التي تجب فيها « السجدة »^(١)

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [هـ] وهذه استعارة . والأكنة جمع كنان ، وهو الستر والغطاء . مثل : عنان ، وأعنة . وسنان ، وأسنة .

وليس هناك على الحقيقة شيء مما أشاروا إليه . وإنما أخرجوا هذا الكلام مُخْرِج الدلالة على استنقالم ما يسمعون من قوارع القرآن ، وبواقع البيان . فكأنهم من قوة الزهادة فيه ، وشدة الكراهية له ، قد وقرت أسماعهم عن فهمه ، وأكنت قلوبهم دون علمه .

وذلك معروف في عادات الناس أن يقول القائل منهم لمن يشنأ كلامه ، ويستنقل خطابه : ما أسمعُ قولك ، ولا أعي لفظك . وإن كان صحيح حاسة السمع . إلا أنه يحمل الكلام على الاستنقال والمقت .

وعلى هذا قول الشاعر^(٢) :

وكلام سيء قد وقرت أذني عنه ، وما بي من صمم

(١) هي سورة فصلت ، وهي السورة الحادية والأربعون من القرآن .

(٢) لم أهتم إلى اسم هذا الشاعر ، وقد ورد هذا البيت في « أساس البلاغة » لازخشرى مادة « وقر » ولم يذكر فائله . وروايته في الأساس هكذا :

كم كلام سيء قد وقرت أذني عنه ، وما بي من صمم

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [١١] . وهذه استعارة . فليس هناك - على الحقيقة - قول ولا جواب ، وإنما ذلك عبارة عن سرعة تكوين السموات والأرض . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(١) ولو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان في هذا الكلام أمر لاهلعدوم ، وخطاب لغير الموجود . وذلك يستحيل من من فعل الحكيم سبحانه .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أنهما جرتا على المراد ، ووقفنا عند الحدود والأقدار ، من غير معاناة طويلة ، ولا مشقة شديدة . فكانت في ذلك جارية تجرى الطائع المميز إذا انقاد إلى ما أمر به ، ووقف عند ما وقف عنده .

وقال بعضهم : معنى قوله سبحانه : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ أى : كونا على ما أريد منكما من لين وشدة ، وسهل وحزونة ، وصعيب وذلول ، ومُبرِّم وسحيل ^(٢) . والكره والشدة بمعنى واحد في اللغة العربية . يقول القائل منهم لغيره : أنا أكره فراقك . أى يصعب على أن أفارقك .

وقال سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾ ^(٣) أى شديد عليكم . ومعنى الطوع ههنا : التشهد ^(٤) والانقياد من غير إبطاء ولا اعتياص . وإنما قال سبحانه : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ لأنه جعل السموات والأرض كلها كالواحدة والأرض جميعا كذلك ، فحسن أن يعبر عنهما بعبارة الاثنين دون عبارة الجميع .

(١) سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

(٢) المبرم : الحيط أو الحبل الذى فتل فلتين ، والسحيل : الحبل الذى فتل فتلا واحدا .

(٣) سورة البقرة . الآية رقم ٢١٦ .

(٤) هكذا بالأصل . ولعلها التسهل .

وأما قوله سبحانه : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فكان وجه الكلام أن يكون طائعتين ، أو طائعات رداً على معنى التأنيث . فالمراد به - والله أعلم - عند بعضهم : قالتا أتينا من فينا من الخلق طائعين . فكان (طائعين) وصفاً للخلق المميزين ، لا وصفاً للسموات والأرض .

وقال بعضهم : لما تضمن الكلام ذكر السموات والأرض في الخطاب لهما ، والكناية عنهما بما مخاطب به أهل التمييز ويكتفى به عن السامعين الناطقين ، أجرى في رد الفعل إليهما مجرى العاقل اللبيب ، والسامع الجيب . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَتْهُم لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) . ولو أجرى اللفظ على حقيقته ، وحل على محبته لقل ساجدات . ولكن المراد بذلك لما كان ما أشرنا إليه حسن ، أن يقال ساجدين ، وطائعين .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا نُمُودُ فَبَدِّينَاهُمْ فَأَسْتَخْبِئُوا لَعْمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [١٧] وهذه استعارة . والمراد بالعمى ههنا ظلام البصيرة ، والتمك في الغواية . فإن ذلك أخف على الإنسان وأشد ملاءمة للطباع ، من تحمل مشاق النظر ، والتلجيج في غمار الفكر .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٢٣] وهذه استعارة . لأن الظن الذي ظنوه على الحقيقة لم يردهم بمعنى يهلكهم . وإنما أهلكهم الله سبحانه جزاء على ما ظنوه به من الظنون السيئة ، ونسبوه إليه من الأفعال القبيحة . فلما كان ذلك الظن سبباً في هلاكهم جاز أن ينسب إليه الهلاك الواقع بهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [٣٩] وهذه استعارة . وقد مضى الكلام على نظيرها في « الحجج » . إلا أن ههنا زيادة ، وهي صفة الأرض بالخشوع ، كما وُصفت هناك بالأسود . واللفظان جميعا يرجعان إلى معنى واحد ، وهو ما يظهر على الأرض من آثار الجذب ، وأعلام المحل ، فتكون كالإنسان الخاشع الذي قد سكنت أطرافه ، وتطأطأ استشرافه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٤١] ، [٤٢] وهذه استعارة . وقد قيل فيها أقوال : منها أن يكون المراد بذلك أن هذا الكتاب العزيز لا يشبهه شيء من الكلام المتقدم له ، ولا يشبهه شيء من الكلام الوارد بعده . فهذا معنى : ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ لأنه لو أشبهه شيء من الكلام المتقدم أو الكلام المتأخر لَبُطِلَ معجزته ، وفُصِمَ حجته . فكان الباطل قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين ، إما من جهة أمامه ، وإما من جهة ورائه . وهذا معنى عجيب .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة ، ولا الحقيقة من جهة المناقضة ، فهو الحق الخالص الذي لا يشوبه شائب ، ولا يلحقه طالب .

وقال بعضهم : معنى ذلك أن الشيطان والإنسان لا يقدران على أن ينتقضا منه حقا ، ولا يزيدا فيه باطلا .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه لا باطل فيه من الإخبار عما كان وما يكون . فكان المراد بقوله سبحانه : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أى من جهة ما أخبر عنه

من الأمور الواقعة . وَيَقُولُ : ﴿ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أى من جهة ما أخبر عنه من الأمور المتوقعة .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها - والله أعلم - صفتهم بالتباعد عن طريق الرشد ، والإعراض عن دعاء الحق . كأنهم من شدة الذهاب بأسماعهم ، والانصراف بقلوبهم يُنَادَوْنَ من مكان بعيد . فالتداه غير مُسمع لهم ، ولا واصل إليهم . ولو سَمِعُوهُ لَضَلَّ عَنْهُمْ فَهْمُهُ ، للصد^(١) المنفرج بينهم وبينه .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أُعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [٥١] وهذه استعارة ، والمراد بها صفة الدعاء بالسَّعة والكثرة ، وليس يراد العرض الذى هو ضد الطول . وذلك أن صفة الشيء بالعرض تفيد فيه معنى الطول ، لأنه لو لم يكن مع العرض طولاً لكان العرض هو الطول . ألا ترى أنهم يصفون الرُّمَحَ بالطول ، ولا يصفونه بالعرض إذ كان طوله أضعاف عرضه . ويصفون الإزار بأنه عريض إذ كان عرضه مقارباً لطوله .

وقد استقصينا شرح ذلك فى كتابنا الكبير ، واقتصرنا منه ههنا على البلغة الكافية ، والنكتة الشافية .

(١) غير واضحة بالأصل ، واعلمها للبعد .

ومن حم عسق

وهي السورة التي يذكر فيها «الشورى»

قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [١٣] وهذه استعارة . والمراد بإقامة الدين إعلان شعاره ، وإعلاء مناره ، والدوام على اعتقاده ، والثبات على العمل بواجباته .

وقد مضى الكلام على نظائر هذه الاستعارة فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والدحوض : الزلوق . فكأنه تعالى قال : حجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ غير ثابتة ، وزائلة غير متماسكة ، كالواطىء الذى تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ، ولا يستمر على الوطاء . وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة . وإذا نُسِبَ الفعل إليها فى الدحوض كان أبلغ فى ضعف سنادها ، ووهاء عمادها . فكأنها هى المبطلة لنفسها من غير مُبْطِلٍ أبطلها ، لظهور أعلام الكذب فيها ، وقيام شواهد التهاافت عليها . وأطلق تعالى اسم الحجة عليها وهى شبهة ، لاعتقاد المُدْلِى بها أنها حجة ، وتسميته لها بذلك فى حال النزاع والمناقلة .

وأىضا فإن المتكلم بها لما أوردها مورد الحجة ، وأسلکها طريقها ، وأقامها مقامها ، جاز أن يطلق عليها اسمها .

وقوله سبحانه : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾
وهذه استعارة . والمراد بحرث الآخرة والدنيا كدح الكادح لثواب الآجلة
وحطام العاجلة ، فهذا من التشبيه العجيب ، والتمثيل المصيب . لأن
الحارث المزدرع إنما يتوقع عاقبة حرثه ، فيجني ثمرة غراسه ، ويفوز بعوائد
ازدراعه .

وقيل معنى : ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ أى نعطيه بالحسنة عشرًا إلى ما شئنا
من الزيادة على ذلك . وَمَنْ عَمِلَ لِلدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ أُعْطِيَ نَصِيبًا مِنَ الدُّنْيَا دُونَ
الْآخِرَةِ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [٢٨] وهذه
استعارة . وليس المراد أن هناك رحمة كانت مطوية فُنشِرَتْ ، وخفية فَاُظْهِرَتْ .
وإنما معنى الرحمة ههنا الغيث المنزل لإحياء الأرض ، وإخراج النبت . ونشره عبارة عن
إظهار النفع به ، وتعريف الخلق عواقب المصالح بموقعه .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ
طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [٤٥] وهذه استعارة . وقد أشرنا إليها فيما تقدم لمعنى جرّ ذكرها .
والمراد بذلك أن نظرهم نظر الخائف الذليل ، والمراب الظنّين . فهو لا ينظر إلا
مُسْتَرِقًا ، ولا يُفْضِي إلا مُشْفِقًا . وهذا معنى قولهم : فلان لا يملأ عينيه من فلان . إذا
وصفوه بعظم الهيبة له ، وشدة الخافة منه . فكأنهم لا ينظرون بمتسعات عيونهم ، وإنما
ينظرون بشقائقها^(١) . مِنْ ذُلِّهِمْ وَخَافَتِهِمْ .

(١) لها جمع شفاقة وهي بقية الشيء .

وقد يجوز أن يكون الطرف ههنا بمعنى العين نفسها . فكأنه تعالى وصفهم بالنظر من عين ضعيفة ، على المعنى الذى أشرنا إليه ، أو يكون الطرف مصدر قولك : طَرَفْتُ ، أَطْرِفُ ، طَرَفًا . إذا لحظت . فيكون المعنى أن لحظهم خفي ، لأن نظرهم اشتراقٌ - كما قلنا أولا - من عظيم الخيفة ، وتوقع العقوبة .



مركز تحقيق كتاب پويز علوم اسلامی

ومن حم

وهي السورة التي يذكر فيها « الزخرف »

قوله سبحانه : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ [٥]
وهذه استعارة . ويقال : ضربتُ عنه وأضربتُ عنه بمعنى واحد .

وسواء قولك ذهبتُ عنه صَفْحًا ، وأعرضتُ عنه صَفْحًا ، وضربتُ وأضربتُ عنه صَفْحًا ، ومعنى صفحاً ههنا أى أعرضتُ عنه بصفحة وجهى .

والمراد - والله أعلم - أَفَنُعرضُ عنكم بالذِّكْرُ ، فيكون الذِّكْرُ مروراً بصفحة عنكم من أجل إسرافكم وبغيتكم . أى لسنا نفعل ذلك ، بل نوالى تذكيركم لتتذكروا ، ونتابع زجركم لتتزجروا . ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بإعراض الصفحة ، كان الكلام محمولا على وصف الذِّكْرُ بذلك على طريق الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ ﴾ [١١] وهذه استعارة . وقد مضى مثلها فيما تقدم ، إلا أن ههنا إبدال لفظة مكان لفظة . لأن ماضى^(١) من نظائر هذه الاستعارة إنما يكونُ يَرْدُ بلفظ إحياء الأرض بعد موتها . وورد ذلك ههنا بلفظ الإنشاز بعد الموت . وهو أبلغ . لأن الإنشاز صفة تختص بها الإعادة بعد الموت ، والإحياء قد يشترك فيه ما يُعاد من الحيوان بعد موته ، وما يُعاد من النبات والأشجار بعد تسليه^(٢) وجفوفه . يقال : قد أحيا الله الشجر .

(١) فى الأصل . (لأن ماضى) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هكذا بالأصل . ولعلها (تلبده) .

كما يقال : قد أحيأ البشر . ولا يقال : أنشأ الله النبات ، كما يقال : أنشأ الأموات .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢٨] وهذه استعارة . لأن الكلام الذى هو الأصوات المقطعة ، والحروف المنظومة ، لا يجوز عليه البقاء . وإنما المراد - والله أعلم - أن إبراهيم عليه السلام جعل الكلمة التى قالها لأبيه وقومه وهى قوله : ﴿ إِنِّى بَرَأٌ لِّمِآءٍ تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [٢٦، ٢٧] باقية فى عقبه ، بأن وصى بها ولده ، وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الأصلاب ، وتناسختهم الأدوار . وهذه الكلمة هى ^(١) كلمة الإخلاص والتوحيد . والله أعلم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [٤٥] وهذا الكلام أيضا داخل فى قبيل الاستعارة . لأن مسألة الرسل الذين درجت قرونها وخلت أزمانهم غير ممكنة ، وإنما المراد - والله أعلم - وأسأل أصحاب من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أو استعلم ما فى كتبهم ، وتعرف حقائق سُننهم . وذلك على مثال : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٢) .

وقال بعضهم : مسألة الرسل ههنا بمعنى المسألة عنهم ، عليهم السلام ، وعمّا أتوا به من شريعة ، وأقاموه من عماد سنة . وقد يأتى فى كلامهم : أسأل كذا . أى اطلبه ، وأسأل عنه .

قال سبحانه : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ^(٣) أى مسئولا عنه .

(١) فى الأصل « وهى » والواو زائدة من الناسخ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء . الآية رقم ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَلْمُؤْمِنَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ^(١) أى سُئِلَ عَنْ قتلها ، وُطِّلَبَ بِدمها . فكأنه تعالى قال لنييه عليه السلام : واسأل عن سنن الأنبياء قبلك ، [و] ^(٢) شرائع الرسل الماضين أمامك ، فإنك لا تجد فيها إطلاقاً لعبادة معبود إلا الله سبحانه . وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .



(١) سورة النكوير . الآيتان ٨ ، ٩ .

(٢) ليست الواو بالأصل ، وقد وضعناها لأن السياق يقتضيها عطفاً على ما قبلها .

ومن حم

وهي السورة التي يذكر فيها «الدخان»

قوله سبحانه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [٤] وهذه استعارة ، وقد مضى الكلام على مثلها في بني إسرائيل . والمراد - والله أعلم - تبين كل أمر حكيم في هذه الليلة ، حتى يصير كفرُك الصبح في بيانه ، أو مفرق الطريق في انضاحه . ومنه قولهم : فرقت الشعر . إذا خلصت بعضه من بعض ، وبيّنت مخططاً وسطه بالمدري^(١) أو بالأصبع .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بالعلو ههنا : الاستكبار على الله سبحانه ، وعلى أوليائه . ويوصف المستكبر في كلامهم بأن يُقال : قد شمخ بأفنه . وهذه الصفة مثل وصفه بالعلو . لأن الشامخ : العالى .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) أى تجبر فيها ، واستكبر على أهلها . وليس يراد بذلك العلو الذى هو الصعود . وإنما يراد به العلو الذى هو الاستكبار والعتو . وضد وصفهم المستكبر بالعلو والتطاؤل وصفهم المتواضع بالخشوع والتضاؤل .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وقد قيل في معناها أقوال : أحدها أن البكاء ههنا بمعنى الحزن ، فكانه

(١) المدري : المشط الذى يدري به الرأس ويمشط .

(٢) سورة القصص . الآية رقم ٤ .

تعالى قال : فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم . وإنما عبر سبحانه عن الحزن بالبكاء لأن البكاء يصدر عن الحزن في أكثر الأحوال . ومن عادة العرب أن يصفوا الدار إذا ظعن عنها سُكَّانَهَا ، وفارقها قُطَّانَهَا بأنها باكية عليهم ، ومتوجعة لهم . على طريق المجاز والاتساع . بمعنى ظهور علامات الخشوع والوحشة عليها ، وانقطاع أسباب النعمة والأنسة عنها .

ووجه آخر وهو أن يكون المعنى : لو كانت السموات والأرض من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ، ولم تتوجعا لهم ، إذ كان الله سبحانه عليهم ساخطا ، ولهم ماقتا .

ووجه آخر ، قيل معنى ذلك : ما بكى عليهم من السموات والأرض ما يبكي على المؤمنين عند وفاته ، من مواضع صلواته ، ومصاعيد أعماله ، على ما ورد الخبر به .^(١)

وفي ذلك وجهان آخران يخرجُ بهما الكلام عن طريق الاستعارة ، فأحدهما أن يكون المعنى : فما بكى عليهم أهل السماء والأرض . ونظائر ذلك في القرآن كثيرة . والآخر أن يكون المعنى أنه لم ينتصر أحدٌ لهم ، ولم يطلب طالب بثأرهم .

ومضى في أشعار العرب : بَكَيْنَا فلانا بأطراف الرماح ، وبمضارب الصفاح . أى طلبنا دمه ، وأدرَكْنَا ثأره .

(١) روى يزيد الرقائى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان : باب ينزل منه رزقه ، وباب يدخل منه كلامه وعمله ، فإذا مات فقداه فبكيا عليه . ثم تلا قوله تعالى (فابكت عليهم السماء والأرض) انظر « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٦ ص ١٤٠ وقال على وابن عباس رضى الله عنهما : إنه يبكي عليه مصلاة من الأرض ، ومصعد عمله من السماء . (نفس المصدر السابق) .

ومن حم

ومن السورة التي يذكر فيها « الجاثية »

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ۖ ﴾ [١٨] وهذه استعارة .
لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود . وإنما سُمِّيَتْ الأديان
شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب ، ومنافع العباد ، تشبيهاً بسرائع المناهل التي
هي مَدْرَجَةٌ إلى الماء ، ووُصِّلَتْ إلى الرِّوَاء .

وقوله سبحانه : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكَم بِالْحَقِّ ۖ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وقد
مضت الإشارة إلى نظيرها فيما تقدم . والمعنى أن الكتاب ناطق من جهة البيان ، كما
يكون الناطق من جهة اللسان . وشهادة الكتاب ببيانه ، أقوى من شهادة الإنسان
بلسانه .

ومن حم

وهي السورة التي يذكر فيها « الأحقاف »

قوله تعالى : ﴿ إِيْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٤] وهذه استعارة على أحد التأويلات . وهو أن يكون معنى : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أى شئ يستخرج من العلم بالكشف والبحث ، والطلب والفحص ، فتشور حقيقته ، وتظهر خبيثته ، كما تُسْتَنَار الأرض بالحافر ، فيخرج نباتها ، وتظهر ثنائليها^(١) . أو كما يُسْتَنَار القنيص من مجامه ، ويُستطلع من مكانه .

وسائر التأويلات في الآية تُخرج الكلام عن حيز الاستعارة . مثل تأولهم ذلك على معنى خاصة^(٢) من عِلْم . أى بقية من علم ، وما يجرى هذا الجرى .
وأنشد أبو عبيدة للرأعي^(٣) في صفة ناقة :

وذات أثارة أكلت عليها نباتا في أكمته قفارا

(١) الثنائيل : جمع ثبيلة وثبالة وهي التراب المستخرج من الحفر .

(٢) الخاصة : البقية من الشئ . انظر « القرطبي » ج ١٦ ص ١٨٢ .

(٣) هو الرأعي التميمي حصين بن معاوية . ولقب بهذا اللقب لأنه كان يصف رأعي الأبل في شعره وكان معاصرا للشاعر جرير في العصر الأموي ودخل معه في مهاجاة لأنه اتهمه باليل إلى الفرزدق . والبيت في « مقاييس اللغة » لأحمد بن فارس ج ١ ص ٥٦ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وقد ورد في المقاييس هكذا :

وذات أثارة أكلت عليها نباتا في أكمته ثؤاما

وقد رواه القرطبي في « الجامع » ج ١٦ ص ١٨٢ كما . رواه الشريف هنا .

أى ذات بقية من شحم رعت عليها هذا النبات المذكور . وقوله قفارا أى خاليا من الناس ، ليس به راعية غيرها ، فهو أهنا لها ، وأزفق بها
وقال صاحب « الغريب »^(١) المصنف « : يقال سَمِنَتِ الناقةُ على أثارة ، أى على سَمَنِ
متقدم قد كان قبل ذلك .



(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اشتغل بالحديث والفقه واللغة والأدب وهو صاحب كتاب « غريب الحديث » وكتاب « غريب المصنف » المشار إليه هنا بالتعريف . وقد اشتغل في تأليفه أربعين عاما . وتوفي سنة ٢٢٣ هـ . وأخباره في « وفيات الأعيان » و « الفهرست » و « طبقات الأدباء » و « تاريخ آداب اللغة العربية » وهناك « الغريب المصنف » أيضا لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، كما في « كشف الظنون » والمقصود هنا كتاب أبي عبيد ، كما في « الحجازات النبوية » المؤلف ص ٢٢٠ .

ومن السورة

التي يذكر فيها « محمد » صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا مِنَّا بِعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [٤] وهذه استعارة . والمراد بالأوزار ههنا الأثقال ، وهي آلة الحرب وعتادها ، من الدروع ، والمغائر ، والرماح ، والمناصل وما يجرى هذا الجرى ، لأن جميع ذلك ثقلٌ على حامله ، وشاقٌّ ^(١) على مستعمله .

وعلى هذا قول الأعشى .
وأعددتُ للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا ^(٢)
ومن نسج داودَ موضونةً تساقُ مع الحمى عيرا فعيلا
والمراد بذلك في الظاهر : الحرب ، وفي المعنى : أهل الحرب ، لأنهم الذين يصحُّ وصفهم بحمل الأثقال ووضعها ، ولبسِ الأسلحة ونزعها .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [٢١] . وهذه استعارة ، لأن العزم لا يوصف بحقيقته إلا الإنسان المميز الذي يوطنُ النفسَ على فعل الأمر قبل وقته ، عقداً بالمشيئة على فعله . فيصح أن يسمّى عازما عليه ،

(١) في الأصل « وساق » بالسين المهملة . وهو تحريف .

(٢) في « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ج ١٦ ص ٢٢٩ ، روى البيهقي هكذا :

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

ومن نسج داودَ يحمي بها على أثر الحمى عيرا فعيلا

وفى الديوان ص ٩٩ ، روى البيهقي كما في رواية الشريف الرضي هنا .

وإنما قال تعالى : ﴿ عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ مجازاً . أى قَوِيَّتِ العزائم على فعله ، فصار كالعازم

في نفسه .

وقال بعضهم : معنى عَزَمَ الأمر ، أى جَدَّ الأمر ، ومنه قول النابغة الذبياني^(١) .

حيالك ود فأنا لا يحلُّ لنا لَمَّ والنساء لأن الدين قد عزمنا

أى استحکم وجَدَّ ، وقوى واشتدَّ .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالًا ﴾ [٢٤] وهذه

استعارة . والمراد : أم قلوبهم كالأبواب المقفلة ، لا تنفتح لو عَظِرَ واعظِرَ ، ولا يلجُ فيها عدل

عاذل . وفي لغة العرب أن يقول القائل إذا وصف نفسه بضيق الصدر ، وتشعب الفكر :

قلبي مُقْفَلٌ ، وصدرى ضيقٌ . وإذا وصفت غيره بضد هذه الصفات : قال انفتح قلبه ،

وانفسح صدره .

وقد يجوز أيضا أن يكون المعنى أن^(٢) يكسب يوم يوم ردى

.

.

(١) انظر القصيدة في شعر النابغة بديوان « فحول الشعراء » المطبوع في بيروت سنة ١٣٥٢ هـ

ص ٩٣ . ومطلع القصيدة :

بانت سعاد وأمسى حبها انجذما واحتلت الشرع فالأجزاء من أضما

(٢) هنا قدر ورقتين ضائعتين من الأصل ، من الآية ٢٤ من سورة محمد إلى الآية ١٥ من سورة ق .

ومن السورة التي يذكر فيها « ق »

[﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾] [١٦] وأراد سبحانه أنه يعلم غيب الإنسان ووساوس إضماره ، ونجى أسرارهِ . فكأنه باستبطانه ذلك منه أقرب إليه من وریده . لأن العالم بخفايا قلبه ، أقرب إليه من عروقه وعصبه .

وليس القرب ههنا من جهة المسافة والمساحة ، ولكن من جهة العلم والإحاطة .
وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [١٩]
وهذه استعارة . والمراد بسكرة الموت ههنا : الكرب الذي يتغشى المحتضر عند الموت ، فيفقد له تمييزه ، ويفارق معه معقوله . فُسبَّه تعالى ذلك بالسكرة من الشراب ، إلا أن تلك السكرة مُنْعَمَة ، وهذه السكرة مؤلِمَة . علوم ربي

وقوله تعالى : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون جاءت بالحق من أمر الآخرة ، حتى عرّفه الإنسان اضطراباً ، ورآه جهاراً . والآخر أن يكون المراد ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ههنا أى بالموت الذي هو الحق .

وقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٢] . وهذه استعارة والمراد بها ما يراه الإنسان عند زوال التكليف عنه من أعلام الساعة ، وأشرط القيامة ، فتزول عنه اعتراضات الشكوك ، ومشتبهات الأمور ، يصدق بما كذب ، ويُقر بما جحد ، ويكون كأنه قد نفذ^(١) بصره بعد وقوف ،

(١) في الأصل « نفذ » بالذال المهملة وهو تحريف قاعش من الناسخ لأنه ليس القصد نقاد البصر وضياعه ، بل القصد نفوذه وحدته .

وأحدٌ بعد كلال ونُبُوٍّ . فهذا معنى قوله سبحانه : ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [٣٠] .
 وهذه استعارة . لأن الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان . وإنما المراد - والله
 أعلم - أنها فيما ظهر من امتلائها ، وبأن من اغتصاصها بأهلها ، بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ،
 ولا سعة عندها . وذلك كقول الشاعر :^(١)

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رؤيداً قد ملأت بطني

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ، ولكن المعنى أن ماظهر من امتلائه في
 تلك الحال جارٍ مجرى القول منه ، فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين ، مقام القول
 المسموع بالأذن .

وقيل : المعنى أنا نقول لخزنة جهنم هذا القول ، ويكون الجواب منهم على حد
 الخطاب . ويكون ذلك من قبيل : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ ﴾^(٢) في إسقاط المضاف وإقامة
 المضاف إليه مقامه . وذلك كقولهم : يا خيل الله اركبي . والمراد يا رجال الله اركبي .

وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقرير لاستخراج
 الجواب بظاهر الحال ، لا على طريق الاستفهام والاستعلام . إذ كان الله سبحانه قد علم
 امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها . وإنما قال سبحانه هذا الكلام ليعلم الخلائق صحة
 وعده ، إذ يقول تعالى : ﴿ لَا مُلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) . والوجه

(١) لم أعتد إلى اسم قائل هذا الرجز . وفي « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٧ ص ١٨ لم ينسبه
 لفائله . بل قال : إنه لشاعر .

(٢) سورة يوسف : الآية رقم ٨٢ .

(٣) سورة هود . الآية رقم ١١٩ .

[في قوله ^(١)] تعالى في الحكاية عن جهنم : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ بمعنى لا من مزيد في .
 وليس ذلك على طريق طلب الزيادة ، وهذا معروف في الكلام . ومثله قوله عليه السلام :
 (وَهَلْ تَرَكَ ^(٢) عَقِيلٌ لَنَا مِنْ دَارٍ ؟) أى ماترك لنا دارا .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
 وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٣٧] وهذه استعارة . وقد مضى نظيرها فيما تقدم . والمعنى أنه بالغ في الإصغاء
 إلى الذكرى ، وأشهدها قلبه ، فساكن كلما تلقى إليها سمعه ، دُنُوًّا من سماعها ، وميلا
 إلى قائلها .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [٣٧] أى عَقْلٌ
 وَلُبٌّ . [و] ^(٣) يعبر عنهما بالقلب ، لأنهما يكونان بالقلب . أو يكون المعنى : لمن كان به
 قلب ينتفع به . لأن من القلوب ما لا يُنتفع به ، إذا كان مائلا إلى الغي ، ومنصرفا
 عن الرشد .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

(١) مطبوعة في الأصل .

(٢) قاله عليه السلام حين فتح مكة . فقد مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول
 الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما ، وقيل : يا رسول الله ! ألا تنزل منزلك من الشعب ؟
 فقال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومنزل لإخوته . والرجال والنساء بمكة . فقيل : يا رسول الله ! فانزل في بعض بيوت مكة في غير
 منازلنا ، فقال : لا أدخل البيوت ! فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا ، وكان يأتي المسجد من الحجون
 لاسكل صلاة . انظر الخبر في « إمتاع الأسماع » للعقري المؤرخ ، ج ١ ص ٣٨١ .

(٣) ليست بالأصل ، والسياق يقتضيها .

ومن السورة التي يذكر فيها « الذاريات »

قوله سبحانه في صفة حجارة القذف : ﴿ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [٣٤] وهذه استعارة . والمسوِّمة : المُعلَّمة . وأصل ذلك مستعمل في تسويم الخيل للحرب . أى تعليمها بعلامات تتميز بها من خيل العدو . شبهت هذه الحجارة بها لأنها مُعلَّمة بعلامات تدلُّ على مكروه المصايين ، وَضَرَّرَ المعاقبين ، كما كانت الخيل المسوِّمة تدلُّ على ذلك في لقاء الأعداء . وإرسال هذه للعراك كإرسال تلك للهلاك .

وقيل : إن التسويم في تلك الحجارة هو أن تجعل نكتة سوداء في الحجر الأبيض ، أو نكتة بيضاء في الحجر الأسود .
وقيل : كان عليها أمثال الطوايع والخواتيم . وقد تكلمنا على نظير هذه الاستعارة في « هود » .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أى خلقها سبحانه كذلك من غير أن يفعلها فاعل ، أو يجعلها جاعِلٌ . فلاجل هذه الحال وَجَبَ أن يجعل لها تعالى هذا الاختصاص بقوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ . وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أنها مسوِّمة في سلطان الله تعالى وَمَلَكوته . وفي موضع العقاب المُعَدُّ للذنبين من خلقه .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [٣٩] وهذه استعارة .

وقد قيل : إن المراد بها أنه أعرض بجنوده الذين هم كالركن له ، والحجارة

دونه . وقد یسمی أعوانُ المرءِ وأنصارُهُ أركانَهُ واعتماده ^(۱) ، إذ كان بهم یصُولُ ،
وإلیهم یوُولُ .

وقیل أيضا معنى ذلك فتوَلَّى ^(۲) وسلطانه ، فإن ذلك كالركن له والممانع منه . ونظيره
قوله سبحانه حاكيا عن لوطٍ عليه السلام : ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ
شَدِيدٍ﴾ ^(۳) أى إلى عزٍّ دافع ، وسلطان قامع .

وقوله سبحانه : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [٤١] وهذه استعارة .
ومعنى العقيم ههنا التى لا تحمل القطار ، ولا تُلقح الأشجار ، ولا تعود بخير ، ولا تنكشف
عن عواقب نفع . فهى كالمرأة التى لا یُرجى ولدها ، ولا ینمى عددها .



مرکز تحقیق کتب ویر علوم اسلامی

(۱) هكذا بالأصل . واعلم . وأعماده . .

(۲) يبايض بالأصل .

(۳) سورة هود . الآية رقم ٨٠ .

ومن السورة التي يذكر فيها « الطور »

قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا ، أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَائِفُونَ ﴾ [٣٢] وهذه استعارة . أى كانوا حكماء عقلاء كما يدَّعون ، فكيف تحملهم أخلامهم وعقولهم على أن يرموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّحَرِ والجنون ، وقد علموا بُعْدَهُ عَنْهُمَا ، ومباينته لهما ؟

وهذا القول منهم سفه^(١) وكذب ، وهاتان الصفتان مُنافيتان لأوصاف الحكماء ، ومذاهب الحكماء .

ومخرجُ قوله سبحانه : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ مخرج التبكيت لهم ، والإِزراء عليهم . ونظير هذا الكلام قوله سبحانه حاكياً عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٢) أى دينك وماجئت به من شريعتك التى فيها الصلوات وغيرها من العبادات ، تَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرِنَا بِتَرْكِ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا^(٣) . وقد مضى الكلام على ذلك فى موضعه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَارَ النُّجُومِ ﴾ [٤٩] وقرئ : ﴿^(٤) وَإِذْبَارَ النُّجُومِ ﴾ بكسر الهمزة . وهذه استعارة على القراءتين جميعاً .

(١) فى الأصل « صفه » بالصاد . وهو تحريف بالغ .

(٢) سورة هود . الآية رقم ٨٧ .

(٣) كرر الناسخ هذه العبارة من قوله : أى دينك لى قوله ما يعبد آبائنا .

(٤) قرأ السبعة : وإذبار بكسر الهمزة على أنها مصدر للفعل أذبر . وقرأ سالم بن أبى الجعد ويعقوب وسلام وأيوب : وأذبار بالفتح . انظر القرطبي ج ١٧ ص ٨٠ .

فمن قرأ بفتح الهمزة كان معناه : وأَعْقَابَ النجوم . أى أواخرها إذا انصرفت .
كما يقال : جاء فلانٌ في أعقاب القوم . أى في أواخرهم . وتلك صفة تخصُّ الحيوان
المتصرف الذى يوصفُ بالجمىء والذَّهاب ، والإقبال والإدبار . ولكنها استعملت في النجوم
على طريق الاتساع . فأما قراءة مَنْ قرأ : ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ بالكسر فعناه قريب
من المعنى الأول . فكأنه سبحانه وصَّفها بالإدبار بعد الإقبال . والمراد بذلك الأفلُ بعد
الطلوع ، والهبوطُ بعد الصعود .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

ومن السورة التي يذكر فيها « النجم »

قوله سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [١١] وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - أن ما اعتقده القلب من صحة ذلك المنظر الذي نظره ، والأمر الذي باشره لم يكن عن تخيل وتوهم ، بل عن يقين وتأمل . فلم يكن بمنزلة الكاذب من طريق تعمد الكذب ، ولا من طريق الشكوك والشبه .

وقوله سبحانه : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [١٧] وهذه استعارة . وهي قريبة المعنى من الاستعارة الأولى . والمراد بذلك - والله أعلم - أن البصر لم يميل عن جهة البصر^(١) إلى غيره ميلا يدخل عليه به الاشتباه ، حتى يشك فيما رآه . ولا طغى ، أى لم يجاوز للبصر ويرتفع عنه ، فيكون مخطئا لإدراكه ، ومتجاوزا لمخاداته .

فكان تلخيص المعنى أن البصر لم يقصر عن المرمى فيقع دونه ، ولم يزد^(٢) عليه فيقع وراءه ، بل وافق موضعه ، ولم يجاوز موقعه . وأصل الطغيان طلب العلو والارتفاع ، من طريق الظلم والعدوان ، وهو في صفة البصر خارج^(٣) على المجاز والاتساع .

(١) في الأصل « البصر » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل « ولم يزد » بالراء المهملة ، وهو تحريف .

(٣) أى سائر على طريق المجاز والاتساع في التعبير .

ومن السورة التي يذكر فيها « انشقاق القمر »

قوله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [١١ ، ١٢] وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - بتفتيح أبواب السماء تسهيل سبيل الأمطار حتى لا يجبسها حابس ، ولا يلفتها لافئ . ومفهوم ذلك إزالة العوائق عن مجارى العيون من السماء ، حتى تصير بمنزلة حبيس فُتح عنه باب ، أو معقول أُطلق عنه عقال . وقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أى اختلط ماء الأمطار المنهمرة ، بماء العيون المتفجرة ، فالتمى ماءهما على ما قدره الله سبحانه ، من غير زيادة ولا نقصان . وهذا من أفصح الكلام ، وأوقع العبارات عن هذه الحال .

وقوله سبحانه : ﴿ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ [٢٥] ولفظ إلقاء الذِّكْر ههنا مستعار : والمراد به أن القرآن لعظم شأنه ، وصعوبة أدائه ، كالعبء الثقيل الذى يشق على من حمَّله ، وألقى عليه ثقله .

وكذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^(١) . وكذلك قول القائل : (ألقيت على فلان سؤالا ، وألقيت عليه حسابا) أى سأله عما يستكد له هاجسه ، ويستعمل به خاطره .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . لأن المرارة لا يوصف بها إلا المذوقات والمتطعمات ، ولكن الساعة لما كانت مكروهة عند مستحق العقاب ، حسن وصفها بما يوصف به الشيء المكروه المذاق . ومن عادة من يُبالي ما يكرهه ، ويرى مالا يحبُّه ، أن يحدث ذلك تهيجاً فى وجهه ، يدل

على نفور جأشه ، وشدة استيحاشه ، فكذلك هؤلاء إذا شاهدوا أماراتِ العذاب ، ونوازلِ العقاب ، ظهرَ في وجوههم ما يُستدل به على فظاعة الحال عندهم ، وبلغ مكروهاها من قلوبهم ، فكانوا كالأثك (١) المضغّة المَقَرّة ، (٢) وذائق السكّاس الصّبرة ، في فرط التقطيب ، وشدة التبيج . وشاهد ذلك قوله سبحانه : ﴿ تَلَفَحَ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٣) .



مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

(١) الأثك : اسم فاعل من لأك يلوك أى مضغ .

(٢) المقرة على وزن فرحة : المرة الطعم يقال : مقر الشيء مقرا إذا صار مرا

(٣) سورة المؤمنون . الآية رقم ١٠٤ .

ومن السورة التي يذكر فيها «الرحمن» سبحانه

قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [٦] وهذه استعارة : والنجم ههنا ما نجم من النبات . أى طلع وظهر . والمراد بسجود النبات والشجر - والله أعلم - ما يظهر عليها من آثار صنعة الصانع الحكيم ، والمقدر العليم ، بالتنقل من حال الإطلاع ، إلى حال الإيناع ، ومن حال الايراق إلى حال الإثمار ، غير ممنعة على المصرف ، ولا آية على المدبر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [٧] ولَفْظُ الميزان ههنا مستعار ، على أحد التأويلين . وهو أن يكون معناه العدل الذى تستقيم ^(١) به الأمور ، ويعتدل عليه الجمهور . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ ^(٢) أى بالعدل فى الأمور .

وروى عن مجاهد ^(٣) أنه قال : القسطاس : العدل بالرومية . ويقال : قسطاس ، وقسطاس . بالضم والكسر ، كقسطاس وقسطاس .

وقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [١٩] ، [٢٠] وهذه استعارة . والمراد بها أنه سبحانه أرسل البحرين طاميين ، وأمازهما مائعين ،

(١) فى الأصل « يستقيم » وهو تحريف .

(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٣٥ .

(٣) هو من المفسرين الأولين للقرآن الكريم ، والمشهور أنه أول من دون فى التفسير ، وتفسيره غير موجود ، ولعل الموجود هو تفسير ابن عباس رواء مجاهد . وذكر ابن عطية فى « مقدمته » أن صدر المفسرين والمؤيد فيهم هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويتلوه عبدالله بن عباس ، ويتلوه مجاهد وسعيد بن جبيرة وغيرهما . ويذكر ابن عطية أن مجاهدا قرأ على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية . وذكر جورج زيدان أن مجاهدا توفى سنة ١٠٤ هـ . انظر « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ١ ص ٢٠٥ ، و« مقدمتان فى علوم القرآن » بتحقيق المستشرق آرثر جفرى ، ونشر مكتبة الخانجي .

وهما يلتقيان بالمقاربة ، لا بالممازجة ، فبينهما حاجز يمنعهما من الانحراف^(١) ويصدُّهما عن الاختلاط .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَبْفِيَانِ ﴾ أى لا يغلب أحدهما على الآخر ، فيقلبه إلى صفته ، إمّا المالح على العذب ، أو العذب على المالح . وكفى تعالى بلفظ البغى عن غلبة أحدهما على صاحبه . لأن الباغى فى الشاهد اسم لمن تغلب من طريق الظلم بالقوة والبسطة ، والتطاول والسطوة .

وقد مضى الكلام على مثل هذه الاستعارة فيما تقدم . إلا أن فيها ههنا زيادة أوجبّت إعادة ذكرها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٢] وهذه استعارة . وقد تقدم الكلام على نظيرها . والمراد : وتبقى ذاتُ ربِّك وحقيقته .

ولو كان الكلام محمولا على ظاهره لكان فاسدا مستحيلا على قولنا وقول المخالفين . لأنه لا أحد يقول من المشبهة والمجسّمة ، الذين يثبتون لله سبحانه أبعاضا مؤلفة^(٢) ، وأعضاء مصرّفة إنّ وجه الله سبحانه يَبْقَى ، وسائرُه يَبْطُلُ وَيَفْنَى . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الدليل على أن المراد بوجه الله ههنا ذاتُ الله قوله سبحانه : ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ألا ترى أنه سبحانه لما قال فى خاتمة هذه السورة : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ قال : ﴿ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٧٨] ولم يقل (ذو) لأن اسم الله غيرُ الله ، ووجهُ

(١) هكذا بالأصل ولعلها الانحراف أو الإغراق .

(٢) فى الأصل « مؤلفة » بواو قبل الصفة . وهى زائدة من الناسخ .

الله هو الله ، وهذا واضح البيان ، وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . وقد كان والدى الطاهر الأوحى ، ذو المناقب ، أبو أحمد الحسين ^(١) ، بن موسى الموسوى ، رضى الله عنه وأرضاه ، سألتنى عن هذه الآية فى عرض كلام جرّ ذكرها ، فأجبتُه فى الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها . وهو أن يكون المراد بذلك : سنعمد لعقابكم ونأخذ فى جزائكم على مساوى أعمالكم ، وأنشدته بيت جرير كاشفا عن حقيقة هذا المعنى . وهو قوله :

الآنَ وقد فرغت إلى غير فهذا حين صرت لها عذابا

فقال : فرغت إلى غير ، كما يقول : عمدت إليها . فأعلمنا أن معنى فرغت ههنا معنى عمدت وقصدت . ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال : فرغت لها ، ولم يقل فرغت إليها . وقال بعضهم : إنما قال سبحانه : ﴿ سَتَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ ولم يقل : سنعمد . لأنه أراد أى سنعمل فعل من يتفرغ للعمل من غير تمجيع ^(٢) فيه ، ولا اشتغال بغيره عنه ، ولأنه لما كان الذى يعمد إلى الشيء ربما قصر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له - فى الغالب - هو المتوفر عليه دون غيره ، دُللنا بذلك على المبالغة فى الوعيد من الجهة التى هى أعرف عندنا ، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ ، وأدلّ الكلام على معنى الإيعاد .

وقال بعضهم : أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ومستعار له ، فالمستعار منه

(١) كان نقيب العلويين فى بغداد . وهو والد الشريفين : الرضى ، والمرضى . وقد تعرض للقبض عليه من قبل عضد الدولة بن بويه سنة ٣٦٩ هـ ثم أطلقه ابنه شرف الدولة بن بويه ، وعزل عن النقابة سنة ٣٨٤ هـ ثم أعيد إليها سنة ٣٩٤ هـ وأضيف إليه الحج والمظالم ، فلم يزل على ذلك إلى أن توفى ضريرا سنة ٤٠٠ هـ فرتاه ولده كما رتاه أبو العلاء المعرى ، ومهيار الديلمي ، وجماعة من الشعراء .

(٢) التمجيع : الممازحة والمماجنة فى العمل وعدم أخذه مأخذ الجد .

أصل ، وهو أقوى . والمستعار له فرع ، وهو أضعف . وهذا مطرد في سائر الاستعارات ، فإذا تقرر ذلك كان قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ من هذا القبيل .

فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال العباد ، والمستعار له مالا يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال الله تعالى . والمعنى الجامع لهما الوعيد ، إلا أن الوعيد بقول^(١) القائل : سأفزع لعقوبتك ، أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك . من قبل أنه كأنما قال : سأعجز لعاقبتك ، كأنه يريد استفراغ قوته في العقوبة له .

ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب ، لأن معناه أسبق إلى النفس ، وأظهر للعقل ، والمراد به تغليظ الوعيد ، والمبالغة في التحذير . ومثل ذلك قوله تعالى في المدثر ، عليه الصلاة والسلام ، : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾^(٢) فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه المنع ، وهو أفعال العباد ، والمستعار له مالا يجوز فيه المنع ، وهو أفعال القديم سبحانه كما قلنا أولا . والمعنى الجامع لهما التخويف والتهديد .

والتهديد بقول القائل : ذرنى وفلاناً - إذا أراد المبالغة في وعيده - أقوى من قوله : خوَّف فلانا من عقوبتى ، وحذَّرهُ من سطوتى . وهذا بين بحمد الله تعالى .

وقد يجوز أن يكون لذلك وجه آخر ، وهو أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ أى سَنَفْرُغُ لَكُمْ ملائكتنا الموكلين بالعذاب ، والمعدنين لعقاب أهل النار . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٣) أى جاء ملائكة ربك . ويكون تقدير الكلام : وجاء ملائكة ربك وهم صفًّا صفًّا . كما تقول : أقبل القوم وهم

(١) في الأصل « يقول » على أنها فعل مضارع . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة المدثر . الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الفجر . الآية رقم ٢٢ .

زَحْفًا زَحْفًا. والمَلَكُ ههنا لفظ الجنس ، وإنما أعيد ذكر الملك ليُدل على المحذوف الذي هو اسم الملائكة ، لأنه ما كان يسوعُ أن يقول : وجاء ربك وهم صفاً صفاً ، ويريد الملائكة على التقدير الذي قدرناه ، لأن الكلام كان يكون مُلبساً ، والنظام مختلفاً مضطرباً .

وقد يجوز أيضاً أن يكون المعنى : وجاء أمر ربك ، وَالْمَلَكُ صفاً صفاً . كلا القولين جائز .

وقرأنا^(١) حمزة والكسائي : سيفرغ لكم ، بالياء وفتحها ، وقرأنا^(٢) : سيفرغ لكم بالنون كقراءة السبعة .



مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) هكذا في الأصل ، ولعلها « وقرأ حمزة والكسائي » كما في القرطبي ج ١٧ ص ١٦٩ .

(٢) ليس قوله « وقرأنا » واضحاً لأن هذه قراءة ابن شهاب والأعرج ، كما في « الجامع لأحكام القرآن » .

ومن السورة التي يذكر فيها « الواقعة »

قوله ^(١) تعالى : ﴿ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [٢] وهذه استعارة . والمراد أنها إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ، ولم تعدل عن طريقها ، كما يقولون : قد صدق فلان الحملة ^(٢) ولم يكذب . أى ولم يرجع على عقبه ، ويقف عن وجهة عزمه جُبْنًا وضعفًا ، أو وجلًا وخوفًا .

وكاذبة ههنا مصدرٌ ، كقولك : عافاه الله عافية ، فيكون كَذَبَ كَذْبًا وكَاذِبَةٌ . [و] ^(٣) تلخيص المعنى : ليس لَوْفَعَتِهَا كَذِب ولا خُلِفَ . وقيل أيضا : ليس ^(٤) لها قضية كاذبة ، لإخبار الله سبحانه بها ، وقيام الدلائل عليها ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه .. وذلك في كلامهم أظهر من أن يُتَعَاطَى بيانه .

وقيل أيضا : ليس لها نفس كاذبة في الخبر ^(٥) عنها ، والإعلام بوقوعها .

والمعنيان واحد .

(١) في الأصل « وقوله » بواو قبل الكلمة وهي زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل « الجملة » بالجم الماعجمة ، وهو تحريف من الناسخ .

(٣) ليست هذه الواو بالأصل وهي ضرورية .

(٤) مطموسة بالأصل وهي مفهومة من السياق .

(٥) في الأصل « الخبر » بالياء المثناة التحتية . وهي تحريف .

ومن السورة التي يذكر فيها « الحديد »

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣] .

وهذه استعارة عليه سبحانه ، كما قلنا لذلك على غيره ، لأنه سبحانه لا يأتي بالكلام للمستعار والمجاز عليه - كما قلنا في أول هذا الكتاب - ولكن لأن ذلك اللفظ أبعد في البلاغة منزعا ، وأبهر في الفصاحة مطلقا .

والواحد منّا - في الأكثر - إنما يستعير أغلاق الكلام ، ويعديل عن الحقائق إلى المجازات ، لأن طُرُق القول ربما ضاق بعضها عليه فخالف إلى (١) بقية الكلام ، وربما استعصى بعضها على فكره فعدّل إلى المطاوعة .

معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾ أي الذي لم يزل قبل الأشياء كلها ، لاعتناء انتهاء مدة ، ﴿ وَالْآخِرُ ﴾ أي الذي لا يزال بعد الأشياء كلها ، لا إلى انتهاء غاية .
﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ المتجلى للعقول بأدلته ، ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ أي الذي لا تدركه (٢) أبصار برئته .

وقال بعضهم : قد يجوز أن يكون معنى الظاهر ههنا أي العالم بالأشياء كلها . من قولهم : ظهرت على أمر فلان أي علمته . ويكون الظاهر مخصوصا بما كان في الوجود والجهر ، ويكون الباطن مخصوصا بما كان في العدم والسر (٣) .

(١) هنا لفظة غير واضحة .

(٢) في الأصل (لا يدركه) .

(٣) في الأصل « والسر » وهو تحريف .

وتلخيص معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهرَ وما بطنَ ، وما استَسَرَّ وما علَنَ .
 وقوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٠] وهذه استعارة على
 ما تقدم في كلامنا من نظير ذلك . والمعنى أن الخلائق إذا فَنُوا وانقرضوا خَلُّوا ما كانوا
 يسكنونه ، وزالت أيديهم عما كانوا يملكونه ^(١) إلا الله سبحانه ، وصار تعالى
 كأنه قد ورث عنهم ما تركوه ^(١) خلفوه . لأنه الباقي بعد فناءهم ، والدائم بعد
 انقضاءهم .

وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [١٢] وهذه استعارة على أحد التأويلين ^(٢)

وقوله سبحانه : ﴿ مَاوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [١٥] وهذه
 استعارة . ومعنى مولاكم : أى أُمْلِكُ بكم ، وأولى بأخذكم . وهذا بمعنى المولى ^(٣) من
 طريق الرق ، لا المولى من جهة العتق . فكان النار - نعوذ بالله منها - تملكهم رِقًا ،
 ولا تحررهم عتقا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ أَلْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة .

ومعنى بيد الله ، أى فى مِلْكِ الله وقدرته ، يَسُطُّهُ إذا شاء على حَسَبِ المصالح
 والمفاسد ، والمغاوى والمراشيد . وقد مضى الكلام على نظائرها .

(١) هنا ألفاظ ممحوة .

(٢) هنا بضعة أسطر مبتورة الأطراف غير واضحة المعالم .

(٣) فى الأصل « بمعنى أولى » وهو تحريف واضح .

ومن السورة التي يذكر فيها « المجادلة »

قوله سبحانه : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [٧] وظاهر هذا الكلام محمول على المجاز والانتساع ، لأن المراد به إحاطته تعالى بعلم نجوى المتناجين ، ومعارضة المتخافتين ، فكأنه سبحانه يعلم جميع ذلك ، سامع للحوار ، وشاهد للسّرار . ولو حُل هذا الكلام على ظاهره لتناقض . ألا ترى أنه تعالى لو كان رابعا لثلاثة في مكان على معنى قول المخالفين ، استحال أن يكون سادسا لخمس في غير ذلك المكان إلا بعد أن يفارق المكان الأول ، وبصير إلى المكان الثاني ، فينتقل كما تنتقل الأجسام ، ويحوز عليه الزوال واللقام . وهذا واضح بحمد الله وتوفيقه .

وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ [١٢] وهذه استعارة . وقد مضت لها نظائر كثيرة . والمراد بقوله تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ ﴾ أى أمام نجواكم ، وذلك كقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(١) أى مطرقة أمام الغيث الوارد ، ومبشرة بالخير الوافد .

وقوله سبحانه : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والكلام وارد في شأن المنافقين .

والمراد أنهم جعلوا إظهار الإيمان الذين ^(٢) يبطنون ضده جنة يعتصمون بها ويستلثمون ^(٣)

(١) سورة الأعراف . الآية رقم ٥٦ .

(٢) هكذا بالأصل . والصواب : الذى

(٣) بالأصل : يستلمون ، وهو تحريف ويستلثم : أى يلبس الدرع

فيها ، تعوذاً بظاهر الإسلام الذي يسعُ مَنْ دخل فيه ، ويعيدُ^(١) من تعوّد به .

وقوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٢١]
وهذه استعارة . والمراد بالكتابة ههنا الحكم والقضاء . وإنما كُتِبَ تعالى عن ذلك
بالكتابة ، مبالغةً في وصف ذلك الحكم بالثبات ، وأنَّ بقاءه كبقاء المكتوبات .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [٢٢]
وفي هذا الكلام استعارتان ، إحداها قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾
ومعناه أنه ثبتته في قلوبهم ، وقرّره في ضمائرهم ، فصار كالكتابة الباقية ، والرقوم
الناطقة ، على ما أشرنا إليه من الكلام على الاستعارة المتقدمة . وذلك كقول القائل : هو
أبقى من النقش في الحجر ، ومن النقش في الزبر .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ . ولذلك وجهان : إمّا
أن يكون المراد بالروح ههنا القرآن ، لأنه حياة في الأبدان ، كما أن الروح حياة في أمر
الأبدان . وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾^(٢) والمراد القرآن .
والوجه الآخر أن يكون الروح ههنا معنى النصر والغلبة والإظهار للدولة . وقد يُعبّر
عن ذلك بالريح . والروحُ والريحُ يرجعان إلى معنى واحد . وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾^(٣) أي دولتكم واستظهاركم .

(١) في الأصل « ويعيد » بالمدال المهملة ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦ .

ومن السورة التي يذكر فيها « الحشر »

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [٩] الآية . وهذه استعارة لأن تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ، ولا يصح حمل ذلك على حقيقة في الإيمان . فلا بُدَّ إذن من حمله على المجاز والاتساع .

فيكون المعنى أنهم استقروا في الإيمان كاستقرارهم في الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ، ولباب الفصاحة . وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقا . ألا ترى كم بين قولنا : استقرروا في الإيمان ، وبين قولنا : تبوءوا الإيمان .

وأنا أقول أبدا إن الألفاظ خدَمُ للمعاني ، لأنها تعمل في تحسين معارضها ، وتنميق مطالعها .

وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [٢١] وهذا القول على سبيل المجاز . والمعنى أن الجبل لو كان مما يعي القرآن ويعرف البيان ، لخشع في^(١) سماعه ، ولتصدع من عظم شأنه ، على غلظ أجرامه ، وخشونة أكنافه . فالإنسان أحقُّ بذلك منه ، إذ كان واعيا لقوارعه ، وعالما بصوادعه .

(١) كذا بالأصل . واملأها « من » .

ومن السورة التي يذكر فيها « الامتحان »^(١)

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [١] وهذه استعارة على أحد التأويلين ، وهو أن يكون المعنى : تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ لِيَتَمَسَّكُوا^(٢) بها منكم . كما يقول القائل : أَلْقَيْتُ إِلَى فَلَانٍ بِالْحَبْلِ لِيَتَعَلَّقَ بِهِ ، وسواء قال : أَلْقَيْتُ بِالْحَبْلِ ، أو أَلْقَيْتُ الْحَبْلَ . وكذلك لو قال : أَلْقَيْتُ إِلَى فَلَانٍ بِالْمَوَدَّةِ ، أو أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ الْمَوَدَّةَ . وكذلك قولهم : رَمَيْتُ إِلَيْهِ بِمَا فِي نَفْسِي ، وما فِي نَفْسِي ، بمعنى واحد . وقال الكسائي : تقول العرب : أَلْقَيْتُ مِنْ يَدِكَ وَأَلْقَى بِهِ مِنْ يَدِكَ ، واطْرَحَهُ مِنْ يَدِكَ ، واطْرَحَ بِهِ مِنْ يَدِكَ ، كلام عربي صحيح . وقد قيل : إن في الكلام مفعولا محذوفا ، فكأنه تعالى قال : تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَوَدَّةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ . وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين ، كانوا يَخَالُفُونَ قَوْمًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، فَيَسْتَعْتُونَهِمْ أَسْرَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، استزلالا لهم ، واستغمارا لعقولهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالشُّوءِ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن بَسَطَ الْأَلْسُنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَتَأَنَّى كَمَا يَتَأَنَّى بَسَطَ الْأَيْدِي ، وإنما المراد إظهار الكلام السيئ فيهم بعد زَمِّ الْأَلْسُنِ عَنْهُمْ ، فيكون الكلام كالشيء الذي بَسَطَ بَعْدَ انطوائه ، وأظهر بَعْدَ إخفائه .

وقد يجوز أيضا أن يكون تعالى إنما حَمَلَ بَسَطَ الْأَلْسُنَ عَلَى بَسَطِ الْأَيْدِي ، ليتوافق الكلام ، ويتزاوج النظام ، لأن الْأَيْدِيَ وَالْأَلْسُنَ مشتركة في المعنى المشار إليه ، فالأيدى الأفعالُ والألسن الأقوال . وتلك ضررها بالإيقاع ، وهذه ضررها بالسماع .

(١) هي سورة المتحنة .

(٢) في الأصل « لِيَتَمَسَّكُوا » وهو تحريف من التماسك .

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [١٠] وقرأ أبو عمرو وحده ﴿تُمْسِكُوا﴾ بالنشديد، وقرأ بقية السبعة ﴿تُمْسِكُوا﴾ بالتخفيف. وهذه استعارة. والمراد بها: لا تقيموا على نكاح المشركات، وخلاط الكافرات، فكفى سبحانه عن العلائق التي بين النساء والأزواج بالعصم، وهي ههنا بمعنى الحبال، لأنها تصل بعضهم ببعض، وتربط بعضهم إلى بعض. وإنما سميت الحبال عصما، لأنها تعصم المتعلقة بها والمستمسك بقوتها. وقال الشاعر:

* وأخذ من كل حيّ عصم *

أي حبالا. وهي بمعنى العهد في هذا الشعر.

وقال أبو عبيدة: العِصْمة: الحبل والسبب. وقال غيره: العِصْمُ: العقد. فكأنه تعالى قال: وَلَا تُمْسِكُوا بعقد الكوافر، أي بعقد نكاحهن. وأبو حنيفة يستشهد بهذه الآية على أنه لا عِدَّة في الحرّية إذا خرجت إلى دار الإسلام مُسْلِمَةً، وبانت من زوجها بتخليقها له في دار الحرب كافرا: ويقول إن في الاعتداد منه تُمْسُكا بعصمة الكافر التي وقع النهي عن التمسك بها. ويذهب أن الكوافر ههنا جمع فرقة كافرة، كما أن الخوارج جمع فرقة خارجة. ليصحّ حمل الكوافر على الذكور والإناث.

ويكون قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. والمعنى: ولا تأمروا النساء بالاعتداد من الكفار، فتكونوا كأنكم قد أمرتموهن بالتمسك بعصمهم. وقال أبو يوسف^(١) ومحمد^(٢) يجب عليها العدة.

(١) أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة العماني، تولى القضاء ببغداد في أيام لأحمد بن محمد والهادي والرشيد؛ وهو أول من ألبس القاضي القضاة في الإسلام، وأول من وضع الكتب في الفقه الحنفي. توفي سنة ١٨٢ هـ.

(٢) محمد هو محمد بن الحسين بن واقد الشيباني، كان إماما في الفقه والأصول، وهو صاحب أبي حنيفة وناشر علمه ومذهبه. تولى القضاء في زمن الرشيد، ثم صجبه إلى خراسان فأت في الري سنة ١٨٩ هـ.

ومن السورة التي يذكر فيها «الصف»

قوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [٥] وهذه استعارة . وكنا أغفلنا الكلام على نظيرها في آل عمران . وهو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (١) لأن ذلك أدخل في باب الكلام على الآي المتشابهة ، وأبعد من الكلام على الألفاظ المستعارة . إلا أننا رأينا الإشارة إلى هذا المعنى ههنا ، لأنه مما يجوز أن يجرى في مضمار كتابنا هذا ، فنقول :

إن المراد بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أي لا تحمّلنا من التكليف مالا طاقة لنا به ، فتزيغ قلوبنا ، أي تميل عن طاعتك ، وتعديل عن طريق مرّضاتك ، فتصادفها زائغة ، أو يحكم عليها الزيّغ عند كونها زائغة .

وقد يجوز أن يكون المراد بذلك : أي أديم لنا الطّافك وعصمك لتدوم قلوبنا على الاستقامة ، ولا تزيغ (٢) عن مناهج الطاعة . وحسن أن يقال : لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بمعنى الرغبة في إدامة اللطاف ، لما كان إعدام تلك اللطاف في الأكثر يكون عنه زيغ القلوب ، ومواقعة الذنوب .

وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

وأما قوله تعالى في هذه السورة : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ فهو أوضح فيما يذهب إليه من الأول ، لأنه سبحانه لما زاغوا عن الحق حكّم عليهم بالزيغ عنه ، وحكّمه

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٨ .

(٢) في الأصل « ولا تزيغ » وهو تحريف إذ لا محل لجزم الفعل هنا .

بذلك أن يأمر أوليائه بدمهم ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذمهم فعلهم . وقد يجوز أن يكون معنى ذلك أنهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وأبعدهم وخلّاهم واختيارهم ، وأضاف سبحانه الفعل إلى نفسه على طريق الاتساع ، لما كان وقوع الزيف منهم مقابلاً لأمره لهم باتباع الحق ، وسلوك الطريق النهج . كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾^(١) أى وَقَعَ نسيانكم لذكركى ، فى مقابلة أمر أولئك العباد الصالحين لكم بأن تتركوا الطريق الأسلم ، وتتبعوا الدين الأقوم .

ومن السورة التى يذكر فيها « الجمعة »

قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [٧] وهذه استعارة . والمراد : ولا يتمنون الموت أبدا خوفا مما فرط منهم من الأعمال السيئة ، والقبائح المجترحة . ونسب تعالى تلك الأفعال إلى الأيدي لغلبة الأيدي على الأعمال ، وإن كان فيها ما يعمل بالقلب واللسان .

ومن السورة التى يذكر فيها « المنافقون »

قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَسِ كِنُ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٧] وهذه استعارة . والمراد بخزائن السموات والأرض مواضع أرزاق العباد ، من مدار السحاب ، ومخارج الأعشاب ، وما يجرى تجرى ذلك من الأرفاق . وقال بعضهم : المراد بالخزائن ههنا مقدورات الله سبحانه ، لأن فيها كل ما يشاء .

إخراجه ، من مصاح العباد ، ومنافع البلاد . وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

ومن السورة التي يذكر فيها « التغابن »

قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [٨] وهذه استعارة . والمراد بالنور ههنا القرآن . وإنما سُمِّيَ نورا لأن به يُهتدى في ظلم الكفر والضلال ، كما يُهتدى بالنور الساطع ، والشهاب اللامع . وضياء القرآن أشرف من ضياء الأنوار ، لأن القرآن يعشوا إليه القلب ، والنور يعشوا إليه الطرف .

وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [٩] فذكر التغابن ههنا مجاز ، والمراد به - والله أعلم - تشبيه المؤمنين والكافرين بالمتعاقدين والمتبايعين ، فكان المؤمنين ابتاعوا دار الثواب ، وكان الكافرين اعتاضوا منها دار العقاب ، فتفاوتوا في الصفة ، وتغابنوا في البيعة ، فكان الريح مع المؤمنين ، والخسران مع الكافرين .

ويشبه ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(١) ﴾ الآية .

وليس في السورة التي يذكر فيها « الطلاق » ^(٢) شيء من الغرض الذي نقصده في هذا الكتاب .

(١) سورة الصف . الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) يرى المؤلف رضى الله عنه أن سورة الطلاق ليس فيها شيء من مجازات القرآن .

ومن السورة التي يذكر فيها «التحریم»

قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [٤] وهذه استعارة .
ومعنى صَفَتْ قُلُوبُكُمَا : أى مالت وانحرفت .

قال النضر بن ^(١) شميل : يقال قد صفوتُ إليه وصفيت ، وصفيت ، وأصفيت إليه ، وهو الكلام . ولم تمل قلوبهما على الحقيقة ، وإنما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة في طاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فحسُن أن يوصف بميل القلبين من هذا الوجه . وذلك كقول القائل : قد مال إلى فلان قلبي . إذا أحبه . وقد نفر عن فلان قلبي . إذا أبغضه . والقلب في الأمرين جميعا بحاله ، لم يخرج عن نياطه ، ولم يُزَلَّ عن مناطه .

وإنما قال سبحانه : قُلُوبُكُمَا ، والخطاب مع امرأتين ، لأن كل شيئين من شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع في عادة العرب . قال الراجز ^(٢) .

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة التميمي المازني وكان عالما بأيام العرب ورواية الحديث واللغة . اتصل بالخليفة المأمون العباسي فأكرمه وثرمه إليه . توفي بمرو سنة ٢٠٣ هـ .
(٢) لم يذكر الفرطبي اسم هذا الراجز . وقد نسبته محقق « الجامع لأحكام القرآن » للشاعر الخطاط المجاشعي ونبه على ذلك في هامش الجزء الخامس ص ٧٣ . ولم يذكر ابن مطرف السكتاني في « القرطبي » اسم الشاعر واكتفى بقوله : أشدني بعضهم ، وكذلك فعل العلامة محب الدين في « شرح شواهد الكشاف » ص ٣١٨ .

والخطاط اسمه بشر — كما كتب ذلك بخطه عبد القادر البغدادي ، على هامش « المؤلفات والمختلفات » للآدمي ص ١١٢ — وهو شاعر إسلامي شتهر بالرجز .
والقذف (بفتحين وبضمين) : البعيد من الأرض . والمرث (بفتح الميم وسكون الراء) : الأرض لا ماء فيها ولا نبات . والظفر : ما ارتفع من الأرض .

وَمَهْمَهَيْنِ قَدْ فِينِ مَرَّتَيْنِ ظَهَرَا مِثْلَ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ
وقال الله سبحانه في موضع آخر: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(١) وإنما
أزاد سبحانه قَطَعَ يمين السارق ، ويمين السارقة . وذلك مشهور في اللغة .

وقوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [٨] وهذه
استعارة . لأن نصوحا من أسماء المبالغة . يقال : رجل نصوحٌ . إذا كان كثير النصح لمن
يستنصحه . وذلك غير متأت في صفة التوبة على الحقيقة . فنقول : إن المراد بذلك -
والله أعلم - أن التوبة لما كانت بالغة غاية الاجتهاد في تلافى ذلك الذنب^(٢) ، كانت
كأنها بالغة غاية الاجتهاد في نصح صاحبها ، ودلالته على طريق النجاة بها . فحسن أن
تسمى « نصوحا » من هذا الوجه .

وقال بعضهم : النصوح : هي التوبة التي يُنصَح الإنسان فيها نفسه ، ويبذل مجهوده
في إخلاص الندم ، والعزم على ترك معاودة الذنب . وقرأ أبو بكر بن عياش^(٣) عن
عاصم^(٤) : ﴿نُصُوحًا﴾ بضم النون . على المصدر . وقرأ بقية السبعة ﴿نَصُوحًا﴾ بفتح النون
على صفة التوبة .

(١) سورة المائدة . الآية رقم ٣٨ .

(٢) في الأصل « المذنب » وهو تحريف .

(٣) أبو بكر بن عياش . واسمه شعبة هو إمام في اللغة والقراءات ، وكان راوى عاصم وإماما من
أئمة السنة توفي سنة ١٩٣ هـ . له ترجمة موجزة في « الأعلام » ، و « الذريعة » ، و « القراءات والاهجات »
لعبد الوهاب حمودة ، و « فهرست » لابن النديم .

(٤) هو عاصم بن أبي النجود السكوني الأسدي أحد القراء السبعة ، كان ثقة في القراءات . وله
اشتغال بحديث رسول الله . توفي سنة ١٢٧ هـ وقد روى عنه أبو بكر بن عياش . وله ترجمة في « تهذيب
التهذيب » و « الوفيات » و « الأعلام » المزركلى ، و « القراءات والاهجات » لعبد الوهاب حمودة .

وقوله سبحانه : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [١٠] وهذه استعارة . لأن وصف المرأة بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والتحت ، وإنما المراد أن منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل ، لقيامه عليها ، وغلبته على أمرها . كما قال سبحانه : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ ^(١) . وكما يقول القائل : فلان الجندى تحت يدى فلان الأمير . إذا كان من شحنة عمله ، أو متصرفا على أمره . وكما يقول الآخر : لا آخذ رزقي من تحت يدى فلان . إذا كان هو الذى يلى إطلاق رزقه ، وتوفية مستحقه . وذلك مشهور فى كلامهم .

ومن السورة التى يذكر فيها « الملك »

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] وهذه استعارة . وقد مضت لها نظائرها فيما تقدم . والمراد بذكر اليد ههنا استيلاء الملك وتدير الأمر . يقال : هذه الدار فى يد فلان أى فى ملكه . وهذا الأمر فى يد فلان أى هو المدبّر له .

فمعنى ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ أى هو مالك الملك ، ومدبّر الأمر .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [٤] وهذه من الاستعارات المشهورة . والمراد بها - والله أعلم - أى كرّر أيتها الناظر

بَصَرَكَ إِلَى السَّمَاءِ مَفْكِرًا فِي عَجَائِبِهَا ، وَمُسْتَنْبِطًا غَوَامِضَ تَرْكِيبِهَا ، يَرْجِعُ إِلَيْكَ بِصَرَكَ بَعِيدًا مِمَّا طَلِبَهُ ، ذَلِيلًا ^(١) بِفَوْتٍ مَاقْدَرَهُ .

وَالْخَاسِيُّ فِي قَوْلِ قَوْمٍ : الْبَعِيدُ . مِنْ قَوْلِهِمْ : خَسَاتِ الْكَلْبِ . إِذَا أَبْعَدْتَهُ . وَفِي قَوْلِ قَوْمٍ : هُوَ الذَّلِيلُ ^(٢) . يُقَالُ رَجُلٌ خَاسٍ أَيْ ذَلِيلٌ ، وَقَدْ خَسِيَ أَيْ خَضَعَ وَذَلَّ . وَالْخَسِيرُ : الْبَعِيرُ الْمُعَيَّ ، الَّذِي قَدْ بَلَغَ السَّيْرَ مَجْهُودَهُ ، وَاعْتَصَرَ عَوْدَهُ . فَتُلْخِصُ الْمَعْنَى أَنَّ الْبَصَرَ يَرْجِعُ بَعْدَ سُرُوحِهِ فِي طَلَبِ مَرَادِهِ ، وَإِعَادِهِ فِي غَايَاتِ مَرَامِهِ ، كَأَلَّا مُعَيَّ ^(٣) ، بَعِيدًا مِنْ إِدْرَاكَ بُغْيَتِهِ ، خَائِبًا مِنْ نَيْلِ طَلِبَتِهِ

وقوله سبحانه في صفة نار جهنم نعوذ بالله منها : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [٨،٧] الآية .

وفي هذا الكلام استعارتان . إحداهما قوله تعالى : ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ والشهيق : الصوت الخارج من الخوف عند تضيق القلب من الحزن الشديد ، والكمد الطويل . وهو صوت مكروه السماع . فسكأنه سبحانه ووصف النار بأن لها أصواتًا مقطعة تهول من سمعها ، ويصعق من قرب منها .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ من قولهم : تغيظت القِدْرُ . إذا اشتد غليانها ، ثم صارت الصفة به مخصوصة بالإنسان المغضب . فسكأنه سبحانه ووصف النار - نعوذ بالله منها - بصفة المغيظ الغضبان ، الذي من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالغ في الانتقام ، ويتجاوز الغايات في الإيقاع والإيلام .

وقد جرت عادتهم في صفة الإنسان الشديد الغيظ بأن يقولوا : يكاد فلان يتميز غيظًا .

(١) في الأصل « ذليلاً » بالذال المهملة وهو تحريف من التناسخ .

(٢) في الأصل « الدليل » بالذال المهملة ، وهو تحريف .

(٣) السكال : هو الذي أدركه السكلان . والمعني : هو الذي أدركه الإعياء .

أى تكاد أعصابه المتلاحمة تنزائل ، وأخلاطه المتجاورة تتنافى وتتباعد ، من شدة احتياج غيظه ، واحتدام طبعه . فأجرى سبحانه هذه الصفة - التى هى أبلغ صفات الغضبان - على نار جهنم لما وصفها بالغليظ ، ليكون التمثيل فى أقصى منازلها ، وأعلى مراتبها .

وقوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [١٥] وهذه استعارة . لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب . يقال : بعيرٌ ذلول . وفرسٌ ذلول . إذا أمكن من ظهره ، وتصرف على مراده راكبه .

وضد ذلك وصفهم للمركوب المانع ظهره ، والممتنع على راكبه بالصعب والمصعب .

والمعنى : أنه سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول ، ممكنة من الاستقرار عليها ، والتصرف فيها ، طائعة غير مانعة ، ومدعنة غير مدافعة .

والمراد بقوله تعالى : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أى فى ظهورها وأعاليها ، وأعلى كل شيء منكب له .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه سبحانه لما أصابنا فى بعض الأحيان بالرجفات والزلازل التى لا قرار معها على وجه الأرض ، ونخلق الجبال الخشن الملامس ، الصعبة المسالك لتكون للأرض ثقلاً ، وللخلق معقلاً ، أعلمنا سبحانه أنه لولا ما أنعم به علينا من تسكين الأرض وتوطئتها ، ونفى الحزونة^(١) والوعوث عن أكرها حتى أمكنت من التصرف على ظهرها ، لما كان عليها مثبت قدم ، ولا مسرح نعيم . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

(١) الحزونة : غلظ الأرض ، والوعوث : صعوبة الطريق وتعسر السلوك فيه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٢٢] وهذه استعارة ، والمراد بها صفة مَنْ يَحْبِطُ فِي الضَّلَالِ ، وَيَنْحَرِفُ عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ . لَأَنَّهُمْ يَصِفُونَ مَنْ تَلَّكَ حَالُهُ بِأَنَّهُ مَاشٍ عَلَى وَجْهِهِ . فيقولون : فلان يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ .
وإنما شَبَّهَهُ بِالْمَاشِي عَلَى وَجْهِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِمَوَاقِعِ بَصَرِهِ ، إِذَا كَانَ الْبَصَرُ فِي الْوَجْهِ .
وَإِذَا كَانَ الْوَجْهُ مَكْبُوبًا عَلَى الْأَرْضِ كَانَ الْإِنْسَانُ كَالْأَعْمَى الَّذِي لَا يَسْلُكُ جَدًّا ، وَلَا يَقْصِدُ سَدًّا .

ومن الدليل على أن قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ﴾ من الكنايات عن عَمَى الْبَصَرِ ، قوله تعالى في مقابلة ذلك : ﴿ أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ لِأَنَّ السَّوْيَّ ضِدُّ الْمُنْقُوصِ فِي خَلْقِهِ ، وَالْمُبْتَلَى فِي بَعْضِ كِرَامَتِهِ جَسَمِهِ .

ومن السورة التي يذكر فيها « ن والقلم »

قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٤٢] وهذه استعارة . والمراد بها الكناية عن هَوْلِ الْأَمْرِ وَشِدَّتِهِ ، وَعَظَمِ الْخُطْبِ وَفُظَاظَتِهِ . لِأَنَّ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ أَنْ يَشْمُرُوا عَنْ سُوقِهِمْ عِنْدَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ ، الَّتِي يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الْمَعَارَكَةِ ، وَيُفْزَعُ عِنْدَهَا إِلَى الدِّفَاعِ وَالْمَمَانَعَةِ . فَيَكُونُ تَشْمِيرُ الذُّيُولِ عِنْدَ ذَلِكَ أَمْكَنَ لِلْقِرَاعِ ، وَأَصْدَقَ لِلْمِصَاعِ .

وقد جاء في أشعارهم ذكر ذلك في غير موضع . قال قيس ^(١) بن زهير بن جذيمة

الغنبي :

(١) قيس بن زهير هو صاحب الفرسين : داحس والغبراء وبسببهما قامت الحرب بين عيس وذبيان ودامت أربعين سنة . وتجد أخباره في « اللسان » و « أيام العرب » و « الشعر والشعراء » و « شعراء النصرانية » وغيرها .

فإن^(١) شمرت لك عن ساقها فويها ربيع فلا تسأم^(٢)
وقال الآخر^(٣) :

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

وقوله سبحانه : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْخُذِيبِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . ولها نظائر في القرآن . منها قوله تعالى : ﴿ وَذَرْنِي ﴾^(٤) وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلُهمْ قَلِيلًا ﴿ وقوله سبحانه : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾^(٥) ومعنى ذلك أن الكلام خرج على مذهب العرب معروف ، وغرض مقصود . يقول قائلهم مخاطبه إذا أراد تغليظ الوعيد لغيره : ذرني وفلانا فستعلم ما أنزله به . فالمراد إذن بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وعلى آله . فكأنه تعالى قال له : ذر عقابي وهؤلاء المكذبين . أى^(٦) اترك مسألتى فى التخفيف عنهم ، والإبقاء عليهم . لأن الله سبحانه لا يجوز عليه المنع ، فيصح معنى قوله تعالى لنبيه عليه السلام : ذرني وكذا ، لأنه المالك لا ينازع ، والقادر لا يذافع .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

(١) فى الأصل « فإذا » وهو تحريف من الناسخ به ينكسر الوزن .

(٢) هكذا بالأصل . وفى « شعراء النصرانية » ص ٩٢٧ يروى هكذا :

فإن شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولم يسأموا

(٣) هو رويشد بن رميذ العنبري المعروف بشريح بن ضبيعة ، كما فى هامش « العقد الفريد » ج ٤ ص ١٢٠ طبع لجنة التأليف والترجمة . وفى « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقى بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون أن اسمه رشيد بن رميذ ، لارويشد . ويرجح الأستاذ هارون أنه العنزي ، لا العنبري ، نسبة إلى بنى عذرة ، ص ٣٥٤ .

(٤) فى الأصل : فذرني بالفاء . وهو تحريف . والصواب بالواو . سورة الزمل . الآية رقم ١١ .

(٥) سورة الدثر . الآية رقم ١١ .

(٦) فى الأصل « أترك » وهو تحريف من الناسخ .

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وهذه استعارة . والمراد بالإزلاق ههنا : إزلال القدم حتى لا يستقر على الأرض . وذلك خارج على طريقة للعرب معروفة . يقول القائل منهم : نظرَ إلى فلان نظراً يكاد يضر عني به . وذلك لا يكون إلا نظر المقت والإبغاض ، وعند النزاع والخصام . وقال الشاعر ^(١) :

يتقارضون إذا التقوا في موقف نظراً يُزِيلُ مواقف الأقدام
وقد أنكر بعض العلماء أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ لَيُزِلُّكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ الإصابة بالعين ، لأن هذا من نظر السخط والعداوة ، وذلك من نظر الاستحسان والمحبة .

ومن السور التي يذكر فيها « الحاقة »

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [٦] وهذه استعارة . والمراد بالصرصر : الباردة . وهو مأخوذ من الصر ، والعاتية : الشديدة الهبوب التي ترد بغير ترتيب ، مشبهة بالرجل العاتى ، وهو المتمرد الذي لا يبالي على ما أقدم ، ولا فيما ولى ووقع .

وقوله سبحانه . ﴿ فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ [١٠] وهذه استعارة . والمراد بالرابية ههنا : العالية القاهرة . من قولهم : ربأ الشيء إذا زاد . والربأ مأخوذ من هذا . فكأن تلك الأخذة كانت قاهرة لهم ، وغالبة عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [١١] وهذه استعارة .

(١) لم يذكر « لسان العرب » اسم الشاعر . وفي شرح « شواهد السكشاف » لم ينسب لقائل أيضاً . انظر اللسان مادة قرض . وقد امتدحها الزمخشري بهذا البيت في حديثه عن هذه الآيات بالذات ، ولكنه روى « نظراً يزل » بدلا من « يزيل » .

والمراد بها قريب من المراد بالاستعارتين الأوليين ^(١) ، وهو تشبيه للماء في طمو أمواجه ، وارتفاع أثباجه بحال الرجل الطاغى ، الذى علا متجبها ، وشمخ متكبرا .
وقال بعضهم : معنى طغى الماء أى كثر على خزّانه ، فلم يضبطوا مقدار ماخرج منه كثرة ، لأن للماء خزّنة ، والرياح خزّنة من الملائكة عليهم السلام ، يخرجون منها على قدر مايراه الله سبحانه من مصالح العباد ، ومنافع البلاد ، على ماوردت به الآثار .

وقوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [٢١] وهذه استعارة . وكان الوجه أن يُقال : فى عيشة مرضية . ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم : شعرٌ شاعرٌ ، وليلٌ ساهر . إذا شعر فى ذلك الشعر وسهر فى ذلك الليل ، فكأنهما وصفا بما يكون فيهما ، لا بما يكون منهما . فَبَانَ أَنَّ تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الإنسان فيها حاله جاز أن توصفَ هى بالرضا . فيقال راضية . على المعنى الذى أشرنا إليه . وعلى ذلك قول أوس بن حجر ^(٢) .

جُدلت على ليلة ساهرة بصحراء شرح إلى ناظره ^(٣)

وصفَ الليلة بصفة الساهر فيها ، وظاهر الصفة أسهاها .

وقال بعضهم : إنما قال تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ لأنها فى معنى : ذات رضى ، كما قيل : لا بنٌ ، وتامرٌ . أى ذولبن ، وتمرٌ .

وكما قالوا لِدَى الدُّرْع : دارع ، وَلِدَى النَّبْلِ : نايل ، ولصاحب الفرس : فارسٌ . وإنما

(١) فى الأصل « الأولين » وهو تحريف شنيع من الناسخ .

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك التميمى ، كان شاعر تميم فى الجاهلية ، وعمره طويلا ، ولم يدرك الإسلام . وفى شعره رقة وحكمة . وهو صاحب الأبيات المشهورة التى أولها :

أيتها النفس أجلى جزعا
لأن الذى تحذرين قد وقعا

(٣) البيت فى « الأغاني » ج ١١ ص ٧٢ . وفى مخطوطاتنا هذه « حدثت » بالهاء المهملة ، وفى أصول « الأغاني » خذلت بالفاء والذال المعجمتين . وجدلت : صرعت . وناظرة : اسما مكان بأرض بنى أسد .

جاءوا به على النسب ، ولم يجيئوا به على الفعل . وعلى ذلك قول النابغة الذبياني ^(١) :

كِلِينِي لَهُمْ يَا مِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ يَطِيءُ الْكُورِ

أى : ذى نَصَبٍ . قال فكان العيشة أُعْطِيَتْ من النعيم حتى رَضِيتُ ، فحَسُنَ أن

يقال : راضية ، لأنها بمنزلة الطالب الرضا ، كما أن الشهوة بمنزلة الطالب المشهى .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [٤٥، ٤٤]

وهذه استعارة على أحد التأويلات ، وهو أن يكون المراد باليمين ههنا القوة والقدرة .

فيكون المعنى : أنه لو فعل ما نكَّرَهُ فَعَلَهُ لا نَتَقَمَّنَا مِنْهُ عن قدرة ، وعاقبناه عن قوة .

وقد يجوز أن تكون اليمين ههنا راجعةً على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون

المعنى : لو فعل ذلك لسلبناه قُدْرَتَهُ ، وانزعنا منه قُوَّتَهُ . ويكون ذلك

كقوله سبحانه : ﴿ تَنَبَّأُ بِالذَّهْنِ ﴾ ^(٢) أى تُنَبِّئُ الذَّهْنَ على بعض التأويلات .

وكقول الشاعر ^(٣) :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرَج

أى نرجو الفَرَجَ .

(١) هو أشهر من أن نعرف به هنا ، وهو من شعراء الجاهلية القدمين ، وأخباره مع النعمان بن المنذر واعتذاراته له معروفة متعالة .

(٢) سورة المؤمنون . الآية رقم ٢٠ .

(٣) هو النابغة الجعدي كما في « معجم ياقوت » و « تاج العروس » وقد نقل ذلك عنهما عتقى « معجم ما استعجم » للبكري ص ١٠٢٩ . والبيت كاملاً هو :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

والفلج بفتح الجيم : اسم مكان أبى جعدة من قيس ببلاد نجد .

وفي « الفرطين » لابن مطرف : نضرب بالسيف ، مثل رواية مخطوطتنا هذه . ج ٢ ص ٣٠ .

ومن السورة التي يذكر فيها « سأل سائل »

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى ، نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ، تَدْعُو مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ [١٧]
وهذه استعارة . والمراد بدعائها مَنَ أدبر وتولى - والله أعلم - أنه لما استحقها بإدباره عن الحق
صارت كأنها تدعوه إليها ، وتسوقه نحوها . وعلى ذلك قول ذى الرمة^(١) فى صفة الثور :

غدا بوهنين مجتازا لمرتمه بذى الفوارس تدعو أنفه الرب
والربُّ جمع ربة ، وهى نبت من نبات الصيف .

يقول لما وجد رائحة الرب مضى نحوها فكأنها دعتة إلى أكلها . وقد يجوز أيضا أن
يكون المراد بذلك أنها لا يفوتها ذاهب ، ولا يعجزها هارب . فكأنها تدعو الهارب منها
فيجيبها ، مدًا له بأسبابها ، وردًا له إلى عذابها .

وقال بعض المفسرين : إنه تخرج عنق من النار ، فتتناول الكافر حتى تقحمه فيها ،
فكأنها بذلك الفعل داعية له إلى دخولها .

وقد يجوز أن يكون المراد أنها تدعو مَنَ أدبر عن الحق . بمعنى أنها تخوفه بفضاعة
الخبر عنها ، وتغليظ الوعيد بها ، فكأنها تستعطفه إلى الرشد^(٢) ، وتستصرفه عن النى .

وحكى عن المبرد أنه قال : تدعو مَنَ أدبر وتولى . أى تعذبه . وحكى عن الخليل
أن أعرابيا قال لآخر : دعاك الله . أى عذبك الله . وقال ثعلب : معنى دعاك الله . أى
أما لك الله . فعلى هذا القوا دخل الكلام فى باب الحقيقة ، ويخرج عن حيز الاستعارة .

(١) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة . شاعر فحل اشتهر بالشبيب وبسكاء الأطلال ذاهبا مذهب
الجاهلين . توفى بأصبهان سنة ١١٧ هـ .

(٢) كانت بالأصل : (الرتبة) وهى تحريف . فصورناها على طريق المقابلة مع النى .

ومن السورة التي يذكر فيها « نوح » عليه السلام

قوله سبحانه : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [١٣] وهذه استعارة . لأن الوقار ههنا وُضع وُضع الحلم مجازا . يقال : رجل وقور . بمعنى حلیم .
فأما حقيقة الوقار الذي هو الرزانة والثقل فلا يجوز أن يوصف بها القديم سبحانه ، لأنها من صفات الأجسام ، وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار ، على معنى الحلم كما ذكرنا .
والمعنى أنه يؤخر عقاب المذنبين مع الاستحقاق ، إمهالا للتوبة ، وإنظارا للفيئة والرجعة .
لأن الحلم في الشاهد اسم لمن يترك الانتقام عن قدرة . ولا يسمى غير القادر إذا ترك الانتقام حلما ، للعلمة التي ذكرناها . وقوله تعالى : ﴿ لَا تَرْجُونَ ﴾ ههنا أى لا تخافون . فكأنه سبحانه قال : ما لكم لا تخافون الله حلما ؟ وإنما أخر عقوبتكم ، إمهالا لسمكم ، وإيجابا للحجة عليكم . وإلا فعقابه من ورائكم ، وانتقامه قريب منكم .

وقد جاء في شعر العرب لفظ الرجاء ، والمراد به الخوف . ولا يرد ذلك إلا وفي الكلام حرف نفي . لا يقال : فلان لا يرجو فلانا بمعنى يخافه ، بل يقال : فلان لا يرجو فلانا . أى لا يخافه . وقال الهذلي أبو ذؤيب ^(١) :

إذا لسعته الدبر ^(٢) لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل ^(٣)

أراد : لم يخف لسعها .

(١) أبو ذؤيب الهذلي : تقدمت الإشارة إليه والترجمة له في الحديث عن مجازات سورة الزمر .

(٢) الدبر : جماعة النحل والواحدة دبرة .

(٣) في الأصل « عواسل » والتصويب عن « ديوان الهذليين » ورواية ابن قتيبة في « تأويل مشكل

القرآن » عواسل بالميم كما في الأصل . ص ١٤٧ .

وقال الآخر^(١) :

لا تترجى حين تلاقى الدائدا أخسة لاقت معاً أو واحدا

أى لا تخاف . وقال بعض العلماء : إنما كنوا عن الخوف بالرجاء فى هذه المواضع ، لأن
الراجى ليس يستيقن ، فعه طرف من الخافة . وقال بعضهم : الوقار ههنا بمعنى العظمة
وسعة المقدرة . وأصل الوقار ثبوت ما به يكون الشئ عظيماً من الحلم والعلم اللذين يؤمن
معهما الخرق والجهل .

ومن ذلك قول القائل : قد وقر قولُ فلان فى قلبى . أى ثبت واستقر ، أو خدش
وأثر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [١٧] وهذه استعارة . لأن حقيقة
الإنبات إنما تجرى على ما نطلعهُ الأرض من نباتها ، وتُخرجه عند ازديادها . ولما كان
سبحانه يخرج البرية من مضائق الأحياء ، إلى مفايح الهواء ، ويُدريجهم من الصغر إلى
الكبر ، وينقلهم من الهيئات والصور ، كل ذلك على وجه الأرض ، جاز أن يقول سبحانه :
﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .

وقال بعضهم قد يجوز أن يكون المراد بذلك خلق آدم عليه السلام من الطين ، وهو
أصل الخليفة . فإذا خلقه سبحانه من طين الأرض كان نسله مخلوقين منها ، لرجوعهم إلى
الأصل المخلوق من طينها . فحسن أن يقول سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أى
استخرجكم من طين الأرض . ونباتا ههنا مصدر وقع مخالفا لما يُوجبه بناء فعله . وكان
الوجه أن يكون : إنباتا . لأنه فى الظاهر مصدر أنبتكم . وقد قيل إن هناك فعلا محذوفا

(١) لم ينسب فى « أساس البلاغة » لفائده . وروى فى الأساس هكذا :

لا تترجى حين تلاقى الدائدا أسية لاقت معاً أم واحدا

جَرى المصدر عليه ، فكأنه تعالى قال : والله أنبتكم من الأرض فنبت نباتا . لأن أنبت يدل على نبت من جهة أنه مضمن به .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [١٩ ، ٢٠] وهذه استعارة . والمراد بالبساط ههنا : المكان الواسع المستوى . مشبّهه بالبساط ، وهو النمط الذى يمد على الاستواء فيجلس عليه .

وقال الأصمى ^(١) : وبنو تميم خاصة يقولون بساط ، بفتح الباء . وقال الشاعر ^(٢) :
وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ يَنَالَنِ بساط لأيدى النامجات ^(٣) عريض
وتصيير الأرض بساطًا ، كتصييرها فراشا ومهادا .
وهذه الألفاظ الثلاثة ترجع إلى معنى واحد :

ومن السورة التى يذكر فيها « الجن »

قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [١١]
وهذه استعارة . والمراد بذلك - والله أعلم - كنا ضروبا مختلفة ، وأجناسا مفترقة .

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الراوية المشهور وأحد علماء اللغة الأثبات . ونسب إلى جده « أصم » وكان يتلقى الأخبار مشافهة من البوادرى ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بأجزل الهبات . قال فيه الأخفش : مارأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمى . وقد انفرد برواية فصائد جمعها المستشرق الألمانى ولیم أهلورث . ونوفى بالبصرة سنة ٢١٦ هـ .

(٢) هو العديل بن الفرخ ، ولقبه العباب : والعباب اسم كلب له فلقب باسم كلبه . وكان هجاء الحجاج ابن يوسف فطلبه فهرب منه إلى قبصر ملك الروم ، فقال أبياتا منها هذا البيت . وأخباره فى « الشعر والشعراء » ص ٣٧٥ ، و« الأغاني » ج ٢٠ و« الخزائن » ج ٢ .

(٣) فى « الشعر والشعراء » اليعملات « والنامجات هى النياق البيض . واليعملات : جمع بعملة وهى الناقة المطبوعة على العمل .

والطرائق : جمع طريقة . وهى - فى هذا الموضع - المذهب والنحلة . والقِدْدُ : جمع قِدَّة ، وهى القطعة من الشئ المقدود طولا ، مثل فِلْدَةٍ وفِلْدٍ ، وقِرْبَةٍ وقِرَب . وقد غَلَبَ على ما كان من القِطْع طولا لفظُ القَدِّ ، وعلى ما كان من القِطْع عَرْضا لفظُ القِطْ . فكأنه سبحانه شبه اختلافهم فى الأحوال ، واقتراحهم فى الآراء بالسيور المقدودة ، التى تتفرق عن أصلها ، وتتشعب بعد انشلاخها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [١٥] وهذه استعارة . والمراد أن نار جهنم سونعوذ بالله منها - يُستدام وقودُها بهم ، كما يستدام وقودُ النار بالحطب ، لأن كل نار لا بدَّ لها من حشاش يحشها ، ووقود يمدّها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [١٩] وهذه استعارة . واللَّبْدُ ههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التى تظاهرت من الكفار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى اجتمعوا عليه متآلبين ، وركبوه مترادفين . فكانوا كلبد الشعر ، وهى طرائقه وقطعه التى يركب بعضها بعضا . وواحدتها لبدة . ومنه قيل : لبدة الأسد . وهى الشعر المتراكب على مناكبه . وذلك أبلغ ما شبهت به الجموع المتعاطلة ، والأحزاب المتألفة .

وقال بعض أهل التأويل : المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى الصبح ببطن نخلة ^(١) منصرفا من حنين ، وقد حضره الوفد من الجن - وخبرهم مشهور - كادوا يركبون منكبه ، ويطأون أثوابه ، لما سمعوا قراءته ، استحسانا لها ، وارتياحا إليها ، وتعجبا منها .

روى عن ابن عباس فى هذا المعنى - وهو أغرب الأقوال - أن هذا الكلام من صلة كلام الجن لقومهم لما رجعوا إليهم ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا . وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قام ببطن ^(١) نخلة يصلى بأصحابه عَجِبَ الجن الحاضرون من طواعيتهم له فى

(١) فى الأصل « بطن نخلة » بالخاء المهملة وهو تحريف والنصوب عن « معجم المستعجم » للسكرى .

الركوع والسجود والقيام والعقود ، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا في جملة ما قصّوه عليهم : وأنّه لما قام عبدُ الله يدعوه - أى يصلى له - كادوا يكونون عليه لبدّاً . أى كاد أصحابه يركبونه تراحمًا عليه ، وتدانياً إليه ، واحتذاءً لمثاله ، واستماعاً لمقاله .

ومن السورة التي يذكر فيها « المزمل »

عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن القرآن كلام ، وهو عَرَضٌ من الأعراض . والثقل والخفة من صفات الأجسام ، والمراد بها صفة القرآن بعظم القدر ، ورجاحة الفضل ^(١) ، كما يقول القائل : فلان رَصِينٌ رَزِينٌ . وفلان راجِحٌ ركين . إذا أراد صفته بالفضل الراجح ، والقدر الوازن .

وقوله سبحانه . ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [٦] وقرئ : وَطْأً ^(٢) بالقصر . وهذه استعارة .

والمراد بناشئة الليل ههنا ما يُنشأُ فعله ، أى يُبتدأُ به من عمل الليل ، كالتهجّد في أثنائه ، والتلاوة في آثائه . ومعنى ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ في قول بعضهم ، أى أشد مواطاة ، وهو مصدر . يقال : واطأ ، مواطاة ، ووطأ . أى يواطىء فيها السمع القلب ، واللسانُ

(١) في الأصل « الفصل » بالصاد المهملة .

(٢) قرأ أبو العالية وأبو عمرو وجاهد وابن أبي إسحاق وحيد وابن عامر والمغيرة وأبو حيوة

« وطاء » بالمد . وقرأ الباقر « وطاء » بفتح الواو وسكون الطاء ، على وزن بحر . انظر « القرطبي »

العمل ، لقلة الشواغل العارضة ، والوافاة الصارفة ، ولأن البال فيها أجمع ، والقلب أفرغ ، فالقراءة فيها أقوم ، والصلاة أسلم .

وَمَنْ جَعَلَ وِطَاءَ هَذَا اسْمًا ^(١) لِمَا يُسْتَوطَى وَيَفْتَرَش ، كالمهاد وما يجري مجراه ، فإنه ذهب إلى أن عمل الليل أوعث مقامًا ، وأصعبُ مرأى . وعندهم أن كل ما ينشأ بالليل من قراءة ، أو تهجد ، أو طروق ، أو ترحل أشقُّ على فاعله ، وأصعبُ على مستعمله ، لأن الليل موحش هائل ، ومخوف مُحَذَرٌ . [فكل ^(٢)] ما وقع فيه مما أومأنا إليه كان كالنسيب له ، والشبيه به .

وَمَنْ قَرَأَ وِطَاءً بِالْقَصْرِ فَاَلْمَعْنَى فِيهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمَعْنَى الْأُولَى . والمراد أن قيام الليل أشدَّ وِطَاءً عليك أى أصعب وأشق ، كما يقول القائل : هذا الأمر شديد الوطأة على . إذا وصف بلوغه منه وصعوبته عليه ومع أن عمل الليل أشدَّ كلفة ومشقة فهو أقومُ صلاة وقراءة ، للمعنى الذى قدمنا ذكره .

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم راسخ

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي الْأَنْهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [٧] وهذه استعارة . والمراد بها المضطرب الواسع ، والمجال الفاسح . وذلك مأخوذ من السباحة فى الماء ، وهى الاضطراب فى غمراته ، والتقلب فى جهاته . فكأنه سبحانه قال : إن لك فى النهار متصرفًا ومتسعًا ، ومذهبا منفسحا ، تقضى فيه أوطارك ، وتبلغُ آرابك .

وقوله سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [١٧] وهذه استعارة . والمراد بها : أن الولدان الذين هم الأطفال لو جاز أن يشيبتوا الرائع خطب ،

(١) فى الأصل « السماء » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) ليست بالأصل ، ويبدو أنها مظلومة ، وقد زدناها لأن النم يتطلبها .

أو طارقِ كَرْب ، لشابوا في ذلك اليوم لعظيم أهواله ، وفضاعة أحواله . وذلك
كقول القائل : قد لقيتُ من هذا الأمر ما تشيب منه النواصي - كنايةً عن فظيع ما لاقى ،
وعظيم ما قاسى .

ومن السورة التي يذكر فيها « المدثر »

عليه السلام

قوله سبحانه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [٤] وهذه استعارة على بعض التأويلات ،
وهو أن تكون الثياب ههنا كناية عن النفس أو عن الأفعال والأعمال الراجعة إلى النفس .
قال الشاعر^(١) :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ إِزَارِي
قيل : أراد فِدَى لك نفسى . وكذلك قول الفرزدق :

سَكَنْتُ جُرُوتَهَا^(٢) وَقَلْتُ لَهَا اصْبِرِي وَشَدَدْتُ فِي ضَيْقِ الْمَقَامِ إِزَارِي

(١) هو بقبيلة الأ كبر الأشجعي ، وكنيته أبو النعمان . شاعر إسلامي . وله خبر مع عمر بن الخطاب
بشأن رجل كان والياً على مدينتهم اسمه جعدة بن عبد الله ، وكان له شأن غير مرضى مع النساء . فأرسل
الشاعر قبيلة أبياتا إلى عمر يستعديه على هذا الوالي . والقصة كاملة في « لسان العرب » . وذكر ابن
مطرف السككاني في « القرطبي » الأبيات في ص ٨٠ ج ٢ ولم ينسبها لقائلها وأكتفى بقوله : روى في بعض
الحديث أن رجلاً كتب إلى عمر بن الخطاب . وفي مادة أزد في « لسان العرب » أن اسمه قبيلة ، والنصوب
عن « المؤلفات والمختلَف » ص ٦٢ حيث ورد في باب الباء لا النون .

(٢) في ديوان الفرزدق ص ٣٢٢ .

فصربت جروتها وقلت لها اصبري وشددت في ضيق المقام إزارى
وضرب الجروة: كناية عن العزم والتصميم على الأمر .

أى شددت نفسى ، وذمرت قلبى . والإزار والثياب يتقارب معناهما . وعلى هذا فسروا
قول امرئ القيس :

* فسلّ ثيابى من ثيابك تنسلّ^(١) *

أى نفسى من نفسك ، أو قلبى من قلبك .

ويقولون : فلان طاهر الثياب ، أى طاهر النفس ، أو طاهر الأفعال . فكأنه سبحانه
قال : ونفسك فطهر ، أو أفعالك فطهر .

وقد يجوز أن يكون للثياب ههنا معنى آخر ، وهو أن الله سبحانه سمّى الأزواج لباسا
فقال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(٢) واللباس والثياب بمعنى واحد .
فكأنه سبحانه أمره أن يستطهر النساء . أى يختارهن طاهرات من دنس الكفر ، ودرن
العيب ، لأنهن مظان الاستيلاء ، ومضام الأولاد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالصُّبْحَ إِذَا اسْفَرَا ﴾ [٣٤] وهذه استعارة ، والمراد بها انكشاف
الصبح بعد استتاره ، ووضوحه بعد التباسه ، تشبيها بالرجل المُسْفِر الذى قد حطّ لثامه ،
فظهرت مجالى وجهه ، ومعالم صورته .

(١) البيت بكماله هو :

وإن تك قد ساءتك ، نى خليفة
فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
(٢) سورة البقرة . الآية رقم ١٨٢ .

ومن السورة التي يذكر فيها « القيامة »

قوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [١٥، ١٤] وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - أن الإنسان حجة على نفسه في يوم القيامة ، وشاهدٌ عليها بما اقترفت من ذنب ، واحتملت من وزر . وإن ألقى معاذيره . أى هو وإن تعلق بالمعاذير ولفق الأقاويل شاهدٌ على نفسه بما يوجب العقاب ، ويجر النكال .

وقال الكسائى : المعنى : بل كل نفس الإنسان بصيرة . فجاء على التقديم والتأخير . أى عليه من الملائكة رقيب يرقبه ، وحافظ يحفظ عمله . وقال أبو عبيدة : جاءت هذه الهاء في بصيرة ، والموصوف بها مذكر ، كما جاءت في علامة ، ونسابة ، وراوية ، وطاغية . والمراد بها المبالغة في المعنى الذى وقع الوصف به .

ووجه المبالغة في صفة الملك المحصى لأعمال المكلف بأنه بصيرة أن ذلك الملك يتجاوز علم الظواهر إلى علم السرائر ، بما جعل الله تعالى له على ذلك من الأدلة ، وأعطاه من أسباب المعرفة . فهو لليلة التي ذكرناها يؤفى على كل رقيب حافظ ، ومراعٍ ملاحظ .

والتأويل الآخر يخرج به الكلام عن حيز الاستعارة . وهو أن تكون المعاذير ههنا من أسماء الستور . لأن أهل اليمن يسمون الستر بالمعذار . فكان المراد أن الإنسان رقيب على نفسه ، وعالم بمستسر غيبه ، فيما يقارفه من معصية ، أو يقاربه من ريبة ، وإن ألقى ستوره مستخفيا ، وأغلق أبوابه متواريا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالتَّغَتَّى السَّقَى بِالسَّقَى ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [٣٠، ٢٩]

وهذه استعارة على أكثر الأقوال . والمرادُ بها - والله أعلم - صفةُ الشَّدَّتينِ المجتمعينِ على المرءِ من فراق الدنيا ، ولقاء أسباب الآخرة . وقد ذكرنا فيما تقدم مذهبَ العرب في العبارة عن الأمر الشديد ، والخطب الفظيع ، بذِكرِ الكشف عن الساق ، والقيام عن ساق . فلا فائدة في تكرير ذلك وإعادته .

وقد يجوز أن يكون السَّاقُ ههنا جَمْعُ ساقَةٍ كما قالوا : حاجةٌ وَحَاجٌ . وغايةٌ وغاىٌ . والساقَةُ : هم الذين يكونون في أعقاب الناس يحفزونهم على السير ، وهذا في صفة أحوال الآخرة وسرِّق الملائكة السابقين بالكثرة ، حتى يلتف بعضهم ببعض من شديد الحفز ، وعنيف السير والسَّوق . ومما يقوَّى ذلك قوله تعالى : ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ . والوجه الأول أقرب ، وهذا الوجه أغرب .

مركز تحقيق كليات جامعة القاهرة
ومن السورة التي يذكر فيها

«هل أتى على الإنسان»

قوله سبحانه : ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [٧] وهذه استعارة . وحقيقة الاستطارة من صفات ذوات الأجنحة . يقال : طار الطائر ، واستطرتُّه أنا إذا بعثته على الطيران . ويقولون أيضا من ذلك على طريق المجاز : استطار لهيبُ النار . إذا انتشر وعلا ، وظهر وفشا . فكأنه سبحانه قال : يخافون يوما كان شرُّه فاشيا ظاهرا ، وعاليا منتشرا .

وقوله سبحانه : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَبُوسًا قَمَطِيرًا﴾ [١٠] وهذه استعارة . لأن الغبوس من صفة الإنسان القاطب المعبس . فشبه سبحانه ذلك اليوم - لقوة دلائله

على عظيم عقابه ، وأليم عذابه - بالرجل العَبُوس الذى يستدلُّ بعبوسه وقُطوبه على إِرصاده بالمكروه ، وعزمه على إيقاع الأمر الخوف . وأصلُ العُبُوس تقبيض الوجه ، وهو دليل السخط ، وضده الاستبشار والتطلق وهما دليلان الرضا والخير .

وكما سَمَّت العربُ اليومَ المَحمودَ طَلَمًا ، فكذلك سَمَّت اليومَ المذمومَ عَبُوسًا . ويقال : يومَ قَمَطَرٍ وقَطَارٍ ^(١) إذا كان شديدًا ضرُّه ، طويلًا شرُّه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ، وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾ [١٤] وهذه استعارة . والمراد بتذليل القُطوف - وهى عنقايد الأعناب وواحدها قُطف ^(٢) - أنها جعلت قريبة من أيديهم ، غير ممتنعة على مجانيهم ، لا يحتاجون إلى معاناة فى اجتثاثها ، ولا مشقة فى اهتصار أفنانها ، فهى كالظَّهر الذلول الذى يوافق صاحبه ، ويواتى راكمه .

والتذليل ههنا مأخوذ من الذَّلُّ بكسر الذال ، وهو ضد الصعوبة . والذَّل - بضم الذال - ضدُّ العزِّ والحِمية .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [٢٧] وهذه استعارة . وقد مضى الكلام على نظايرها فيما تقدم . والمراد باليوم الثقيل ههنا : استثقاله من طريق الشدة والمشقة ، لامن طريق الاعتماد بالأجزاء الثقيلة . وقد يوصف الكلام بالثقل على هذا الوجه ، وهو عرض من الأعراض ، فيقول القائل : قد ثَقُلَ على خِطَابُ فلان . وما أثقلَ كلامَ فلان .

(١) قاطر : بضم القاف .

(٢) القُطف بكسر القاف : العنقود ساعة يقطف ، أو اسم للثمار المفضوفة . والجمع قُطوف ، وقُطاف .

ومن السورة التي يذكر فيها « المرسلات »

قوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [٨] وهذه استعارة . والمراد بطمس النجوم - والله أعلم - محو أنوارها ، وإذهاب أنوارها ، وإزالتها عن الجهات التي كان يستدلُّ بها ، ويَهْتَدَى بِسَمْتِهَا . فصارت كالكتاب المطموس الذي أَشْكَتْ^(١) سطوره ، واستعجمت حُرُوفه .

والطمس في المكتوبات حقيقة . وفي غيرها استعارة .

ومن السورة التي يذكر فيها « عم ينساءلون »

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [٦ ، ٧] وهاتان استعارتان ، وقد مضى الكلام على الأولى منهما . أما معنى كونِ الجبالِ أوتادا فلأنَّ بها مِسَاكَ الأرض وقوامها ، واعتدالها وثباتها ، كما يثبت البيت بأوتاده ، وانخباء على أعماده .

ومن السورة التي يذكر فيها « النازعات »

قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [١٣ ، ١٤] وهذه استعارة . لأن المراد بالساهرة ههنا - على ما قال المفسرون والله أعلم - الأرض . قالوا إِنَّمَا سُمِّيَتْ سَاهِرَةً على مثال : عيشة راضية . كأنه جاء على النسب : ذاتُ السَّهَرِ وهي الأرض المَخُوفَةُ . أي يُسهر في ليْلِها ، خوفاً من طوارق شرِّها .

(١) أَشْكَتْ الأمر ، على وزن أَكْرَم : التَّيَس .

وقيل أيضا : إنما سُمِّيت الأرض ساهرة لأنها لاتنام عن إنماء نباتها وزروعها ، فعملها في ذلك ليلاً كعملها فيه نهاراً .

سورة « عبس »

ولم نجد في السورة التي يذكر فيها : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ^(١) شيئاً من المعنى الذي قصدنا له .

ومن السورة التي يذكر فيها « إذا الشمس كورت »

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٨ ، ٩] وهذه استعارة . والمراد - والله أعلم - أنها سُئِلَتْ للاستخراج الجواب منها ، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها . ويكون ذلك على جهة التوبيخ للقاتل إذ قَتَلَ مَنْ لَا يُعْرَبُ عن نفسه ، ولم يذنب ذنباً يؤخذ بجريرته . وقيل معنى سُئِلَتْ أى طُلِبَ بدمها ، كما يقول القاتل : سألت فلاناً حتى عليه . أى طالبت به .

وإنما سميت موءودةً للثقل الذي يُلبَقى عليها من التراب . وتقول : آدنى هذا الأمر . أى أثقلنى . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٢) أى لا يثقله ذلك ، كما يُثقل أحدنا في الشاهد حفظُ المتشعبات ، وضبطُ المنتشرات .

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [١٥ ، ١٦] وهاتان استعارتان . فهما جميعاً في صفة النجوم . فأما الخُنَّسُ فالمراد بها التي تخنُسُ نهاراً ، وتطلع ليلاً . والخنَّس جمع خانس وهو الذي يقبع ويستسر ، ويخفى ويستتر . وأما الكُنَّسُ

(١) ليس في سورة عبس شيء من المجازات والاستعارات التي تتبعها المؤلف رحمه الله في القرآن الكريم .

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٥ .

فجمعُ كانس ، وهو أيضا المتوارى المستخفى ، مشبها بانضمام الوحشية إلى كناسها ، وهو
الموضع الذى تأوى إليه من ظلال شجر . وألفاف خمر^(١) . وجمعه كنس .

فشبه سبحانه انقباع النجوم فى بروجها ، بتوارى الوحوش فى كنسها .

وقوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [١٨] وهذه من الاستعارات العجيبة .
والتنفس هنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسق الليل . فكأنه متنفّس من
كرب ، أو متروّح من همٍّ ، ومن ذلك قولهم : قد نُفّس عن فلان الخناق . أى انجلى
كربه ، وانفسح قلبه . وقد يجوز أن يكون معنى ﴿ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى إذا انشق وانصدع .
من قولهم : تنفّس الإناء إذا انشق ، وتنفست القوس إذا انصدعت . وهذا التأويل
يُخرج اللفظ من باب الاستعارة . وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى ، فى كتابنا الكبير ،
عند موضع اقتضى ذكره .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

سورة « الانفطار »

وليس فى السورة التى يذكر فيها ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ شىء من غرض
كتابنا^(٢) هذا .

(١) هكذا بالأصل ، ولعلها ثمر .

(٢) ليس فى سورة الانفطار شىء من الحجاز .

ومن السورة التي يذكر فيها «المطففون»
وبقية المفصل إلى آخر القرآن العظيم

قوله سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [١٥] وهذه استعارة مجاز ، لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون ، والاستتار والبروز . وذلك من صفة الأجسام المحدثه ، والأشخاص المؤلفة . والمراد بذكر الحجاب ههنا أنهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه ، مذودون عن دخول جنته ، ودار مقامته . وأصل الحجب المنع . ومنه قولنا في الفرائض : الإخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس . أى يمنعونها من الثلث ، ويردونها إلى السدس . ومن ذلك أيضا قولهم : حُجِبَ فلان عن باب الأمير . أى رُدَّ عنه ، ودُفِعَ دونه . ويجوز أن يكون كذلك معنى آخر ، وهو أن يكون المراد أنهم غير مقربين عند الله سبحانه بصالح الأعمال واستحقاق الثواب . فعَبَّرَ سبحانه عن هذا المعنى بالحجاب . لأن البُعْدَ الْمُقْصَى يُحْجِبُ عن الأبواب ، وَيُبْعِدُ من الجناب .

سورة «الانشقاق»

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [٤، ٣] وهذه استعارة . والمراد بها بعثُ الأموات ، وإعادة الرفات . فكأن الأرض كانت حاملا بهم فوضعتهم ، أو حاملة لهم فألقتهم ، فكانوا كالجنين المولود ، والنقل المنبوذ .
وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ [١٧] وهذه استعارة . ومعنى « وَسَقَ » ههنا أى ضم وجمع . فكأنه يضم الحيوانات الإنسية إلى مساكنها ، والحيوانات الوحشية إلى

مواجها ، والطيور إلى أوكارها ومواكنها^(١) . فسكانه ضم ما كان بالنهار منتشرا ، وجمع ما كان متبدا متفرقا . والأوساق مأخوذة من ذلك ، لأنها الأحوال التي يجمع فيها الطعام وما يجري مجراه . ويقال : طعام موسوق . أى مجموع في أوعيته .

وقد قيل : إن معنى « وَسَقَ » أى طَرَدَ . والوسيقة : الطريدة . فسكان الليل يطرد الحيوانات كلها إلى مثاويها ، ويسوقها إلى مخافها .

وقوله سبحانه : ﴿ أَتَرَكَبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة على بعض التأويلات . والمراد بها كَتَنَقَلَيْنَ من حال شديدة إلى حال مثلها ، من حال الموت وشدة ، إلى حال الحشر وروعته .

وقيل : لتركبن سُنَّةً من كان قبلكم من الأمم .
وقيل : المراد بذلك تنقل الناس في أحوال الأعمار ، وأطوار الخلق والأخلاق . والعرب تسمى الدواهي « بنات طبق » . وربما سموها الداهية : أم طبق . قال الشاعر^(٢) .
قد طرقت بكرة أم طبق فنتجوها خبراً ضخم العنق

* موت الإمام فَلَقة من الفلق *

(١) الموكن والموكنة بكسر الكاف فيهما : عش الطائر .
(٢) هو خنزف الأحمر . وأصله مولى لأبي بردة من فرغانة ، ولكنه حفظ كلام العرب وشعرهم وأخبارهم ، حتى صار يقول الشعر فيجيده وينعله الشعراء المنقذين . وكان الأصمعي من رواة ، كما سمع هو من حماد الراوية . وأخباره في « طبقات الأدباء » و « الشعر والشعراء » و « العقد المفيد » و « الفهرست » . وتوفي سنة ١٨٠ هـ .

وأم طبق : هي الداهية . والخبر : النسافة الغزيرة الابن ، والفلة : الداهية . وفي « ثمار القلوب » للتحايلي : قال الأصمعي : أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر ، وكنا في حلقة يونس ، فجاء خلف الأحمر فسلم ، ولم يكن الخبر فشا ، ثم قال : « قد طرقت بكرة أم طبق » . فقال يونس : وما ذلك يا أبا حرز ؟ فقال : « فنتجوها خبراً ضخم العنق » . فقال : لم أدر بهد ! فقال : « موت الإمام فَلَقة من الفلق » . فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع - ص ٢٠٧ من « الثمار » .

وانظر الخبر في « لسان العرب » مادة طبق . وفي الورقة ٦٠ من كتاب « المول عليه ، في المضاف والمضاف إليه » للعجبي ، وهو مخطوط مصور بجمع اللغة العربية

والفلق أيضا من أسماء الدواهي . واحدها فَلَقة وفليقة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ [٢٣] وهذه استعارة . والمراد بها ما يُسرُّون في قلوبهم ، ويكنُّون في صدورهم .

يقول : القائل أوعيتُ هذا الأمر في قلبي . أى جعلته فيه كما يجعل الزاد في وعائه ، ويضمُّ المتاع في عيابه ، فالقلوب أوعية لما يجعل فيها من خير أو شر ، وعلم أوجهل ، أو باطل أو حق .

سورة « الطارق »

وقوله سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ [٢، ١] وهذه استعارة . لأن الطارق ههنا كناية عن النجم . حقيقة الطارق هو الإنسان الذي يطرق ليلا . فلما كان النجم لا يظهر إلا في حال الليل حسن أن يسمى طارقا . وأصل الطَّرَق : الدقُّ . ومنه المطرقة . قالوا : وإنما سُمِّي الآتي بالليل طارقا ، لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طروقه ، والإيدان بوروده .

وقوله سبحانه : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [٧ ، ٦] وهذه استعارة . وحقيقة هذا الماء أنه مدفوق لادفاق . ولكنه خرج على مثل قولهم : سرَّ كاتم ، وليل نائم . وقد مضت لهذه الآية نظائر كثيرة .

وعندى في ذلك وجه آخر ، وهو أن هذا الماء لما كان في العاقبة يؤول إلى أن يخرج منه الإنسان المتصرف ، والقادر المميز ، جاز أن يقوى أمره فيوصف ، بصفة الفاعل لصفة

المفعول ، تمييزاً له عن غيره من المياه المهرقة ، والمائعات المدفوقة . وهذا واضح لمن تأمله .
وقوله سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [١١ ، ١٢]
وهذه استعارة . والمراد بها صفة السماء بأنها ترجع بدرور^(١) الأمطار ، وتعاقب الأنواء ، مرة
بعد مرة ، وتُعطي الخير حالةً بعد حالة .

وقد قيل : إن الرجع الماء نفسه . وأنشدوا للمختل^(٢) الهذلي يصف السيف :

أيضُ كالرجع رسوبٌ إذا مائخٌ في مُحْتَفَلٍ يَحْتَلِي

والمراد بالأرض ذات الصّدْع : انصداعها عن النبات ، وتشققها عن الأعشاب . وأنشد
صاحب « العين »^(٣) لبعض العرب :

وجاءتْ سَلِيمٌ لَارَجْعٍ فِيهَا وَلَا صَدْعٍ فَتَحْتَلِبُ الرَّعَاءَ

فالرجع : المطر ، والصّدْع : العشب ، والسَلِيم : السنة المجدية .

سورة « الفاشية »

وقوله سبحانه : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ [٢ ، ٣] وهذه استعارة .
والمراد بالوجوه ههنا أرباب الوجوه . ومثل ذلك قوله تعالى : في السورة التي يذكر فيها

(١) درت الأمطار درورا: هطلت.

(٢) هو مالك بن عويمر الهذلي ، من أشهر شعراء بني هذيل . والبيت في « ديوان الهذليين »
ج ٢ ص ١٢ . والرجع : الغدير فيه ماء المطر . وناخ مثل ساخ : أي غاب . والمحتفل : معظم الشيء .
ويحتلي : يقطع . والرسوب : الذي إذا وقع غمض مكانه لسرعة قطعه .

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام اللغة والأدب وواضع علم العروض ، وكان أستاذاً لسبويه
النحوي المشهور ، ولد في البصرة ومات بها سنة ١٧٠ هـ وعاش حياته فقيراً صابراً . قال فيه النضر بن شميل :
مارأى الرأون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه . واشتهر بكتاب « العين » في اللغة ، وهو لا يزال
مخطوطاً .

القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١) والدليل على ما قلنا إضافته سبحانه النظر إليها، والنظر إنما يصح من أربابها لامنها. لأنه تعالى قال عقب ذلك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ، تَطُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾^(٢) وكذلك قوله تعالى ههنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [٨، ٩] والرضا والسخط إنما يوصف به أصحاب الوجوه.

فانكشف الكلام على الغرض المقصود.

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ﴾ [١٠، ١١] وهذه استعارة. وقد مضت لها نظائر كثيرة جدا فيما تقدم من كلامنا. أي لا تسمع فيها كلمة ذات لغو. فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمى لاغيا بقولها، سميت هي لاغية، على المبالغة في وصف اللغو الذي فيها.

وقال بعضهم: معنى ذلك: لا يسمع فيها نفس حالفة على كذب، ولا ناطقة برفث. لأن الجنة لا لغو فيها ولا رفث، ولا فحش ولا كذب.

سورة «الفجر»

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [٤] وهذه استعارة. والمراد بسرى الليل دوران فلكه، وسيران نجومه حتى يبلغ غايته، ويسبق في قاصيته، ويستخلف النهار موضعه. وقوله سبحانه: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [١٠] وهذه استعارة. والمراد وفرعون ذي الملك المتكبر^(٣) والأمر المتوطد، والأسباب المتمهدة التي استقر بها بنيانه، وتمكن سلطانه، كما تثبت البيوت بالأوتاد المضروبة، والدعائم المنصوبة. وقد مضى نظير ذلك.

(١) سورة القيامة. الآيتان رقم ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة القيامة. الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٣) المتكبر: المتأصل في السيادة والمجد.

وقوله سبحانه : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [١٣] وهذه من مكشوفات الاستعارة . والمراد بها العذاب المؤلم ، والنكال المُرِض . لأن السَّوْط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سببا للعقوبات الواقعة ، والآلام الموحجة .

وقال بعضهم : يجوز أن يكون معنى ﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى أَوْقَعَ عَذَابٍ يخالط الأحوم والدماء ، فيسوطها سَوْطًا ، إذا حرك ما فيها وخاططه . فالسَّوْط على هذا القول ههنا مصدرٌ وليس باسم .

سورة « البلد »

وقوله سبحانه ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ [٦] وهذه استعارة . وقد مضى نظير لها . والمراد باللُّبْد ههنا المال الكثير الذى قد تراكب بعضه على بعض ، كما تلبدت طرائق الشعر ، وسبائح^(١) القطن .

وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم : رَجُلٌ لُبْدٌ . إذا كان لازماً لبيته لا يبرحه . وبه سُمِّي نَسْر لقمان لُبْدًا ، لمساطلته للعمر ، وطول بقائه على الدهر . فكأنه قال : أَهْلَكْتُ مَالًا كان باقياً لى ، وثابتاً عندى .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ، فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [١٠ ، ١١] وهذه استعارة . والمراد بالنَّجْدَيْنِ ههنا الطريقان المفضيان إلى الخير والشر . والنَّجْد : المكان العالى ، وإنما سُمِّي تعالى هذين الطريقين بالنجدين ، لأنه بينهما للمكلفين بيانا واضحا ليتبعوا سبيل الخير ، ويجتنبوا سبيل الشر . فكأنه تعالى بقرط البيان لهما قد رفعهما للعيون ، ونصَّبهما للناظرين .

(١) سبائح القطن : مانتائر أو انتفش منه . يقال : طارت سبائح القطن . انظر « المحيط » .

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَا أُقْتَحَمُ الْعَقَبَةَ ﴾ [١١] استعارة أخرى . وفسر تعالى المراد بالعقبة فقال : ﴿ فَكَ رَقَبَةٌ أَوْ أَطْعَمٌ فِي يَوْمٍ مَسْغَبَةٍ ﴾ [١٣، ١٤] الآية .

وقرىء ﴿ فَكَ رَقَبَةٌ أَوْ أَطْعَمٌ فِي يَوْمٍ مَسْغَبَةٍ ﴾ ^(١) فشبه سبحانه هذا الفعل - لو فعله الإنسان - باقتحام العقبة ، أى صعودها أو قطعها . لأن الإنسان ينجو بذلك كالناجى من الطريق الشاق ، إذا اقتحم عقبته ، وتجاوز مخافته . وحسن تمثيل هذا الفعل ههنا بالعقبة لما شبه سبحانه سبيل الخير والشر بالنجدين اللذين هما الطريقان الواضحان والعقاب ^(٢) إنما تكون فى طريق السالكين ، وسبيل المسافرين . وعليها يكون بهر الأنفاس ، وشدة الضغط والمراس .

سورة « الضحى »

وقوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾ [٢، ١] وهذه استعارة . ومعنى سجدى ، أى سكن . والليل لا يسكن ، وإنما تسكن حركات الناس فيه ، فأجرى سبحانه صفة السكون عليه لما كان السكون واقعا فيه . وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

سورة « الانشراح »

وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِى أَثْقَلَ ظَهْرَكَ ﴾ [٣، ٢، ١] وهذا القول مجاز واستعارة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن ينتهى عظم ذنبه إلى حال إقراض الظهر ، وهو صوتُ تقَعْقُعِ العظام من ثقل

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى « فك رقة أو أطعم » على أنها أفعال ماضية وتكون « رقة » منصوبة على أنها مفعول به للفعل « فك » ، وقرأ الباقر « فك رقة أو إطعام » على أنها مصدران ، وتكون كلمة « رقة » مجرورة على أنها مضاف إليه .
(٢) العقاب أى العقبات .

الحل . لأن هذا القول لا يكون إلا كنايةً عن الذنوب العظيمة ، والأفعال القبيحة . وذلك غير جائز على الأنبياء عليهم السلام ، في قول من لا يميز عليهم الصغائر ولا الكبائر ، وفي قول من يميز عليهم الصغائر دون الكبائر . لأن الله سبحانه قد نزههم عن موبقات الآثام ، ومسحقات^(١) الأفعال ، إذ كانوا أمناء وحيه ، وألسنة أمره ونهيه ، وسفراءه إلى خلقه .

وقد استقصينا الكلام على ذلك في باب مفرد من كتابنا الكبير .

ف نقول : إن المراد ههنا بوضع الوزر ليس على ما يظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب ، وإنما المراد به ما كان يعانيه النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور المستصعبة ، والمواقف الخطرة في أداء الرسالة ، وتبليغ النذارة^(٢) ، وما كان يلاقيه عليه السلام من مضار قومه ، ويتلقاه من مرامي أيدي معشره . وكل ذلك خرج في صدره ، وثقل على ظهره . فقرره الله سبحانه بأنه أزال عنه تلك المخاوف كلها ، وحطّ عن ظهره تلك الأعباء بأسرها ، وأذاله من أعدائه ، وفضله على أ كفائه ، وقدم ذكره على كل ذكر ، ورفع قدره على كل قدر ، حتى أمّن بعد الخيفة ، واطمأن بعد القلق .

(١) في الأصل « ومسحقات » وهو تحريم من الناسخ . والأفعال المسحقة هي التي توجب السحق والمهلاك

(٢) أي الإنذار ، كالإشارة ، وهي تقديم البشرى .

فهارس الكتاب

- ١ — فهرس مقدمة محقق النص
- ٢ — فهرس الأعلام الواردة في مقدمة المحقق
- ٣ — فهرس تفصلي لمسائل الكتاب
- ٤ — فهرس السور
- ٥ — فهرس الآيات
- ٦ — فهرس الأحاديث النبوية
- ٧ — فهرس الأشعار والأراجيز
- ٨ — فهرس الأعلام
- ٩ — فهرس الأعلام المترجمة بالهوامش
- ١٠ — فهرس اللغة
- ١١ — فهرس المراجع والمصادر للتحقيق والبحث



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ - فهرس مقدمة

محقق الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	المجازات في القرآن
١٠	الجاحظ ومجازات القرآن
١٤	ابن قتيبة ومجازات القرآن
١٩	تلخيص البيان
٢٤	هذه الطبعة من تلخيص البيان
٢٩	القيمة العلمية والأدبية لكتاب تلخيص البيان
٤٢	القراءات في تلخيص البيان
٤٤	إفاضة الشريف الرضي في البيان
٥٥	القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز
٥٨	مكان تلخيص البيان بين كتب التفسير
٦٢	أيهما أسبق مجازات القرآن أم المجازات النبوية ؟
٦٥	عصر الشريف الرضي
٧١	الحياة الأدبية في عصر الشريف الرضي
٧٥	الشعر والشعراء في عصر الشريف الرضي
٨٠	الشريف الرضي بين أهل السنة والشيعة
٨٤	أساتذة الشريف الرضي
٩٤	الشريف الرضي بين القرآن والحديث وكلام الإمام علي
٩٧	تأليف الشريف الرضي
١٠٢	استقلال شخصية الشريف في النقد

٢ — فهرس الأعلام

الواردة بمقدمة المحقق

ابن خلكان : ٥٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ،	أ
٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠	الأمدي : ٧٤ ، ٩٧
ابن خوير منداد : ٥٥	آدم منز : ٧٨ ، ١٠٠
ابن دريد : ٦٢	ابن أبي الحديد : ٢٧ ، ٩٦ ، ٩٨
ابن درستويه : ٦٣	ابن أبي الفوارس : ٩٠ ، ٩٢
ابن رستم : ٦٢	ابن الأثير : ١٧ ، ٤٢
ابن زولاق : ٩٧	ابن الأعرابي : ٦٢
ابن سعد : ٣٩	ابن الألفاني : ٨١ ، ٨٣ ، ٩٣
ابن سكرة : ٧٧	ابن الأنباري : ١٨ ، ٦٢
ابن سينا : ١٩	ابن بسم : ٧٥
ابن شاكر : ٣١	ابن بنية : ٦٧
ابن شهر اشب : ١٠٠	ابن جني : ١٨ ، ٢١ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٨٥
ابن عباس : ٣٦	٨٧ ، ٨٨ ، ٩٧
ابن عمر : ٣٦	ابن الجوزي : ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢
ابن العميد : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٧	٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
ابن عنبسة : ١٠١	٩١ ، ٩٢
ابن فارس : ٧٥ ، ٩٧	ابن حجاج : ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٠
ابن الفرات : ٦٥	١٠١
ابن القاص : ٥٥	ابن حجر : ٩٢
ابن قتيبة : ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦	ابن حزم : ٩٦
١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٨	ابن حفص الكناني : ٩٠
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٢	ابن حنبل : ٣٩ ، ٤٠
ابن القوطية : ٩٧	ابن خالويه : ١٨ ، ٧٤

- ابن كثير : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤
 ابن مسكويه : ٩٧
 ابن المعتز : ١٧
 ابن نباتة السعدي : ٧٦
 ابن نباتة الفارقي : ٩٣ ، ٧٦
 ابن نباتة المصري : ٧٦
 ابن النديم : ٩ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠١
 ابن هانيء الأندلسي : ٧٦ ، ٧٥
 ابن الهذيل : ١٥
 أبو أحمد الحسين الموسوي : ٢٠ ، ٨٢ ، ٧١ ، ٥١
 أبو الأسود : ٤٩
 أبو إسحاق الصابي : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ٧٩
 أبو بكر الزيدى : ١٨
 أبو بكر بن عياش : ٤٤
 أبو بكر بن العلاف : ٧٥
 أبو حكيم الخبزي : ٩٩
 أبو بكر الخوارزمي : ١٠١ ، ٩٧ ، ٧٤
 أبو بكر محمد الخوارزمي : ٨٨ ، ٨٥ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٨٩
 أبو تمام : ٧٦
 أبو جعفر الطحاوي : ٢٠
 أبو حامد الأسفرائيني : ٨١
 أبو الحسن عبد الجبار : ٨٨ ، ٢١
 أبو الحسن الرماني : ٩١ ، ٧٤ ، ١٨
 ابن الحسن علي بن عيسى الربيعي : ٣٩ ، ٩١ ، ٧٥
 أبو حنيفة : ٨٩
 أبو حيان : ٥٩ ، ٦٠ ، ٩٧
 أبو داود : ٤٠
 أبو ذؤيب الهذلي : ٣٩ ، ٢٥
 أبو الطفيل : ٣٥
 أبو العباس النامي : ٧٦
 أبو عبيدة : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢
 أبو عثمان المازني : ١٨
 أبو العلاء المعري : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٧
 أبو علي التنوخي : ٧٤
 أبو علي الجبائي : ١٥
 أبو علي الفارسي : ١٨ ، ٣٨ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٧٤
 أبو عمرو بن العلاء : ٥ ، ٤٣
 أبو الفتح البسق : ٧٤
 أبو الفتح كشاجم : ٧٥
 أبو الفرج البيهقي : ٧٦
 أبو فراس الحمداني : ٧٥
 أبو الفضل الشيرازي : ٧٠
 أبو القاسم عيسى بن داود : ٨٩ ، ٩٠
 أبو كبير الهذلي : ٣٩
 أبو هريرة : ٣٩ ، ٤٠
 أبو الهندي : ٣٩

ج-ح-خ

الجاحظ : ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤،

٢٧، ٢٩

الجرجاني : ١٧

جرير الشاعر : ٣٥، ٣٩، ٥١

جلال الدين السيوطي : ٣٠، ٣١،

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٩١

جورجي زيدان : ٣٩، ٩٦، ١٠١

الجوهري : ٧٥، ٩٧

حاجي خليفة : ٣١، ٣٢، ١٠٢

حسان بن ثابت : ٨٣، ٨٤

حسين علي محفوظ : ٢٤، ٩٩

الحصري القيرواني : ٩٧

الحضرمي : ٦٢

حمزة بن حبيب : ٤٣

خالد الواسطي : ٤٠

الحزب أرزي : ٧٥

الخطام : ٣٩

الخطيب البغدادي : ٨٩، ٩٠

د - ذ

داود النبي عليه السلام : ١٥

داود الظاهري : ٥٦

ذو الرمة : ٦، ٣٩

الراغب الأصبهاني : ٩٧

رضي الدين العزى : ٣١، ٣٣

ركن الدولة : ٧٢

رويس القاري : ٤٣

أحمد الأسكندري : ٤٤، ٤٥

أحمد عارف الزين : ٧٣

أحمد عباس الأزهرى : ٩٩

أحمد قواد الأهواني : ١٩

أحمد محمد شاكر : ٤٠، ٦٣

الأخطل : ٣٥

الأزهرى : ٧٥، ٩٧

أسامة بن منقذ : ٦٣

الأصمعي : ٦٢

الأعشى : ٧، ١٠٤

الأفوه الأودي : ٣٩

أم سلمة : ٤١

امرؤ القيس : ٣٩

الأنباري الشاعر : ٦٧

البحري : ٧٦

البخاري : ٤٠

بديع الزمان الهمداني : ٧٤، ٩٧

بقيلة الأكبر : ٣٩

بهاء الدولة بن بويه : ٢٠، ٦٧، ٦٨،

٦٩، ٧٢، ٨٢

البيضاوي : ٣٧

تاج الدولة البويهى : ٧٢

التلعكبرى : ٩٣

ثعلب : ١٨

الثعالبي : ٧٢، ٩٧، ١٠٠، ١٠١

الثعلبي : ٦٠، ٦١

٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ،
٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٠٦

الشریف المرتضى : ٧٤ ، ٨٢ ،
٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧

ص

الصاحب بن عباد : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٩٧ ، ١٠١

صريع الدلاء : ٧٦

صمصام الدولة البويهی : ٦٧ ، ٨٢ ،
ط

الطائع - الخليفة العباسی : ٦٥

الطبری المؤرخ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ،
٥٩

الطبری الفقيه المالکی : ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٦ ، ٩٠ ، ٩١

طرفة - الشاعر : ٣٩

الطوسی : ٤١

ع

عاصم بن أبي النجود : ٤٣ ، ٤٤

رؤية الراجز : ٦

ريتر المستشرق : ٥ ، ٤٤

الزبير بن العوام : ٤١

الزجاج : ١٨ ، ٥٩

الزرقانی : ٣٥

الزركلی - خير الدين : ٢١ ، ٨٨

٩٣ ، ١٠٠

زكي مبارك : ٨٢

الزحشری : ٤٢ ، ٥٧

الزهري : ٣٩ ، ٤٠

س

سابور بن أردشير : ٧٢

سامی الخانجي : ٥ ، ٤٥

السجستاني : ١٧ ، ١٨

السري الرفاء : ٧٥

سعيد المحدث : ٣٩ ، ٤٠

سفيان : ٣٩ ، ٤٠

السكاكي : ١٠ ، ١٧

السلامی : ٧٢ ، ٧٦

سلطان الدولة بن بويه : ٦٧

سلمة بن هشام : ٤٠

السلي : ٦٢

سهل الدياجي : ٩١

السيرا في : ١٨ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ،
٩١

سيف الدولة : ٨٨ ، ٩٣

ش

شرف الدولة بن بويه : ٢٠ ، ٦٧

الشریف الرضى : ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ،

١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،

غفر الدين الرازي : ٦٠ : ٦١
 القراء : ١٧ ، ٣٦
 الفضل بن دكين : ٤٠
 فؤاد سزكين : ٥ ، ٤٤
 ق
 القادر - الخليفة العباسي : ٦٥ ، ٦٦
 ٨١ ، ٨٢
 قتادة : ٥١
 قتادة بن دعامة السدوسي : ٥
 القرطبي : ٣٧ ، ٦٠ ، ٦١
 القزويني : ١٠
 القفطلي : ٣٩ ، ٧٥
 ك
 الكسائي : ٤٣
 كعب الغنوي : ٧
 م
 مالك بن أنس : ١١
 المبرد : ١٨
 المتنبي : ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ٩٣
 المتنخل : ٣٩
 محمد - النبي عليه السلام : ٦ ، ٢٩ ،
 ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٥
 محمد بن أبي بكر الرازي : ٧٥
 محمد بن النعمان : ٨١
 محمد أبو زهرة : ٥٦
 محمد أبو الفضل إبراهيم : ٣٩

عاصم الجحدري : ٤٣
 عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : ٢١ ،
 ٢٣ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩١ ،
 ١٠٠ ، ١٠١
 عبد الحسين الحلبي : ٢٣
 عبد الرحيم بن نباتة : ٣٩
 عبد السلام هارون : ١٠ ، ٢٦
 عبد القاهر الجرجاني : ٥٣
 عبدة بن الطبيب : ٣٩
 العدلي بن الفرخ : ٣٩
 العرجي الشاعر : ١١
 عز الدولة بختيار : ٦٧ ، ٧٢
 عز الدين بن عبد السلام : ٣٠ ، ٣١
 عضد الدولة بن بويه : ٦٧ ، ٦٨ ،
 ٧٢ ، ٨٨
 عقيل بن أبي طالب : ٤١ ، ٤٤ ، ٥٤
 علي بن أبي طالب : ٣٥ ، ٣٨ ، ٨٤ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
 علي بن الجهم : ٩٠
 علي خان المدني : ٧٣
 عمر بن إبراهيم الكنانى : ٨٣
 عمر بن أبي ربيعة : ٣٩
 عنزة العيسى : ٣٩
 عياش بن أبي ربيعة : ٤٠
 عيسى الثقفي : ٤٣
 عيسى الحلبي : ١٤ ، ٢٧ ، ٦٨
 عيسى بن عمر : ٤٣
 ف
 غفر الدولة بن بويه : ٧٢

- محمد اللبائدي : ٩٩
محمد محي الدين عبد الحميد : ٩٦ ، ٩٩
محمد المشكاة : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ،
٣٢ ، ٤١ ، ٨١ ، ٩٨
محمود توفيق : ٥٦
محمود مصطفى : ١٩ ، ٩٨
المرزبان : ٩٢ ، ٩٣
المستكني - الخليفة العباسي : ٦٦ ، ٨٠
مسلم : ٤٠
المسيح عليه السلام : ١٤ ، ١٥
مصطفى عناني : ٤٥
المطيع - الخليفة العباسي : ٦٥ ، ٦٦
معاوية الأموي : ٨٠
المعز لدين الله الفاطمي : ٧٦
معز الدولة البويهبي : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٠
معمار الحدث : ٣٥ ، ٤٠
المفيد : الشيخ أبو عبد الله بن المعلم محمد
ابن النعمان : ٩٢
المقتدر - الخليفة العباسي : ٦٥
المقرزي المؤرخ : ٤١
المسكتفي - الخليفة العباسي : ٦٥
ملاعب الأسنة : ٣٩
المنخل بن سبيع : ٧
المنصور - الخليفة العباسي : ٩٣
مهيار الديلمي : ٧٦
مؤيد الدولة البويهبي : ٧٢
موسى عليه السلام : ١٥ ، ١٦
المولى تاج الدين حسن : ٩٨
المولى سلطان محمود : ٩٨
المولى عبد الباقي الخطاط : ٩٨
ميمونة رضي الله عنها : ٤١
ن
النايفة الديلمي : ٣٩
نافع القاري : ٤٣
التجاشي : ١٠٠
النسابة العمري : ٥٩
النسفي : ٣٧
ه - و
هشيم الحدث : ٤٠
الوآواء : ٧٦
الواحدى : ٥٩
الوليد بن الوليد : ٤٠
وهب بن عبد الله : ٣٥
ي
ياقوت الحموي الرومي : ٧٥ ، ٨٧
يحيى بن سعيد : ٧٠
يزيد بن الصعق : ١٠
يزيد بن معاوية : ٩٣
يعقوب عليه السلام : ١٥
يعقوب - صاحب إصلاح النطق : ٨
يوسف عليه السلام : ١٦ ، ٤٠ ، ٥٧
يونس الحدث القاري : ٤٠

٣ — فهرس

تفصيلي لمسائل الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٦	معنى النكال لما بين يدي الأمة وما خلفها	١١٣	مسائل سورة البقرة
١١٦	إحاطة الخطيئة بالمرء استعارة عن عظم خطئه	١١٣	العقوبة على الكفر بالطبع على القلوب
١١٦	معنى : وقالوا قلوا بنا غلف	١١٣	بيان الاستعارة في قوله تعالى : وعلى أبصارهم غشاوة
١١٧	التعبير عن مخالطة حب العجل	١١٣	المرض في القلوب كناية عن فسادها
١١٧	قلوبهم بقوله : وأشربوا في قلوبهم العجل	١١٣	معنى استهزاء الله بالكافرين
١١٧	الاستعارة في قوله تعالى : ينس ما يأمركم به إيمانكم	١١٤	إمداد الله للكافرين في الطغيان
١١٧	بيان الاستعارة في قوله تعالى : ولبنس ما شربوا به أنفسهم	١١٤	الاستعارة في قوله تعالى : يخادعون الله والذين آمنوا
١١٨	بيان أن إسلام الوجه لله هو الإقبال على عبادته والتوجه إليه سبحانه	١١٤	استبدال النفي بالرشاد والتعبير عن ذلك باشتراء الضلالة بالهدى
١١٨	المجاز في قوله تعالى : ثم وجه الله	١١٥	ذهاب البرق بالأبصار
١١٨	التعبير عن ظهور علامات الموت بحضوره	١١٥	معنى كون الأرض فراشا والسماء بناء
		١١٥	استوى الله إلى السماء أى قصد إلى خلقها
		١١٥	إلباس الحق بالباطل
		١١٥	الاستعارة في قوله تعالى : ضربت عليهم الذلة . أى اشتملت عليهم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٨	التعبير عن دين الله بالصيغة ولم كان ذلك ؟	١٢٢	مساائل آل عمران
١١٨	الاستعارة في قوله تعالى : قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام	١٢٢	كيف تكون الآيات المحكمات
١١٨	الانجذاب في قياد الشيطان هو اتباع خطواته	١٢٢	أما للكتاب
١١٩	الاستعارة في قوله تعالى : ما يأكولون في بطونهم إلا النار	١٢٢	التعبير عن المتمكن في العلم بالراسخ فيه
١١٩	اشترى الضلالة بالهدى	١٢٢	الاستعارة في قوله : وبئس المهاد
١١٩	لماذا عبر عن النساء بأنهن لباس للرجال ، وعن الرجال بأنهم لباس للنساء	١٢٢	التعبير عن فساد الأعمال بالحبوط
١١٩	كيف يختان الإنسان نفسه ؟	١٢٣	لماذا عبر الله عن دخول الليل والنهار كل منهما في صاحبه بالإيلاج
١٢٠	كيف يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ؟	١٢٣	لماذا أطلقت لفظة «السكمة» على السيد المسيح عليه السلام
١٢٠	الجزاز في قوله تعالى : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً	١٢٣	مامعنى مكر الله ، وهل يجوز المكر عليه سبحانه ؟
١٢٠	إفراغ الله الصبر على الناس	١٢٣	التعبير عن أول النهار بوجهه
١٢١	استعارة النور للإيمان والظلمات للكفر	١٢٤	وصف الله بالواسع وهو وصف لسعة عطائه أو اتساع علمه
١٢١	إذا أثم القلب فهو إثم لصاحبه	١٢٤	التعبير عن رحمة الله بالنظر
		١٢٤	التمسك بأمر الله هو اعتصام بحبله
		١٢٤	تشبيه الله للمشفى بسوء عمله على دخول النار بالمشفى لزلة قدمه على الوقوع في النار
		١٢٤	مامعنى رجوع الأمور إلى الله
		١٢٥	معنى : ضربت عليهم الذلة ووجه الاستعارة فيها

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة النساء	١٢٥	قَطَعَ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ هُوَ
١٢٧	معنى قوله تعالى : إِنَّمَا يَا كَلُونِ		نقص عددهم لإضعافهم
	فِي بُطُونِهِمْ نَارًا	١٢٥	لقاء الموت مجاز وحقيقته لقاء أسبابه
١٢٧	الاستعارة في قوله : حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ	١٢٥	الانقلاب على الأعقاب هو
	الموتُ . لَأَنَّ الَّذِي يَتَوَفَّى هُوَ		الرجوع عن الدين
	ملك الموت	١٢٥	التعبير عن المشي في الأرض
١٢٧	معنى قوله تعالى : وَالَّذِينَ عَقَدَتْ		بالضرب فيها
	أَيْمَانَكُمْ . وَجَرِيَانِ ذَلِكَ عَلَى	١٢٦	هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ . أَيْ هُمْ
	طرائق العرب		أصحاب درجات عنده
١٢٧	إزالة الكلام عن جهة الصواب	١٢٦	التعبير عن حطام الدنيا الزائل
	هو تحريف له عن مواضعه		بمتاع الغرور
١٢٨	التعبير عن الطعن والوقعة بلى	١٢٦	مذاق الموت هو الإحساس بكماله
	الألسنة		وعذابه
١٢٨	التعبير عن مسح الوجوه بطمسها	١٢٦	المجاز في قوله تعالى : فَإِنَّ ذَلِكَ
١٢٨	قلة متاع الدنيا		مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ . لَأَنَّ الْأُمُورَ
١٢٨	التعبير عن ضيق الصدور بحصرها		لَا عَزَمَ لَهَا
١٢٨	التعبير عن المسائلة والموادعة بإلقاء	١٢٦	التعبير عن إغفال الشيء بنبذه
	السَّلامِ		وراء الظهور
١٢٨	معنى إحضار الأنفس الشَّحِّ	١٢٦	قوله تعالى : بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ .
١٢٩	التعبير عن مناقلة الحديث		أَيِّ بِمَنْجَاةٍ مِنْهَا
	بالخوض فيه	١٢٦	التعبير عن كثرة السفر بالتقلب
١٢٩	معنى قوله تعالى : وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا		فِي الْبِلَادِ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٠	تسمية المسيح عليه السلام بالكلمة	١٣٤	مامعنى إقامة التوراة والإنجيل
١٣	تسمية المسيح عليه السلام بالروح	١٣٤	الكنياية عن سعة الرزق بالأكل من
	مسائل سورة المائدة		فوق ومن تحت الأرجل
١٣١	معنى إحلال شعائر الله	١٣٤	التعبير عن توكيد الأيمان بتعقيدها
١٣١	معنى مجيء الرسول على فترة		حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد
	من الرسل	١٣٥	لما كان الرمح مباشرا لنيل
١٣٢	التعبير عن الارتداد بالانقلاب		القنيسة سمي نائلا فقيل :
١٣٢	طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسَهُ أَيْ سَهَّلَتْ وَسَوَّلَتْ		تنال الرماح شيئا من الصيد
١٣٢	استبقاء النفوس بعد استحقاقها	١٣٥	مامعنى إتيان الشهادة على
	القتل هو إحياء لها		وجهها ، وهل للشهادة وجه ؟
١٣٢	هل تؤمن القلوب أم يؤمن	١٣٥	تأويل قوله تعالى : تَعْلَمُ مَا
	أصحابها ؟ ووجه المجاز في ذلك		في نفسى ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
١٣٢	كيف أن الكتاب نزل بالحق		مسائل سورة الأنعام
	مصدقًا لما بين يديه من الكتب	١٣٦	المراد بقوله تعالى فَتَقْطِعْ
١٣٣	التعبير عن إطاعة الأمر باتباع الأهواء		دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
١٣٣	المبادرة إلى فعل الخيرات هو	١٣٦	التعبير عن إبطال الخواس
	استباق لها ، تشبيها بسباق الخيل		بأخذ الله الأسماع والأبصار
١٣٣	بيان المعنى في قوله تعالى : بَلْ	١٣٦	بيان الحسن في قوله تعالى :
	يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ		وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
١٣٤	ليس للحرب نار على الحقيقة ، وإنما	١٣٧	التعبير عن إثارة الحديث
	شبهت بالنار لأنها تأكل أهلها		بالخوض فيه
	كما تأكل النار الخطب		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٧	التعبير عن إحاطة الله بكل شيء	١٤٠	لما اغتر الناس بالدنيا حسن أن يقال إنها غرهم
١٣٧	بقوله: وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا	١٤٠	لا تتفرق السبل بأصحابها
١٣٧	أم القرى هي مكة، ولما داسمت بذلك؟	١٤١	والسالكين فيها، ولكنهم هم الذين يفارقون نهجها
١٣٧	التعبير عن كرب الموت بالغمرات	١٤١	تأويل قوله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
١٣٧	التعبير عن زوال أسباب المودة بتقطيع البين		مسائل سورة الأعراف
١٣٨	كيف يُخْرِجُ اللهُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويخرج الميت من الحي	١٤٢	الخسران يكون في الأثمان والأموال
١٣٨	التعبير عن إخراج الله للصباح من الليل بقوله: فَأَتَى الْإِصْبَاحَ		فلما ذا عبر به القرآن عن النفوس
١٣٨	معنى قوله: وَجَاعِلِ اللَّيْلِ سَكَنًا	١٤٢	التعبير عن الدين بالصراف
١٣٩	التعبير عن الاتساع في دعوى البنين والبنات لله بقوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ	١٤٣	انتصاب الاسم بحذف الجار ومثاله من الشعر
١٣٩	التعبير عن تزيين القول للتغريز بزخرفته	١٤٣	تأويل قوله تعالى: فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ
١٣٩	التعبير عن الخيرة والخافة بتقليب الأفئدة والأبصار	١٤٤	لماذا سمي اللباس ريشاً وما معنى لباس التقوى
١٤٠	إذا مالت الأفئدة إلى الشيء فقد صفت إليه، كميل السمع إلى المسموعات	١٤٤	ما معنى إقامة الوجوه عند كل مسجد
١٤٠	التعبير عن الجنة بدار السلام	١٤٤	التعبير عن الوصول إلى الجنة بتفتح أبواب السماء
		١٤٤	معنى قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
		١٤٥	كيف يصح معنى نزع الغل من الصدور

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٥	ما معنى ورائة المؤمنين الجنة	١٥١	معنى الرغبة بالنفس عن رسول الله
١٤٦	الذين يلتمسون سبيل الله ويتغنون عنها المتحاول	١٥٢	معنى أن رسول الله من أنفُس العرب
	مسائل سورة التوبة	١٥٢	كيف يعز على رسول الله عنَت المسالين وحرمانهم الثواب
١٤٧	كيف يصح الأذى على الله في قوله: إن الذين يؤذون الله ورسوله		مسائل سورة يونس
١٤٧	المجاز في نطق السورة وإخبارها بما في قلوب المنافقين	١٥٣	قدم الصدق هي السابقة في الإيمان
١٤٨	معنى الخوالب والخالفين	١٥٣	الاستواء بالأجسام أما استواء الله
١٤٨	معنى قوله: ولا تمسكوا بعصم الكوافر		على العرش فهو بمعنى الاستيلاء
١٤٩	تسمية الأيام والشهور دوائر على سبيل الاستعارة	١٥٤	تحية المؤمنين في الجنة
١٤٩	مسجد الضرار الذي بناه المنافقون . ومسجد قباء الذي رفعه المؤمنون	١٥٥	تزين الأرض بالنبات
١٥٠	ذكر بنيان مسجد الضرار لا يزال ريبة في قلوب المنافقين	١٥٥	كيف تكون الأرض حصيدا مع أن الحصيد للنبات
١٥٠	معنى شراء الله أنفُس المؤمنين وأموالهم	١٥٥	لا يوصف الليل بأن له قطعاً مظلمة إلا على سبيل المجاز
١٥٠	بيان الاستعارة في زيف القلوب	١٥٦	النهار المبصر هو تعبير استعاري معناه أن المبصرين هم أهله
١٥١	كيف تضيق النفوس على أصحابها	١٥٦	معنى: لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً
		١٥٦	معنى الطمس على الأموال
		١٥٧	معنى الشد على القلوب
		١٥٧	حديث اللهم أشد وطأتك على مضر
		١٥٧	معنى إقامة الوجه للدين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٥	معنى : بقية الله خير لكم	١٥٨	مسائل سورة هود
١٦٦	الاستعارة في قوله : أصلاتك تأمرك . لأن الصلاة لا تأمر	١٥٨	معنى تفصيل آيات الكتاب
١٦٦	اتخاذ الله ظهرياً معناه أنهم جعلوا أمر الله وراء ظهورهم	١٥٨	ثنى الصدور على عداوة الله ورسوله
١٦٦	كيف تأخذ الصيحة الذين ظلموا	١٥٩	أو ثنيها بمعنى الإخفاء والمسارة
١٦٧	جعل النار بمنزلة الماء في ورود الكافرين عليها	١٥٩	الاستعارة في إذاقة الله الناس الرحمة
١٦٧	ليس عذاب الكافرين رفدا وإنما هو على طريق المجاز، كقوله تعالى : فبشرهم بعذاب أليم	١٥٩	نزع الرحمة أي إزالتها
١٦٨	معنى القرى القائمة والحصيدة	١٦٠	الرحمة لا توصف بالعمى ولكن الناس يعمون عنها
١٦٨	تمام كلمة الله أي صدق وعيده	١٦٠	معنى : تزدري أعينكم
	مسائل سورة يوسف	١٦٠	هل يريد الله إغواء الناس كما في ظاهر قوله : إن كان الله يريد أن يغويكم ؟
١٦٩	لم قال الله تعالى : والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . ولم يقل ساجدة	١٦١	واصنع الفلك بأعيننا أي بأمرنا
١٧٠	معنى قوله تعالى : وجاءوا على قميصه بدم كذب	١٦١	أمر السماء والأرض مع أنها مما لا يعقل فلا يخاطبان
١٧١	معنى تسويل النفس للإنسان	١٦٢	لماذا يوصف العذاب بالغلظ
١٧١	معنى أضغاث أحلام	١٦٣	الاستناد إلى الكثرة من القوم والأهل هو استناد إلى ركن شديد
١٧٢	المراد بالسبع الشداد هو السنون المجذبة	١٦٤	ماهي الحجارة المسومة ؟
		١٦٤	معنى الخيل المسومة
		١٦٥	وصف اليوم بالإحاطة أو العذاب بالإحاطة في قوله : وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيط

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٧٢	معنى قوله: لا يهدي كيد الخائنين	١٨٠	مسائل سورة إبراهيم
١٧٢	معنى النفس الأمارة	١٨٠	التذكير بأيام الله
١٧٣	رفع الدرجات ليس حقيقة وإنما هو مجاز	١٨٠	معنى قوله: فردوا أيديهم في أفواههم
١٧٣	اسأل القرية . أى اسأل أهلها	١٨٢	المقصود بمقام الله هو يوم القيامة
١٧٤	روح الله هو فرجه الذي يأتي بعد الكرب	١٨٣	معنى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وما هو بميت
١٧٤	الغاشية من العذاب هو المطبق بأصحابه	١٨٤	كيف تهوى الأفئدة إلى المكان
	مسائل سورة الرعد	١٨٤	معنى قوله: وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءَ
١٧٥	معنى قوله: أَتُنَادِى لِخَلْقٍ جَدِيدٍ	١٨٥	حكاية « إن وراكبها » المنسوبة إلى ابن الزبير
١٧٥	معنى: خلعت المثلثات	١٨٦	كيف تنزل الجبال من مكر الكافرين
١٧٦	معنى: تغيض الأرحام		مسائل سورة الحجر
١٧٦	كيف يسبح الرعد بحمد الله وكيف تسبح الملائكة ؟	١٨٧	العمه في السكرات أى التردد في الغي
١٧٧	معنى: والله يسجد من في السموات والأرض	١٨٧	معنى خفض الجناح للمؤمنين
١٧٨	معنى ضرب الله الأمثال	١٨٧	تفسير قوله تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ
١٧٩	معنى القيام على كل نفس بما كسبت	١٨٨	معنى قوله: فاصدع بما تؤمر
١٧٩	معنى نقصان الله الأرض من أطرافها		مسائل سورة النحل
		١٩٠	معنى قوله يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٠	كلام لابن جني في معنى قولهم: لعمر الله ما قلت ذلك	١٩٦	الاستعارة في قوله تعالى: فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوفِ
١٩١	معنى: لم تكونوا بالغية إلا بشقِّ الأنفس	١٩٨	مسائل سورة الإسراء
١٩١	ليس الطريق جائراً، وإنما يحور من يسير فيه	١٩٨	معنى: فمحنونا آية الليل
١٩١	المجاز في قوله تعالى: ليحملوا أوزارهم كاملةً	١٩٨	معنى: وجعلنا آية النهار مبصرةً
١٩٢	معنى: فأتى الله بنيانهم من القواعد	١٩٩	قوله تعالى: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه
١٩٢	هل يلتقي السلم على الحقيقة	٢٠٠	الاستعارة في قوله تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
١٩٢	تفسير قوله تعالى: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٢٠٠	الكناية في قوله تعالى: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
١٩٣	الظلال - على الحقيقة - لا تنفياً	٢٠١	الاستعارة في جعل الأكنة على القلوب
١٩٣	معنى قوله: فاسلكي سبل ربك ذللاً	٢٠١	الوصف بالمصدر في قوله تعالى: وإذ هم نجوى .
١٩٣	هل العسل خارج من بطون النحل وإذا كان ذلك غير صحيح فما معنى قوله تعالى: يخرج من بطونها شراب	٢٠١	الاستعارة في قوله: وآتيناهم الناقة مبصرة
١٩٤	معنى إلقاء القول	٢٠٢	معنى قوله تعالى: لأحتسبن ذريته إلا قليلاً
١٩٥	معنى زلل القدم في الدين بعد ثبوتها	٢٠٣	معنى دلوك الشمس
١٩٥	المقصود بروح القدس هو جبريل	٢٠٤	معنى قوله تعالى: وزهق الباطل
١٩٥	المجاز في كلمة اللسان	٢٠٤	معنى قوله تعالى: قل كلُّ يعمل على شاكلته

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٤	معنى خزان رحمة الله	٢١٣	المجاز في قوله : أحاط بهم سرادقها
٢٠٥	معنى قوله تعالى : وقرآنًا فرقناه	٢١٣	معنى قوله : وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
	مسائل سورة الكهف	٢١٤	الاستعارة في قوله تعالى : وساءت مرتفقا
٢٠٦	وصف الكلام بالاستقامة والعوج والمجاز فيه	٢١٤	الاستعارة في قوله تعالى : ولم تظلم منه شيئا
٢٠٦	وصف الكلمة بالكبر استعارة	٢١٥	معنى قوله تعالى : ليدحضوا به الحق
٢٠٦	الاستعارة في قوله تعالى : وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا	٢١٥	الاستعارة في قوله : ونسي ما قدمت يداه
٢٠٧	معنى الضرب على الأذن ، ولم لا يكون الضرب على الأبصار ؟	٢١٥	هل للجدار إرادة حتى يريد أن ينقض ؟
٢٠٨	معنى قوله تعالى : وربطنا على قلوبهم	٢١٦	أ كاد أخفيها أي أريد إظهارها
٢٠٩	معنى نشر رحمة الله	٢١٧	الاستعارة في قوله تعالى : وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض
٢٠٩	المجاز في قوله تعالى : ويهيء لكم من أمركم مرفقا	٢١٨	الاستعارة في قوله تعالى : الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى
٢٠٩	معنى تراور الشمس	٢١٨	معنى ضلال السعي في الدنيا
٢١٠	الاستعارة في قوله : وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال	٢١٨	معنى الكفر بآلاء الله
٢١٠	معنى قوله تعالى : وكذلك أعثرنا عليهم	٢١٩	الاستعارة في قوله : فلا نقيم لهم
٢١٠	معنى الرجم بالغيب		يوم القيامة وزنا
٢١١	معنى : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٢٦	تشبيه الأرض بالمهاد	٢٢٠	مسائل سورة مريم
٢٢٦	الاستعارة في قوله: وعنت الوجوه	٢٢٠	الاستعارة في قوله تعالى: واشتعل
	للحى القيوم		الرأسُ شيباً
	مسائل سورة الأنبياء	٢٢٠	الاستعارة في قوله: فأجاءها الخاضُ
٢٢٧	الاستعارة في قوله تعالى: وكم		إلى جذع النخلة
	قصصاً من قرية كانت ظالمة	٢٢٠	اللسان هو الثناء الجميل
٢٢٧	الاستعارة في قوله: فما زالت تلك		مسائل سورة طه
	دعواهم حتى جعلناهم حصيداً	٢٢١	تفسير قوله تعالى: إن الساعة آتية
	خامدين		أكاد أخفيها
٢٢٨	الاستعارة في قذف الحق على الباطل	٢٢٣	بيان قوله تعالى: سنعيد لها سيرتها
٢٢٨	الاستعارة في فتق السموات		الأولى
	والأرض بعد أن كانت ارتقا	٢٢٣	الاستعارة في قوله تعالى: واصمم
٢٢٩	الاستعارة في قوله تعالى: وجعلنا		يدك إلى جناحك تخرج بيضاء
	السماء سقفاً محفوظاً		من غير سوء
٢٢٩	تفسير قوله تعالى: كل في فلك	٢٢٤	تفسير قوله تعالى: واحلل عقدة
	يسبحون		من لسانى . وبيان أن المقصود بذلك
٢٣٠	معنى قوله: خلق الإنسان من عجل		إزالة لفظ في لسانه يعطيه عن الكلام
٢٣٠	معنى النفخة من العذاب	٢٢٤	تفسير قوله تعالى: وألقيت عليك
٢٣١	المجاز في قوله: ثم نكسوا على		محبة منى ولتصنع على عيني
	رؤوسهم	٢٢٥	الاستعارة في قوله تعالى:
٢٣١	الاستعارة في قوله: ونجيناهُ		واصطنعتك لنفسى
	من القرية	٢٢٥	بيان الاستعارة في قوله: ربنا
٢٣١	معنى تسييح الطير والجبال		الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٢	معنى قوله : فننخنا فيها من رؤوحنا	٢٤١	الاستعارة في قوله تعالى : من سُلالة
٢٣٢	الاستعارة في قوله : وتقطّعوا أمرهم	٢٤١	من طين
٢٣٣	بينهم	٢٤١	المراد بالطرائق : السموات
٢٣٣	كيف يكون المشركون وآلهم	٢٤١	معنى قوله تعالى : واصنع الفلك
٢٣٤	حصب جهنم	٢٤٢	بأعيننا
٢٣٤	الاستعارة في قوله : يومَ نطوى	٢٤٢	الاستعارة في قوله : فجعلناهم غشاء
	السما كطى السجل للكتاب	٢٤٢	كيف ينطق الكتاب بالحق وبيان
	مسائل سورة الحج		المجاز فيه
٢٣٦	الاستعارة في زلزلة الساعة	٢٤٣	معنى قوله تعالى : بل قلوبهم في
٢٣٦	الاستعارة في اهتزاز الأرض		غبرة من هذا
	بنزول الماء	٢٤٣	المجاز في قوله : ولو اتبع الحق
٢٣٧	بيان الاستعارة في قوله : ثانی عطفه		أهواءهم
٢٣٧	معنى عبادة الله على حرف، وبيان		مسائل سورة النور
	المجاز فيها	٢٤٤	الاستعارة في شهادة الألسنة
٢٣٧	ما معنى سجود الشمس والقمر		والأيدي والأرجل
	والنجوم والجبال والشجر والدواب	٢٤٥	المجاز في ضرب الخمار على الجيوب
٢٣٨	بيان الاستعارة في قوله : قطعت	٢٤٥	الاستعارة في قوله تعالى : الله نور
	لهم ثياب من نار		السموات والأرض
٢٣٩	لماذا وصف الله القلوب بقوله : التي	٢٤٥	الاستعارة في قوله : يكاد زيتها
	في الصدور ؟		يضى
٢٤٠	كيف يكون اليوم عقيماً في قوله	٢٤٥	معنى تقلب القلوب والأبصار
	تعالى : أو يأتيهم عذاب يوم	٢٤٦	الاستعارة في قوله : ووجد الله عنده
	عقيم		

الصفحة

الموضوع

٢٤٦ الاستعارة في قوله : وينزل من

السماء من جبال فيها من برد

٢٤٧ المجاز في قوله تعالى : يقلب الله

الليل والنهار

مسائل سورة الفرقان

٢٤٨ هل ترى جهنم أهلها ؟

٢٤٨ المجاز في تعيظ النار وزفيرها

٢٤٩ الاستعارة في قوله تعالى : وقد منا

إلى ما عملوا من عمل

٢٤٩ الاستعارة في قوله : فجعلناه هباء

منثورا

٢٥٠ الاستعارة في وصف الجنة بكونها

« أحسن مقبلا »

٢٥٠ الاستعارة في تشقق السماء بالغمام

٢٥١ معنى قوله تعالى : أرايت من اتخذ

إلهه هواه

٢٥١ الاستعارة في قوله تعالى : ألم تر

إلى ربك الخ

٢٥٢ الاستعارة في جعل الليل لباسا

٢٥٣ الاستعارة في جعل النهار نشورا

٢٥٣ إحياء الأرض بالنبات وبيان

الاستعارة فيه

٢٥٣ معنى قوله تعالى : مرج البحرين

الصفحة

الموضوع

٢٥٤ تشبيه الشمس أو النجوم بالسراج

في الهداية

٢٥٤ معنى خلفه الليل للنهار

٢٥٥ الصمم عن قوارع النذر والتعبير عن

ذلك بقوله تعالى : لم يجرؤا عليها

صمًا وعميانا

مسائل سورة الشعراء

٢٥٦ بيان قوله تعالى : فلما تراءى الجمعان

٢٥٧ الفتح والفتاحة معناه الحكم

٢٥٧ معنى النخل الهضم

٢٥٨ المجاز في قوله : وتقلبك في الساجدين

٢٥٨ معنى قوله تعالى : يلقون السمع

وأكثرهم كاذبون

٢٥٩ وصف الشعراء بالهيمن في كل وادٍ

مسائل سورة النمل

٢٦٠ آتس النار بمعنى رآها

٢٦٠ المجاز في قوله : قاطعة أمرا

٢٦١ المقصود بارتداد الطرف وبيان

الاستعارة فيه

٢٦١ العمى المجازي لا يقصد به فقد

عضو الإبصار

٢٦٢ المجاز في قوله تعالى : إن هذا القرآن

يقص الخ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧١	كيف يحقق المكر السيء بأهله	٢٦٤	مسائل سورة الأحزاب
	مسائل سورة يس		التعبير عن إلقاء الرعب بقذفه في
٢٧٢	الإقحاح في قوله تعالى : فهي إلى		القلوب
	الأذقان فهم مقمحون	٢٦٤	الفاحشة التي تبين حال صاحبها
٢٧٤	معنى سلخ الليل من النهار والنهار	٢٦٤	صفة النبي بالسراج المنير وبيان
	من الليل		المجاز فيه
٢٧٤	التعبير عن المات بالمرقد ووجه	٢٦٥	إباء السموات والأرض حمل الأمانة
	الاستعارة فيه		وحمل الإنسان إياها
٢٧٥	معنى الطمس على العيون		مسائل سورة سبأ
٢٧٥	معنى التعمير والتشكيس في	٢٦٦	معنى قوله تعالى : فرزع عن قلوبهم
	أنخلق	٢٦٦	الكتب السابقة على القرآن
٢٧٥	التعبير عن الغافل إذا تيقظ		كأنها بين يديه
	بالحي	٢٦٧	المراد بمكر الليل والنهار
٢٧٥	الاستعارة في قوله تعالى : بما	٢٦٧	صفة النبي عليه السلام بالذير
	عملت أيدينا	٢٦٧	الاستعارة في قوله تعالى : وما يبدى
	مسائل سورة الصافات		الباطل وما يعيد
٢٧٧	المراد بقاصرات الطرف ووجه	٢٦٨	الاستعارة في قوله : ويقذفون
	الاستعارة فيه		بالغيب من مكان بعيد
	مسائل سورة ص		مسائل سورة فاطر
٢٧٨	معنى « وفرعون ذو الأوتاد »	٢٦٩	كيف يصعد الكلم الطيب إلى السماء
٢٧٨	الصيحة التي مالها من فوق	٢٧٠	معنى قوله تعالى : وإن تدع مثقلة
	والأقوال في ذلك		إلى حملها لا يحمل منه شيء

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧٩	الكناية عن المرأة بالنعجة	٢٨٩	الاستعارة في قوله: رفيعُ الدرجات
٢٨٠	معنى المسح بالسوق والأعناق	٢٩٠	الروح كناية عن الوحي
٢٨١	استطراد في مسح بعض الرأس في الوضوء	٢٩٠	المراد بخائفة الأعين
٢٨١	أولو الأيدي معناها: أولو القوة	مسائل سورة السجدة	
مسائل سورة الزمر		٢٩٢	كيف تكون القلوب في أكنة؟
٢٨٣	الاستعارة في تكوير كل من الليل والنهار على صاحبه	٢٩٣	خطاب الله للسموات والأرض
٢٨٣	معنى الحديث المأثور: نعوذ بالله من الحور بعد الكور	٢٩٣	لماذا قال تعالى: أتينا طائعين. ولم يقل طائعات
٢٨٤	الاستعارة في قوله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها	٢٩٤	العمى: هو ظلام البصيرة
٢٨٥	الاستعارة في قوله تعالى: يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله	٢٩٥	التعبير عن جذب الأرض بالخشوع في قوله تعالى: ترى الأرض خاشعة
٢٨٥	الاستعارة في قوله: له مقاليد السموات والأرض	٢٩٥	الاستعارة في وصف القرآن بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
٢٨٧	الاستعارة في قوله تعالى: والأرضُ جميعا قبضته يوم القيامة	٢٩٦	المجاز في قوله تعالى: أولئك ينادون من مكان بعيد
٢٨٧	معنى قوله تعالى: والسموات مطوياتٌ بيمينه	٢٩٦	الاستعارة في صفة الدعاء بالعريض
مسائل سورة المؤمن		٢٩٧	الاستعارة في إقامة الدين
٢٨٩	الاستعارة في قوله تعالى: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما	٢٩٧	الاستعارة في قوله تعالى: حجّهم داخضة
		٢٩٨	الاستعارة في حرث الدنيا والآخرة
		٢٩٨	بيان المجاز في نشر رحمة الله

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩٨	النظر من طرف خفي و بيان المجاز فيه	٣٠٨	مسائل سورة محمد
٣٠٠	مسائل سورة الزخرف	٣٠٨	الاستعارة في قوله تعالى : حتى تضع الحرب أوزارها
٣٠٠	معنى قوله تعالى : أفنضربُ عنكم الذِّكرَ صفحاً	٣٠٨	الاستعارة في قوله : فإذا عزم الأمر
٣٠٠	لماذا قال الله تعالى : فأنشرناه بلدة ميتة . ولم يقل : فأحيينا	٣٠٩	الاستعارة في قوله : أم على قلوب أقمنا
٣٠١	الكلمة الباقية في عقب إبراهيم هي كلمة الإخلاص والتوحيد		مسائل سورة ق
٣٠١	الاستعارة في قوله تعالى : واسأل من أرسلنا من قبلك من رُسُلنا	٣١٠	معنى سكرة الموت
	مسائل سورة الدخان	٣١٠	معنى كشف الغطاء يوم القيامة
٣٠٣	معنى قوله تعالى : فيها يفرق كلٌ أمر حكيم	٣١١	كيف تنطق جهنم و بيان المجاز في ذلك
٣٠٣	العلو : هو مجاز يقصده الاستكبار	٣١٢	الاستعارة في قوله : لمن كان له قلب
٣٠٣	الاستعارة في قوله تعالى : فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما قيل في ذلك من أقوال		مسائل سورة الذاريات
	مسائل سورة الجاثية	٣١٣	معنى الحجارة المسومة
٣٠٥	معنى قوله تعالى : على شريعة من الأمر	٣١٣	الاستعارة في قوله : فتولى بركنه
٣٠٥	كيف ينطق الكتاب بالحق ؟	٣١٤	معنى الريح العقيم و بيان المجاز فيها
	مسائل سورة الأحقاف		مسائل سورة الطور
٣٠٦	معنى الأثرة من العلم	٣١٥	معنى قوله : أم تأمرهم أحلامهم
		٣١٥	الاستعارة في قوله : ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم
			مسائل سورة النجم
		٣١٧	الاستعارة في قوله : ما كذب الفؤاد ما رأى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١٧	الاستعارة في قوله : مازاغ البصر وما طنى	٣٢٦	مسائل سورة الحديد
٣١٨	مسائل سورة القمر	٣٢٧	الاستعارة في قوله : هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن
٣١٨	كيف تفتح أبواب السماء بماء منهمر	٣٢٧	كيف يرث الله السموات والأرض ، والاستعارة في ذلك
٣١٨	الاستعارة في إلقاء الذِّكر	٣٢٧	الاستعارة في قوله : ماؤاكم النارُ هي مولاكم
٣١٨	الاستعارة في قوله تعالى : والساعة أدهى وأمر	٣٢٧	بيان المجاز في قوله تعالى : وأنَّ الفضلَ بيدِ الله
٣٢٠	مسائل سورة الرحمن	٣٢٨	مسائل سورة المجادلة
٣٢٠	كيف يسجد النجم والشجر والاستعارة في ذلك	٣٢٨	الاستعارة في قوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
٣٢٠	الاستعارة في قوله : ووضع الميزان	٣٢٨	كيف تكون الأيمان جنة
٣٢٠	الاستعارة في قوله : مرج البحرين يلتقيان	٣٢٩	الاستعارة في قوله : كتب الله إلخ
٣٢١	الاستعارة في قوله : ويبقى وجه ربك	٣٢٩	كيف يؤيد الله بروح منه ؟
٣٢٢	معنى قوله تعالى : سنفرغ لكم أيها الثقلان	٣٣٠	مسائل سورة الحشر
٣٢٥	مسائل سورة الواقعة	٣٣٠	الاستعارة في قوله : والذين تبوءوا الدارَ والأيمان
كاذبة	الاستعارة في قوله : ليس لوقعها	٣٣٠	كيف يتصدع الجبل من خشية الله . وبيان المجاز فيه
		٣٣١	مسائل سورة الممتحنة
		٣٣١	الاستعارة في الإلقاء بالمودة
		٣٣١	بسط الألسن بالسوء على المجاز

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٣٢	معنى قوله تعالى: ولا تمسكوا بعصم الكوافر	٣٣٨	مساءئل سورة الملك
٣٣٣	مساءئل سورة الصف	٣٣٨	كيف يكون الملك بيد الله؟
٣٣٣	الاستعارة في قوله تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٣٣٨	ترديد البصر في السماء
٣٣٤	مساءئل سورة الجمعة	٣٣٩	المجاز في شقيق النار
٣٣٤	الاستعارة في قوله تعالى: ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم	٣٣٩	معنى تميز النار من الغيظ
٣٣٤	مساءئل سورة «المنافقون»	٣٤٠	الاستعارة في صفة الأرض بالذلول
٣٣٤	الاستعارة في قوله تعالى: والله خزائن السموات والأرض	٣٤١	لماذا جعل الخابط في الضلال مكبا على وجهه
٣٣٥	مساءئل سورة التغابن	٣٤١	مساءئل سورة القلم
٣٣٥	القرآن هو النور الذي أنزل على النبي عليه السلام	٣٤١	الكناية عن هول الأمور بالكشف
٣٣٥	المجاز في «يوم التغابن»	٣٤٢	تغليظ الوعيد بقوله تعالى: ذرني
٣٣٦	مساءئل سورة التحريم	٣٤٣	معنى قوله تعالى: ليزلقونك بأبصارهم
٣٣٦	الاستعارة في قوله: فقد صغت قلوبكما	٣٤٣	مساءئل سورة الحاقة
٣٣٧	المراد بقطع يد السارق والسارقة قطع اليمين	٣٤٣	معنى الريح الصرصر، والاستعارة في وصفها بالعتو
٣٣٧	ما معنى التوبة النصوح؟	٣٤٣	المقصود بالأخذه الراهية
٣٣٨	الاستعارة في قوله: كانت تحت عبيد من عبادنا صالحين	٣٤٤	الاستعارة في قوله: طغى الماء
		٣٤٤	المجاز في قوله: عيشة راضية
		٣٤٥	الاستعارة في قوله: لأخذنا منه باليمين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة المدثر		مسائل سورة سأل سائل
٣٥٣	المقصود بتطهير الثياب تطهير النفس على سبيل المجاز في قوله تعالى: وثيابك فطهر	٣٤٦	كيف تدعو النار من أدبر وتولى
٣٥٤	الاستعارة في قوله تعالى: والصبح إذا أسفر		مسائل سورة نوح
	مسائل سورة القيامة	٣٤٧	معنى قوله تعالى: لا ترجون الله وقاراً. وتفسير لا ترجون بمعنى لا تخافون. والشاهد على ذلك من كلام العرب
٣٥٥	بيان قوله تعالى: بل الإنسان على نفسه بصيرة	٣٤٨	معنى إنباتنا من الأرض
٣٥٦	الاستعارة في قوله تعالى: والتفت الساق بالساق	٣٤٩	معنى: والله جعل لكم الأرض بساطاً
	مسائل سورة الدهر		مسائل سورة الجن
٣٥٦	كيف يستطير الشر	٣٤٩	كنا طرائق قديداً، أى ضروباً مختلفة
٣٥٦	الاستعارة في وصف اليوم بالعبوس	٣٥٠	كيف يكون القاسطون خطباء الجحيم
٣٥٧	المجاز في قوله تعالى: وذلت قطوفها تذليلاً	٣٥٠	الكناية عن الجماعات باللبد
٣٥٧	الاستعارة في وصف اليوم بالثقل		مسائل سورة المزمل
	مسائل سورة المرسلات	٣٥١	وصف القرآن بالثقل معناه وصفه برجاجة القدر
٣٥٨	الاستعارة في قوله: فإذا النجوم طمست	٣٥١	معنى ناشئة الليل. ولما ذا كانت أشد وطأً وأقوم قيلاً
	مسائل سورة عم	٣٥٢	السبح الطويل في النهار هو استعارة للتصرف والعمل الواسع بالنهار
٣٥٨	الاستعارة في قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٥٨	لماذا سميت الأرض بالساهرة ؟	٣٦٣	لماذا قال تعالى : من ماء دافق ولم يقل : مدفوق ؟
٣٥٩	سؤال الموءودة عن سبب قتلها	٣٦٤	الاستعارة في قوله تعالى : والسماء ذات الرجج
٣٥٩	الاستعارة في صفة النجوم بالخنفس الكنّس		مسائل سورة الغاشية
٣٦٠	الاستعارة في قوله تعالى : والصبح إذا تنفس	٣٦٤	المقصود بالوجوه هو أصحاب الوجوه
	مسائل سورة «المطفون»		في قوله تعالى : وجوه يومئذ خاشعة
٣٦١	كيف يحجب الكفار عن ربهم ؟	٣٦٥	الحجاز في قوله تعالى : لاتسمع فيها لاغية
	مسائل سورة الانشقاق		مسائل سورة الفجر
٣٦١	المراد بإلقاء الأرض ما فيها هو بعث الأموات وإعادة الرفات	٣٦٥	الاستعارة في قوله تعالى : والليل إذا يسر
٣٦٢	الاستعارة في قوله تعالى : والليل وما وسق	٣٦٥	الاستعارة في قوله تعالى : وفرعون ذى الأوتاد
٣٦٢	التعبير عن الانقلاب من حال شديدة إلى حال مثلها بقوله تعالى : لتركنن طبقاً عن طبق	٣٦٦	بيان الاستعارة في قوله تعالى : فصب عليهم ربك سوط عذاب
٣٦٣	مجاز قوله تعالى : والله أعلم بما يوعون		مسائل سورة البلد
	مسائل سورة الطارق	٣٦٦	معنى قوله تعالى : يقول أهلكت مالا لبدا . وبيان الاستعارة فيه
٣٦٣	الطارق كناية عن النجم	٣٦٦	المراد بالنجدين في قوله تعالى : وهديناه النجدين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
۳۶۷	الاستعارة في قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة	۳۶۷	مسائل سورة الضحى
۳۶۷	بيان وضع الوزر الذي أنقض ظهر النبي عليه السلام	۳۶۷	معنى سجا الليل ، ووجه المجاز فيه



مركز تحقيق كتاب پويز علوم اسلامی

٤ — فهرس السور

الصفحة اسم السورة	الصفحة اسم السورة
٢٦٤ سورة الأحزاب	١١٣ سورة البقرة
٢٦٦ » سبأ	١٢٢ » آل عمران
٢٦٩ » فاطر » الملائكة	١٢٧ » النساء
٢٧٢ » يس	١٣١ » المائدة
٢٧٧ » الصافات	١٣٦ » الأنعام
٢٧٨ » ص	١٤٢ » الأعراف
٢٨٣ » الزمر	١٤٧ » التوبة
٢٨٩ » المؤمن	١٥٣ » يونس
٢٩٢ » فصلت	١٥٨ » هود
٢٩٧ » الشورى	١٦٩ » يوسف
٣٠٠ » الزخرف	١٧٥ » الرعد
٣٠٣ » الدخان	١٨٠ » إبراهيم
٣٠٥ » الجاثية	١٨٧ » الحجر
٣٠٦ » الأحقاف	١٩٠ » النحل
٣٠٨ » محمد	١٩٨ » الإسراء » بنو إسرائيل
٣١٠ » ق	٢٠٦ » الكهف
٣١٣ » الذاريات	٢٢٠ » مريم
٣١٥ » الطور	٢٢١ » طه
٣١٧ » النجم	٢٢٧ » الأنبياء
٣١٨ » القمر	٢٣٦ » الحج
٣٢٠ » الرحمن	٢٤١ » المؤمنون
٣٢٥ » الواقعة	٢٤٤ » النور
٣٢٦ » الحديد	٢٤٨ » الفرقان
٣٢٨ » المجادلة	٢٥٦ » الشعراء
	٢٦٠ » النمل

الصفحة اسم السورة	الصفحة اسم السورة
٣٥٥ سورة القيامة	٣٣٠ سورة الحشر
٣٥٦ » الدهر	٣٣١ » المتحنة
٣٥٨ » المرسلات	٣٣٣ » الصف
٣٥٨ » عم يتساءلون	٣٣٤ » سورة الجمعة
٣٥٨ » النازعات	٣٣٤ » المنافقون
٣٥٩ » عبس	٣٣٥ » التغابن
٣٥٩ » التكاثر	٣٣٦ » التحريم
٣٦٠ » الانفطار	٣٣٨ » الملك
٣٦١ » المطففين	٣٤١ » القلم
٣٦١ » الانشقاق	٣٤٣ » الحاقة
٣٦٣ » الطارق	٣٤٦ » المعارج
٣٦٤ » الغاشية	٣٤٧ » نوح
٣٦٥ » الفجر	٣٤٩ » الجن
٣٦٦ » البلد	٣٥١ » الزمل
٣٦٧ » الضحى	٣٥٣ » المذثر
٣٦٧ » الانشراح	



المركز الثقافي كالمبيوتر علوم

٥ - فهرس الآيات والسور^(١)

الآية	رقعها	السورة	صفحة
وعلى أبصارهم غشاوة	٧	البقرة	١١٣
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا	١٠	»	١١٣
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون	١٥	»	١١٣
يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم	٩	»	١١٤
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فاربحت تجارتهم	١٦	»	١١٤
يكاد البرق يخطف أبصارهم	٢٠	»	١١٤
يكاد سنا برق يذهب بالأبصار	٤٣	النور	١١٥
الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء	٢٢	البقرة	١١٥
ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات	٢٩	»	١١٥
ولا تلبسوا الحق بالباطل	٣٩	»	١١٥
وضربت عليهم الذلة والمسكنة	٦١	»	١١٥
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها	٦٦	»	١١٥
وإن منها لما يهبط من خشية الله	٧٤	»	١١٦
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته	٨١	»	١١٦
وقالوا قلوبنا غلف	٨٨	البقرة	١١٦
وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه	٥	فصلت	١١٦

(١) قد أثبتنا رقم الآيات فى السور تسهلا للمراجعة ، واعتمدنا فى ذلك المصحف الذى قام بطبعه ونشره
هيسى البابى الحلبي بصريح من وزارة الداخلية ومشخة عموم المقارىء المصرية.

الآية	رقبها	السورة	صفحة
وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم	٩٣	البقرة	١١٧
بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين	٩٣	»	١١٧
ولبئس ما أشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون	١٠٢	»	١١٧
بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن	١١٢	»	١١٨
فأينما تولوا فثم وجه الله	١١٥	»	١١٨
إلا من سفة نفسه	١٣٠	»	١١٨
إذ حضر يعقوب الموت	١٣٣	»	١١٨
صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة	١٣٨	»	١١٨
قول وجهك شطر المسجد الحرام	١٥٠	»	١١٨
ولا تتبعوا خطوات الشيطان	١٦٨	»	١١٨
مايا كلون في بطونهم إلا النار	١٧٤	»	١١٩
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	١٧٦	»	١١٩
ههنا لباس لكم وأنتم لباس لهن	١٨٧	»	١١٩
علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم	١٨٧	»	١١٩
حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر	١٨٧	»	١٢٠
ولأننا أكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام	١٨٨	»	١٢٠
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا	٢٤٥	»	١٢٠
ربنا أفرغ علينا صبرا	٢٥٠	»	١٢٠
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور	٢٥٧	»	١٢١
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه	٢٨٣	»	١٢١
منه آيات محكمات هن أم الكتاب	٧	آل عمران	١٢٢
والراسخون في العلم يقولون آمنا به	٧	»	١٢٢

الآية	رقها	السورة	صفحة
وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد	١٢	آل عمران	١٢٢
أولئك الذين حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ	٢٢	»	١٢٢
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل	٢٧	»	١٢٣
مصدقاً بكلمة من الله	٣٩	»	١٢٣
ومكروا ومكر الله	٥٤	»	١٢٣
آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره	٧٢	»	١٢٣
والله واسع عليم	٧٣	»	١٢٤
ولا ينظر إليهم يوم القيامة	٧٧	»	١٢٤
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا	١٠٣	»	١٢٤
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها	١٠٣	»	١٢٤
وإلى الله ترجع الأمور	١٠٩	»	١٢٤
ضربت عليهم الذلة أينما نقفوا إلا بحبل من الله	١١٢	»	١٢٥
ليقطع طرفاً من الذين كفروا	١٢٧	»	١٢٥
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه			
وأنتم تنظرون	١٤٣	»	١٢٥
أفإن مات أوقلت انقلبتم على أعقابكم	١٤٤	»	١٢٥
وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً	١٥٦	»	١٢٥
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون	١٦٣	»	١٢٦
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور	١٨٥	»	١٢٦
كل نفس ذائقة الموت	١٨٥	»	١٢٦
وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور	١٨٦	»	١٢٦
فنبذوه وراء ظهورهم	١٨٧	»	١٢٦

الآية	رقعها	السورة	صفحة
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب	١٨٨	آل عمران	١٢٦
لا يغيرنك قلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل	١٩٦	»	١٢٦
إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا	١٠	النساء	١٢٧
فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت	١٥	»	١٢٧
والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم	٣٣	»	١٢٧
يحرّفون الكلم عن مواضعه	٤٦	»	١٢٧
ليأ بالسننهم وطعنا في الدين	٤٦	»	١٢٨
من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها	٤٧	»	١٢٨
قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى	٧٧	»	١٢٨
حصرت صدورهم أن يقاتلوكم	٩٠	»	١٢٨
فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم	٩٠	»	١٢٨
وأحضرت الأنفس الشح	١٢٨	»	١٢٨
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم	١٥٧	»	١٢٨
فلا تعمدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره	١٤٠	»	١٢٩
ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا	١٥٧	»	١٢٩
إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم	١٧١	»	١٣٠
يأيتها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	٢	المائدة	١٣١
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام	١٦	»	١٣١
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل	١٩	»	١٣١
ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين	٢١	»	١٣١
فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين	٣٠	»	١٣٢
أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما			
قتل الناس جميعا	٣٢	»	١٣٢

الآية	رقها	السورة	صفحة
من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم	٤١	المائدة	١٣٢
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب	٤٨	»	١٣٢
ولا تتبع أهواءهم	٤٨	»	١٣٣
فاستبقوا الخيرات	٤٨	»	١٣٣
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه	٥٤	»	١٣٣
وقالت اليهود يدُ الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا			
بل يدها مبسوطتان	٦٤	»	١٣٣
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله	٦٤	»	١٣٣
ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم			
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	٦٦	»	١٣٤
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض	٩٦	الأعراف	١٢٤
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان	٨٩	المائدة	١٣٤
ليبؤنكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم	٩٤	»	١٣٥
ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها	١٠٨	»	١٣٥
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك	١١٦	»	١٣٥
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين	٤٥	الأنعام	١٣٦
قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم	٤٦	»	١٣٦
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو	٥٩	»	١٣٦
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم	٦٨	»	١٣٧
وسع ربى كل شيء علما	٨٠	»	١٣٧
ولتنذر أم القرى ومن حولها	٩٢	»	١٣٧
ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت	٩٣	»	١٣٧

الآية	رقبها	السورة	صفحة
لقد تقطع بينكم	٩٤	الأنعام	١٣٧
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي	٩٥	»	١٣٨
فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا	٩٦	»	١٣٨
وخرقواله بنين وبناتٍ بغير علم	١٠٠	»	١٣٩
يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا	١١٢	»	١٣٩
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة	١١٠	»	١٣٩
ولتصني إليه أفئدت الذين لا يؤمنون بالآخرة	١١٣	»	١٤٠
لهم دار السلام عند ربهم	١٢٧	»	١٤٠
قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا	١٣٠	»	١٤٠
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله	١٥٣	»	١٤٠
ولا تزددوا زرداً أخرى	١٦٤	»	١٤١
واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً	٤٨	البقرة	١٤١
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم	٧	الأعراف	١٤٢
قال فما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم	١٦	»	١٤٢
فدلّاهما بغرور	٢٢	»	١٤٣
يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم	٣٦	»	١٤٣
وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد	٢٩	»	١٤٤
إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء	٤٠	»	١٤٤
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	١١	القمر	١٤٤
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواشٍ	٤١	الأعراف	١٤٤
ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ	٤٣	»	١٤٥
ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون	٤٣	»	١٤٥

الآية	رقعها	السورة	صفحة
وكننا نحن الوارثين	٥٨	القصص	١٤٥
ولله ميراثُ السموات والأرض	١٨٠	آل عمران	١٤٥
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها	١٣٧	الأعراف	١٤٥
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها	٢٧	الأحزاب	١٤٦
الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً	٤٥	الأعراف	١٤٦
خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	٥٣	»	١٤٦
يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً	٥٤	»	١٤٦
إن الذين يؤذون الله ورسوله	٥٧	الأحزاب	١٤٧
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم	٦٤	التوبة	١٤٧
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف	٨٧	»	١٤٨
فاعدوا مع الخالفين	٨٣	»	١٤٨
ولا تمسكوا بعصم الكوافر	١٠	المتحنة	١٤٨
ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء	٩٨	التوبة	١٤٩
أمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من			
أسس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فساهر به في نار جهنم	١٠٩	»	١٤٩
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم	١١٠	»	١٥٠
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة	١١١	»	١٥٠
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم	١١٧	»	١٥٠
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت	١١٨	»	١٥١
ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا			
عن رسول الله	١٢٠	»	١٥١
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أأيكم زادته هذه إيماناً	١٢٤	»	١٥١

الآية	رقمها	السورة	صفحة
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون	١٢٥	التوبة	١٥١
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم	١٢٨	»	١٥٢
وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم	٢	يونس	١٥٣
ثم استوى على العرش	٣	»	١٥٣
رب العرش العظيم	١٢٩	التوبة	١٥٤
	٢٦	النمل	١٥٤
	٨٦	المؤمنون	١٥٤
وتحييتهم فيها سلام	١٠	يونس	١٥٤
حتى إذا أخذت الأرض زخرفاً وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها	٢٤	»	١٥٥
خذوا زينتكم عند كل مسجد	٣١	الأعراف	١٥٥
فجعلناها حصيداً	٢٤	يونس	١٥٥
كأَنَّمَا أَغْشِيتُ وجوههم قطعاً من الليل مُظْلاماً	٢٧	»	١٥٥
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً	٦٧	»	١٥٥
فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة	٧١	»	١٥٦
ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم	٨٨	»	١٥٦
وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين	١٠٥	»	١٥٧
الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير	١	هود	١٥٨



مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

الآية	رقبها	السورة	صفحة
ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه	٥	هود	١٥٨
ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور	٩	»	١٥٩
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني	١٠	»	١٥٩
وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم	٢٨	»	١٦٠
ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا	٣١	»	١٦٠
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٣٤	»	١٦٠
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات	٥٩	مريم	١٦١
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا	٣٧	هود	١٦١
وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء ألقى	٢٤	»	١٦١
ونجيناهم من عذاب غليظ	٥٨	»	١٦٢
ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا	٥٨	»	١٦٣
قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد	٨٠	»	١٦٣
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبيعد	٨٣	»	١٦٤
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين	١٢٥	آل عمران	١٦٤
والخيل المسومة	١٤	»	١٦٤
وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط	٨٤	هود	١٦٥
بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين	٨٦	»	١٦٥
أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في			
أموالنا ما نشاء	٨٧	»	١٦٦
أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا	٩٢	»	١٦٦
وأخذت الذين ظلموا الصيحة	٩٤	»	١٦٦

الآية	رقمها	السورة	صفحة
فأوردتهم النار وبئس الوردُ المورود	٩٩	هود	١٦٧
وأتبعوا في هذه لعنةً ويوم القيامة بئس الرفد المرفود	٩٩	»	١٦٧
فبشرهم بعذاب أليم	٢١	آل عمران	١٦٨
ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد	١٠٠	هود	١٦٨
وبئر معطلية وقصر مشيد	٤٥	الحج	١٦٨
وهي خاوية على عروشها	٢٥٩	البقرة	١٦٨
وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	١١٩	هود	١٦٨
يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين	٤	يوسف	١٦٩
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده	١٨	النمل	١٦٩
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا	٢١	فصلت	١٦٩
فقللت أعناقهم لها خاضعين	٤	الشعراء	١٧٠
وجاءوا على قيصه بدم كذب	١٨	يوسف	١٧٠
إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب	١٧	»	١٧٠
قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل	١٨	»	١٧١
قد شغلها حبا	٣٠	»	١٧١
قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين	٤٤	»	١٧١
ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن	٤٨	»	١٧٢
لا يهدي كيد الخائنين	٥٢	»	١٧٢
وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي	٥٣	»	١٧٢
نرفع درجات من نشاء	٧٦	»	١٧٣

الآية	رقمها	السورة	صفحة
واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين	٨٢	يوسف	١٧٣
إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين	٧٧	»	١٧٣
ولما فصلت العير	٩٤	يوسف	١٧٤
ولا تياسوا من روح الله	٨٧	»	١٧٤
أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله	١٠٧	»	١٧٤
أننا لنفي خلق جديد	٥	الرعد	١٧٥
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات	٦	»	١٧٥
الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد	٨	»	١٧٦
ويسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته	١٣	»	١٧٦
والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال	١٥	»	١٧٧
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما	١٧	»	١٧٨
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما	٣٣	»	١٧٨
أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها وذكرهم بأيام الله ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم	٧٥	آل عمران	١٧٩
	٤١	الرعد	١٧٩
	٥	إبراهيم	١٨٠
	٩	»	١٨٠

الآية	رقبها	السورة	صفحة
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا	٧	نوح	١٨٢
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد	١٤	إبراهيم	١٨٢
يوم يقوم الناس لرب العالمين	٦	المطففين	١٨٢
ولمن خاف مقام ربه جنتان	٤٦	الرحمن	١٨٢
أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك	٣٩	النمل	١٨٣
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ	١٧	إبراهيم	١٨٣
أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف	١٨	»	١٨٤
واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم	٣٧	»	١٨٤
لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء	٤٣	»	١٨٤
وأصبح فؤاد أم موسى فارغا	١٠	القصاص	١٨٥
وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال	٤٦	إبراهيم	١٨٥
لعمرك إنهم لنفي سكرتهم يعمهون	٧٢	الحجر	١٨٧
ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين	٨٨	»	١٨٧
الذين جعلوا القرآن عضين	٩١	»	١٨٧
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٤	»	١٨٨
ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده	٢	النحل	١٩٠
وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا	٥٢	الشورى	١٩٠
إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم	١٧١	النساء	١٩٠
ونفخ فيه من روحه	٩	السجدة	١٩٠
ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها	٩٧	النساء	١٩٠
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس	٧	النحل	١٩١

الآية	رقبها	السورة	صفحة
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة فأتى الله بنيانهم من القواعد	٩	النحل	١٩١
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٥	»	١٩١
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٦	»	١٩٢
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٨	»	١٩٢
فأتى الله بنيانهم من القواعد	١٩٥	البقرة	١٩٢
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٤٠	النحل	١٩٢
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٤٨	»	١٩٣
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٦٩	»	١٩٣
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٨٦	»	١٩٤
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٠	الممتحنة	١٩٤
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٢٣	المؤمنون	١٩٤
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٢٣	الشعراء	١٩٤
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٨٦	النحل	١٩٤
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٨٧	»	١٩٥
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٩٤	»	١٩٥
فأتى الله بنيانهم من القواعد	١٠٢	»	١٩٥
فأتى الله بنيانهم من القواعد	١٠٣	»	١٩٥
فأتى الله بنيانهم من القواعد	١١٢	»	١٩٦

الآية	رقمها	السورة	صفحة
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة	١٢	الإسراء	١٩٨
وكلَّ إنسان أزمانه طائرهُ في عنقه	١٣	»	١٩٩
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	٢٤	»	٢٠٠
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط	٢٩	»	٢٠٠
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتَرُوا وكان بين ذلك قواما	٦٧	الفرقان	٢٠٠
وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا	٤٦	الأسراء	٢٠١
نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى	٤٧	»	٢٠١
وآتيناهم الناقة مبصرة	٥٩	»	٢٠١
لها شربٌ ولكم شربٌ يوم معلوم	١٥٥	الشعراء	٢٠١
لأحتسكن ذريته إلا قليلا	٦٢	الإسراء	٢٠٢
أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل	٧٨	»	٢٠٣
وقلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	٨١	»	٢٠٣
وتزهق أنفسهم وهم كفرون	٥٥	التوبة	٢٠٤
قل كلُّ يعمل على شاكلته	٨٤	الإسراء	٢٠٤
قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذنْ لأمسكنكم خشية الإنفاق	١٠٠	»	٢٠٤
وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث	١٠٦	الإسراء	٢٠٥
الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قويا			
لينذر بأسا شديدا من لدنه	١	الكهف	٢٠٦
كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا	٥	»	٢٠٦
وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا	٨	»	٢٠٦
فضر بنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا	١١	»	٢٠٧

الآية	رقمها	السورة	صفحة
وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم في فجوة منه وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق فإن عثر على أنهما استحقا إثما ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجاء بالغيب ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وشاءت مرتفقا وجلنا جهنم للكافرين حصيرا إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وماواهم جهنم وبئس المهاد متكنين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسبت مرتفقا كلتا الجنة آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ذلك بما قدمت أيديكم فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه	١٤	الكهف	٢٠٨
	١٦	»	٢٠٩
	١٦	»	٢٠٩
	١٧	»	٢٠٩
	٢١	»	٢١٠
	١٠٧	المائدة	٢١٠
	٢٢	الكهف	٢١٠
	٢٨	»	٢١١
	٢٢	المجادلة	٢١١
	٢٩	الكهف	٢١٣
	٨	الإسراء	٢١٣
	٩٤٨	الهمزة	٢١٣
	١٨	الرعد	٢١٤
	٣١	الكهف	٢١٤
	٣٣	»	٢١٤
	٥٦	»	٢١٥
	٥٧	»	٢١٥
	١٨٢	آل عمران	٢١٥
	٧٧	الكهف	٢١٥

الآية	رقمها	السورة	صفحة
كذلك كدنا ليوسف	٧٦	يوسف	٢١٦
إن الساعة آتية أكاد أخفيها	١٥	طه	٢١٦
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض	٩٩	الكهف	٢١٧
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى	١٠١	»	٢١٨
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا	١٠٤	»	٢١٨
أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم			
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	١٠٥	»	٢١٨
قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا	٤	مريم	٢٢٠
فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة	٢٣	»	٢٢٠
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا	٥٠	»	٢٢٠
إن الساعة آتية أكاد أخفيها	١٥	طه	٢٢١
لتجرى كل نفس بما تسعى	١٥	»	٢٢٣
قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى	٢١	»	٢٢٣
هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي	١٨	»	٢٢٣
واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء	٢٢	»	٢٢٣
وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء	١٢	النمل	٢٢٣
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي	٢٨، ٢٧	طه	٢٢٤
وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني	٣٩	»	٢٢٤
واصطنعتك لنفسى	٤١	»	٢٢٥
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى	٥٠	»	٢٢٥

الآية	رقمها	السورة	صفحة
وَأَنَّا كَمُ مِنْ كُلِّ مَاسٍ مُنْتَمِهٍ	٣٤	إبراهيم	٢٢٥
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَادًا	٥٣	طه	٢٢٦
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِ الْقِيَوْمِ وَقَدْ خَابَ مِنْ حَمْلِ ظُلُمَا	١١١	»	٢٢٦
وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظِلْمًا	١١	الأنبياء	٢٢٧
فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ	١٥	»	٢٢٧
بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ			
الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ	١٨	»	٢٢٨
أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا	٣٠	»	٢٢٨
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا	٣٢	»	٢٢٩
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ			
يَسْبَحُونَ	٣٣	»	٢٢٩
إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ	٤٤	يوسف	٢٣٠
قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ	١٨	النمل	٢٣٠
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ	٣٧	الأنبياء	٢٣٠
وَلِئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا			
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ	٤٦	»	٢٣٠
ثُمَّ نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظُرُونَ	٦٥	»	٢٣١
وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا			
قَوْمَ سُوءِ فَاسْقِينَ	٧٤	»	٢٣١
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ	٧٩	الأنبياء	٢٣١
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ	١٣	الرعد	٢٣١
يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ	١٠	سبا	٢٣٢

الآية	رقمها	السورة	صفحة
إن لك في النهار سبحا طويلا	٧	المزمل	٢٣٢
والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا	٩١	الأنبياء	٢٣٢
وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌ إلينا راجعون	٩٣	»	٢٣٢
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون	٩٨	»	٢٣٣
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين	٢٤	البقرة	٢٣٤
يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب	١٠٤	الأنبياء	٢٣٤
يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم	١	الحج	٢٣٦
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى	٢	»	٢٣٦
وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت			
وأنبئت من كل زوج بهيج	٥	»	٢٣٦
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله	٩	»	٢٣٧
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه	٨٣ } ٥١ }	الإسراء فصلت	٢٣٧
ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به	١١	الحج	٢٣٧
ألم تر أن الله يسجد له من في السموت ومن في الأرض			
والشمس والقمر والنجوم والجلال والشجر والدواب	١٨	الحج	٢٣٧
فألدين كفروا قطعت لهم ثياب من نار	١٩	»	٢٣٨
سرايلهم من قطران	٥٠	إبراهيم	٢٣٨
فإنها لا تعى الأبصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور	٤٦	الحج	٢٣٨
ما كذب الفؤاد ما رأى	١١	النجم	٢٣٨
حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتهم عذاب يوم عقيم	٥٥	الحج	٢٤٠
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر	٧٢	»	٢٤٠

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	١٢	المؤمنون	٢٤١
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين	١٧	»	٢٤١
اصنع الفلك بأعيننا ووحينا	٢٧	»	٢٤١
ولتصنع على عيني	٣٩	طه	٢٤١
فجعلناهم غناء فبعدا للقوم الظالمين	٤١	المؤمنون	٢٤٢
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون	٦٢	»	٢٤٢
بل قلوبهم في غمرة من هذا	٦٣	»	٢٤٢
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن	٧١	»	٢٤٣
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون	١٠٣	»	٢٤٣
يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون	٢٤	النور	٢٤٤
اليوم نحسم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون	٦٥	يس	٢٤٤
وليضربن بخمرهن على جيوبهن	٣١	النور	٢٤٥
الله نور السموات والأرض	٣٥	النور	٢٤٥
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار	٣٥	»	٢٤٥
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار	٣٧	»	٢٤٥
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يمسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده	٣٩	»	٢٤٦
وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء	٤٣	»	٢٤٦
يقلب الله الليل والنهار	٤٤	»	٢٤٧

الآية	رقمها	السورة	صفحة
إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا	١٢	الفرقان	٢٤٨
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا	٢٣	»	٢٤٩
أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا	٢٤	»	٢٥٠
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا	٦٢	مريم	٢٥٠
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا	٢٥	الفرقان	٢٥٠
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات	٤٨	إبراهيم	٢٥٠
يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب	١٠٤	الأنبياء	٢٥٠
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام			
والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور	٢١٠	البقرة	٢٥١
أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا	٤٣	الفرقان	٢٥١
ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا			
ثم جعلنا الشمس عليه دايلا، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا	٤٥ ، ٤٦	»	٢٥١
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا	٤٧	»	٢٥٢
وجعل النهار نشورا	٤٧	»	٢٥٢
لنحيي به بلدة ميتا	٤٩	»	٢٥٣
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج	٥٣	»	٢٥٣
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمران متورا	٦١	»	٢٥٤
وجعل الشمس سراجا	١٦	نوح	٢٥٤
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن			
يذكّر أو أراد شكورا	٦٢	الفرقان	٢٥٤
والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا	٧٣	الفرقان	٢٥٥
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون	٦١	الشعراء	٢٥٦
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين	١١٨	»	٢٥٧

الآية	رقها	السورة	صفحة
وهو الفتاح العليم	٣٦	سبأ	٢٥٧
وزروع ونخل طلعها هضيم	١٤٨	الشعراء	٢٥٧
فلا يخاف ظلما ولا هضما	١١٢	طه	٢٥٨
وتقلبك في الساجدين	٢١٩	الشعراء	٢٥٨
يلقون السمع وأكثرهم كاذبون	٢٢٣	»	٢٥٨
والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون {٢٢٤	{٢٢٥	»	٢٥٩
إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا	٧	النمل	٢٦٠
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا	٢٨	الكهف	٢٦٠
وغرهم الحياة الدنيا	٥١	الأعراف	٢٦٠
ما كنت قاطعةً أمرا حتى تشهدون	٣٢	النمل	٢٦٠
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك	٤٠	»	٢٦١
بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم			
منها عمون	٦٦	»	٢٦١
قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون	٧٢	»	٢٦٢
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي			
هم فيه يختلفون	٧٦	النمل	٢٦٣
وقذف في قلوبهم الرعب	٢٦	الأحزاب	٢٦٤
من يأت منكناً بفاحشة مبينة يضاعف لها			
العذاب ضعفين	٣٠	»	٢٦٤
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	٤٦	»	٢٦٤

الآية	رقعها	السورة	صفحة
إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا	٧٢	الأحزاب	٢٦٤
حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير	٢٣	سبا	٢٦٦
وقال الذين كفروا لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه	٣١	»	٢٦٦
بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا	٣٣	»	٢٦٧
إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد	٤٦	»	٢٦٧
قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده	٤٩	»	٢٦٧
ويقتفون بالغيب من مكان بعيد	٢٧	الروم	٢٦٧
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	٥٣	سبا	٢٦٨
ولا ترزأ ورزأ أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى	١٠	فاطر	٢٦٩
ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله	١٨	»	٢٦٩
إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهم إلى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين يديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون	٤٣	»	٢٧٠
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون	٨٠٧	يس	٢٧٢
	١٠	»	٢٧٢

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة	٧	البقرة	٢٧٢
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظالمون	٣٧	يس	٢٧٤
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، هذا ما وعد الرحمن			
وصدق المرسلون	٥٢	»	٢٧٤
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون	٦٦	»	٢٧٥
ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون	٦٨	»	٢٧٥
لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين	٧٠	»	٢٧٥
أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون	٧١	»	٢٧٥
وعندهم قصرات الطرف عين، كأنهم بيض مكنون	٤٩، ٤٨	الصفات	٢٧٧
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم	٧	البقرة	٢٧٧
وفرعون ذو الأوتاد	١٢	ص	٢٧٨
ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا	٧	عم	٢٧٨
وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق	١٥	ص	٢٧٨
إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة			
فقال أ كفانيها وعزني في الخطاب	٢٣	»	٢٧٩
ردوها على فطفق مسح بالسوق والأعناق	٣٣	»	٢٧٩
وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبيين	٦	المائدة	٢٨٠
واذ كرمنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب أولى الأيدي والأبصار	٤٥	ص	٢٨١
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي	٧٥	»	٢٨٢

الآية	رقها	السورة	صفحة
أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا مَلَكَونَ ۖ	٧١	يس	٢٨٢
يَكُونُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ	٥	الزمر	٢٨٣
اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ			
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى	٤٢	»	٢٨٤
أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتِ			
لَمِنَ السَّآخِرِينَ	٥٦	»	٢٨٥
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٦٣	»	٢٨٥
لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ	٣٩	الأعراف	٢٨٦
فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا مِنْهُمْ	١١	القمر	٢٨٦
وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٧	المنافقون	٢٨٦
وَالْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيَمِينِهِ	٦٧	الزمر	٢٨٧
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ	١٠٤	الأنبياء	٢٨٧
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا	٧	المؤمن	٢٨٩
وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ	٢٥٥	البقرة	٢٨٩
رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ			
مِنْ عِبَادِهِ	١٥	المؤمن	٢٨٩
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا	٥٢	الشورى	٢٩٠
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ	١٩	المؤمن	٢٩٠
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ	٥	فصلت	٢٩٢
ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا			
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ	٥	»	٢٩٣
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٤٠	النحل	٢٩٣

الآية	رقمها	السورة	صفحة
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ	٢١٦	البقرة	٢٩٣
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيَتَهُم لِي سَاجِدِينَ	٤	يوسف	٢٩٤
وَأَمَّا نُمُودَ فَمَهْدِيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى	١٧	فصلت	٢٩٤
وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ	٢٣	»	٢٩٤
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ			
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ	٣٩	»	٢٩٥
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ			
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ	٤٢، ٤١	»	٢٩٥
أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ	٤٤	»	٢٩٦
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ			
الشَّرُّ فَذُوٌّ دُعَاءٍ عَرِيضٍ	٥١	»	٢٩٦
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ	١٣	الشورى	٢٩٧
حَبَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ	١٦	»	٢٩٧
مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ			
يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ	٢٠	»	٢٩٧
وَيَنْشُرْ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ	٢٨	»	٢٩٨
وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ	٤٥	»	٢٩٨
أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ	٥	الزخرف	٣٠٠
وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ			
تُخْرِجُونَ	١١	»	٣٠٠
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ	٢٨	»	٣٠١
إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ	٢٦، ٢٧	»	٣٠١

الآية	رقمها	السورة	صفحة
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون	٤٥	الزخرف	٣٠١
واسأل القرية التي كنا فيها	٨٢	يوسف	٣٠١
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا	٣٤	الإسراء	٣٠١
وإذا الموعدة سُئلت ، بأى ذنب قتلت	١٤٨	التكوير	٣٠٢
فيها نفرق كل أمر حكيم	٤	الدخان	٣٠٣
وآلا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين	١٩	»	٣٠٣
إن فرعون علا في الأرض	٤	القصص	٣٠٣
فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين	٢٩	الدخان	٣٠٣
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها	١٨	الجاثية	٣٠٥
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق	٢٩	»	٣٠٥
أيتونى بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين	٤	الأحقاف	٣٠٦
فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها	٤	محمد	٣٠٨
فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم	٢١	»	٣٠٨
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	»	٣٠٩
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	١٦	ق	٣١٠
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد	١٩	»	٣١٠
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك			
اليوم حديد	٢٢	»	٣١٠
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد	٣٠	»	٣١١

الآية	رقمها	السورة	صفحة
واسأل القرية التي كُنا فيها	٨٢	يوسف	٣١١
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	١١٩	هود	٣١١
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد	٣٧	ق	٣١٢
مسومة عند ربك للسرفين	٣٤	الذاريات	٣١٣
فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو مجنون	٣٩	»	٣١٣
لو أن لى بكم قوةٌ أو آوى إلى ركن شديد	٨٠	هود	٣١٤
وفى عاد إذ أرسلنا عليهمُ الريح العقيمَ	٤١	الذاريات	٣١٤
أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون	٣٢	الطور	٣١٥
قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا	٨٧	هود	٣١٥
ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم	٤٩	الطور	٣١٥
ما كذبَ الفؤاد ما رأى	١١	النجم	٣١٧
ما زاغ البصر وما طغى	١٧	»	٣١٧
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى			
الماء على أمرٍ قد قدر	١٢، ١١	القمر	٣١٨
ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر	٢٥	»	٣١٨
إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً	٥	المزمل	٣١٨
بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرٌ	٤٦	القمر	٣١٨
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون	١٠٤	المؤمنون	٣١٩
والنجم والشجر يسجدان	٦	الرحمن	٣٢٠
والسما رفعها وَوَضَعَ الميزان	٧	»	٣٢٠
وزنوا بالقسطاس المستقيم	٣٥	الإسراء	٣٢٠

الآية	رقعها	السورة	صفحة
مرج البحرین يلتقيان ، بينها برزخ لا يبغيان	٢٠، ١٩	الرحمن	٣٢٠
ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام	٢٢	»	٣٢١
تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام	٧٨	»	٣٢١
سنفرغ لكم أيها الثقلان	٣١	»	٣٢٢
ذرني ومن خلقت وحيداً	١١	المدثر	٣٢٣
وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً	٢٢	الفجر	٣٢٣
ليس لوقعها كاذبة	٢	الواقعة	٣٢٥
هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم	٣	الحديد	٣٢٦
ولله ميراث السموات والأرض	١٠	»	٣٢٧
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم	١٢	»	٣٢٧
مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير	١٥	»	٣٢٧
وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم	٢٩	»	٣٢٧
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا	٧	المجادلة	٣٢٨
يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة	١٢	»	٣٢٨
وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته	٥٦	الأعراف	٣٢٨
اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله	١٦	المجادلة	٣٢٨
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز	٢١	»	٣٢٩
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه	٢٢	»	٣٢٩

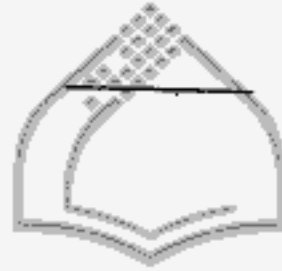
الآية	رقها	السورة	صفحة
وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا	٥٢	الشورى	٣٢٩
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم	٤٦	الأنفال	٣٢٩
والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم	٩	الحشر	٣٣٠
لأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله	٢١	الحشر	٣٣٠
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة	١	المتحنة	٣٣١
ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالشوء	٢	»	٣٣١
ولا تمسكوا بعصم الكوافر	١٠	»	٣٣٢
فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٥	الصف	٣٣٣
ربنا لا نزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	٨	آل عمران	٣٣٣
فانخذتموهم سخرى حتى أنسوكم ذكري	١١٠	المؤمنون	٣٣٤
ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين	٧	الجمعة	٣٣٤
والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون	٧	المنافقون	٣٣٤
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا	٨	التغابن	٣٣٥
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن	٩	التغابن	٣٣٥
هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله	١١، ١٠	الصف	٣٣٥
إن تتوبوا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٤	التحریم	٣٣٦
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٣٨	المائدة	٣٣٧
يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا	٨	التحریم	٣٣٧

الآية	رقها	السورة	صفحة
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما	١٠	»	٣٣٨
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض	٣٤	النساء	٣٣٨
تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير	١	الملك	٣٣٨
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفرور ، تكاد تميز من الغيظ	٤	»	٣٣٨
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم	٨٠٧	»	٣٣٩
يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث مستندرجهم من حيث لا يعلمون	١٥	»	٣٤٠
وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ذرني ومن خلقت وحيدا	٢٢	»	٣٤١
وإن يكاد الذين كفروا ليزلُّقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون	٤٢	القلم	٣٤١
وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية فأخذهم أخذةً رابية	٤٤	القلم	٣٤٢
إنما لما طغى الماء حملناكم فى الجارية فهو فى عيشة راضية	١١	المزمل	٣٤٢
ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين	١١	المدثر	٣٤٢
	٦	الحاقة	٣٤٣
	١٠	»	٣٤٣
	١١	»	٣٤٣
	٢١	»	٣٤٤
	٤٥، ٤٤	»	٣٤٥

الآية	رقعها	السورة	صفحة
تنبت بالدهن	٢٠	المؤمنون	٣٤٥
كلًا إنها لظى، نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى	١٧	المعارج	٣٤٦
ما لكم لا ترجون لله وقارا	١٣	نوح	٣٤٧
والله أنبتكم من الأرض نباتا	١٧	»	٣٤٨
والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا	١٩ ، ٢٠	»	٣٤٩
وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا	١١	الجن	٣٤٩
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً	١٥	»	٣٥٠
وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا	١٩	»	٣٥٠
إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً	٥	»	٣٥١
إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً	٦	»	٣٥١
إن لك في النهار سبحاً طويلاً	٧	المزمل	٣٥٢
فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعلُ الولدان شيباً	١٧	»	٣٥٢
وثيابك فطهر	٤	المدثر	٣٥٣
هن لباس لكم وأنتم لباس لهن	١٨٧	البقرة	٣٥٤
والصبح إذا أسفر	٣٤	المدثر	٣٥٤
بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره	١٤ ، ١٥	القيامة	٣٥٥
والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق	٢٩ ، ٣٠	»	٣٥٥
ويخافون يوماً كان شره مستطيراً	٧	الدهر	٣٥٦
إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطيراً	١٠	»	٣٥٦
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذاللاً	١٤	»	٣٥٧
إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً	٢٧	»	٣٥٧
فإذا النجوم طمست	٨	المرسلات	٣٥٨

الآية	رقعها	السورة	صفحة
ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً	٧، ٦	عم	٣٥٨
فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة	١٣، ١٤	النازعات	٣٥٨
عبس وتولى	١	عبس	٣٥٩
وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت	٨، ٩	التكوير	٣٥٩
ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم	٢٥٥	البقرة	٣٥٩
فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس	١٥، ١٦	التكوير	٣٥٩
والصبح إذا تنفس	١٨	»	٣٦٠
إذا السماء انفطرت	١	الانفطار	٣٦٠
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	١٥	المطففون	٣٦١
وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت	٣، ٤	الانشقاق	٣٦١
والليل وما وسق	١٧	»	٣٦١
لتركبن طبقاً عن طبق	١٩	»	٣٦٢
والله أعلم بما يوعون	٢٣	»	٣٦٣
والسما والطارق، وما أدراك ما الطارق	١، ٢	الطارق	٣٦٣
خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلاب والثرائب	٦، ٧	»	٣٦٣
والسما ذات الرجع، والأرض ذات الصدع	١١، ١٢	»	٣٦٤
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة	٢، ٣	الغاشية	٣٦٤
وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة	٢٢، ٢٣	القيامة	٣٦٥
ووجوه يومئذ باسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة	٢٤، ٢٥	»	٣٦٥
وجوه يومئذ ناعمة لسميعها راضية	٨، ٩	الغاشية	٣٦٥
في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية	١٠، ١١	»	٣٦٥
والليل إذا يسر	٤	الفجر	٣٦٥

الآية	رقها	السورة	صفحة
وفرعون ذى الأوتاد	١٠	الفجر	٣٦٥
فصب عليهم ربك سوط عذاب	١٣	»	٣٦٦
يقولُ أهلك ما لبدا	٦	البلد	٣٦٦
وهديناه النجدين، فلا اقتحم العقبة	١١، ١٠	»	٣٦٦
فك رقية، أو إطعام في يوم ذي مسغبة	١٤، ١٣	»	٣٦٧
والضحى، والليل إذا سجى	٢، ١	الضحى	٣٦٧
ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذى أقمض ظهرك	٣، ٢، ١	الانشراح	٣٦٧



مركز تحقيق كتابيوت علوم إسلامي

٦ — فهرس الأحاديث

صفحة	
١٧٤	الريح من نفس الله
١٧٤	الريح من روح الله
١٥٧	اللهم اشدّد وطأتك على مضر
	اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والخور بعد
٢٧٨	العيادة قدر فواق الناقة
٢٨٣	الكور ، وسوء المنظر في الأهل والمال
٢٥٦ ، ٢٤٨	أنا برىء من كل مسلم مع مشرك . لا تتراءى ناراهما
٢٧٤	إنكم تموتون كما تنامون ، وتبعثون كما تستيقظون
	مامن مؤمن إلا وله في السماء بابان ، باب ينزل منه رزقه ، وباب يدخل منه
٣٠٤	كلامه وعمله ، فإذا مات فقداهُ فبكيا عليه
٢٨٣	نعوذ بالله من الخور بعد الكور
٣١٢	وهل ترك عقيل لنا من دار ؟

٧ - فهرس الأشعار والأراجيز

الهمزة

صفحة

٣٦٤	وجاءت سلم لا رجع فيها ولا صدع فتحتلب الرعاء
١٩١	من بني عامر لها نصف قلبي قسمة مثلما يشق الرداء
٢٠٤	بدت شواكل حب كنت تضمه في القلب أن هتفت في الدار ورقاء
٢٧٤	فأصبح لا يدري وإن كان حازما أقدامه خير له أم وراؤه

ب

١٤٣	لذن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
١٧١	ظلت دماء بني عوف كأنهم عند الهياج رعاة بين أكذاب
٢٨٠	نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قننا عن شواء مضهب
٢٨٠	خليلي مرابي على أم جندب تقض لبانات الفؤاد المعذب
٣٤٦	غدا بوهنين مجتازا لمرتمه بذى الفوارس تدعو أنفه الرب
٣٤٥	كليني لهم يأميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
٣٢٢	ألان وقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لها عذابا

ت

٢٠٣	نشكو إليك سنة قد أجهفت واحتكت أموالنا وجلفست
-----	--

ج

٣٤٥	نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
-----	---

ح

٢٧٣	ونحن على جوانبها قع سود نعص الطرف كالإبل القحاح
-----	---

د

- ٣٤٢ قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
لا ترتجى حين تلاقى الذائدا أخسة لاقت معا أم واحدا
فأن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
ولا شوب من الثيران أفرده عن كوره كثرة الإغراء والطرد
أجدك ودعت الصبا والولائدا وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا
فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها أو القمر السارى لألقى للمقالدا
أمنخرم شعبان لم تقض حاجة من الحاج كنا في الأصم نكيدها
لعمرك ما أمرى على بغممة نهاري ولاليلي على بسرمد

ر

- ١٧٦ شربنا شربة من ذات عرق بأطراف الزجاج من العصور
وإنك إن أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك للناظر
وذات أثارة أكلت عليها نباتا في أكمته قفارا
وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى
سكنت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت في ضيق المقام إزارى
جدلت على ليلة ساهرة بصحراء شرج إلى ناظرة

س

- ١١٩ إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكافت لباسا

ص

- ٢٩١ أوليت العراق ورافديه فزاريا أحنَّ يد القميص
أكاشره وأعلم أن كلانا على ماساء صاحبه حريص

ض

- ٣٤٩ ودون يد الحجاج من أن ينالني بساط لأيدى الناعجات عريض
٢١٦ كادث وكدت وتلك خير إرادة لوعاد من هو الصبابة مامضى

ع

- ٢٨٣ أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
٢٩٠ حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الأصبع
٢١٢ إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
٣٤٤ أيتها النفس أجلى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

ق

- ١٥٤ قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهوراق
٣٦٢ قد طرقت بيكرها أم طبق ففتجوها خيرا ضخم العنق

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

- ٣٥٤ وإن تك قد ساءتك منى خليفة فسلى ثيابي من ثيابك تنسل
٢٣٠ والنبع فى الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل
٢٨٣ متصكورين على المعارى بينهم ضرب كتعطاط المراد الأنجل
٣٦٤ أبيض كالر جع رسوب إذا مائناخ فى محتفل يختلى
٣٤٧ إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها وحالفها فى بيت نوب عواسل
٢١٧ يريد الرمح صدر أبى براء ويرغب عن دماء بنى عقيل
٢١٢ سألنا فأحمدنا ابن كل مرزا جواد وأبخلنا ابن كل بخيل
٢٧٩ فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحناها
٢١٢ لقد علم الأيقاظ أخفية الكرى تزججها من حالك واكتحناها
١٦٩ إذا أشرف الديك يدعو بعض أسرته لدى الصباح وهم قوم معازيل

٢٨٠	أعرافهن لأيدينا مناديل	ثمت قننا إلى جرد مسومة	صفحة
٢١٧	فلق الفئوس إذا أردن نصولا	في مهمه فلقنت به هاماتها	
٢٩٢	أذنى عنه وما بي من صمم	وكلام سيء قد وقرت	م
١٩٦	وددت بأنه في جوف عكم	ندمت على لسان كان منى	
٢٤٩	فهمها أتيتم فاقدموه على علم	فإن أباكم تارك ما سألتهم	
٢٧٩	حرمت على ، وليتها لم تحرم	ياشاة ما نقص لمن حلت له	
٣٤٢	فورها ربيع فلا تسأم	فإن شممت لك عن ساقها	
٣٤٣	نظرا يزيل مواقف الأقدام	يتقارضون إذا التقوا في موقف	
٣٣٢	وأخذ من كل حي عصم		
١٦٩	ولكنه بنيان قوم تهدما	فما كان قيس هلكه هلك واحد	
٣٠٩	واحتلت الشرع فالأجزاء من أضما	بانت سعاد وأمسى جبلها انجذما	
٣٠٩	لهو النساء لأن الدين قد عزما	حياك ود فأنا لا يحل لنا	
٣٠٦	نباتا في أكمته تواما	وذات أثاراة أكلت عليها	
١٨٤		ن	
١٨٤	جيثوا بمثل عامر والعلمان	قل تخفيف القصبات الجوفان	
٣٣٧	ظهراهما مثل ظهور الترسين	ومهمبين قذفين مرتين	
١٩٦	وخت وما حسبتك أن تحينا	لسان السوء تهديها إلينا	
٢٢٢	وزججن الحواجب والعيونا	إذا ما الغانيات برزن يوما	
٣١١	مهلا رويدا قد ملأت بطني	امتلا الحوض وقال قطني	
		ي	
٢٥٧	إلى بيته حتى تجهز غاديا	وعى الذى كانت فتاحة قومه	
٢٥٧	فانى عن فتاحتكم غنى	ألا من مبلغ عمرا رسولا	

٨ - فهرس الأعلام

الأميني = عبد الحسين الأميني : ٢١٢	آدم : ٣٤٨، ٢٨٢، ٢٥٨، ٢٤١، ١٤٣
الأنباري : ٢١٦	الأمدي : ٣٣٦، ٢١٢
أنس بن مالك : ٣٠٤	إبراهيم « النبي عليه السلام » : ١٨٠
أوس بن حجر : ٣٤٤	٣٠١، ٢٥٠
أيوب القاري : ٣١٥	إبليس : ١٤٣، ١٤٢
ب	ابن الأثير : ٢٧٤
البخاري : ١٥٧	أحمد أمين : ٣٤٢
أبو براء : ٢١٧	أحمد محمد شاكر : ١٧٩، ١٦٩، ١٥٧
أبو بردة : ٣٦٢	٢٧٢، ٢٠٢
بشر : ١٥٤	أحمد بن فارس : ٣٠٦
بشر بن أبي خازم : ٢٧٢	أحمد بن يحيى البلاذري : ٢٥١
بقيلة الأكبر الأشجعي : ٣٥٣	الأخطل : ٢٧٩
البكري : ٣٤٥	الأخفش : ٣٤٩
البلاذري = أحمد بن يحيى	آرثر جفري : ٣٢٠
البلخي = أبو القاسم عبد الله	ابن أبي إسحاق : ٣٥١
أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي : ٢٨٠	الأشعر الجعفي : ٢٥٧
أبو بكر بن عياش : ٣٣٧	الأصمعي : ٣٦٢، ٣٤٩
البيضاوي : ٢٢٦	الأعرج : ٣٢٤
البيهقي : ١٧٤	الأعشى : ٣٠٨، ٢٨٦، ٢٧٩
ت	الأعمش : ١٦٠
تأبط شرا : ٢٨٣	الأفوه الأودي : ٢١٦
التبريزي : ٢٧٩	امرؤ القيس : ٣٥٤، ٢٨٠
ث	الأمين العباسي : ١٨٥
الثعالي : ٣٦٢	

أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد = قاضي

القضاة: ٢١٢، ٢٤٢

الخطيئة: ١٩٦

حفص: ٢٣٤

حماد الراوية: ٣٦٢

حمزة: ١١٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٦٠

١٦٤، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٧٨، ٣٢٤

حميد: ٣٥١

أبن حنبل: ١٥٧

أبو حنيفة: ١٧٧، ٢٨١، ٣٣٢

أبن حوقل: ١٦٧

أبو حيوة: ٣٥١

خ

الخانجي: ٣٢٠

الخطام الشاعر: ٣٣٦

خلف الأحمر: ٣٦٢

خلف القاري: ٢٣٤

أبن خلكان: ٢٨١

الخليل بن أحمد: ٢٢٢، ٣٤٦، ٣٦٤

د

داود عليه السلام: ٢٣١، ٢٣٢

ذ

ذو الرمة: ٣٤٦

أبو ذؤيب الهذلي: ٢٨٣، ٣٤٧

ر

الراعي: ٢١٧، ٢٢٢، ٣٠٦

الرشيد العباسي: ١٨٥، ٢٥٤، ٣٣٢

الرماني = علي بن عيسى

ثعلب = أحمد بن يحيى، ٢٥٦، ٣٤٦

ثمود: ١٨٠

ج

جابر بن حيان: ١٧٧

الجاحظ: ٢١٢، ٢٥٤

الجبائي = أبو علي محمد

جرير: ١٨٤، ٣٠٦، ٣٢٢

جرير بن عبد الله: ٢٤٨

جعدة بن عبد الله: ٣٥٣

جعفر بن محمد الصادق: ١٧٧

أبو جعفر الطحاوي: ٢٨١

أبن جنى = أبو الفتح عثمان

جورجي زيدان: ٣٢٠

الجوهري: ٢٧٨

ح

أبو الحارث غيلان = ذو الرمة: ٣٤٦

الحارث بن قيس بن عدى: ٢٥١

الحارث بن وعله بن مجالد الرقاشي: ٢٨٦

الحجاج بن يوسف: ٣٤٩

الحسن: ١٣٨، ١٤٤، ١٧١

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو

علي الفارسي

الحسين بن موسى = أبو أحمد والد

الشريف: ٣٢٢

الحسين: ١٧٧

الحسين بن علي الجعفي: ١٤٤

الحسين بن مسعود: ١٨٦

- رويس : ١٣٨
رويشد بن رميض الغنبري : ٣٤٢
ز
زبان بن عمار = أبو عمرو بن العلاء : ١٧١
الزبير بن العوام : ٣١٢
ابن الزبير : ١٨٥
الزرقاني : ٢٢٩
الزركلي = خير الدين : ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٨١ ، ٣٣٧
الزحشرى : ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٤٣
زين العابدين « رضى الله عنه » : ١٧٧
س
ساعدة بن جؤيه : ١٤٣ ، ٢٨٣
سالم بن أبي الجعد : ٣١٥
سامي الخانجي : ٢٠٣
السجستاني : ٢١٧
ابن السراج : ٢٨١
ابن سعد : ١٥٧
سعيد بن جبير : ١٢٢ ، ٣٢٠
ابن السكيت : ٢٠٢
سلام القاري : ٣١٥
سلمة بن هشام : ١٥٧
أم سلمة « رضى الله عنها » : ٣١٢
سليمان النبي « عليه السلام » : ١٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩
سيويه : ٢٨١ ، ٣٦٤
السيوطي : ١٧١ ، ٢٢٩
ش
ابن الشجري : ٢٧٢
شرف الدولة بن بويه : ٣٢٢
شرح بن ضيعة = رويشد الغنبري
الشريف الرضى : ١٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨
٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩
الشريف المرتضى : ٣٢٢
شعيب عليه السلام : ١٦٦ ، ٣١٥
ابن شهاب : ٣٢٤
ص
أبو صالح : ١٢٢
ط
طرفة الشاعر : ١٥٦
ع
عائشة : ١٧١
عاد : ١٨٠
عاصم : ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ٣٣٧
أبو العالية : ٣٥١
ابن عامر : ١١٤ ، ١٦٤ ، ٣٥١
العباب الشاعر = العدلي : ٣٤٩
ابن عباس : ١٢٢ ، ٢٢٩ ، ٣٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٥٠

عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٢١٢

عنترة الشاعر : ٢٧٩

عياش بن أبي ربيعة : ١٥٧

عيسى « النبي عليه السلام » : ١٢٣ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٩٠ ، ٢٣٢

عيسى الحلبي : ١٧٩

عيسى بن عمر : ١٣٨

غ

أبو العنصن الأعرجي : ٢٧٧

ف

أبو الفتح عثمان بن جني : ١٤٨ ،

١٩٠ ، ٢٢١

الفراء = يحيى بن زياد : ١٨٦

الفرزدق : ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٥٣

فرعون : ١٦٧ ، ٢٢٤ ، ٣٠٣ ، ٣٦٥

الفيروز أبادي : ٢٠٧

ق

القاسم بن سلام = أبو عبيد : ٣٠٧

أبو القاسم البلخي = البلخي : ١٦٧

ابن قتيبة : ١١٩ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٢١٧ ،

٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩١ ، ٣٤٧

القرطبي : ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٨٦ ،

١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ،

٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ،

٣٥١ ، ٣٣٦

عبد السلام محمد هارون : ١٦٩ ، ٢٠٢ ،

٢٥٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣٤٢

عبد العزيز اليعنبي : ٢١٢

عبد القادر البغدادي : ٣٣٦

عبد الله بن الزبير : ٢٨٣

عبد المؤمن = أبو الهندي : ١٧٩

عبد الوهاب حمودة : ٣٣٧

عبدة بن الطبيب : ١٦٩ ، ٢٨٠

أبو عبيد : ٢٤٨

أبو عبيدة : ١١٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ،

٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٢

العديل بن الفرخ الشاعر = العباب : ٣٤٩

عضد الدولة بن بويه : ٣٢٢

ابن عطية : ٣٢٠

عقيل بن أبي طالب : ٣١٢

عكرمة : ١٢٢

علي بن أبي طالب : ٢٢٩ ، ٣٠٤ ، ٣٢٠

أبو علي = محمد الجبائي : ١٦٧

أبو علي الفارسي : ٢٢١ ، ٢٨١

أبو علي القالي : ٢١٢

علي بن عيسى الرماني : ١٨١

علي بن كبشة : ١٢٧

عمر بن أبي ربيعة : ٢١٦

عمر بن الخطاب : ٣٥٣

عمر بن هيرة : ٢٩١

أبو عمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني : ٣٠٧

أبو عمرو : ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ،

١٧١ ، ٢٨٦ ، ٣٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٦٧

محمد « صلى الله عليه وسلم » : ١١٦ ،
 ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥١ ، ١٥٠ ،
 ١٧٤ ، ٢٤٨ ، ٢١٢ ، ٣٠١ ، ١٩٤ ،
 ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢
 ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ،
 ٣٦٧ ، ٣٦٨
 محمد الباقر : ١٧٧
 محمد بن الحسن الشيباني : ٣٣٢
 م . محمد حسين : ٢٧٩
 المزدوقي : ٢٧٧ ، ٣٤٢
 مريم « عليها السلام » : ١٩٠ ، ٢٢٠ ،
 ٢٥٠
 ابن مسعود : ١٩٨
 مسلم : ١٥٧
 ابن مطرف الكنانى : ٢١٧ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣
 المعتمد : ٢٥١
 المعري = أبو العلاء : ٣٢٢
 معمر بن المثنى = أبو عبيدة
 الفضل الضبي : ١٤٤ ، ١٦٩
 المغيرة : ٣٥١
 القرظي المؤرخ : ٣١٢

قيس : ٢٤٨
 قيس بن زهير بن جذيمة : ٣٤١
 قيس بن معديكرب : ٢٧٩
 قيصر ملك الروم : ٣٤٩
 ك
 أبو كبير الهذلي : ٢٨٣
 ابن كثير : ١١٤ ، ١٦٤ ، ٣٦٧
 الكسائي : ١١٤ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ،
 ١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧
 الكلابي الشاعر : ٢٩٠
 ل
 لقمان « عليه السلام » : ٣٦٦
 لوط « عليه السلام » : ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ٣٣٨ ، ٣١٤
 لويس شيخو - الأب : ٢٨٠
 م
 المأمون العباسي : ١٨٦ ، ٢٥١ ، ٣٣٦
 ابن مالك . ٢٢٢
 مالك - الأمام : ١٧٧ ، ٢٨٠
 البرد : ٢٠٢ ، ٣٤٦
 المتنبي : ١٤٨
 المتنخل الهذلي : ٣٦٤
 المتوكل العباسي : ٢٥١
 مجاهد : ٣٢٠ ، ٣٥١
 محب الدين أفندي : ٢١٦ ، ٢٧٧ ،
 ٢٩٠ ، ٣٣٦

ابن هشام النحوى : ١٤٣
 هناد بن السرى : ٢٤٨
 أبو الهندي الشاعر = عبد المؤمن : ١٧٩
 هود « عليه السلام » : ١٥٨ ، ١٨٨ ،
 ٣١١ ، ٣١٤
 هوزة بن على الحنفى : ٢٨٦
 و
 وليام أهلورت : ٣٤٩
 الوليد بن الوليد : ١٥٧
 ى
 يحيى القارىء : ٢٣٤
 يحيى بن زياد = القراء : ١٨٦
 يزيد الرقاشى : ٣٠٤
 يزيد بن عبد الملك الأموى : ٢٩١
 يعقوب « عليه السلام » : ١١٨
 يعقوب القارىء : ١٣٨ ، ٣١٥
 يعقوب = ابن السكيت
 يوسف « عليه السلام » : ١٥٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ،
 ٣١١
 أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : ٣٣٢
 يونس « عليه السلام » : ١٥٣
 يونس النحوى : ٣٦٢

ملاعب الأسنة : ٢١٧
 أبو النذر : ٢٨٦
 المنصور العباسى : ٣٦٢
 أبو المنهال = بقلبة : ٣٥٣
 المهدي العباسى : ٣٣٢
 مهيار الديلمى : ٣٢٢
 موسى « عليه السلام » : ١٥٦ ، ١٨٥ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٠
 ميمونة « رضى الله عنها » : ٣١٢
 ن
 النابغة الجعدى : ١١٩ ، ٣٤٥
 النابغة الذبياني : ٣٠٩ ، ٣٤٥
 نافع القارىء : ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ،
 ٢٣٤
 نافع بن خليفة الغنوى : ٢١٢
 ابن النديم : ٣٣٧
 النسائى : ٢٤٨
 النضر بن شميل : ٣٣٦ ، ٣٦٤
 النعمان بن النذر : ٣٤٥
 أبو نواس : ٢٧٩
 نوح « عليه السلام » : ١٥٦ ، ١٨٢ ،
 ٢٥٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧
 هـ
 الهادي العباسى : ٣٣٢

٩ - فهرس الأعلام المترجمة بالهوامش

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| خلف الأحمر : ٣٦٢ | الأصمعي : ٣٤٩ |
| الحليل بن أحمد : ٣٦٤ | الأعشى : ٢٨٦ ، ٢٧٩ |
| ذو الرمة : ٣٤٦ | الأفوه الأودي : ٢١٦ |
| أبو ذؤيب الهذلي : ٢٨٣ ، ٣٤٧ | امرؤ القيس : ٢٨٠ |
| الراعي النخيري : ٣٠٦ | أوس بن حجر : ٣٤٤ |
| رويشد بن رميض العنبري : ٣٤٢ | أبو براء : ٢١٧ |
| ابن السكيت : ٢٠٢ | بشر بن أبي خازم : ٢٧٢ |
| عاصم : ٣٣٧ | بقيلة الأكبر الأشجعي : ٣٥٣ |
| عبد بن الطبيب : ١٦٩ | البلاذري : ٢٥١ |
| أبو عبيد القاسم بن سلام : ٣٠٧ | البلخي : ١٦٧ |
| أبو عبيدة : ٢٥٤ | أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي : ٢٨١ |
| العديل بن الفرخ الشاعر : ٣٤٩ | أبو بكر بن عياش : ٣٣٧ |
| أبو علي الفارسي : ٢٢١ ، ٢٨١ | ثعلب : ٢٥٦ |
| علي بن عيسى الرماني : ٢٨١ | الجبائي : ١٦٧ |
| عمرو بن معد يكرب : ٢١٢ | جعفر بن محمد الصادق : ١٧٧ |
| أبو عمرو بن العلاء : ١٧١ ، ٢٨٦ | أبو جعفر الطحاوي : ٢٨١ |
| الفراء : ١٨٦ | ابن جني : ١٤٨ ، ٢٢١ |
| الفرزدق : ٢٩١ | أبو الحسن الرماني : ٢٨١ |
| أبو القاسم البلخي : ١٦٧ | الحسين أبو أحمد بن موسى : ٣٢٢ |
| قيس بن زهير بن جذيمة : ٣٤١ | أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد قاضي |
| أبو كبير الهذلي : ٢٨٣ | القضاة : ٢١٢ |
| الكسائي : ١٨٥ | الخطام الشاعر : ٣٣٦ |
| المتنخل الهذلي : ٣٦٤ | |
| مجاهد : ٣٢٠ | |

النضر بن شميل : ٣٣٦	محمد بن الحسن الشيباني : ٣٣٢
أبو الهندي الشاعر : ١٧٩	النايفة الجعدي : ٣٤٥ .
يعقوب بن السكيت : ٢٠٢	النايفة الديباني : ٣٤٥
أبو يوسف : ٣٣٢	نافع بن خليفة الغنوي : ٢١٢



مركز تحقيق نصوص علوم إسلامي

١٠ — فهرس اللغة *

(١)

صفحة	المعنى
٣٥٩	آدنى هذا الأمر
٢١١	أبجلت فلانا
١٩٢	أتى فلان من مأمنه
٢٢٥	اتخذت هذا الغلام لنفسى
١٩٢	أتيت من جهة فلان
٢٠٣	احتك الجراد الأرض
٢١٢	أحدث فلانا
١٥٥	أخذت المرأة قناعها
١٨١	أخذت هذا الأمر باليد
١٢٧	أخذت يد فلان مصافحة على كذا
٢٦٩	ارتفع أمر القوم إلى القاضى
٣٥٦	استطار لهيب النار
١٥٤	استوى الملك على سرير ملكه
	أى أتقلى
	إذا نسبته إلى البخل
	أى ورد عليه الخوف من طريق الأمن
	أى جعلته خاصا لخدمتى لا يشاركنى فيه أحد غيرى
	أى جاءنى المكروه من قبله ، أى من ناحيته
	إذا أتى على نباتها
	أى وجدته محمودا
	أى لبسته
	أى أخذته بالسلطان
	إذا عاقدته على أمر
	إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ويفصل خصامهم
	أى انتشروعا
	أى استولى على تدبير الملك

* يشتمل هذا الفهرس على التراكيب والعبارات والاستعمالات الفصاح الواردة بهذا الكتاب . وقد رتبته أبجديا بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها أو ردها إلى أصولها . فالفعل « افتحم » يأتى فى باب الهمزة لا فى باب الفاف . والفعل تنطق يأتى فى باب التاء لا فى باب النون . وذلك تسهيلا للمراجعة ، وتيسيرا للكشف دون حاجة إلى النظر فى الجرد والمزيد .

صفحة	المعنى
١٣١	أشعرت البدنة
١٣٠	أصاب شاكلة الأمر
٣٠٠	أضربت عنه صفحا
٣٠٠	أعرضت عنه صفحا
١٢٧	أعطاني فلان صفقة يمينه
١٤٤	أعطيته رجلا بريشه
٢٧٥	أعنى مطموس ، وطميس
١٣٦	افتح على
١٦٠	اقتحمت فلانا عيني
٢١١	أكفرت فلانا
١٧٢	أكلت آل فلان السنة
١٧٢	أكلتهم الضبع
١١٥	ألبس على هذا الأمر
٢٨٦	ألقى إليه مقاليد
١٩٢	ألقى إلى فلان بيده
١٩٥	ألقى فلان يد العاني
٣١٨	ألقيت عليه حسابا
٣٣١	ألقيت إليه المودة
٢٥٩	ألقيت إليك سمعى
٢٤٦	الله عند لسان كل قائل
٣٦٢	أم طبق
	إذا جرحتها في سنامها ليسيل دمها
	أى بلغ حقيقته
	أى أعرضت عنه بصفحة وجهي
	أى تركته وأهملته
	إذا عاهدني على شيء
	أى بكسوته
	أى ملتحم الشقوق بين الأجفان
	أى بين لى
	أى قبح منظره في عيني
	إذا نسبته إلى الكفر
	أى مسهم الضرب في عام الجذب
	أى نهكتهم سنة الجذب
	إذا انفلقت أبوابه
	أى أطاعه وفوض إليه أمره
	إذا سلم لأمرى
	أى خضع خضوع الأسير
	أى سألته
	إذا منحته الود
	أى صرفت سمعى نحو حديثك
	أى يجازيه على الحق والباطل من القول
	هذه كناية عن الداهية

صفحة	المعنى
١٦١ أنا بعين الله	أى أنا بمكان من حفظ الله
١١٦ أنا بين يديك	أى قريب منك
٢٦١ أنا ممدود الطرف إليك	أى أنا بانتظار أمر يرد على من جهتك
١٥٢ أنت من قلبي	أى أنت قسم قلبي
١٥٢ أنت من نفسى	» » شقيق نفسى
٢٢٥ أنت منى بمرأى ومسمع	إذا كان منصرفاً إليه بالعناية
٣٠١ أنشر الله الأموات	أى أحياءهم بعد موتهم
٣٠٩ انفتح قلبه وانفسح صدره	إذا كان واسع الصدر
٢٣٠ إنما هو حجر جلد	إذا كان بليد الطبع والحس
٢٣٠ إنما هو نار تتوقد	إذا كان ذكياً شديداً الذكاء
١٢٩ أين يذهب بك ؟	أى أين تذهب ؟
مركز تحقيق تكاملي علوم إسلامي (ب)	
١٧١ بطن الرجل	أى أصاب بطنه
١٦٦ البقية ! البقية !	أى نسألكم الإبقاء علينا
٣٠٤ بكينا فلانا بأطراف الرماح	أى طلبنا دمه وأدركنا ثأره
٣٠٤ بكينا فلانا بمضارب الصفاح	» » » »
٢٥٦ بيوتهم رياء أورثاء	أى متقابلة
(ت)	
١٥٣ تخطى فلان إلى غير الواجب	أى انتقل إليه
٢٦٩ ترقى الأمر إلى الأمير	أى عرفه على حقيقته
١٦٦ تركت مقاتلى دبر أذنك	إذا أهملت أمرى فلم تطعه

المعنى	صفحة
أى كثر فيها الرعد	٢٥٠ تشققت السحاب بالرعد
أى كثر فيها البرق	٢٥٠ » الغمام بالبرق
إذا اشتد غليانها	٢٣٩ تغيظت القدر
أى تؤخذ بحنكها	٢٠٢ تقاد الدابة بحنكها
إذا انشق	٣٦٠ تنفس الإناء
أى انصدعت	٣٦٠ تنفست القوس

(ث)

أى صار غير محتمل على نفسى	٣٥٧ ثقل على خطاب فلان
---------------------------	-----------------------

(ج)

أى فى أواخرهم	٣١٦ جاء فلان فى أعقاب القوم
أى بلغنى مدحه أو ذمّه	٢٢٠ جاءنى لسان فلان
أى ضل عن مهجه وخرج عن سمته	١٩١ جار عن الطريق
أى لم تعن بحاجتى	١٦٦ جعلت حاجتى وراء ظهرك
أى جعل الله سيفك يحصده كما يحصد الزرع بالمنجل	٢٢٨ جعله الله حصيد سيفك

(ح)

إذا قذفه بالحصباء	٢٣٣ حصب فلان فلانا
أى قذفناها بالحصبات	٢٣٣ حصبنا الجار
إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به	٢٠٢ حنك الدابة

(خ)

أى البسيه	١٥٥ خذى عليك ثوبك
أى أبعدته وزجرته	٣٣٩ خسات السكب

المعنى	صفحة
أى صار لين الكنف كاظما عند الغضب	١٨٧ خفض جناحه
أى قليل عدد العيال ، أو قليل الذنوب والآثام	١٩١ خفيف الظهر
أى خلا سكانها	١٧٥ خلت الدار
(د)	
إذا أهلكهم الأيام وأفنتهم الأعوام	١٤٩ دارت عليهم الدوائر
إذا واتاهم الإقبال	١٤٩ دارت لهم الدنيا
أى فى مقابلتها	٢١٩ دارى تلقاء دار فلان
أى زلزل قدمه	٢٣٦ دكه الله ودكده
أى يتقارب بعضها من بعض	٢٤٨ دُور بنى فلان تترأى
(ذ)	
هذه صيغة للمبالغة فى الوعيد والتخويف	٣٢٣ ذرنى وفلانا
صيغة يراد بها تغليظ الوعيد	٣٤٢ ذرنى وفلانا فستعلم ما أنزل به
أى لاق جزاء جريرتك	١٩٦ ذق غيب فعلك
إذا أعرضتُ عنه بصفحة وجهى	٣٠٠ ذهبتُ عنه صفحا
(ر)	
أى شد على قلبك بالصبر	٢٠٨ ربط الله على قلبك بالصبر
أى خاط الفتى بالخيمة أو الفسطاط	٢٢٨ رتق فتق الخباء
أى خاطه	٢٢٨ رتق فلان الفتق
إذا كان ملازما لبيته	٣٦٦ رجل لبد
إذا كان أهله خبيثاء أو ضعفاء	١٩٩ رجل مخبث أو مضعف

صفحة	المعنى
١٥١ رغبته بنفسه عن الضيم	أى صنت نفسه عن الذل والهوان
٣٣١ رميت إليه بما فى نفسه	إذا أفضيت إليه بما فى نفسه
	(ز)
١٨٠ زالت يد الأمير	أى عزل عن ولايته
٢٣٦ زلزل الله قدمه	أى أزالها عن ثباتها فعثر
٢٠٤ زهقت نفس فلان	أى فاضت روحه
	(س)
٢١٢ سألناكم فما أبخلناكم	أى سألناكم فلم نصادفكم بخلاء
٣٦٣ سر كاتم	أى مكتوم
٢٦٧ سكت فلان فلم يعد ولم يبد	أى لم يتكلم ابتداء ولا أراح جوابا
٢٦٨ سكت فما أعاد ولا أبدى	أى تحير فلم يتكلم
١٧١ سلبت الرجل	إذا أخذت سلبه
٣٠٧ سمت الناقة على أثاره	أى على سمن متقدم
٢٠٧ سيف جراز	أى قاطع يبرى المفاصل
	(ش)
٢٦١ شاخص البصر نحوك	أى منتظر منك أمرا يرد من جهتك
٣٤٤ شعر شاعر	مبالغة فى وصف الشعر بالشعور
١٧١ شغفها حبا	أى أن حبه تغفل إليها وأصاب شغافها
١٩١ شقيق النفس	أى قسيمها ، كأنه شقيق لها
	(ص)
١٦١ صحبتك عين الله	أى لازمتك رعاية الله

المعنى	صفحة
أى شديد التبرم بالأمر	٣٠٩ صدرى ضيق
أى شقه فأصابه بصدع	١٨٨ صدع الرداء
أى ظهور الكسر فيها	١٨٨ صدع الزجاجاة
أى لم يرجع على عقبه	٣٢٥ صدق فلان الحملة ولم يكذب
أى فرغ من فعله بسرعة	٢٦١ سمر الأمر
أى مال إليه	١٤٠ صغى فلان إلى فلان

(ض)

إذا نصبته	١٧٨ ضربت الخباء
أى أعرضت عنه	٣٠٠ ضربت عنه صفحا
أى أقمته ونصبت أوتاده	٢٤٥ ضربت القسطاط
أى أخذه وحال بينى وبينه	٢٠٨ ضرب فلان على مالى
أى أوغل السير فيها وأبعد	١٧٨ ضرب فى الأرض
أى لم يتسع له صدرى	٢٨٩ ضقت بهذا الأمر ذرعا

(ط)

أى وضعت لها الطرائق وهى قطع الجلود	٢١٤ طارقت النعل
أى ذهب عنه حلمه	٢٠٠، ١٨٧ طار طيره
أى ذهب عنه الحلم والوقار	١٨٧ طاش وقاره
أى أصاب فى كلامه	١٨٨ طبق المفصل
أى أدرك حقيقته	١٣٠ طبق مفصل الراى
أى يحار فيه بالسير	١٩١ طريق جائر

المعنى	صفحة
أى يُبلغ القصد فيه	١٩١ طريق قاصد
أى تحت رسومه ومعالمه	١٥٦ طمست الريح ربع الحى
إذا أهلكهم	٢٣٤ طوى الدهر آل فلان

(ع)

وصف للرجل المشتم العرض	١٦٢ عرض فلان دقيق
أى عرفت منه إرادة فعل القبيح	٢٤٠ عرفت فى وجه فلان الشر
أى يسر به كل ناظر إليه	٢٢٤ على وجه فلان قول
أى خفى عنى خبرهم	١٦٠ عى على خبرهم
أى خفى على أثر القوم	١٦٠ عى على أثرهم
أى النساء أسيرات عند الأزواج	٢٢٦ عوان عند أزواجهن

(غ)

إذا كان جاهلا بما يراه ويفعله	١٢١ غم عليه أمره
إذا تغطى وجهه بما يحجب رؤيته	١٥٦ غم الهلال
أى يرميه الناس بظنونهم	٢١١ غيب مرجم

(ف)

أى أنه متصرف على أمره	٣٣٨ فلان الجندى تحت يدى الأمير فلان
أى قليل عدد العيال ، أو قليل الذنوب	١٩١ فلان خفيف الظهر
أى له وزن فى الفضل ورجحان العقل	٣٥١ « راجح ركين
إذا كانت تطمئن نفسه إليه	١٣٨ « سگن فلان
كناية عن طهارة النفس	٣٥٤ فلان طاهر الثياب

صفحة	المعنى
٢١٩	فلان عندي بالميزان الراجح
١٣٤	» مغمور في النعيم
١٥٢	» من أنفُس بني فلان
٢٧٣	» لا ينفذ في طريق يسلكه
٢٧٣	» لا يعلم أمامه أم وراءه خير له
	» » » »

(ق)

٢١٢	قاتلناكم فما أجبنًا لكم	أى لم نجدكم جبناء عند القتال
٢٤٩	قام فلان بفلان في الناس	إذا أظهر ذمه وعيبه في الناس
١٢٩	قتل أرضًا عالمها	
١٢٩	قتلت أرضًا أهلها	
١٢٩	قتلت الخبر علما	إذا استقصيت بحقه ومعرفته
١٧٣	قرى الماء في الحوض	أى جمع الماء في الحوض
٣٠٩	قلبي مقفل	أى صدرى ضيق وفكرى متشعب
٢٥٦	قوم رياء ، ورياء	أى يقابل بعضهم بعضا

(ك)

١١٦	كذا بين يدي كذا	أى قريب منه ، أو متقدم أمامه
-----	-----------------	------------------------------

(ل)

٣٣٨	لا آخذ رزقي من تحت يد فلان	أى ليس فلان متصرفا في أمر رزقي
٢٦١	لا أقطع أمرا دونك	أى لا أقرر العزم على أمر حتى آخذ رأيك فيه
٢٥٧	لا تتراعى نارها	أى لا تتقارب دورها

المعنى	صفحة
أى لأقن على خطيئة منك	٢١٠ لأعثرن عليك بخطيئة فأعاقبك
أى يخافه ويهابه	٢٩٨ لا يملأ عينيه من فلان
أى أنه جرىء على الكلام	٢٢٤ لسان فلان منطلق
» » يخاف من الكلام	٢٢٤ » » معقود
أى قابله بكلام شديد الوقع على النفس	١٦٢ لقي فلان فلانا بكلام غليظ
هذه كناية عن لقاء الأمر الفظيع	٣٥٣ لقيت من هذا الأمر ما تشيب منه النواصي
أى لا قبل لى به ، ولا طاقة لى عليه	١٣٣ ليس لى بهذا الأمر يدان
أى لى عند فلان دم وثأر	١٩٩ لى فى رقبة فلان دم
أى لى عند فلان دين	١٩٩ لى فى رقبة فلان دين
أى لا يبصر الناس فيه لشدة ظلمته	١٥٦ ليل أعمى
أى يخاف الناس فيه	١٧٢ ليل خائف
أى يسهر فيه	٣٤٤ ليل ساهر
أى ينام فيه	١٩٩ ، ٣٦٣ ليل نائم
لا يبصر الناس فيها لظلامها	١٥٦ ليلة عمياء

(م)

أى ما زلنا نصِلُ السير ليلا ونهارا	٢٦٧ ما زال بنا سيرُ الليل والنهار
أى أحببته	٣٣٦ مال إلى فلان قلبى
أى ليس له عليه سلطان	١٨٠ ما لفلان على فلان يد
أى خلاهم بعضهم على بعض	٢٥٤ مرج الأميرُ الناس
أى تقدم أمامك	١١٦ مضى فلان بين يديك
كناية عن كثرة الرزق وسعته	١٣٤ مغمور فى النعيم

صفحة	المعنى
٢١٥ مكان دحِض	أى مزلق
١٥٢ من أنفُس بني فلان	أى من صميم أنسابهم
	(ن)
٢٣٠ نار تتوقد	يقال للرجل الذكى : هو نار تتوقد
٢٢٦ النساء عوان عند أزواجهن	أى أسيرات عند الأزواج
٣٤٣ نظر إلى نظرا يكاد يصرعنى به	إذا نظر إلى بمقت وكرهه
١٣٤ النعمة من قرنه إلى قدمه	هذه كناية عن سعة الرزق
٢٨٣ نعوذ بالله من الحور بعد الكور	هذا حديث شريف معناه نعوذ بالله
	من النقصان بعد الزيادة
٢٣١ نفح الفرس فلانا بحافره	إذا أصابه إصابة خفيفة
٢٣١ نفح فلان فلانا بيده	«ومر» «ومر» «ومر»
٣٦٠ نَفَسَ عن فلان الخناق	أى انجلى كربه ، وانفسح قلبه
١١٨ نفسُ فلان سفيهة	أى أن صاحبها سفيه
١٩٩ نهار صائم	أى يصام فيه
	(هـ)
٢١٢ ها جينا كم فما أفحننا كم	أى لم نجدكم ذوى عى فى المقال
٢١١ هذا الأمر غيب مرجم	أى يرميه الناس بظنونهم
٢٨٥ هذا الأمر مغال فى جنب ذلك الأمر	أى قريب منه قريبا شديدا
١٥٨ هذا الأمر فى طى ضميرى	أى قد اشتمل عليه قلبى
٢٣٩ هذا الشئ منى برأى ومسمع	أى بحيث أعرفه وأعلمه
٢٢٦ هذه المرأة فى حبال فلان	أى فى عصمة فلان

المعنى	صفحة
أى لطيف البطن . وهو وصف ملاحظة	٢٥٨ هضم الحشا
أى ذهب عنه الحلم واشتد به الغضب	١٨٧ هفا حله
أى أنه يطاع أمره	٢٥١ الهوى إله معبود
أى ثابت دائم	٣٢٩ هو أبقي من النقش فى الحجر
أى هو عربى صريح خالص النسب	٢٣٩ هو عربى قلبا
إذا كان علما بما يقدم عليه من الأمر	١٢١ هو على الواضحة من أمره
أى ذكى شديد الذكاء	٢٣٠ هو نار تتوقد

(و)

أى اشترك فى عمل الباطل	١٥٣ وضع فلان رجله فى الباطل
أى ثبت واستقر فى نفسى	٣٤٨ وقر قول فلان فى قلبى

(ى)

أى يارجال الله اركبى	٣١١ ياخيل الله اركبى
إذا كان تابعا لكل قائد	٢٥٩ يطير بكل جناح
أى يصيب حقايقه	١٨٨ يفصل الخطاب
أى تكاد أعصابه المتلاحة تنزائل	٣٣٩ يكاد يتميز غيظا
أى ينحرف عن طريق الرشاد	٣٤١ يمشى على وجهه
» » » »	٣٤١ يمشى على وجهه
إذا كان تابعا لكل قائد	٢٥٩ يهب مع كل ريح
أى ينتشر الأمن فيه	١٧٢ يوم آمن
إذا كان شديدا ضربه ، طويلا شره	٣٥٧ يوم فطير
» » » »	٣٥٧ يوم قاطر

١١ - فهرس مراجع

التحقيق والبحث

مرتبة وفق الحروف الأبجدية

- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي . القاهرة ١٣٥٤ هـ
أدب الكاتب : لابن قتيبة . مصر ١٣٥٥ هـ
الأدب في ظل بني بويه : لمحمود غناوي الزهيرى . القاهرة ١٣٦٨ هـ
أساس البلاغة : للزمخشري . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤١ هـ
إصلاح المنطق : لابن السكيت . دار المعارف ، مصر سنة ١٣٦٨ هـ
إعجاز القرآن : للباقلاني . السلفية ، سنة ١٣٤٩ هـ
إعجاز القرآن : للخطابي . دار التأليف سنة ١٣٧٢ هـ
الأعلام : لخير الدين الزركلى . القاهرة ١٣٤٧ هـ
الإفصاح : لعبد الفتاح الصعيدى ، وحسين يوسف موسى ، دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ
الأمالى : لأبي على القالى . دار الكتب المصرية . سنة ١٣٤٤ هـ
أمالى المرتضى : للشريف المرتضى . مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ
إمتاع الأسماع : للمقرئى . القاهرة ١٩٤١ م
أنوار التنزيل وأسرار التأويل . القاهرة ١٣٣٠ هـ
أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لابن هشام المصرى . القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ
البداية والنهاية : لابن كثير . القاهرة
بغية الوعاة : للسيوطي . مصر ١٣٢٦ هـ
البلاغة العربية في دور نشأتها : لسيد نوفل . القاهرة سنة ١٩٤٨ م
البيان والتبيين : للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ

تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٣ هـ
تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجي زيدان . القاهرة
تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩ هـ
تحقيق النصوص ونشرها : لعبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٧٤ هـ
تفسير الكشاف : للزمخشري .

تفسير النسفي : للنسفي

تنزيل الآيات ، على الشواهد من الآيات : لمحب الدين أفندي . المطبعة الأميرية بولاق
سنة ١٢٨١ هـ

ثمار القلوب : للنعالي . القاهرة ١٩٠٨ م
الجامع في أحكام القرآن : للقرطبي . دار الكتب المصرية ١٩٣٥ م
جبهة أشعار الغرب : بولاق سنة ١٣٠٨ هـ
جبهة أنساب العرب : لابن حزم . دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ م
جبهة خطب العرب : لأحمد زكي صفوت . القاهرة ١٩٣٣ م
جبهة رسائل العرب » » »

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : للمستشرق آدم متز . القاهرة ١٩٤٠ م
حماسة ابن الشجري : طبع حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ
الحيوان : للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ
خزانة الأدب : لعبد القاهر البغدادي . القاهرة ١٣٥١ هـ
دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية

ديوان الأعشى الكبير : تعليق وشرح م . محمد حسين . القاهرة - ١٩٥١ م
ديوان امرئ القيس : المطبعة الرحمانية . سنة ١٩٣٠ م
ديوان حسان بن ثابت : مطبعة السعادة ١٣٣١ هـ
ديوان عمر بن أبي ربيعة : الميمنية . القاهرة ١٣١١ هـ
ديوان النابغة الذبياني : من مجموعة فحول الشعراء . بيروت ١٩٣٤ م

- ديوان الهذليين : دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ
زهر الآداب : للحصري تحقيق على البجاوى . القاهرة ١٩٥٣ م
سمط اللآلى : للبكرى . القاهرة ١٣٥٤ هـ
سنن النسائي : لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب : المطبعة الميمنية
سيرة ابن هشام : بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى ١٣٥٦ هـ
شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلى . حسام الدين القدسى سنة ١٣٥٠ هـ
شرح ديوان الحماسة : للرزوقى . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧١ هـ
شرح ديوان الشريف الرضى : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٨ هـ
شرح شذور الذهب : لابن هشام . القاهرة ١٩٤٨ م
شرح القصائد العشر : للتبريزى . مصر ١٣٤٣ هـ
شروح سقط الزند : دار الكتب المصرية - ١٩٤٨ م
الشعر والشعراء : لابن قتيبة، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٦٤ هـ
شعراء النصرانية : للأب لويس شيخو . بيروت ١٩٢٦ م
صحيح أبى داود : لأبى داود سليمان بن الأشعث . القاهرة ١٢٨٠ هـ
صحيح البخارى : المطبعة الأميرية . بولاق ١٣١٤ هـ
صحيح مسلم : القاهرة بدون تاريخ
الصناعتين : لأبى هلال العسكري . القاهرة ١٣٧١ هـ
عبقريه الشريف الرضى : لركى مبارك . بغداد ١٣٥٧ هـ
العقد الفريد : لابن عبد ربه . لجنة التأليف والترجمة والنشر
العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق . مصر سنة ١٩٢٥ م
عيون الأخبار : لابن قتيبة . دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
الغدير : للشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى . النجف ١٣٦٥ هـ
الفائق فى غريب الحديث : للزنجشبرى . القاهرة

- فتح الرحمن ، لطالب آيات القرآن : بيروت ١٣٢٣ هـ
الفقه على المذاهب الأربعة : للجنة من العلماء . القاهرة ١٣٥٥ هـ
الفهرست : لابن النديم . القاهرة
القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب : لعبد الفتاح القاضي . القاهرة
القرطين : لابن مطرف الكناني . القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ
الكامل : لابن الأثير . القاهرة
الكامل : للمبرد
كشف الظنون : لملا كاتب جلبي ، استنبول ١٣١٠ هـ
لسان العرب : لابن منظور . بولاق سنة ١٣٠٨ هـ
المثل السائر : لابن الأثير . القاهرة ١٩٣٩ م
المجازات النبوية : للشريف الرضي . القاهرة ١٣٥٦ هـ
مجاز القرآن : لأبي عبيدة . القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ
مجالس ثعلب : تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ م
محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية : للشيخ محمد انخضري . القاهرة بدون تاريخ
محمد : لمحمد رضا . القاهرة ١٩٣٨ م
المسند : لابن حنبل . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . دار المعارف . مصر سنة ١٣٦٥ هـ
معجم ألقاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٥٣ م
معجم الشعراء : للمرزباني . القاهرة ١٣٥٤ هـ
معجم غريب القرآن : لمحمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٩٥٠ م
معجم ما استعجم : للبكري . القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ
معجم مقاييس اللغة : لابن فارس . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ
معجم المطبوعات العربية والعربية : ليوسف سر كيس . القاهرة سنة ١٩٢٨ م

المعول عليه في المضاف والمضاف إليه : للمحيي . مخطوط مصور بمجمع اللغة العربية . القاهرة

مغنى اللبيب : لابن هشام . القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ

المفضليات : للمفضل الضبي . القاهرة سنة ١٣٦١ هـ

مقدمتان في علوم القرآن : لابن عطية وآخر . القاهرة سنة ١٩٥٤ م

المنتظم : لابن الجوزي . حيدرآباد الدكن . الهند ١٣٥٩ هـ

المؤتلف والمختلف : للآمدى . القاهرة ١٣٥٤ هـ

نهاية الأرب : للنويري . دار الكتب المصرية

نهج البلاغة : القاهرة بدون تاريخ

وفيات الأعيان : لابن خلكان . طبع بولاق

يتيمة الدهر : للثعالبي . القاهرة ١٩٣٤ م



مركز تحقيق كتب علوم الإسلام

(والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات)



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران